

سلسلة تحقيق التراث (٣٥)

البستان في إعراب مشكلات القرآن

تصنيف
أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي
المعروف بابن الأحنف اليمني
المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

الجزء الثالث

من أول سورة الدخان إلى نهاية سورة الملك

دراسة وتحقيق
الدكتور أحمد محمد عبد الرحمن الجندي



البستان

في

إعراب مشكلات القرآن

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجندي، أحمد محمد
البستان في إعراب مشكلات القرآن/ أحمد محمد الجندي ـ الرياض، ١٤٣٩ هـ
٢٥١٣ ص، ١٧×٢٤ سم، ٥ مج.
١. القرآن ـ إعراب. ٢- القرآن ـ نحو. ٣- القرآن ـ القراءات والتجويد
أ. العنوان.
ديوي: ٢٢٤,٢
الإيداع: ١٤٣٩/٥٤٢٣
ردمك: ٩٧٨ - ٦٠٣-٨٢٠٦- ٥٥- ٣ (مجموعة)
٩٧٨ - ٦٠٣-٨٢٠٦- ٥٩- ١ (ج٣)

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ = ٢٠١٨م

الموزّع خارج المملكة العربية السعودية:
أروقة للدراسات والنشر
هاتف وفاكس: ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني: info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني: www.arwiqa.net

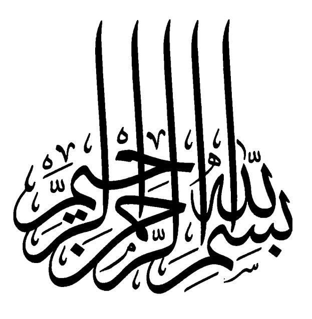


البستان في إعراب مشكلات القرآن

تصنيف
أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي
المعروف بابن الأحنف اليمني
المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

الجزء الثالث
من أول سورة الدخان إلى نهاية سورة الملك

دراسة وتحقيق
الدكتور أحمد محمد عبد الرحمن الجندي



سورة الدخان

مكِّية

وهي ألفٌ وأربعمائةٍ وأحَدٌ وثلاثون حرفًا، وثلاثُمائةٍ وسِتٌّ[١] وأربعون كلمةً، وتسعٌ وخمسون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ الدخان في ليلةٍ أصْبَحَ يستغفرُ له سبعون ألف مَلَكٍ»[٢].

وعن أبِي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ التي يُذْكَرُ فيها الدخانُ فِي ليلة الجمعة أصبح مغفورًا له»[٣].

وعن أبِي أُمامةَ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ الدخان

---

(١) في الأصل: «وستة».

(٢) رواه الترمذي في سننه ٤/ ٢٣٧ أبواب فضائل القرآن: باب ما جاء في «حم الدخان»، ورواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/ ٦٥، وينظر: كتاب المجروحين ٢/ ٨٣، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٨، الكشاف ٣/ ٥٠٨، الموضوعات ١/ ٢٤٨.

(٣) رواه الدارمي عن أبِي هريرة وَأبِي رافِعٍ في سننه ٢/ ٤٥٧ كتاب فضائل القرآن: بابٌ في فضل «حم الدخان»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٤٨، الكشاف ٣/ ٥٠٨، مجمع البيان ٩/ ١٠١، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٥.

ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة بَنَي اللهُ له بيتًا فِي الجنة»[١].

وعن أُبَيٍّ بنِ كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الدخان فِي ليلة الجمعة غُفِرَ له»[٢].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الدخان صاحَ به كُلُّ باب في الجنة: أنا لَكَ أنا لَكَ، إذا رَأَيْتَنِي فلا تُؤْثِرْ عَلَيَّ»[٣].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ قَسَمٌ، أقسم الله بـ«حم» والقرآن إنه أُنْزِلَ في ليلة مباركة، وقد تقدم تفسيره في سورة الزخرف[٤].

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن، جواب القسم ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۝٣﴾ يعني ليلة القدر، أنزل الله تعالى القرآنَ في ليلة القدر من أُمِّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، إلى سماء الدنيا، ثم أنزله على نَبِيِّهِ محمدٍ ﷺ في الليالي والأيامِ[٥].

---

(١) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٨/ ٢٦٤، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٤٨، مجمع الزوائد ٢/ ١٦٨ كتاب الصلاة باب ما يُقْرَأُ ليلة الجمعة ويوم الجمعة، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٥، الجامع الصغير ٢/ ٦٣٤، الدر المنثور ٦/ ٢٤.

(٢) رواه الترمذي بسنده عن أبِي هريرة في سننه ٤/ ٢٣٨ أبواب فضائل القرآن: باب ما جاء فـي «حم الدخان»، وينظر: الوسيط ٤/ ٨٤، تفسير ابن كثير ٤/ ١٤٨، الجامع الصغير ٢/ ٦٣٣، كنز العمال ١/ ٥٨١.

(٣) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٤) انظر ما سبق ﴿حمٓ﴾.

(٥) ينظر في ذلك: جامع البيان ٢٥/ ١٣٨، ١٣٩، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٩، البرهان للزركشي ١/ ٢٢٨.

وقيل[١]: أراد/ بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان، وإنما سَمّاها مباركةً لِما فيها من الخير والرحمة والحكم والبركة، وما تَنْزِلُ به الملائكةُ من كل أمر.

قوله: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: فِي تلك الليلة المباركة ﴿يُفْرَقُ﴾؛ أي: يُفْصَلُ ويُبَيَّنُ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾؛ أي: مُحْكَم؛ يعنِي: أمْرُ السنة يُبْرَمُ فِي ليلة القدر من شهر رمضان.

وقيل: فِي ليلة النصف من شعبان، كل أجَلٍ ورزق وعمل وخير وشر وما يكون فِي تلك السنة إلى مثلها من العام القابل.

فصل

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «تُقَطَّعُ الآجالُ من شعبانَ إلى شعبانَ، حتى أن الرجل لَيَنْكِحُ، ويُولَدُ له، ولقد أُخْرِجَ اسْمُهُ فِي ديوان الموتى»[٢].

وعن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يَنْزِلُ ليلةَ النصف من شعبان إلى سماء الدنيا، فَيَغْفِرُ لأكثرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ»[٣].

---

(١) ينظر: جامع البيان ٢٥/ ١٣٩، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٩، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٧، ١٢٨، البرهان للزركشي ٢/ ١٨٨.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٥/ ١٣٩، الكشف والبيان ٨/ ٣٤٩، عين المعانِي ورقة ١٢٠/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٦.

(٣) رواه الإمام أحْمَدُ في المسند ٦/ ٢٣٨، والترمذي في سننه ٢/ ١٢١ أبواب الصوم: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وابن ماجه في سننه ١/ ٤٤٤ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان.

وعن عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وجهَه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان ليلة النصف من شعبان فَصُومُوا يَوْمَها، فإنّ الله عزّ وجلّ يَنْزِلُ لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا مُسْتَغْفِرٌ فأغفرَ له؟ ألا مُسْتَعْفٍ فَأُعافِيَهُ؟ ألا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟ ألا كذا ألا كذا؟ حتى يطلع الفجر»[١].

قوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾؛ أي: أنزلنا أمرًا من عندنا، وقيل: هو نصب على الحال بمعنى آمِرينَ، فإن قيل: فهذه حال من نكرة؛ لأنها حال من «كُلُّ أمْرٍ»[٢]، ومِنْ شَرْطِ الحال أن تأتِي بعد معرفة، فالجواب أن صاحب الحال ـ وإن كان نكرة ـ فقد وُصِفَ، والصفة تُقَرِّبُ من المعرفة، فجاز لذلك[٣]، وقيل[٤]: هو مصدر، قال الزجاج[٥]: ﴿أَمْرًا﴾ نصب بـ﴿يُفْرَقُ﴾ بِمَنْزِلةِ: يُفْرَقُ فَرْقًا؛

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ١/ ٤٤٤ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٤٩، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٧، الدر المنثور ٦/ ٢٦.

(٢) القول بأن «أمْرًا» حال من «كُلُّ أمْرٍ» هو قول أبِي عُمَرَ الجَرْمِيِّ والأخفشِ، وبه قال طاهرُ بنُ أحمد، ويجوز أن يكون حالًا من ضمير الفاعل في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: أنزلناه آمرين، ويجوز أن يكون حالًا من ضمير المفعول في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: أنزلناه مأمورًا به، ويجوز أن يكون حالًا من الضمير في ﴿حَكِيمٍ﴾. ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٧٥، إعراب القرآن ٤/ ١٢٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧، شرح المقدمة المُحْسِبة ص ٣١٣، أمالِيُّ ابن الشجري ٢/ ٦٠٥، التبيان للعكبري ص ١١٤٤، الفريد للهمداني ٤/ ٢٦٩، الدر المصون ٦/ ١١١-١١٢.

(٣) من أول قوله: «فهذه حال من نكرة». قاله طاهر بن أحمد في شرح المقدمة المحسبة ص٣١٣.

(٤) هذا قول المبرد فيما حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٦، والمعنى: إنا أنزلناه إنزالًا، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٧.

(٥) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٤، يعني أنه مصدر من معنى ﴿يُفْرَقُ﴾، وهو كالقول السابق.

لأن ﴿أَمۡرٗا﴾ بمعنى فَرْقًا. والمعنى: أنّا نَأْمُرُ بِبَيانِ ذلك، ونَنْسَخُهُ من اللوح المحفوظ، وقال الفراء[1]: يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ فَرْقًا وأمْرًا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾ مُحَمَّدًا ﷺ إلى عبادنا ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ قيل: معناه: أنزلنا القرآن رحمة، وقيل: أرسلنا محمدًا ﷺ رحمة، وقيل[2]: نصبه على أنه مفعول له؛ أي: للرحمة، وقيل[3]: هو بدل من ﴿أَمۡرٗا﴾، وقيل[4]: هو نصب على المصدر، وقال الأخفش[5]: هو نصب على الحال ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَنْ دَعاهُ ﴿ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾ بخلقه.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قرأ أهل الكوفة: «رَبِّ» بكسر الباء رَدًّا على قوله: «مِن رَّبِّكَ»، جعلوه بَدَلًا منه، ورَفَعَهُ الآخرون[6] رَدًّا على / [١٥٣/ أ]

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٣٩.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٤، واختاره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٦.

(٣) ذكره النحاس ومَكِّيٌّ بغير نسبة، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ١٢٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٨، وينظر أيضًا: البيان للأنباري ٢/ ٣٥٧، الفريد للهمداني ٤/ ٢٧٠.

(٤) والعامل فيه محذوف؛ أي: رَحِمْناكُمْ رَحْمةً، وهذا قول الأخفش، فقد قال: ﴿نُزُلٗا﴾ [فصلت ٣٢] لأنه شغل «لَكُمْ» بـ﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ﴾ [فصلت ٣١] حتى صارت بِمَنْزِلةِ الفاعل وهو معرفة، وقوله: ﴿نُزُلٗا﴾ ينتصب على: نَزَّلْناهُ نُزُلًا نحو قوله: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ معاني القرآن ص ٤٦٦-٤٦٧، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٨٨، البيان للأنباري ٢/ ٣٥٧، الفريد للهمداني ٤/ ٢٧٠.

(٥) هذا قولٌ آخَرُ للأخفش، قاله في معاني القرآن ص ٤٧٥، وحكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٦.

(٦) قرأ بالرَّفع: نافعٌ وأبو عمرو وابنُ كثير وابنُ عامرٍ وأبو جعفر ويعقوبُ والأعرجُ وابنُ أَبِي إسحاق وشيبةُ، ينظر: السبعة ص ٥٩٢، تفسير القرطبي ١٦/ ١٢٩، البحر المحيط ٨/ ٣٤، الإتحاف ٢/ ٤٦٢.

قوله: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وإن شئت على الابتداء، على معنى: هو رَبُّ السماوات والأرض ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من الخَلْقِ والهَواءِ ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ بذلك، وهو أنه لا إلَهَ غَيْرُهُ، ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني الكفار ﴿فِى شَكٍّ﴾ من هذا القرآن ﴿يَلْعَبُونَ ۝٩﴾؛ أي: يَهْزَؤونَ به، لَاهِينَ عنه.

قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ دَعا على قومِه لَمّا كَذَّبُوهُ، فقال: «اللَّهُمَّ سَبْعًا كَسِنِي يُوسُفَ»(١)، فَأَجْدَبَتِ الأرضُ، فأصابت قُرَيْشًا المَجاعةُ، فصار الرجلُ لِما بِهِ من الجوع يَرَى بينه وبين السماء كالدخان، و﴿يَوْمَ﴾ نصب مفعول بقوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، وليس بظرف.

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ إنكار، يعني: مِنْ أين لَهُم التذكر والاتعاظ؟ ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ يعني محمدًا ﷺ، بَيَّنَ لكفار مكة الحقَّ بلسانِهِ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ ولَمْ يَقبلُوا قولَه ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي: هو مُعَلَّمٌ يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴿مَّجْنُونٌ ۝١٤﴾ بادِّعائِهِ النُّبُوّةَ.

قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ يعني: إلى شِرْكِكُمْ وتكذيبكم، وقيل: إلى عذاب الآخرة، ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ على النعت لمصدرٍ محذوفٍ، أو لظرفٍ محذوفٍ، تقديره: كَشْفًا قَلِيلًا، أو وَقْتًا قَلِيلا(٢).

---

(١) رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة في صحيحه ١/ ١٩٥ كتاب الأذان: باب الطمأنينة حتى يرفع رأسه من الركوع، ٢/ ١٥ كتاب العيدين: باب «إذا استشفع المشركون بالمسلمين عن القحط»، ٤/ ١٢٢ كتاب بدء الخلق: باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾، ٦/ ٣٩ كتاب التفسير: سورة الدخان.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٢٧، وينظر: التبيان للعكبري ص١١٤٦، الفريد ٤/ ٢٧١.

قولـه: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يعنـي يـوم بـدر، وهو قـول أكثر المفسـرين، وقال الحسـن: يعني يوم القيامـة، ونصب «يَـوْمَ» على الظرف، تقديره: إنّا منتقمون يومَ نَبْطِشُ، ويحتمل أن يكون نصبًا بإضمار فعلٍ، تقديره: اذْكُرْ يا محمد يومَ نبطش البطشةَ الكبرى[1] ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ من كفار مكة.

قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ يعني موسى عليه السّلام ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: مشـركون لا يؤمنون، ومحل «أنّ» نصب بِنَزْعِ الصفة؛ أي: بأن هؤلاء[2]، ومن قرأ بكسر «إنّ»[3] فلأنه بعد قولٍ مضمرٍ، تقديره: قال: إن هؤلاء[4].

قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ يعني بني إسـرائيل ﴿لَيْلًا﴾؛ أي: سِرْ بِهِمْ لَيْلَتَكَ ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يَتَّبِعُكُمْ فِرْعَوْنُ وقومُهُ؛ لِيَرُدُّوا بني إسـرائيل في العبوديـة، ودخلت الفاء لوقوعه موقع الجواب، كأنه قال: فأجيب بأن قيل له: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾[5]، ونصب ﴿لَيْلًا﴾ على الظرف.

---

(١) الوجه الأول الذي ذكره المؤلف، وهو أنه ظَرْفٌ لـ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ لا يجوز، قال الزجاج: «ويَوْمَ لا يجـوز أن يكـون منصوبًا بقولـه: ﴿مُنتَقِمُونَ﴾؛ لأن ما بعد ﴿إِنَّا﴾ لا يجـوز أن يعمل فيما قبلها، ولكنه منصوب بقوله: واذْكُرْ يوم نبطش البطشـة الكبرى». معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٥، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٨، وفيه أوجهٌ أخرى، أحدها: أنه بدل من ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾، والثاني: أنه منصوب بمضمر دَلَّ عليه ﴿مُنتَقِمُونَ﴾؛ أي: ننتقم يوم نبطش، والثالث: أنه منصوب بقوله: ﴿عَآئِدُونَ﴾، ينظر: التبيان للعكبري ص١١٤٦، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٧١، ٢٧٢، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٣١٧.

(٢) يعني: بنَزْعِ الخافض، وهذا الوجه قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٦، وينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ١٣٦.

(٣) قرأ بالكسـر ابنُ أَبِي إسـحاق وعيسى بنُ عمر وابنُ عمير، والحسنُ في روايةٍ عنه، وزيدُ بن عَلِيٍّ، ينظر: البحر المحيط ٨/ ٣٦، شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٢٠.

(٤) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٦، إعراب القرآن ٤/ ١٢٩.

(٥) قال الطبري: «وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾، وفي الكلام محذوف، اسْتُغْنِيَ بدلالة ما ذُكِرَ عليه =

[١٥٣/ ب] قوله: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا﴾؛ يعني: ساكنًا إذا قَطَعْتَهُ أنت وأصْحابُكَ / ، يعني موسى عليه السّلام، وذلك أنه لَمّا قَطَعَ البحرَ هو وأصحابُهُ أراد أن يَضْرِبَ البَحْرَ بعصاه لِيَلْتَئِمَ، وخاف أن يَتْبَعَهُ فرعونُ وجنودُهُ، فقيل لـه: «اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا»[١] يعني: على حالته وهيئته التي كان عليها ﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ يعني فرعون وقومه، فأغرقهم الله تعالى فِي بَحْرِ الْقُلْزُمِ، وهو بحر أيْلةَ، وقيل: معناه: امْشِ رَهْوًا، يعني: على هيئتك، قال الشاعر:

٢٣٨ـ يَمْشِينَ رَهْوًا فَلَا الأعْجازُ خاذِلَةٌ وَلا الصُّدُورُ عَلَى الأعْجازِ تَتَّكِلُ[٢]

وأصل الرَّهْوِ في كلام العرب السُّكُونُ، يقال: رَها يَرْهُو رَهْوًا فهو راهٍ، ويقال لكل شيء ساكن لا يتحرك: راهٍ[٣]، وهو نصب على الحال[٤]، والمعنى: اترك البحر راهِيًا؛ أي: ساكنًا على حاله، فسمي بالمصدر.

= منـه، وهو: فأجابه رَبُّهُ بِأنْ قال له: فأسـر إذا كان الأمر كذلـك». جامع البيان ٢٥/ ١٥٦، وقال الزمخشري: «وفيه وجهان: إضمار القول بعد الفاء، فقال: أسْرِ بعبادي، وأن يكون جواب شرط محذوف، كأنه قيل: إن كان الأمر كما تقول فَأسْرِ». الكشاف ٣/ ٥٠٣، ولَمْ يُجِزْ أبو حيان كونه جوابًا لشرط محذوف، ينظر: البحر المحيط ٨/ ٣٦، وينظر أيضًا: الدر المصون ٦/ ١١٤.

(١) قاله قتادة ومقاتل، ينظر: جامع البيان ٢٥/ ١٥٦، ١٥٧، الوسيط ٤/ ٨٨، ٨٩.

(٢) البيت من البسيط، للقطامي.

اللغـة: الأعجاز: جمع عَجُزٍ، وهو الآخِرُ، خاذلةٌ: ضعيفة، والخاذل من الظباء والبقر: التي تتخلف عن صواحبها.

التخريج: ديوانه ص ١٩٥، الأضداد لابن الأنباري ص ١٥٠، تهذيب اللغة ٦/ ٤٠٤، ديوان المعانـي ٢/ ١١٩، محاضرات الأدباء ٢/ ٦٦٠، أسـاس البلاغة: رهو، عين المعانِي ورقة ١٢١/ أ، تفسـير القرطبـي ١٦/ ١٣٧، التذكرة الحمدونية ٥/ ٢٦٠، اللسـان: رها، البحر المحيط ٨/ ٣٢، الدر المصون ٦/ ١١٥، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٣٢١، التاج: رها.

(٣) قاله الأصمعي، ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٠٤.

(٤) هـذا إذا لَمْ يكن «تَرَكَ» بمعنى «صَيَّرَ»، فإنـه يكون متعديًا إلى مفعول واحد، فأما إذا كان =

قوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ يعني قوم فرعون ﴿مِن جَنَّاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَعُيُونٍ (٢٥)﴾ وهي الأنهار الجارية ﴿وَزُرُوعٍ﴾ ما بين الخليجين من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦)﴾ يعني المآثر والمنازل الحسنة ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)﴾؛ يعني: ناعمين، و«فَكِهِينَ»: أشِرِينَ بَطِرِينَ مُعْجَبِينَ بذلك، والنَّعْمةُ بفتح النون: سَعةُ العَيْشِ والرّاحةِ، والنِّعْمةُ بكسر النون: المْنَّةُ[1].

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كذلك أفعل بِمَنْ عَصانِي ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾؛ يعني أرض مصر: بساتينهم وأنهارهم وزروعهم ومنازلهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨)﴾؛ يعني بني إسرائيل بإيمانِهِمْ، رَدَّهُم اللهُ إلى مِصْرَ بعد الخروج منها، نظيره قوله تعالى في الأعراف: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾[2]، وقوله في الشعراء: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3].

فصل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُجِّرَتْ أرْبَعةُ أنْهارٍ مِن الجنة: النِّيلُ والفُراتُ وسَيْحانُ وجَيْحانُ»، ويروى: «سَيْحُونُ» و«جَيْحُونُ»[4].

قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ يعني: على فرعون وقومه،

= بمعنى «صَيَّرَ» فإنه يكون متعديًا إلى مفعولين، فيكون «رَهْوًا» مفعولًا ثانيًا له، ينظر: التبيان للعكبري ص ١١٤٦، الدر المصون ٦/ ١١٤.

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٤/ ب.

(٢) من الآية ١٣٧.

(٣) من الآية ٥٩.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٦١، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٤/ أ، كنز العمال ١٢/ ٣٤٤.

يقـول: لَمْ يكن لَهُمْ عَمَلٌ صالِحٌ يصعد إلى السـماء، فلم تَبْكِ عليهم السـماءُ والأرضُ، وذلـك أن المؤمـن إذا مات بَكَـتْ عليه السـماءُ والأرضُ أربعين صباحًا[1]، وقيل[2]: معناه: أَهْلُ السَّماءِ وَأَهْلُ الأرْضِ ﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: لَمْ يُنْظَرُوا حتى أُغْرِقُوا.

رُوِيَ عن عَلِيٍّ بنِ أَبِي طالب رضي الله عنه أنه قال: «بكاء السماء حُمْرةُ أطرافها»[3]، وقيل: «لَمّا قُتِلَ الحُسَـيْنُ بن علي ـ رضي الله عنهما ـ / احْمَرَّتْ آفاقُ السماء»[4]، قال الربيع بن خُثَيْمٍ: بكت السماء بواكيها. [١٥٤/ أ]

فصل

عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلّا ولـه بابانِ: بابٌ يصعد فيه عملُـه، وبابٌ يَنْزِلُ منه رزقه، فـإذا مات فَقَداهُ، وبَكَيـا عليه، فذلك قولـه عزّ وجـلّ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾»[5].

---

(١) قاله مجاهد، ينظر: جامع البيان ٢٥/ ١٦٠، ١٦١، الكشف والبيان ٨/ ٣٥٣، عين المعانِي ورقة ١٢١/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ١٤٠.

(٢) قاله الحسن ومجاهد وابن قتيبة، ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٤٦، تأويل مشكل القرآن ص ١٧٠، إعراب القرآن ٤/ ١٣١، زاد المسير ٧/ ٣٤٥، عين المعانِي ورقة ١٢١/ أ، البحر المحيط ٨/ ٣٧.

(٣) ينظـر قوله فـي جامع البيـان ٢٥/ ١٦٠، شـفاء الصدور ورقـة ٤/ ب، تفسـير القرطبي ١٦/ ١٤٢، مجمع البيان ٩/ ١٠٩، الدر المنثور ٦/ ٣١.

(٤) هـذا قـول السـدي ويزيد بن أَبِي زياد، ينظر: شـفاء الصـدور ورقـة ٤/ ب، مجمع البيان ٩/ ١٠٩، عين المعانِي ورقة ١٢١/ أ، الدر المنثور ٦/ ٣١.

(٥) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٥٧ أبواب تفسير القرآن: سورة الدخان، والطبراني في المعجم =

وعن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ الحَضْرَمِيِّ[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، ألا لا غُرْبَةَ على مؤمنٍ، ما مات مؤمن في غُرْبةٍ غابت عنه فيها بَواكِيهِ إلّا بكت عليه السماء والأرض»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾، ثم قال: «إنهما لا تبكيان على الكافر»[٢].

وفي الخَبَرِ: أن الشمس بَكَتْ على يَحْيَى عليه السّلام أربعين صباحًا، وكان بكاؤها أنْ طَلَعَتْ حَمْراءَ وغَرَبَتْ حَمْراءَ[٣]، ويُرْوَى أن يَحْيَى عليه السّلام سَيِّدُ الشهداءِ يومَ القيامة، وقائدُهم إلى الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾؛ يعني: بِمَبْعُوثِينَ بعد الموت، ورفع ﴿مَوۡتَتُنَا﴾ على خبر ﴿إِنْ﴾[٤]؛ لأن ﴿إِنْ﴾ بمعنى «ما»، والتقدير: ما هي إلا موتتنا الأولى ﴿فَأۡتُواْ

= الأوسط ٦/ ٢٩٦، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٥٣، الوسيط ٤/ ٩٠، مجمع الزوائد ٧/ ١٠٥ كتاب التفسير: سورة الدخان.

(١) شُرَيْحُ بن عُبَيْدِ بن شُرَيْحِ بن عَبْدِ بن عَرِيبٍ الحَضْرَمِيُّ، أبو الطيب المِقْرائِيُّ الحِمْصِيُّ، تابعيٌّ شاميٌّ ثقة، روى عن أبِي الدرداء وأبِي أمامة وثوبان، توفِّي سنة (١٠٨هـ). [التاريخ الكبير ٤/ ٢٣٠، تهذيب الكمال ١٢/ ٤٤٦].

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٥/ ١٦٢، شفاء الصدور ورقة ٤/ ب، الكشف والبيان ٨/ ٣٥٣، عين المعانِي ورقة ١٢١/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ١٤٠، ١٤١، الدر المنثور ٦/ ٣٠.

(٣) ينظر: مجمع البيان ٩/ ١٠٩، تفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٠.

(٤) في الأصل «على خبر ما». وما قاله المؤلف هنا غير صحيح؛ لأن «إنْ» عَمِلَتْ، على قِلّةٍ، لشبهها بـ«لَيْسَ»، ومن شروط إعمالها عمل «لَيْسَ» ألا ينتقض نَفْيُها بـ«إلّا»، وقد انتقض النَّفْيُ هنا، فَبَطَلَ عَمَلُها، وعليه فـ﴿هِيَ﴾ مبتدأ، و﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ملغاة، و﴿مَوۡتَتُنَا﴾ خبر المبتدأ، ينظر في ذلك: البيان للأنباري ٢/ ٣٦٠، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٧٥، ٣٧٦، شرح الكافية للرضي ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨، ارتشاف الضرب ص ١٢٠٧.

﴿بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أنّا نُبْعَثُ أحْياءً بعد الموت، والخطاب للنبي ﷺ وحده، وهو كقوله تعالى: «يا أيُّها النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ»[1]، فقال لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ استفهام إنكار، يقول: أهُمْ أعَزُّ وأمْنَعُ وأكْثَرُ أموالا وعددا أم قوم تُبَّع ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؟ مثل عاد وثمود ﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يعني: مكذبين بالبعث.

ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ رفعٌ بالعطف على ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، ويحتمل أن يكون رفعًا بالابتداء وخبره ﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾، ويحتمل أن يكون خفضًا بالعطف على ﴿تُبَّعٍ﴾، تقديره: أهُمْ خَيْرٌ أمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَقَوْمُ الذينَ؟ ويحتمل أن يكون نصبًا بإضمار فعل تفسيره ما بعده تقديره: وأهلكنا الذين من قبلهم أهلكناهم[2].

وقوم تُبَّع كانوا من أهل اليمن، وتُبَّعٌ هم ملوك اليمن، وإنما سُمِّيَ كُلُّ واحد منهم تُبَّعًا لأنه يَتْبَعُ صاحبه، وهو بِمَنْزِلةِ الخليفة فِي الإسلام، وهم ملوكُ العربِ الأعاظمُ[3]، والتِّبْعُ أيضًا الذي يَتْبَعُ النساءَ[4].

---

(١) سورة الطلاق الآية الأولى، وهذا قول الفراء، قاله في معانِي القرآن ٣/ ٤٢، وينظر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٠٨، شفاء الصدور للنقاش ورقة ٥/ أ، ٥/ ب.

(٢) وإذا كان معطوفًا على ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ كانت جُمْلةُ ﴿أَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾ استئنافيةً، ويجوز أن تكون حالًا من الضمير المستكنِّ في الصلة، ينظر في هذه الأوجه: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٣٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٠، البيان للأنباري ٢/ ٣٦٠، كشف المشكلات للباقولِيِّ ٢/ ٣٠٣، التبيان للعكبري ص ١١٤٧، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٧٤، الدر المصون ٦/ ١١٦.

(٣) قاله أبو عبيدة والأخفش والنقاش، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٠٩، شفاء الصدور ٥/ ب، وينظر قول الأخفش في عين المعانِي ورقة ١٢١/ أ، زاد المسير ٧/ ٣٤٨، تفسير القرطبي ١٦/ ١٤٤.

(٤) قال الأزهري: «ويقال: فُلانٌ تِبْعُ نِساءٍ؛ أي: يَتْبَعُهُنَّ». تهذيب اللغة ٢/ ٢٨٣.

فصل

عن سَهْلِ بنِ سعدٍ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا تَسُبُّوا تُبَّعًا، فَإِنَّهُ كانَ قَدْ أَسْلَمَ»[١]، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «لا تَسُبُّوا تُبَّعًا، فَإِنَّهُ كانَ رَجُلًا صالِحًا، ألا تَرَى أنّ الله ذَمَّ قَوْمَهُ وَلَمْ يَذُمَّهُ»[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨﴾؛ أي: لَمْ نَخْلُقْهُما عَبَثًا، نظيره قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٣] فنجزيكم بأعمالكم، وإنما قال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولَمْ يقل: وما بينهن؛ لأن المعنى: وما بَيْنَ هذين النوعين من الأشياء[٤]، ونصب ﴿لَٰعِبِينَ﴾ على الحال.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لِلْحَقِّ، يعني: للثواب على الطاعة، والعقابِ على المعصية ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾ يعني يوم القيامة؛ لأنه يُفْصَلُ بالقضاء، يَقْضِي اللهُ للمؤمنين بالجنة، ويَقْضِي للكافرين بالنار، وقيل: يفصل بين المرء

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٤٠، ورواه الطبرانِيُّ عن سهلِ بنِ سعدٍ وابنِ عباسٍ في المعجم الأوسط ٢/ ١١٢، ٣/ ٣٢٣، والمعجم الكبير ٦/ ٢٠٣، ١١/ ٢٣٦، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٥/ ب، الكشف والبيان ٨/ ٣٥٤.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٢٥/ ١٦٦، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٥٤، الوسيط ٤/ ٩١، زاد المسير ٧/ ٣٤٨، تفسير القرطبي ١٦/ ١٤٦.

(٣) المؤمنون ١١٥، وينظر ما سبق ١/ ٣٠٣.

(٤) قال الزمخشري: «وما بين الجنسين». الكشاف ٣/ ٥٠٥، وقرأ عبيد بن عمير: ﴿وَما بَيْنَهُنَّ﴾. شواذ القراءة للكرماني ورقة ٢٢٠، وينظر: البحر المحيط ٨/ ٣٩.

وعمله، وقرأ عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ: ﴿مِيقاتَهُمْ﴾[١] بالنصب، جعله اسم «إنّ»، ونصب يومًـا على الظرف، و﴿أَجْمَعِينَ﴾ على الحال، ويكون التقدير: إن مِيقاتَهُمْ فِي يوم الفصل أجمعين.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يَنْفَـعُ ولا يَدْفَـعُ وَلِيٌّ عن وَلِيٍّ، ولا قَرِيـبٌ عن قريب، ولا حَمِيمٌ عن حميم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾؛ يعني: ولا يُمْنَعُونَ من العذاب، ونصب يومًا على البدل من «يَوْمَ» الأول[٢]، ويحتمل أن يكون نصبًا على الظرف؛ أي: فِي ذلك اليوم[٣].

ثم استثنى فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ يعني: من المؤمنين، فإنه يشفع بعضهم لبعض، واختلف النحاة في محل ﴿مَن﴾ مِنَ الإعراب، فقال بعضهم[٤]: محله رفع بدلًا من الاسم المضمر في ﴿يُنصَرُونَ﴾، وإن شئت جعلته ابتداءً، وأضمرت خبره، تريد: إلا من رحم الله، فإنه يشفع له[٥]، وقيل[٦]: هو بمعنى: لا يُغْنِـي إلا مَـنْ رَحِمَ اللهُ، وقيل: على البدل ـ كما تقدم ـ بمعنى: ولا يُنْصَرُ إلا مَنْ

---

(١) ينظر: القرطبي ١٦/ ١٤٨، شـواذ القراءة ورقة ٢٢٠، عيـن المعاني ورقة ١٢١/ أ، البحر المحيط ٨/ ٣٩.

(٢) يعني باليوم الأول «يَوْمَ الْفَصْلِ»، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٣٣.

(٣) يعنـي أنه ظـرف لِما دَلَّ عليه «الفصل»؛ أي: يفصل بينهم يـوم لا يغني، ولا يتعلق بالفصل نفسه؛ لأنه قد أخبر عنه، هذا كلام العكبري في التبيان ص ١١٤٧.

(٤) هذا قول الفراء والأخفش ومَكِّيِّ بن أَبِي طالب، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٤٢، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٧٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩١.

(٥) هذا قولٌ آخَرُ للأخفش، ينظر: معانِي القرآن ص ٤٧٥.

(٦) يعني أنه بَدَلٌ من ﴿مَوْلًى﴾ الأول، والتقدير: لا يغني إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ؛ أي: لا يَشْفَعُ إلا مَنْ رَحِمَـهُ اللهُ، واستحسـن النحاسُ هذا الرأي. ينظر: إعراب القـرآن ٤/ ١٣٣-١٣٤، وينظر أيضًا: مشكل إعـراب القرآن ٢/ ٢٩١.

رَحِمَ اللهُ، هكذا ذكره الصَّفّارُ[١]، وإن شئت جعلته نصبًا على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام، وهو قول الكسائي والفراء[٢]، تريد: اللَّهُمَّ إلاّ مَنْ رَحِمَ اللهُ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في نِقْمَتِهِ من أعدائه الذين لا شفاعة لهم ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ بالمؤمنين المُوَحِّدِينَ الذين استثنى اللهُ تعالى فِي هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ تقدم تفسيره فِي الصافات[٣]، ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ الفاجر ذي الإثم، وهو أبو جهل ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو دُرْدِيُّ الزَّيْتِ وعَكَرُ القَطِرانِ[٤]، وقد تقدم تفسيره في سورة الكهف[٥] ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾﴾ يعني بطون الكفار ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ يعني الماءَ الحارَّ / [١٥٥/ أ] إذا اشْتَدَّ غَلَيانُهُ.

قرأ ابن كثير وحَفْصٌ ورُوَيْسٌ: ﴿يَغْلِى﴾ بالياء، جعلوا الفعل للمُهْلِ، واختاره أبو عبيد[٦]، قال[٧]: لأن المُهْلَ مُذَكَّرٌ، وهو الذي يَلِي الفِعْلَ، فصار أَوْلَى به التذكيرُ ولِلْقُرْبِ، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث الشجرة[٨]، قال أبو علي

---

(١) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ١٣٣، ١٣٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٢، وينظر قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٣٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩١.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ الآية ٦٢، ينظر ٢/ ٢٦٧.

(٤) دُرْدِيُّ الزيتِ: هو ما يبقى في أسفله، ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢١٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٢، شفاء الصدور ورقة ٦/ أ، ٦/ ب، لسان العرب: مهل.

(٥) يعني قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ الآية ٢٩، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٦) ينظر اختياره في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٣٤، الوسيط للواحدي ٤/ ٩٢.

(٧) ينظر قول أبي عبيد في الوسيط ٤/ ٩٢.

(٨) ينظر: السبعة ص ٥٩٢، تفسير القرطبي ١٦/ ١٤٩، البحر المحيط ٨/ ٤٠، الإتحاف ٢/ ٤٦٣-٤٦٤.

الفارسي[١]: ولا يجوز أن يُحْمَلَ الغَلْيُ على المُهْلِ؛ لأن المُهْلَ إنّما ذُكِرَ للتشبيه به في الذَّوْبِ، ألا ترى أن المُهْلَ لا يَغْلِي في البطون، إنّما يَغْلِي ما يُشَبَّهُ به.

قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾؛ يعني أبا جهل، أي: يقال للزبانية ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: وَسَطِها؛ يعني: سُوقُوهُ وادفعوه إلى النار، يقال: عَتَلَهُ يَعْتِلُهُ عَتْلًا: إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب، وفيه لغتان: كسر التاء، وهي قراءة أبي جعفر وأبي عمرو وأهل الكوفة، وضَمُّها، وهي قراءة الباقين[٢].

قوله: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ وهو الذي قد غَلِيَ حَتَّى انتهى حَرُّهُ؛ لِيَغْلِيَ دِماغُهُ، ويقال له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ يعني أبا جهل ـ لعنه الله ـ[٣]، وذلك أنه كان يقول: أنا أَعَزُّ أَهْلِ الوادي وأَكْرَمُهُمْ، فيقول له الخَزَنَةُ: ذُقْ هذا العذابَ أيها المُتَعَزِّزُ المُتَكَرِّمُ في زَعْمِكَ، وهذا القول أمْرٌ وَرَدَ على طريق الاستخفاف والإهانة والتوبيخ، لا على طريق الاستحقاق والتحقيق، قرأ العامة: «إِنَّكَ» بكسر الألف على الابتداء، وقرأه الكسائي بالنصب[٤] على معنى: لأنك أو: بأنك.

---

(١) الحجة ٣/ ٣٨٧ باختلاف في ألفاظه، وينظر: المسائل العضديات ص ١١٦.

(٢) ينظر: السبعة ص ٥٩٢، ٥٩٣، البحر المحيط ٨/ ٤٠، النشر ٢/ ٣٧١، الإتحاف ٢/ ٤٦٤، وينظر في هاتين اللغتين: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤١٤، تهذيب اللغة ٢/ ٢٧٠، الوسيط ٤/ ٩٢.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٥٦، أسباب النزول ص ٢٥٣، لباب النقول ص ١٧٤.

(٤) قرأ الكسائيُّ والحسنُ بنُ عَلِيٍّ والحَسَنُ البَصْرِيُّ: ﴿أَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة، ينظر: السبعة ص٥٩٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١٥١، البحر المحيط ٨/ ٤٠، الإتحاف ٢/ ٤٦٤.

فصل

عن أَبِي هريرة عن كعب الأحبار قال: إنّ للهِ عزّ وجلّ ثَلاَثَةَ أثْوابٍ، اتَّزَرَ بالعِزِّ، وتَسَرْبَلَ الرَّحْمةَ، وارْتَدَى الكِبْرياءَ، فَمَنْ تَعَزَّزَ بغير ما أَعَزَّهُ اللهُ، فذلك الذي يُقالُ له: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾، وَمَنْ رَحِمَ النّاسَ بِرَحْمةِ اللهِ، ذلك الذي تَسَرْبَلَ بِسِرْبالِهِ[1] الذي ينبغي له، ومن تَكَبَّرَ فذلك الذي نازَعَ اللهَ رِداءَهُ، إن الله يقول: «لَا يَنْبَغِي لِمَن ادَّعَى رِدائِي / أنْ أُدْخِلَهُ الجَنّةَ»[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ أي: تَشُكُّونَ به في الدنيا، ولا تؤمنون به، وتزعمون أنه غير كائن، فهذا مصير الكافرين ومستقرهم ومأواهم، والمِرْيَةُ: الشَّكُّ.

ثم ذكر الله تعالى مُسْتَقَرَّ المؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعني الذين يتقون الشرك ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١﴾ أَمِنُوا فيه الغِيَرَ من الموت والحوادث، قرأ أهل المدينة والشام بضم الميم فِي المقام على المصدر، وهو موضع الإقامة؛ أي: في إقامة، وقرأ الباقون بالفتح[3]؛ أي: في مكان كريم، وهو موضعُ القيامِ؛ لأنك إذا جعلته من: قامَ يَقُومُ فهو مفتوح، وإذا جعلته من: أقامَ يُقِيمُ فهو مضموم؛ لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع منه

---

(١) في الأصل: «فذلك تسربل بغير ماله»، والتصويب والزيادة من المستدرك للحاكم.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٢٥/ ١٧٤، والنقاش في شفاء الصدور ورقة ٦/ ب، والحاكم فِي المستدرك ٢/ ٤٥١ كتاب التفسير: سورة «حم الدخان»، وينظر: كنز العمال ٣/ ٥٣٤.

(٣) قرأ ابن عُمَرَ وزيد بن عَلِيٍّ وأبو جعفر وشيبة والأعرج والحسن وقتادة ونافع وابن عامر والأعمش: ﴿مُقامٍ﴾ بضم الميم، وقرأ أبو رجاء وعيسى بن عمر وابن وثاب وبقية السبعة بفتح الميم، ينظر: السبعة ص ٥٩٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١٥٢، البحر المحيط ٨/ ٤٠، الإتحاف ٢/ ٤٦٤.

مضموم، والمَقامُ: المَجْلِسُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[١]، ومعنى القراءتين واحد[٢].

قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ وهو ما رَقَّ من الدِّيباجِ ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غَلُظَ منه، وإنما قيل له: إسْتَبْرَقٌ لشدة بريقه[٣] ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣﴾ يقابل بعضهم بعضًا، وهم على الأَسِرّةِ، كيفما أدار الوَلِيُّ وَجْهَهُ إلى جليسه دارَ به السَّرِيرُ، حتى لا ينظر بعضهم في قَفا بعض[٤]، وهو نصب على الحال.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمر كما وصفنا هكذا، يعني: في الجنة، ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ يعني: قَرَنّاهُمْ ﴿بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾، وليس في الجنة تزويج كتزويج الدنيا، قال أبو عبيدة[٥]: جعلناهم أزواجًا بِهِنَّ كما تُزَوِّجُ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ؛ أي: جعلناهم اثنين اثنين، ونَحْوَ هذا قال الأخفشُ[٦]: جعلناهم أزواجًا بالحور العين، وهُنَّ البِيضُ الوجوهِ، يَحارُ فيهنَّ الطَّرْفُ من بياضهنَّ وصَفاءِ لَوْنِهِنَّ.

---

(١) الشعراء ٥٨، والدخان ٢٦.

(٢) وقال الفراء: «والمَقامُ بفتح الميم أجْوَدُ في العربية؛ لأنه المكان، والمُقامُ: الإقامةُ، وكُلٌّ صَوابٌ». معانِي القرآن ٣/ ٤٤، وقد أنكر النحاسُ على الفراء قوله عن بعض القراءات: هذه أجود من تلك، وعنده أن القراءتين بمعنى واحد، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ١٣٦، وكذلك قال الفارسي في الحجة للفارسي ٣/ ٣٨٨.

(٣) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٨، وينظر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤١٦، شفاء الصدور للنقاش ورقة ٧/ أ.

(٤) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧/ أ.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢٠٩.

(٦) معانِي القرآن ص ٤٧٥.

قال أبو عبيدة[١]: الحوراء: الشَّـدِيدةُ بَياضِ العَيْنِ، الشَّـدِيدةُ سَـوادِها، وقيل لها: حَوْراءُ؛ لأن الطَّرْفَ يَحارُ في النظر إليها؛ لِرِقَّةِ جِلْدِها وصفاء لونها، يُرَى مُخُّ ساقِها من وراء سبعين حُلَّةً، ويَرَى الرَّجُلُ وَجْهَهُ في وَجْهِها من رِقَّةِ جِلْدِها وصَفاءِ لَوْنِها[٢]، والعِينُ: جمع عَيْناءَ وهي العظيمة العينين[٣].

فصل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ / : «مُهُورُ حُورِ العِينِ قَبَضاتُ التَّمْرِ، وَفِلَقُ الخُبْزِ»[٤]، ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «إخراج القمامة من المساجد مُهُورُ الحُورِ العِينِ»[٥].

قوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ أي: بكل صنف من ألوان الفاكهة والنِّعَمِ التي يَتَفَكَّهُونَ بها، فَيُؤْتَوْنَ بها على

---

(١) قال أبو عبيدة: «الحَوْراءُ: الشَّدِيدةُ بَياضِ بَياضِ العَيْنِ، والشَّدِيدةُ سَوادِ سَوادِ العَيْنِ». مجاز القرآن ٢/ ٢٤٦.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧/ أ.

(٣) قاله الضحاك وأبو عبيدة واللحيانِيُّ، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٧٠، إعراب القرآن ٤/ ١٣٧، تهذيب اللغة ٣/ ٢٠٦.

(٤) هذا حديث موضوع، رواه ابن حبان في كتاب المجروحين ٢/ ٨٨، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/ ٢٥، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٥٦، الموضوعات لابن الجوزي ٣/ ٢٥٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١٥٣، والقَبَضاتُ: جمع قَبْضةٍ، وهي مقدار ما أخذته بِجُمْعِ كَفِّكَ، وفِلَقُ الخُبْزِ: كِسَرُهُ، جمع فِلْقةٍ.

(٥) رواه الطبرانِيُّ عن أبي قِرْصافةَ في المعجم الكبير ٣/ ١٩ بلفظ: «ابنوا المساجد، وأخرجوا منها القمامة، وإخراج القمامة منها مهور حور العين»، ورواه ابن الجوزي عن أنس في الموضوعات ٣/ ٢٥٤ بلفظ «كنس المساجد»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٥٦، مجمع الزوائد ٢/ ٩، ١٠ كتاب الصلاة: باب بناء المساجد، وباب تنظيف المساجد.

ما يُحِبُّونَ، آمنين من كل ما يخافونه في الدنيا، ويحذرونه من الموت والأسقام والأوجاع والآلام، قال عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب رضي الله عنه [١]: «نَسُوا المَوْتَ، فَصَفا لهم العَيْشُ»، ونصب «آمِنِينَ» على الحال.

قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾؛ يعني: فِي الجنة ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ نصب لأنه استثناء ليس من الأول؛ يعني: سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، قال الفراء والزجاج[٢]: ﴿إلا﴾ بمعنى «سِوَى»، كقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٣]؛ أي: سِوَى ما سَلَفَ، وقيل[٤]: ﴿إلا﴾ بمعنى «بَعْدَ»، وقيل[٥]: هو استثناء منقطع، وهو الأحسن، وقال ابن قتيبة[٦]: إنما استثنى الموتة الأولى - وهي فِي الدنيا - من موت الجنة؛ لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطفِ اللهِ وقدرتِهِ إلى أسباب من الجنة، يُلَقَّوْنَ الرَّوْحَ والرَّيْحانَ، ويُرَوْنَ مَنازِلَهُمْ من الجنة، وتُفَتَّحُ

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٧/ ب.

(٢) معانِي القرآن للفراء ٣/ ٤٤، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٨.

(٣) النساء ٢٢.

(٤) قاله الطبري، وأنكر على من جعل ﴿إلا﴾ بمعنى «سِوَى». جامع البيان ٢٥/ ١٧٨-١٧٩، قال السمين الحلبي: «اختاره الطبري، وأباه الجمهور؛ لأن «إلّا» بمعنى «بَعْدَ» لَمْ يَثْبُتْ». الدر المصون ٦/ ١١٩..

(٥) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٣٧، ومعاني القرآن ٦/ ٤١٧، وهذا ما ذكره المؤلف أوَّلاً، قال الأنباري: «استثناء منقطع وتقديره: لَكِنْ قَدْ ذاقُوا المَوْتةَ الأُولَى في الدنيا، والبصريون يقدرون ﴿إلا﴾ في الاستثناء المنقطع بـ«لَكِنْ»، والكوفيون يقدرونه بـ«سِوَى». البيان للأنباري ٢/ ٣٦٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٧٧، الدر المصون ٦/ ١١٩.

(٦) تأويل مشكل القرآن ص ٧٨-٧٩ باختلاف في بعض ألفاظه.

لهـم أبوابُها، فإذا ماتوا في الدنيا فكأنهم ماتوا في الجنة؛ لاتصالهم بأسـبابها، ومشاهدتِهم إياها.

قولـه: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦﴾ وهـي النـار، وقيل لهـا: جَحِيمٌ لِعِظَمِها وبُعْدِ قَعْرِها[1] ـ أجارنا الله منها آمين ـ.

وقولـه: ﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: فَعَـلَ اللهُ ذلك بهم يا محمد فَضْلًا منه، وهو منصوب على المصدر[2] ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٥٧﴾؛ يعني الكبير.

قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني القـرآن، كناية عن غير مذكور[3]؛ أي: سَـهَّلْنا علـى لِسـانِكَ قِراءَتَـهُ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾؛ أي: لكي يتعظوا، فيؤمنوا به إذا سمعوه منك ويفهموه، فلم يؤمنوا به.

ثـم قال الله تعالى لِنَبِيِّـهِ ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ أي: فانْتَظِرْ ما وَعَدْتُكَ مـن الفتح والنصر والظَّفَرِ عليهم والعذاب الذي أُنْزِلَ بهم ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾؛ أي: منتظـرون بزعمهم قهركَ وهلاكك/ ومَنْ مَعَكَ، نظيرها قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾[4]، والله أعلم.

---

(١) قاله أبو بكر النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧/ ب.

(٢) وعلى أنه منصوب على المصدر فقد أجاز الزجاج أن يكون العامل فيه «يَدْعُونَ» أو «آمِنِينَ»، وقيل: العامل فيه ﴿وَوَقَىٰهُمۡ﴾، ويرى النحاس أن العامل فيه محذوف، والتقدير: تَفَضَّلَ اللهُ فَضْـلًا. ينظـر: معاني القرآن وإعرابـه ٤/ ٤٢٩، إعراب القرآن ٤/ ١٣٧، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٧٧، ٢٧٨، الدر المصون ٦/ ١٢٠.

(٣) ويـرى الباقولِـيُّ والأنباري أن الهاء في «يَسَّـرْناهُ» تعود على «الكتاب»، وقـد ذُكِرَ في أول السورة، ينظر: كشف المشكلات للباقولِيِّ ٢/ ٣٠٥، البيان للأنباري ٢/ ٣٦٢.

(٤) الطور ٣٠.

سورة الجاثية
مكِّية

وهي ألف ومائة وأحد وتسعون حرفًا، وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة، وسبع وثلاثون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بنِ كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ «حم الجاثِيةِ» سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَسَكَّنَ رَوْعَتَهُ عِنْدَ الحِسابِ»[(١)].

ورُوِيَ عَنْهُ ﷺ أنّهُ قالَ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الجاثِيةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِعَدَدِ أيّامِ الدُّنْيا ألْفَيْ حَسَنةٍ، وَمَحا عَنْهُ ألْفَيْ سَيِّئةٍ»[(٢)].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿حمٓ ۝١﴾ مبتدأ، وخَبَرُهُ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ وقيل: «تَنْزِيلُ» مرفوع بالابتداء، وخبره «مِنَ اللهِ»، ويجوز أن

(١) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٥٨، الوسيط ٤/ ٩٤، الكشاف ٣/ ٥١٤، مجمع البيان ٩/ ١١٧، عين المعانِي ورقة ١٢١/ أ.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

يكون مرفوعًا على أنه خبر ابتداء محذوف؛ أي: هذا تَنْزِيلُ الكتابِ، ويجوز أن يكون مرفوعا على أنه خَبَرٌ بعد خَبَرٍ[١].

ثم أخبر بما يَدُلُّ على قدرته فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾؛ يعني: في خلقهما دليلٌ على وحدانية الله تعالى؛ لأنه رَفَعَ السماواتِ بغير عَلاَقةٍ، وبَسَطَ الأرضَ على غَيْرِ عَمَدٍ، وجعل فيها رَواسِيَ لِئَلّا تَمِيدَ بهم الأرضُ، فَجَعَلَها لَهُمْ ذَلُولًا، وأَخْرَجَ منها مَعايِشَهُمْ، ففي ذلك دليلٌ لَهُمْ على أنه الإلهُ الذي لا إلَهَ غَيْرُهُ[٢].

قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ أنه لا إله غيره، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب والأعمش: ﴿آياتٍ﴾ بكسر التاء، وكذلك التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ ۝٥﴾، وهي في موضع نصبٍ، نَسَقًا على قوله: ﴿لَءَايَٰتٍ﴾[٣]،

---

(١) هذه الأوجه الإعرابية قالها النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٣٩، وينظر أيضًا: الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٧٩، وينظر ما سبق في أول سورة فصلت ٢/ ٤٠٠.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٨/ أ.

(٣) والمبرد لا يجيز قراءة النصب، بل إنه حكم عليها بأنها لحن؛ لأن فيها عَطْفًا على مَعْمُولَيْ عامِلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وهما «إنّ» و«في»، ينظر: المقتضب ٤/ ١٩٥، الكامل ١/ ٢٨٧، ٣/ ٩٩. والعطف على مَعْمُولَيْ عامِلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ أباهُ سيبويه وأكثر النحويين، وأجازه الأخفش فيما حكاه عنه المبرد في الكامل ٣/ ٩٩.
وقد خَرَّجَ ابنُ خالَوَيْهِ قراءةَ النصب على أن ﴿آياتٍ﴾ الثانية بَدَلٌ من ﴿آياتٍ﴾ الأولى، وخَرَّجَهُ الفارسيُّ على أحد وجهين، الأول: على تقدير حذف حرف الجَرِّ في ﴿آياتٍ﴾ الثانيةِ والثالثةِ؛ لأنه تقدم في قوله: «لآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ»، والتقدير: لآياتٍ لِقَوْمٍ يوقنونَ، ولآياتٍ لقوم يعقلون، فحذفت اللام لتقدمها في الأولى، والوجه الثانِي: أن يجعل ﴿واخْتِلاَفِ اللَّيْلِ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿في السَّماواتِ﴾، ويكون ﴿آياتٍ﴾ مُكَرَّرًا لَمّا طال الكلام على سبيل التوكيد. ينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٣٩٠، ٣٩١، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٠-١٤١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣١١-٣١٢، معانِي القراءات للأزهري ٢/ ٣٧٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٣: ٢٩٥، البيان للأنباري ٢/ ٣٦٣، ٣٦٤، =

وقرأ الباقون: «آياتٌ» بالرفع[١] على الاستئناف بعد «إنّ»، وقيل: هو حمل على موضع «إنّ» قبل دخولها[٢]، وقيل: على خبرها، وقيل[٣]: على خبر الصفة، قال الفراء[٤]: تقول العرب: إنّ لِي عَلَيْكَ مالًا، وَعَلَى أخِيكَ مالٌ، فينصبون الثانِيَ/ [١٥٧/ أ] ويرفعونه، وقرأ حمزة والكسائي: «الرِّيحِ» على الواحد، الباقون: «الرِّياحِ» على الجمع[٥].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: يريد: هذا الذي قَصَصْنا عليك من آيات الله نَقُصُّها عليك بالحق ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بَعْدَ كِتابِ اللهِ، وقيل: بعد حديث الله وكلامه ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ حُجَجِهِ وأدِلَّتِهِ ﴿يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذا.

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة سوى حَفْصٍ بالتاء، على تأويل: قُلْ لهم يا محمد: فَبِأيِّ حَدِيثٍ تُؤْمِنُونَ، واخْتُلِفَ فيه عن عاصم ويعقوب، وقرأ الباقون بالياء[٦].

= الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٨٠-٢٨١، أمالِيُّ ابن الحاجب ١/ ٢٩٨-٢٩٩، البحر المحيط ٨/ ٤٣، الدر المصون ٦/ ١٢١.

(١) ينظر: السبعة ص٥٩٤، تفسير القرطبي ١٦/ ١٥٧، البحر المحيط ٨/ ٤٣، النشر ٢/ ٣٧١، الإتحاف ٢/ ٤٦٥.

(٢) هذا الوجه والذي قبله قالهما الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٣١، إعراب القرآن ٤/ ١٤٠، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٥، كشف المشكلات ٢/ ٣٠٦.

(٣) قاله الأخفش، وهو مذهب الكوفيين، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٥، كشف المشكلات ٢/ ٣٠٦، البيان للأنباري ٢/ ٣٦٣، الفريد للهمداني ٤/ ٢٨٠.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ٤٥.

(٥) وقرأ بالإفراد أيضًا: خَلَفٌ، ينظر: النشر ٢/ ٢٢٣، الإتحاف ٢/ ٤٦٦.

(٦) قرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ، وعاصمٌ في رواية يحيى عن أبِي بكر عنه، والأعمشُ =

قولـه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾؛ أي: كَـذّابٍ صاحِـبِ إثْـمٍ، يعني النضر ابن الحـارث ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يعني آيات القـرآن ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: يُعْـرِضُ عن الإيمان بآيـات القرآن ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾؛ أي: وَجِيعٍ، ونصب ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ على الحال.

قولـه تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ يعني: هذا القـرآن بَيانٌ من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾ قرأ ابن كثير وحفص: «أَلِيمٌ» بالرفع على نعت العذاب، وقرأ الباقون بالكسـر[1] على نعـت الرِّجْزِ، والرِّجْزُ معناه العذاب.

قولـه تعالـى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يخافون وقائع الله، ولا يخشون مِثْلَ عذاب الأمم الخالية.

نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، وذلك أن رجلًا من غِفارٍ كان يَشْـتُمُهُ، فَهَمَّ عُمَرُ رضي الله عنه أن يَبْطِشَ به، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيةَ، وأمَرَهُ بالعفو والتجاوز عنه، والمعنى: قُلْ للذين آمنوا اغْفِرُوا، ولكنه شَبَّهَهُ

= وخلـفٌ وابـنُ محيصن ورُوَيْسٌ ويعقـوبُ بالتاء، وقرأ الباقون، وعاصـمٌ في رواية حَفْصٍ والأعشى عن أبي بكر عنه بالياء، ينظر: السبعة ص ٥٩٤، تفسير القرطبي ١٦/ ١٥٨، البحر المحيط ٨/ ٤٤، النشر ٢/ ٣٧١-٣٧٢، الإتحاف ٢/ ٤٦٦.

(١) قـرأ ابـن كثير وحَفْصٌ عـن عاصم ويعقوبُ وطلحة وابـن محيصن: «أَلِيـمٌ» بالرفع، وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعمش وعيسى بن عمر وبقية السبعة بالخفض، ينظر: السبعة ص ٥٩٤، تفسـير القرطبي ١٦/ ١٦٠، البحر المحيط ٨/ ٤٥، النشر ٢/ ٣٤٩، الإتحاف ٤٦٦. وانظر ما سبق ٢/ ١٤٩.

(٢) ينظر: شـفاء الصدور ورقة ٩/ ب، أسـباب النزول ص ٢٥٣-٢٥٤، الوسيط ٤/ ٩٦، زاد المسير ٧/ ٣٥٨، عين المعانِي ورقة ١٢١/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ١٦١.

بالشرط والجزاء، كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]، وقد تقدم ذِكْرُهُ في سورة إبراهيم، وهذه الآية منسوخة / بآية القتال[2].

وقوله: ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾؛ أي: لِيَجْزِيَ اللهُ الكُفّارَ بما عملوا من السيئات، قرأ حمزة والكسائي وابن عامر: ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ بفتح النون

(١) إبراهيم ٣١، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.
وكونه شبيها بالشرط والجزاء هو قول الفراء والأخفش، فقد قال الفراء: «وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾ معناه في الأصل حكايةٌ بِمَنْزِلةِ الأمر، كقولك: قُلْ للذين آمنوا اغْفِرُوا، فإذا ظهر الأمرُ مُصَرَّحًا فهو مجزوم؛ لأنه أمْرٌ، وإذا كان على الخبر مثل قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾، و﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ﴾، و﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، فهذا مجزوم بالتشبيه على الجزاء والشرط». معانِي القرآن ٣/ ٤٥، وقال مثله في المعاني ١/ ١٥٩، ٢/ ٧٧، وينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٧٥، ٣٠٦.
وقد رُدَّ هذا بأنه يَصِيرُ المعنى: قُلْ لِعِبادِي، فَإِنْ تَقُلْ لَهُمْ يُؤْمِنُوا، وهذا لا يجوز؛ لأن العباد كُلَّهُمْ لَمْ يؤمنوا، وذهب الكسائي والزجاج إلى أن ﴿يُقِيمُوا﴾ مجزوم بلام الأمر المقدرة، والأصل: لِيَغْفِرُوا، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٢-١٦٣، وقول الكسائي في المسائل المنثورة للفارسي ص ١٥٩.
وأما البصريون فإنهم يجعلونه مجزومًا على جواب الأمر المقدر، والمعنى: قل للذين آمنوا اغْفِرُوا يَغِفْرُوا، قال سيبويه: «وتقول: قُمْ يَدْعُوكَ؛ لأنك لَمْ تُرِدْ أن تجعل دُعاءً بعد قيامه، ويكونُ القيام سَبَبًا له، ولكنك أردتَ: قُمْ إنّهُ يَدْعُوكَ، وإن أردت ذلك المعنى جَزَمْتَ... وتقول: مُرْهُ يَحْفِرْها، وقُلْ له يَقُلْ ذاك، وقال الله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ﴾. الكتاب ٣/ ٩٨-٩٩، وينظر: المقتضب للمبرد ٢/ ٨١، معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٣، إعراب القرآن ٣/ ١٤٣، المسائل المنثورة ص ١٥٩-١٦٠، المسائل العسكرية ص ١١٦، البيان للأنباري ٢/ ٥٩، ٩٢، التبيان للعكبري ٧٦٩-٧٧٠، الفريد ٤/ ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) قاله قتادة، ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٢٤، الناسخ والمنسوخ ص ٥٦، نواسخ القرآن ص ٢٢٤.

والياء وكسر الزاي، وقرأ أبو جعفر بضم الياء الأولى وجَزْمِ الثانية[١]، قال أبو عمرو[٢]: وهو لَحْنٌ ظاهِرٌ، وقال الكسائي[٣]: معناه: لِيُجْزَى الجزاءُ قَوْمًا، وقرأ الباقون بفتح الياءين على وجه الخبر عن الله تعالى، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم[٤] لذكر الله تعالى قبل ذلك.

ثم ذَكَرَ المؤمنين وأعمالهم والمشركين وأعمالهم، فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ الفهم في الكتاب ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني الحَلالاَتِ من المَنِّ والسَّلْوَى، ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ يعني عالَمِي زَمانِهِمْ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ يعني ما بُيِّنَ لهم في التوراة من الحلال والحرام، والعِلْمِ بِمَبْعَثِ رسول الله ﷺ

(١) قرأ ابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ وزيدُ بن عَلِيٍّ والسلميُّ والأعمشُ وأبو علية: «لِنَجْزِيَ» بالنون، وقرأ أبو جعفر بخلاف عنه وشيبةُ والأعرجُ: «لِيُجْزَى» بالبناء للمفعول، ورُوِيَت عن عاصم، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو ويعقوب والحسن واليزيدي والأعمش: ﴿لِيَجْزِىَ﴾، ينظر: السبعة ص ٥٩٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣١٢-٣١٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٢، البحر المحيط ٨/ ٤٥، النشر ٢/ ٣٧٢، الإتحاف ٢/ ٤٦٦.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٨/ ٣٦٠، تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٢.

(٣) ينظر قوله في إعراب القرآن ٤/ ١٤٤، تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٢، وقال النحاس: «وإنما أجازه الكسائي على شذوذٍ، بمعنى: لِيُجْزَى الجَزاءُ قَوْمًا»، ثم قال النحاس: «وقد أجمع النحويون على أنه لا يجوز: ضُرِبَ الضَّرْبُ زَيْدًا». إعراب القرآن ٤/ ١٤٤، يعني النحاس بذلك أنه لا تجوز إنابةُ المصدر عن الفاعل مع وجود المفعول، ولكن الكوفيين والأخفش يجيزونه، ينظر: البيان للأنباري ٢/ ٣٦٥، التبيان للعكبري ص ١١٥٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٨٣، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٢٨-١٢٩، ارتشاف الضرب ص١٣٣٨-١٣٣٩.

(٤) ينظر اختيار أبي عبيد في إعراب القرآن ٤/ ١٤٣، واختياره واختيار أبي حاتم في الكشف والبيان ٨/ ٣٦٠.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ البيان ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ نصب على المفعول من أجله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

قولـه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: على سُنَّةٍ ومِلَّةٍ ومِنْهاجٍ وطَرِيقةٍ ودِينِ الإسلامِ ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ يا محمد ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ توحيد الله، يعني كفار قريش، والشريعة جمعها شرائع، والشرائع في الدين: المذاهب التي شرعها الله تعالى لعباده؛ ليعرفوها ويستقيموا عليها، ومنه سُمِّيَتْ شريعة النهر؛ لأنها يُوصَلُ منها إلى الانتفاع به، والطريقُ الشّارِعُ: المُمْتَدُّ الواضح الذي يَرِدُ به ضُرُوبٌ من الناس[1].

قولـه تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: اكتسبوا الكفر والمعاصي، يعني كفار مكة ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من بني/ [١٥٨/ أ] هاشم وبني المُطَّلِبِ، وذلك أن كفار مكة قالوا للمؤمنين: إنا نُعْطَى فِي الآخرة من الجنة مِثْلَ ما تُعْطَوْنَ، والمعنى: بل أحسب[2]، وهو استفهام إنكار، ثم قال: ﴿سَوَآءً﴾ نصبًا، جعلوه مفعولًا ثانيًا، تقديره: أن نَجْعَلَ مَحْياهُمْ ومَماتَهُمْ سَواءً[3]،

---

(١) من أول قوله: «والشرائع فِي الدين». قاله أبو بكر النقاش بنصه في شفاء الصدور ورقة ١٠/ أ.

(٢) يعني أن «أَمْ» هنا منقطعة بمعنى «بَلْ» والهمزةِ جميعًا.

(٣) هذا التأويل لا يصح على قراءة نصب «سَواءً»؛ لأن المفعول الأول لـ﴿نَجْعَلَ﴾ هو الضمير «هُمْ» في ﴿نَجْعَلَهُمْ﴾، و﴿سَواءً﴾ هو المفعول الثانِي، و﴿مَحْياهُمْ﴾ فاعل بـ﴿سَواءً﴾، و«مَماتُهُمْ» معطوف عليه، ومعناه: أن نجعلهم مُسْتَوِيًا محياهم ومَماتُهُمْ، وأما التأويل الذي ذكره المؤلف هنا فمعناه أن ﴿مَحْياهُمْ﴾ بدل من الضمير «هُمْ» في ﴿نَجْعَلَهُمْ﴾، وهذا إنما يَتَأَتَّى على قراءة الأعمش ﴿سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتَهُمْ﴾ بالنصب فيها جميعًا، وهو قول الأخفش والزجاج، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٧٦-٤٧٧، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٣٣، إعراب القرآن ٤/ ١٤٦، الفريد للهمداني ٤/ ٢٨٣-٢٨٤.

واختاره أبو عبيد وقال[١]: معناه: نجعلهم سواءً، وقيل[٢]: هو منصوب على الحال.

وقرأ الآخرون بالرَّفع[٣] على الابتداء والخبر، وهو خبر مقدم[٤]، تقديره: مَحْياهُمْ ومَماتُهُمْ سَواءٌ[٥]، وأمالَ الكسائيُّ ﴿مَحْياهُمْ﴾[٦]، وقرأ الأعمش: ﴿وَمَماتَهُمْ﴾[٧] نصبًا على الظرف؛ أي: في محياهم ومماتهم[٨]، ﴿سَآءَ مَا

---

(١) ينظر اختيار أبي عبيد وقوله في إعراب القرآن ٤/ ١٤٥-١٤٦، الكشف والبيان ٨/ ٣٦٠.

(٢) وإذا جعل «سَواءً» حالًا، فالمفعول الثاني لـ﴿نَجْعَلَ﴾ هو الكاف في قوله: ﴿كالَّذِينَ﴾، وصاحب الحال هو الضمير «هُمْ» في قوله: ﴿نَجْعَلَهُمْ﴾، وقوله: ﴿مَحْياهُمْ﴾ فاعل بـ﴿سَواءً﴾؛ لأنه بمعنى «مُسْتَوِيًا»، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٧، كشف المشكلات ٢/ ٣٠٧، التبيان للعكبري ص ١١٥٢، الفريد للهمداني ٤/ ٢٨٤.

(٣) قرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصمٍ، وأبو جعفر ويعقوبُ: «سَواءٌ» بالرفع، وقرأ زيد بن عَلِيٍّ وحمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم بالنصب، ينظر: السبعة ص ٥٩٥، تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٥، البحر المحيط ٨/ ٤٧، الإتحاف ٢/ ٤٦٧.

(٤) في الأصل: «وهو ابتداء خبر مقدم».

(٥) ويكون المفعول الأول لـ﴿جَعَلَ﴾ هو الضمير ﴿هُمْ﴾ في ﴿نَجْعَلَهُمْ﴾، والمفعول الثاني هو جملة المبتدأ والخبر.

(٦) وهي قراءة وَرْشٍ أيضًا، وقَلَّلَهُ الأزرقُ. ينظر: غيث النفع ص ٢٦١، النشر ٢/ ٣٧، الإتحاف ٢/ ٤٦٧.

(٧) وهي قراءة عيسى بن عمر أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٩، تفسير القرطبي ١٦/ ١٦٦، البحر المحيط ٨/ ٤٨.

(٨) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٤٧، وهو قول ابن الأنباري أيضًا، فقد قال: «ويجوز في العربية: «سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتَهُمْ» بالنصب، على معنى: سَواءً في مَحْياهُمْ وَمَماتِهِمْ، فلما أسقطنا الخافض نصبناه على المَحَلِّ». إيضاح الوقف والابتداء ص٨٩٢، وبه قال الزمخشري والباقوليُّ، ينظر: الكشاف ٣/ ٥١٢، كشف المشكلات ٢/ ٣٠٧، وذهب الأخفش والزجاج إلى أن ﴿محياهم ومماتَهُمْ﴾ بالنصب بدل من الضمير في ﴿نَجْعَلَهُمْ﴾، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٧٦، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٣٣، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ١٤٦-١٤٧، الفريد ٤/ ٢٨٤-٢٨٥.

﴿يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: بئس ما يقضون حين يرون أن لهم في الآخرة ما لِلْمُؤْمِنِينَ الذين عملوا الصالحات.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: واضحات من الحلال والحرام، وهو في موضع نصب على الحال ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الخطاب للنبي ﷺ وحده، وقد تقدم نظيره من سورة الدخان[1]، ونصب ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ على أنه خبر «كانَ»؛ لأن الحجة والاحتجاج واحد، والاسم قوله: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾؛ أي: إلا مَقالَتُهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾؛ أي: مُجْتَمِعةً مُسْتَوْفِزةً على رُكَبِها من هَوْلِ يوم القيامة، وأصل الجُثْوةِ: الجَماعةُ من كل شيء[2]، قال طرفة يَصِفُ قَبْرَيْنِ:

٢٣٩ ـ تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرابٍ عَلَيْهِما صَفائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدِ[3]

قال سفيان[4]: المُسْتَوْفِزُ: هو الذي لا يُصِيبُ الأرضَ منه شَيْءٌ إلّا رُكْبَتاهُ وأطْرافُ أصابِعِهِ.

---

(١) الآية ٣٦، وهي قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وينظر ما تقدم ٣/ ١٦.

(٢) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٨/ ٣٦٦، وينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ١٧٤، والمُسْتَوْفِزُ: القاعِدُ قُعُودًا غَيْرَ مُطْمَئِنٍّ، والوَفَزةِ: العَجَلةُ. اللسان: وفز.

(٣) البيت من الطويل لِطَرَفَةَ بن العبد، من معلقته.

اللغة: الجُثْوَتانِ: تثنية جُثْوةٍ، وهي كومة من تراب متجمع كالقبر، الصَّفائح: حجارة رِقاقٌ عراض، صُمٌّ: شديدة صلبة، نَضَدَ المتاعَ: جعل بعضه على بعض، والتنضيد: مبالغة فيه.

التخريج: ديوانه ص ٥٣، غريب الحديث للهروي ٣/ ٢٠٥، جمهرة اللغة ص ٤١٦، ١٠٣٤، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٣، تهذيب اللغة ١١/ ١٧١، الكشف والبيان ٨/ ٣٦٦، أساس البلاغة: جثو، عين المعانِي ١٢١/ ب، تفسير القرطبي ١١/ ١٣٣، ١٦/ ١٧٤، اللسان: جثا، البحر المحيط ٨/ ٥٠، الدر المصون ٦/ ١٣٢، التاج: جثا.

(٤) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٢/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ١٧٤.

وَجَثا وَجَذا ـ بالثاء والذال ـ لغتان[١]، والمعنى أن كل أمة تَجْثُو على الرُّكَبِ عند الحساب، حتى تَجِيءَ بين يدي الحاكم لانتصار القضاء، ونصب ﴿جَاثِيَةً﴾ على الحال.

فصل

[١٥٨/ ب] رُوِيَ عن سَلْمانَ الفارِسِيِّ رضي الله عنه / أنه قال: «إن في القيامة ساعةً هي عَشْرُ سِنِينَ، يَخِرُّ الناسُ على رُكَبِهِمْ جُثاةً، حتى إبراهيمُ عليه السّلام يُنادِي: نفسي نفسي، لا أسألك إلّا نفسي»[٢].

قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾؛ أي: إلى ما كُتِبَ عليها من خير وشر، وهو رفع على الابتداء، وأجاز الكسائي: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالنصب[٣] على التكرير على ﴿كُلَّ﴾ الأولى ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾؛ أي: ويقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا

---

(١) قال أحمد بن يحيى: الجُذُوُّ: على أطراف الأصابع، والجُثُوُّ: على الرُّكَبِ، وقال ابن الأعرابِيِّ: الجاذِي: على قدميه، والجاثي: على رُكْبَتَيْهِ، وأما الفراء فإنه جعلهما بمعنًى واحد، وقال أبو عمرو: جَذا وجَثا لغتان، والأصمعي على أنهما بمعنًى واحد، وأن الذال بدل من الثاء. ينظر: الإبدال لابن السكيت ص ١٠٨، شفاء الصدور ورقة ١٢/ ب، التهذيب ١١/ ١٦٦، ١٦٧، الصحاح ٦/ ٢٣٠٠، وقال ابن جني: «وأما قولهم: جَذَوْتُ وجَثَوْتُ: إذا قُمْتَ على أطراف أصابعك... فليس أحد الحرفين بدلًا من صاحبه، بل هما لغتان». سر صناعة الإعراب ص ١٨٩-١٩٠.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٦٦، الوسيط ٤/ ١٠٠، عين المعانِي ورقة ١٢١/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ١٧٤.

(٣) قول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٥٠، والتكرير يعني البدل، وقد قرأ بالنصب يعقوب الحضرمي والأعرج، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٩، المحتسب ٢/ ٢٦٢، عين المعانِي ورقة ١٢١/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ١٧٥.

كِتَٰبُنَا﴾ يعني ديوان الحَفَظةِ، وقيل: اللوح المحفوظ ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: يشهد عليكم بالحق، يعني: يُبَيِّنُهُ بيانًا شافِيًا، حتى كأنه ناطق ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ يعني: من اللوح المحفوظ ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ قبل أن تعملوه.

ومعنى قوله: ﴿نَسۡتَنسِخُ﴾؛ أي: نُثْبِتُ، وقيل[1]: نأخذ نُسْخةً، وذلك أن المَلَكَيْنِ يرفعان عمل الإنسان صَغِيرَهُ وكَبِيرَهُ، فَيُثْبِتُ اللهُ منه ما كان له ثواب أو عقاب، ويَطَّرِحُ منه اللَّغْوَ نحو: هَلُمَّ وتَعالَ واذْهَبْ[2]، وفي الآية دلالة على أن الكتاب يقوم مقام النطق؛ لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾[3].

فصل

عن ابن عُمَرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللهُ تعالى القَلَمُ من نُورٍ مسيرة خمسمائة عام، واللَّوْحُ من نور مسيرة خمسمائة عام، فقال للقلم: اجْرِ، فَجَرَى بما هو كائن إلى يوم القيامة، بِرِّها وفاجِرِها، ورَطْبِها ويابِسِها»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، قال: «وهل يكون النَّسْخُ إلا من شيء قد فُرِغَ منه»؟[4].

ثم ذَكَرَ اللهُ تعالى الفريقَيْنِ من المؤمنين والكافرين، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) قاله ابن عباس، ينظر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٣٣، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص١٤١، تفسير القرطبي ١٦/ ١٧٥.

(٢) من أول قوله: «وذلك أن المَلَكَيْنِ يرفعان... ». قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٤٨، ٤٩.

(٣) قاله أبو بكر النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٢/ ب.

(٤) رواه ابن أَبِي عاصم في كتاب السنة ص ٤٩، ٥٠ من غير ذكر «مسيرة خمسمائة عام»، وينظر: الكشف والبيان ٨/ ٣٦٧، تاريخ دمشق ٦/ ٥٢، الدر المنثور ٦/ ٣٦، كنز العمال ٦/ ١٦٢.

﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾؛ يعني: في جَنَّتِهِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني الدخول ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٠﴾ وموضع «الَّذِينَ» رفع على الابتداء، و﴿يُدۡخِلُهُمۡ﴾ الخبر، وهو شرط وجزاء ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ جواب ﴿أَمَّا﴾ محذوف؛ لأن في الكلام دليلاً عليه، والمعنى: وأما الذين كفروا فَيُقالُ لهم أو: فيقول الله[1]: ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي﴾ يعني القرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تُقْرَأُ عليكم ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾؛ يعني: تكَبَّرْتُم عن الإيمان / بالقرآن ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ۝٣١﴾؛ يعني: مذنبين متكبرين كافرين. [١٥٩/ أ]

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ﴾ يعني القيامة ﴿لَا رَيۡبَ فِيهَا﴾؛ أي: لا شك أنها كائنة، قرأ حمزة وأبو رجاء العطاردي: ﴿والسّاعةَ﴾ نصبًا[2] عطفًا على الوعد، وقرأه العامة رفعًا على الابتداء، وخبره فيما بعده، ودليلهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[3] بالرَّفع لا غير[4].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦﴾ قرأ العامة: «رَبِّ» بكسر الباء في ثلاثتها على النعت للهِ[5]، وقرأ ابن محيصن رفعًا[6] على معنى: هو رب العالمين.

---

(١) في الأصل: «يقال لهم أو يقول الله».
وما ذكره المؤلف من أن الجواب محذوف هو قول الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٣٥، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٣٤، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ورقة ١٢/ ب.

(٢) وهي أيضًا قراءة الأعمش وأبِي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وأبِي حيوة والمفضل، ينظر: السبعة ص ٥٩٥، البحر المحيط ٨/ ٥١، الإتحاف ٢/ ٤٦٨.

(٣) الأعراف ١٢٨.

(٤) هذا القول حكاه الفارسي عن الأخفش في الحجة ٣/ ٣٩٦.

(٥) أو على البدل من لفظ الجلالة، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٥٦.

(٦) وهي أيضًا قراءة مجاهد وحميد، ينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ١٧٨، البحر المحيط ٨/ ٥٢.

ثــم ذكر عظمته، فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ يعنــي العظمة والجلال والقدرة والقوة والسلطان والشرف والدوام والبقاء والخلود ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ بِالغَلَبةِ على الأشياء كلها ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ بالعدل في أمره في كل قضاء يكون منه في جَمِيع خَلْقِهِ.

فصل

عن أَبِي هريرة وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عــزّ وجلّ: الكِبْرِياءُ رِدائِــي، والعَظَمةُ إزارِي، فَمَــنْ نازَعَنِي واحِدًا منهما أَلْقَيْتُهُ فِي النّارِ»[1]، وبالله التوفيق.

* * *

(١) رواه الإمــام أحمــد في المســند ٢/ ٢٤٨، ٣٧٧، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢، وأبو داود في ســننه ٢/ ٢٦٨ كتاب اللباس: باب ما جاء في الكِبْرِ.

سورة الأحقاف
مكِّية

وهي ألف وستمائة حرف، وستمائة وأربع وأربعون كلمة، وخمس وثلاثون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحقاف أُعْطِيَ من الأجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات، ومُحِيَ عنه عشرُ سيئات، ورُفِعَ له عشرُ درجات»(١).

وعنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الأحقاف حَفَّتْهُ ملائكةُ الرحمة، وطُرِدَتْ عنه ملائكةُ العذاب»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ قد تقدم

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٥، الوسيط ٤/ ١٠٢، الكشاف ٣/ ٥٢٨، مجمع البيان ٩/ ١٣٦.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

[١٥٩/ ب] نَظْمُ هذه الآية وإعرابُها في/ سورة الجاثية[١]، فأغنى عن الإعادة هاهنا؛ إذِ المعنى واحدٌ.

وما بعدها ظاهر التفسير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: في الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ «أمْ» هاهنا صلة[٢]، يقول: أَلَهُمْ شِرْكٌ مع الله في مُلْكِ السماوات والأرض ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ يعني القرآن، فيه بُرْهانُ ما تَدَّعُونَ من عبادة الأصنام ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم الأولين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ أن للهِ شريكًا.

قرأ العامة: «أوْ أثارةٍ» بألف، وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ والحَسَنُ: «أوْ أَثَرةٍ» بفتح الهمزة والثاء من غير ألف، وقرأ عكرمة: «أوْ مِيراثٍ مِنْ عِلْمٍ»[٣]، ومعنى قوله: «أوْ أثارةٍ»؛ أي: بَقِيّةٍ، يقال: ناقةٌ ذاتُ أثارةٍ؛ أي: بَقِيّةٍ من شَحْمٍ[٤]، وهي مصدر، قال الشاعر:

٢٤٠ - وَذاتِ أثارةٍ أكَلَتْ عَلَيْها ... نَباتًا في أكِمَّتِها قِصارا[٥]

---

(١) انظر ما سبق ص ٧٥٣.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٣/ ب، وكثيرًا ما يُعَبِّرُ المؤلفُ بقوله: الميم في «أمْ» صلة، وهو يقصد أن «أمْ» بِمَعْنَى هَمْزةِ الاستفهام، ولكن الصحيح أن «أمْ» هنا منقطعة بِمَعْنَى «بَلْ» والهمزةِ، والمعنَى: بَلْ أَلَهُمْ شِرْكٌ؟

(٣) قرأ عَلِيُّ بن أبي طالب والسُّلَمِيُّ والحَسَنُ وقتادة: «أثَرةٍ» بفتح الثاء، ورُوِيَ عنه أيضًا: «أثْرةٍ» بإسكان الثاء، ورُوِيَت عن ابن عباس وزيد بن عَلِيٍّ وعِكْرِمةَ والأعمش والعطاردي وعمرو ابن ميمون، وقرأ عكرمة: «أوْ مِيراثٍ مِنْ عِلْمٍ»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٠، المحتسب ٢/ ٢٦٤، تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٢، البحر المحيط ٨/ ٥٦.

(٤) قاله أبو عبيدة والنحاس، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢١٢، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٤٨، وينظر أيضًا: الوسيط ٤/ ١٠٣، لسان العرب: أثر.

(٥) البيت من الوافر للراعي النميري، ورواية ديوانه: «فِي أكِمَّتِهِ قِفارًا»، ونُسِبَ للشماخ، وهو =

أي: بَقِيّةٍ من لَحْمٍ أُثِيرَتْ.

وأصل الكلمة من الأَثَرِ وهي الرواية، يقال: أَثَرْتُ الحَدِيثَ آثِرُهُ أَثْرًا وَأثارةً، كالشجاعة والسماحة والجَلادَةِ والصَّلابَةِ، فأنا آثِرٌ، ومنه قيل للخبر: أَثَرٌ[1]، قال الأعشى:

٢٤١ ـ إنّ الذي فِيهِ تَمارَيْتُما بُيِّنَ لِلسّامِعِ والآثِرِ[2]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على كفار مكة ﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني بيان الحلال والحرام ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾؛ يعني القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ و«بَيِّناتٍ» في موضع نصب على الحال، وقد تقدم نظيرها في سورة الجاثية[3].

= في ديوانه برواية: «فَفارا» على أنه فعل ماضٍ، ويُرْوَى عَجُزُهُ أيضًا: «حَدِيقًا فِي مَذانِبِهِ تُؤامًا».
اللغة: يقال: سَمِنَتِ الإبلُ على أثارةٍ؛ أي: على عَتِيقِ شَحْمٍ كان قبل ذلك، أَكِمَّتِهِ: جمع كِمٍّ وكِمّةٌ، وهو وعاء الطَّلْعِ وغطاء النَّوْرِ.
التخريج: ديوان الراعي ص ١٤٢، ملحق ديوان الشماخ ص ٤٤٥، مجاز القرآن ٢/ ٢١٢، الجيم لأبي عمرو الشيبانِيِّ ١/ ٦٧، جامع البيان ٢٦/ ٦، مقاييس اللغة ١/ ٥٦، الكشف والبيان ٩/ ٦، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٦١، منتهى الطلب ٦/ ١٩، عين المعانِي ورقة ١٢١/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٢، اللسان: أثر، البحر المحيط ٨/ ٥٦، التاج: أثر.

(١) هذا القول قاله أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٥٩، وحكاه الأزهري عنه في تهذيب اللغة ١٥/ ١٢٠، وحكاه الثعلبي عن محمد بن كعب القرظبي في الكشف والبيان ٩/ ٦.

(٢) البيت من السريع للأعشى، ورواية ديوانه: «لِلسّامِعِ والنّاظِرِ»، ومعنى «تَمارَيْتُما»: اختلفتما وتَجادَلْتُما.
التخريج: ديوانه ص ١٩١، غريب الحديث للهروي ٢/ ٥٩، مجمل اللغة ص ٨٧، الكشف والبيان ٩/ ٦، المخصص ١٢/ ٣٢٩، فصل المقال ص ٧، تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٢، ١٩/ ٧٦، اللسان: أثر، مهر، البحر المحيط ٨/ ٥٦، التاج: أثر، مهر.

(٣) الآية ٢٥، ٣/ ٣٥.

قولـه: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ يعنـي القرآن ﴿قُلۡ﴾ يـا محمد ﴿إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ﴾ من تِلْقاءِ نفسـي ﴿فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ﴾ لا تَقْـدِرُونَ أنْ تَرُدُّوني من عذابه، ﴿أَمۡ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يعنـي: في القرآن، يقال: أفاضَ القَوْمُ في الحديث، وحديثٌ مُسْتَفِيضٌ ومُسْتَفاضٌ: إذا شاعَ/ وكَثُرَ حتى يقول فيه الناس[1]. [١٦٠/ أ]

وقوله: ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا﴾ يريد الله، فلا شـاهد أفضل من الله ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ﴾ بأن القرآن جاء من الله ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ في تأخير العذاب عنهم ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾ حين لا يُعَجِّلُ عليهم العقوبةَ، ونصب «شَـهِيدًا» علـى الحال، وقيل: على التمييز[2]، وقد تقدم نظيره في مَواضِعَ من القرآن.

قولـه: ﴿قُلۡ﴾ لهـم يا محمـد ﴿مَا كُنتُ بِدۡعٗا﴾؛ أي: بَدِيعًا ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ يعني: ما أنا أول رسول، قد بُعِثَ قبلي كَثِيرٌ من الرسل، قال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ[3]:

٢٤٢ ـ فَلاَ أنا بِدْعٌ مِنْ حَوادِثَ تَعْتَرِي رِجالاً غَدَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى وَأَسْعُدِ[4]

---

(١) قاله أبو بكر النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٤/ أ، ١٤/ ب.

(٢) الوجهـان قالهما النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٥٩، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٩.

(٣) عَدِيُّ بنُ زَيْدِ بنِ حَمّادِ بنِ زَيْدٍ العِبادِيُّ التَّمِيمِيُّ، شاعر من دُهاةِ الجاهليين، من أهل الحِيرةِ، كتب بالعربية في ديوان كِسْـرَى، واتخذه ترجمانًا بينه وبين العرب، سكن المدائن، وتزوج هند بنت النعمان بن المنذر، ثم وَشَى به أعداؤه إلى النعمان، فقتله سنة (٣٥ق. هـ). [الشعر والشعراء ص٢٣١-٢٣٩، الأعلام٤/ ٢٢٠].

(٤) البيت من الطويل لعَدِيِّ بن زيد، ورواية ديوانه:

فَمـا أنا بِـدْعٌ مِنْ أُنـاسٍ حَوادِثٍ رِجالٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى بِأَسْعُدِ

التخريـج: ديوانه ص ١٠٤، جامع البيان ٢٦/ ٨، الكشـف والبيان ٩/ ٧، المحرر الوجيز ٥/ ٩٣، الحماسة البصرية ٢/ ٨٩١، عين المعاني ورقة ١٢٢/ أ، البحر المحيط ٨/ ٥٧، الدر المصون ٦/ ١٣٦، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٣٨٢.

ومن قرأ: «بِدَعًا»[(١)]؛ أي: لأُبْدِعَ، والبِدْعُ والبَدِيعُ من كل شيء: المُبْتَدَأُ، يقال: ابتدع فلان كذا: إذا أتى بما لَمْ يكن قبله[(٢)]، والبِدْعُ: ما اخْتُرِعَ بِما لَمْ تَجْرِ به السُّنّةُ، وجمع البِدْعِ أبْداعٌ[(٣)].

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۝٩﴾ يعني: في الدنيا، يريد: هل أموت أم أُقْتَلُ؟ وهل تُرْمَوْنَ بالحجارة من السماء أم تُخْسَفُ بكم الأرضُ كما فُعِلَ بالأمم المُكَذِّبةِ مِنْ قَبْلِكُمْ؟ وأما فِي الآخرة فقد عَلِمَ أنه فِي الجنة، وأنّ مَنْ كَذَّبَهُ في النار بدليل قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(٤)].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ شاهدًا على صِدْقِ محمدٍ ﷺ في نبوته، وقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ المِثْلُ صلة، معناه: عليه[(٥)]؛ أي: على أنه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ يعني الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم عن الإيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ لِدِينِهِ وحُجَّتِهِ.

---

(١) هذه قراءة مجاهد وأبي حَيْوةَ، ورُوِيَ عنهما وعن عكرمة وابن أبي عبلة: «بِدَعًا» بكسر الباء وفتح الدال جمع بِدْعةٍ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٠، المحتسب ٢/ ٢٦٤-٢٦٥، تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٥، البحر المحيط ٨/ ٥٧.

(٢) من أول قوله: «والبدع والبديع» رواه النحاس عن المبرد في إعراب القرآن ٤/ ١٦٠.

(٣) قاله الأخفش، ينظر قوله في الصحاح للجوهري ٣/ ١١٨٤، وينظر أيضًا: تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٥، اللسان: بدع، البحر المحيط ٨/ ٥٧، التاج: بدع.

(٤) الفتح ٢، وهذا قول الحسن، ينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ١٠٤، عين المعاني ورقة ١٢٢/ أ.

(٥) المِثْلُ صِلةٌ إذا كان المراد بالشاهد عبدَ الله بنَ سَلامٍ، وهذا ما قاله ابن فارس والواحدي وغيرهما. ينظر: الصاحبي ص ٣٣٩، الوسيط ٤/ ١٠٤، تفسير القرطبي ١٦/ ١٨٩، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٣٨٦.

قال أهل المعانِي[١]: وجواب قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محذوف، علـى تقدير: أَلَيْسَ قَـدْ ظَلَمْتُمْ؟ ويدل على هـذا المَحْذُوفِ قولُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقال الحَسَنُ[٢]: جواب «إنْ»: فمن أضل منكم؟ كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ﴾... الآية[٣]. وقال أبو علي الفارسيُّ[٤]: تقديره: أَتَأْمَنُونَ عقوبةَ الله تعالى، وقيل[٥]: معناه: مَنِ المُحِقُّ ومَنِ المُبْطِلُ مِنّا ومِنْكُمْ؟

قوله تعالــى: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾؛ أي: ومن قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يعني التــوراة ﴿إِمَامٗا﴾ يُؤْتَمُّ به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ لِمَنْ آمَـنَ وعَمِلَ صالحًا، وفي نصبهما ثلاثــة أوجه، أحدها: علــى الحال، وهو قول الزجاج والكسـائي[٦]، والثانِي:

---

(١) قاله النحاس والواحدي، ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٤٢، الوسيط ٤/ ١٠٤-١٠٥، وهو قول الزمخشـري أيضًا فِي الكشـاف ٣/ ٥١٨، وقال أبو حيان: «وقال الزمخشـري: جواب الشـرط محذوف تقديره: إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين؟ وجملة الاسـتفهام لا تكون جوابًا للشـرط إلا بالفاء، فإن كانت الأداةُ الهمزةَ تقدمت الفاءَ نحو: إنْ تَزُرْنا أفَما نُحْسِنُ إِلَيْكَ؟ أو غَيْرَها تقدمت الفاءُ نحو: إنْ تَزُرْنا فَهَلْ تَرَى إلّا خَيْرًا؟ فقول الزمخشري: ألستم ظالمين؟ بغير فاء لا يجوز أن يكون جواب الشرط». البحر المحيط ٨/ ٥٨، وقال السـمين: «والزمخشـري ذكر أمرًا تقديريًّا فَسَّرَ به المعنى لا الإعرابَ». الدر المصون ٦/ ١٣٦.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ١٠٥، زاد المسير ٧/ ٣٧٤، البحر المحيط ٨/ ٥٨.

(٣) فصلت ٥٢.

(٤) قال الفارسي: «وكَأَنّ التقدير: أَتَأْمَنُونَ عُقُوبةَ الله، أو لا تَخْشَوْنَ انتقامَهُ؟». المسائل الحلبيات ص ٧٧.

(٥) هذا القول حكاه الثعلبي عن أهل المعانِي فِي الكشـف والبيان ٩/ ١٠، وينظر: زاد المسير ٧/ ٣٧٤، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ أ، البحر المحيط ٨/ ٥٨، الدر المصون ٦/ ١٣٧.

(٦) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٠، وأما قول الكسائي فلم أقف عليه، ومعنى قولهما أن «إمامًا» حال من الضمير المَجْرُورِ في قوله: «قَبْلِهِ».

على القطع، وهو قول الأخفش[1]؛ لأن قوله: «كِتابُ مُوسَى» معرفة بالإضافة، والثالث ـ وهو قول أبِي عبيدة ـ[2]: أن فيه إضمارًا، مجازه: أنزلناه وجعلناه إمامًا ورحمة.

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ خبره، و﴿مُّصَدِّقٌ﴾ نعته، وقوله: ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب على الحال، المعنى: مصدق لِما بين يديه، وذِكْرُ اللسانِ تَوْكِيدٌ، كما تقول: جاءنِي زيدٌ رَجُلاً صالِحًا، فتذكر رَجُلاً توكيدًا[3].

وقيل[4]: أعْنِي لِسانًا، وقيل[5]: بلسان ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني كفار مكة، ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ بالجنة، يعني المُوَحِّدِينَ.

قرأ أهل المدينة والشام والبَزِّيُّ ويعقوبُ وأيوبُ: «لِتُنْذِرَ» بالتاء، وهو

(١) المراد بالقطع هنا النصب على الحال كالقول السابق للكسائي والزجاج، ولكن الأخفش يجعله حالًا من «كِتابُ مُوسَى»، فقد قال: «وقال: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، نصب لأنه خَبَرُ مَعْرِفةٍ». معانِي القرآن ص ٤٧٨، وخبر المعرفة يعني به الحال.

(٢) لَمْ أقف على هذا القول في مجاز القرآن، وإنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٠.

(٣) هذا قول الزجاج والأخفش الأصغر والنحاس والنقاش، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٤٦، إعراب القرآن ٤/ ١٦٢، شفاء الصدور ورقة ١٦/ أ، ويعني بقوله: «وذِكْرُ اللسانِ توكيدٌ» أن اللسان حال مُوَطِّئةٌ، وصاحب الحال هو الضمير في «مُصَدِّقٌ»، وأجاز مَكِّيٌّ أن يكون حالًا من «كِتابٌ»، وإن كان نكرة لأنه نُعِتَ، فَقَرُبَ من المعرفة. ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٩، وبه قال الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٢٠، وينظر أيضًا: البيان للأنباري ٢/ ٣٦٩.

(٤) قاله الأخفش فِي معانِي القرآن ص ٤٧٨.

(٥) يعني أنه منصوب بِنَزْعِ الخافض، وقد ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٩/ ١٠، وينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ١٩١، البحر المحيط ٨/ ٦٠، الدر المصون ٦/ ١٣٧.

الاختيار على خطاب النبي ﷺ، وقرأ الباقون بالياء خَبَرًا عنه[١]، وقيل: عن الكتاب، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وجهان من الإعراب: الرفع على العطف على الكتاب][٢]، تقديره: وهذا كتابٌ مصدقٌ وبشرى، والثاني: النصب على معنى: لِتُنْذِرَ الذين ظلموا وتُبَشِّرَ، كما يقال: أتَيْتُكَ لأزُورَكَ وكَرامةً لك وقَضاءً لِحَقِّكَ، بِمَعْنَى: لأزورَكَ وأُكْرِمَكَ وأقْضِيَ حَقَّكَ، فنصب الكرامة بفعل مضمر[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ وقوله: ﴿إِنَّ﴾ الثقيلة لا يقتضي جوابها بالفاء، فجاءت هاهنا للشرط الذي في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[٤]، ثم أخبر عن ثوابهم، ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ نصب على الحال ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ من الصالحات، ونصب «جَزاءً» على المفعول/ له[٥]، وقيل[٦]: على المصدر. [١٦١/ أ]

---

(١) ينظر: السبعة ص ٥٩٦، البحر المحيط ٨/ ٦٠، الإتحاف ٢/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وقد أثْبَتُّهُ من الكشف والبيان ٩/ ١٠-١١؛ لأن المؤلف نقل هذه الفقرة بنصها منه.

(٣) هذان الوجهان: الرفع والنصب قالهما الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٥١-٥٢، وقالهما الزجاج والنحاس أيضًا، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤١، إعراب القرآن ٤/ ١٦٢-١٦٣.

(٤) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٦/ أ، وإنما دخلت الفاء في خبر «إنّ» لمعنى الشرط الذي في «الذينَ»، وليس للشرط الذي في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ كما زعم المؤلف، وذلك ما سيذكره هو في الآية ٣٤ من سورة محمد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ٣/ ٨٨ وينظر: التبيان للعكبري ص ١١٥٥، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٢٩٣، الدر المصون ٦/ ١٣٨.

(٥) قاله الباقولِيُّ في كشف المشكلات ٢/ ٣١١، والأنباري في البيان ٢/ ٣٦٩.

(٦) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٦٣، والعامل في هذا المصدر فِعْلٌ مضمر؛ أي: يُجْزَوْنَ جَزاءً، أو بما تقدم؛ لأن معنى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: جازَيْناهُمْ جَزاءً، ينظر: البيان للأنباري ٢/ ٣٦٩، التبيان للعكبري ص ١١٥٥، الفريد للهمداني ٤/ ٢٩٤، الدر المصون ٦/ ١٣٨.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ هذه قراءة العامة، وقرأ أهل الكوفة: ﴿إِحْسَٰنًا﴾، وهي قراءة ابن عباس[١]، والمعنى: أمَرْناهُ بالإحسان إليهما إحْسانًا[٢]، وعلى قراءة العامة هو نصب على أنه قام مَقامَ مضاف محذوف، تقديره: ووصينا الإنسان بوالديه أمْرًا ذا حُسْنٍ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مُقامَهُ، وقرأ عيسى بن عمر: «حَسَنًا»[٣] بفتحتين تقديره: فِعْلًا حَسَنًا[٤].

ثم ذكر ما قاسَتْهُ الأُمُّ فِي حَمْلِ الوَلَدِ وَوَضْعِهِ، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ أي: بِكَرْهٍ ومَشَقّةٍ ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴿١٥﴾﴾ يريد: بِشِدّةِ الطَّلْقِ، وهما منصوبان بِنَزْعِ الخافض، قرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن ذَكْوانَ: ﴿كُرْهًا﴾ بضم الكاف، ورُوِيَ ذلك عن الحَسَنِ، وقرأ نافع وشيبة وأبو جعفر وأبو عمرو وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: ﴿كَرْهًا﴾[٥] بفتح الكاف، وهو أوْلَى لأنه المصدر بِعَيْنِهِ، والكُرْهُ اسم للمصدر لا مصدر[٦].

---

(١) ينظر: السبعة ص ٥٩٦، حجة القراءات ص ٦٦٣، تفسير القرطبي ١٦/ ١٩٢، البحر المحيط ٨/ ٦٠، الإتحاف ٢/ ٤٧٠.

(٢) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٢.

(٣) وهي قراءة عَلِيِّ بنِ أبِي طالب والسُّلَمِيِّ أيضًا، ورُوِيَ عن عيسى أيضًا: «حُسُنًا» بضمتين، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٠، المحتسب ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥، البحر المحيط ٨/ ٦٠.

(٤) من أول قوله: «على أنه قام مقام مضاف محذوف». قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٠.

(٥) قرأ بضم الكاف أيضًا: خَلَفٌ وابنُ عامر ويعقوبُ، وهشامٌ بخلاف عنه، وقرأ بفتح الكاف، أيضًا، ابنُ كثير وهشامٌ والأعرجُ والعُطارِدِيُّ ومجاهدٌ وعيسى. ينظر: السبعة ص٥٩٦، البحر المحيط ٨/ ٦٠، النشر ٢/ ٢٤٨، الإتحاف ٢/ ٤٧٠.

(٦) قال الأخفش: «وقال بعضهم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾، وقال بعضهم: «كُرْهًا»، وهما لغتان، مثل الغُسْلِ والغَسْلِ، والضَّعْفِ والضُّعْفِ، إلا أنه قد قال بعضهم: إنه إذا كان في موضع =

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾؛ يعني أعمالهم الصالحة التـي عملوها في الدنيـا، فَنُثِيبُهُـمْ عليها في الآخـرة ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾، فلا نعاقبهم بها ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ ﴿فِيٓ﴾ بمعنى «مَعَ»، أي: مع أصحاب الجنة[1] ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ نصـب على المصدر[2] ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ وهو قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾؛ يعني: من القَبْـرِ ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾؛ يعني الأمم الخالية، فلـم أرَ أحَدًا بُعِثَ، قرأ هشـام: «أتَعِدانِّي» بنون واحدة مشددة، الباقون بنونين، وفتح الياء منه نافع وابن كثير، وأسكنها الباقون[4].

= المصـدر كان «كَرْهًـا»، كما تقول: لا يقـوم إلّا كَرْهًا، وتقول: لا يقـوم إلّا على كُرْهٍ، وهما سَـواءٌ». معانِي القـرآن ص ١٧١. وقال النحاس: «وقال الكسـائيُّ: الكَـرْهُ والكُرْهُ بمعنى واحد، وكذلك هو عند البصريين جميعًا، لا أعلم بينهم اختلافًا؛ لأن الكَرْهَ المصدر، والكُرْهَ اسـم بمعناه». معانِي القـرآن للنحاس ٦/ ٤٤٨، ولكن الفَرّاءَ فَـرَّقَ بينهما، قال الأزهري: «وقد أجْمَعَ كثيرٌ من أهل اللغة أن الكَرْهَ والكُرْهَ لغتان، فبأيِّ لغةٍ قُرِئَ فجائز، إلّا الفَرّاءَ، فإنه زعم أن الكُرْه ما أكْرَهْتَ نَفْسَكَ عليه، والكَرْهُ ما أكْرَهَكَ غَيْرُكَ عليه، جئتك كُرْهًا وأدْخَلْتَنِي كَرْهًـا... وقـال الليث في الكُرْه والكَرْه: إذا ضَمُّوا أو خَفَضُوا قالـوا كُرْهٌ، وإذا فتحوا قالوا: «كَرْهًا»، تقول: فعلته على كُرْهٍ وهو كُرْهٌ وتقول: فعلته كَرْهًا». تهذيب اللغة ٦/ ١٢-١٣.

(١) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٢، وينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ١٩٦، البحر المحيط ٨/ ٦١، الدر المصون ٦/ ١٣٩.

(٢) وهو مصدر مؤكد لِمضمونِ الجملة قبله، قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٣.

(٣) التوبة ٧٢.

(٤) قرأ هشام والحسن وابن محيصن وعاصم، وأبو عمرو في روايةٍ عنه: «أتَعِدانِّي» بنون واحدة مشددة، وقرأ الباقون بنونين، وفتح ياءَهُ نافعٌ وابنُ كثير وأبو جعفر، وأسكنها الباقون. ينظر: السبعة ص ٥٩٧، البحر المحيط ٨/ ٦٢، النشر ١/ ٣٠٣، الإتحاف ٢/ ٤٧١.

وقوله: ﴿وَهُمَا﴾ يعني والديه ﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: يَدْعُوانِ اللهَ له بالهدى، والجارُّ محذوف والتقدير: يستغيثان بالله، ويقولان: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾؛ أي: صَدِّقْ بِالبَعْثِ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ فَيَقُولُ﴾ لهما: ﴿مَا هَٰذَآ﴾ الذي تقولان/ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قيل[1]: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر[2] قبل إسلامه، والصحيح أنها نزلت في رجل كافرٍ عاقٍّ لوالديه.

قال الزجاج[3]: وقول من قال: إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه يُبْطِلُهُ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾، أعْلَمَ أن هؤلاء قد حَقَّتْ عليهم كلمةُ العذاب، وعبدُ الرَّحْمَنِ مؤمنٌ من أفاضِلِ المؤمنين، لا يكون مِمَّنْ حَقَّتْ عليه كلمةُ العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ يعني كفار مكة، فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾؛ يعني الرزق والنعمة التي كنتم فيها ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٠﴾﴾ ولَمْ تُؤَدُّوا شُكْرَها، وانتصب «يوم» علي إضمار فعل تقديره: واذكر يا محمد يوم يُعْرَضُ كُفّارُ مكةَ على النار، و﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ يُقْرَأ بالاستفهام والخبر، قال الفراء

---

(١) هذا قول ابن عباس وقتادة والسدي، ينظر: جامع البيان ٢٦/ ٢٥، تفسير القرطبي ١٦/ ١٩٧، وقد أنكرت السيدة عائشة أن تكون هذه الآيات نزلت في أخيها عبد الرحمن، وهذا ما رواه البخاري في صحيحه ٦/ ٤١ كتاب تفسير القرآن: سورة الأحقاف، وينظر أيضًا: لباب النقول ص ١٧٥.

(٢) شقيقُ أُمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنهما، تأخر إسلامه إلى فتح مكة، ثم شهد اليمامة والفتوح، وتوفِّيَ فجأة سنة (٥٣هـ) في طريق مكة، وقيل: بعد ذلك. [تهذيب الكمال ١٦/ ٥٥٥-٥٦٠، الإصابة ٤/ ٢٧٤-٢٧٦].

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٣-٤٤٤ باختلاف يسير في ألفاظه.

والزجـاج(١): والعرب تُوَبِّـخُ بالألف وبغير ألف، تقول: أذَهَبْـتَ فَفَعَلْتَ كَذا؟ وذَهَبْتَ فَفَعَلْتَ كَذا؟ قرأ ابن كثير وهشام وأبو جعفر ويعقوب: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة بعدهـا مدة، وقرأ ابن ذكـوان: ﴿أَأَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزتين من غيـر مَدٍّ، وقرأ الباقون بهمزة واحدة من غير مَدٍّ على الخبر(٢)، ومعنى القراءات كلها سواء.

فصل

رُوِيَ عن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: اسْتَأْذَنْتُ على رسول الله ﷺ، فدخلتُ عليه فِي مَشْـرُبَتِهِ(٣)، وإنه لَمُضْطَجِـعٌ على خَصَفةٍ(٤)، وإنَّ بَعْضَهُ على التُّرابِ، وتحت رأسه وسـادةٌ مَحْشُوّةٌ لِيفًا، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ جَلَسْتُ فقلتُ: يا رسول الله: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وصَفْوَتُهُ وخِيرَتُهُ من خَلْقِهِ، وَكِسْرَى وقَيْصَرُ على سُرُرِ الذَّهَبِ وفُرُشِ الدِّيباجِ والحَريرِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا عُمَرُ: إنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لهم طَيِّباتُهُمْ، وهي وَشِيكَةُ الانقطاعِ، وإنّا أُخِّرَتْ لنا طَيِّباتُنا»(٥).

(١) معانِي القرآن للفراء ٣/ ٥٤، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٤، والنص للفراء.

(٢) قـرأ ابن كثير والدّاجوانِيُّ عن هشـام ورُوَيْـسٌ: ﴿أَاذْهَبْتُمْ﴾ بهمزتين مُحَقَّقةٍ فَمُسَـهَّلةٍ مع عدم الفصل، وقرأ ابن كثير أيضًا وأبو جعفر والأعرج وابن وثاب ومجاهد وقتادة: ﴿آذْهَبْتُمْ﴾ بألف مُطَوَّلةٍ، وقرأ ابن عامر: ﴿أَأَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزتين حَقَّقَهُما ابنُ ذَكْوانَ، ولَيَّنَ الثانيةَ منهما هشامٌ، وابنُ كثير في روايةٍ عنه، وهي أيضًا، قراءة الحسن وأبِي العالية ويعقوب ونصر بن عاصم، وقرأ الباقون بهمـزة واحدة على الخبر. ينظر: السـبعة ص ٥٩٨، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٣٢٠-٣٢١، تفسير القرطبي ١٦/ ١٩٩، البحر المحيط ٨/ ٦٢، النشر ١/ ٣٦٦، الإتحاف ٢/ ٤٧٢.

(٣) المَشْـرَبةُ والمَشْرُبةُ، بفتح الراء وضمها: الغُرْفةُ، والجمع مَشْرَباتٌ ومَشارِبُ. كتاب سيبويه ٤/ ٩١، تهذيب اللغة ١١/ ٣٥٤، الصحاح ١/ ١٥٢، اللسان: شرب.

(٤) الخَصَفةُ: القطعة من الجِلْدِ. اللسان: خصف.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٤ كتاب الأطعمة: باب ذِكْرِ معيشة النبي ﷺ، وينظر: الوسيط ٤/ ١١٠، ١١، زاد المسير ٧/ ٣٨٢، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ أ، كنز العمال ٣/ ٢٤٥.

وعـن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قـال: «رأى عُمَرُ رضي الله عنه فِي يدي لَحْمًا مُعَلَّقًا، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلتُ: اشْـتَهَيْتُ لَحْمًا فاشـتريتُهُ، قال عُمَرُ: أوَ كُلَّما اشْتَهَيْتَ يا جابرُ اشْتَرَيْتَ؟ أما تَخافُ هذه الآيَةَ يا جابرُ: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا؟»[1]/ .

[١٦٢/ أ]

ورُوِيَ أن عُتْبـةَ[2] بنَ فَرْقَدٍ دخـل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يَكْدِمُ[3] كَعْكًا شـامِيًّا، ويَتَفَوَّقُ لَبَنًا حـازِرًا[4]، فقال: يا أمير المؤمنين: لَوْ أمَـرْتَ أنْ يُصْنَعَ لـك طَعامٌ أَلْيَنُ من هـذا؟ فقال: يا ابن أُمِّ فَرْقَـدٍ: أتَرَى أحَدًا مـن العرب أقْدَرَ على ذلك مِنِّي؟! فقال: ما أحَـدٌ أقْدَرُ على ذلك منك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: سـمعتُ اللهَ عَيَّـرَ أقوامًا فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[5].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾؛ أي: واذكر يا محمدُ لِقَوْمِكَ أهْلِ مَكّةَ أخا عادٍ،

---

(١) رواه النقـاش في شـفاء الصدور ورقـة ١٧/ ب، والحاكم في المسـتدرك ٢/ ٤٥٥ كتاب التفسـير: سورة الأحقاف، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٥، الوسيط ٤/ ١١٢، زاد المسير ٧/ ٣٨٢، ٣٨٣، الدر المنثور ٦/ ٤٢.

(٢) في الأصل: «عبيدة» وهو خطأ، وهو عتبة بن فَرْقَدِ بن يَرْبُوعَ بن حبيب بن مالك، أبو عبد الله السلمي، له صحبة ورواية، كان شريفًا في قومه، وكان عاملًا لِعُمَرَ على بعض فتوح العراق، وهو الذي فتح الموصل سـنة (١٨هـ)، ثم نزل الكوفة، وتوفِّي بها. [أسـد الغابة ٣/ ٣٦٥، ٣٦٦، تهذيب الكمال ١٩/ ٣١٩-٣٢١].

(٣) يَكْدِمُ: يَعَضُّ، والكَدْمُ: الأكْلُ بِجَفاءٍ. اللسان: كدم.

(٤) يَتَفَوَّقُ لَبَنًا: يشربه، ومنه: تَفَوَّقَ الفَصِيلُ؛ أي: شَرِبَ اللَّبَنَ. والحازِرُ: الحامض، يقال: حَزَرَ اللَّبَنُ يَحْزُرُ حَزْرًا وحُزُورًا: إذا حَمَضَ.

(٥) هذه القصة رواها الواحدي في الوسيط ٤/ ١١٢، وينظر: تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٩٥-٢٩٧، زاد المسير ٧/ ٣٨٣، عين المعاني ورقة ١٢٢/ أ.

يعني هُودًا عليه السّـلام، وهو أخوهم في النَّسَبِ لا في الدِّينِ، وإنما صَرَفَ عادًا لأنه اسم للحَيِّ، ولو كان اسمًا للقبيلة لَمْ ينصرف، وإن كان على ثلاثة أحرف[1].

وقولـه: ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴿٢١﴾﴾ قيل[2]: الأحقـاف وادٍ بين عُمانَ ومَهْـرةَ، وقيـل[3]: جَبَلٌ بالشـام، وقيـل[4]: هي رمـال باليمـن بِحَضْرَمَوْتَ، فعلـى هذا القول: الأَحْقافُ جمع حِقْفٍ، وهو الرَّمْلُ المُسْـتَطِيلُ المُعْوَجُّ من الرمال[5]، وقيـل: الحِقافُ جمع الحِقْفِ[6] والأحقـاف جمع الجمع، ونظير حِقْفٍ وأحْقافٍ: سِتْرٌ وأَسْتارٍ، قال الأعشى:

٢٤٣ ـ فَباتَ إِلَى أَرْطاةِ حِقْفٍ يَكُفُّهُ خَرِيقُ شِـمالٍ يَتْرُكُ الوَجْـهَ أَقْتَما[7]

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٦٧.

(٢) قاله ابن عباس، ينظر: جامع البيان ٢٦/ ٣٠، الكشف والبيان ٩/ ١٦، الكشاف ٣/ ٥٢٣، المحرر الوجيز ٥/ ١٠١، معجم البلدان ١/ ١١٥، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ أ.

(٣) قالـه ابن عباس والضحـاك ومجاهد، ينظر: جامـع البيان ٢٦/ ٣٠، شـفاء الصدور ورقة ١٨/ أ، الكشف والبيان ٩/ ١٦، المحرر الوجيز ٥/ ١٠١، معجم البلدان ١/ ١١٥، عين المعانِي ١٢٢/ أ.

(٤) قاله مقاتل، ينظر: الكشف والبيان ٦/ ١٦، الوسيط ٤/ ١١٣.

(٥) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٦٨، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٤/ ٦٨.

(٦) في الأصل: «الحقف جمع الأحقاف»، وهو خطأ.

(٧) البيت من الطويل للأعشى، من قصيدة يمدح بها إياسَ بنَ قُبَيْصةَ الطّائِيَّ، ورواية ديوانه:

يَلُـوذُ إِلَى أَرْطـاةِ حِقْـفٍ تَلُفُّهُ

اللغة: الأرْطاةُ: شجرة تَنْبُتُ بالرمل طيبة الرائحة، الخَرِيقُ: من أسماء الريح الباردة الشديدة الهبوب التي تَتَخَلَّلُ المَواضِعَ، الشِّـمالُ: ريح تهب من قِبَلِ الشـام عن يسار القِبْلةِ، الأَقْتَمُ: الذي يعلوه سواد ليس بالشديد.

التخريـج: ديوانه ص ٣٤٥، جامع البيان ٢٦/ ٢٩، الكشـف والبيان ٩/ ١٦، شـرح أدب الكاتب للجواليقي ص ١٧٢، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ أ.

ويقال: حِقْفٌ أحْقَفُ؛ أي: رَمْلٌ مُتَناهٍ من الاسْتِدارةِ، قال العَجّاجُ:

٢٤٤ ـ باتَ إلَى أرْطاةِ حِقْفٍ أحْقَفا[1]

والفعل منه: احْقَوْقَفَ، قال الراجز:

٢٤٥ ـ سَماوةَ الهِلاَلِ حَتَّى احْقَوْقَفا[2]

أي: انْحَنَى واسْتَدارَ[3].

وانصرف الأحقافُ ـ وإن كان اسمَ أرْضٍ ـ؛ لأن فيه ألِفًا ولامًا، قال سيبويه[4]: واعلم أن كل ما لا ينصرف إذا دخله الألفُ واللّامُ انْصَرَفَ.

---

(١) الرجز للعَجّاجِ، ونُسِبَ لرؤبة، وقبله:

كَأنّ تَحْتِي ناشِطاً مُجَأَّفا
مُذَرَّعاً بَوَشْيِهِ مُوَقَّفا

التخريج: ديوان العجاج ص ٣٧٥، مجاز القرآن ٢/ ٢١٣، جامع البيان ٢٦/ ٣١، مقاييس اللغة ٤/ ٤١، الكشف والبيان ٩/ ١٦، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٠٣.

(٢) الرجز للعَجّاجِ أيضًا، من الأرجوزة التي منها البيت السابق، وسَماوةِ الهلال: شَخْصُهُ.

التخريج: ديوانه ص ٣٧٤، العين ٧/ ٣١٩، الكتاب ١/ ٣٥٩، مجاز القرآن ١/ ٣٠٠، ٢/ ٨٧، غريب الحديث للهروي ٢/ ١٨٩، جمهرة اللغة ص ٥٥٣، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٢٦٣، شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٠٩، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٣، تهذيب اللغة ٤/ ٦٨، ١٣/ ١١٦، إعراب ثلاثين سورة ص ٩٨، مقاييس اللغة ٢/ ٩٠، ديوان الأدب ٢/ ٤٩٢، ٤/ ٤٩، المخصص ١٠/ ١٣٧، أساس البلاغة: حقف، شمس العلوم ٣/ ١٥٣١، اللسان: حقف، زلف، سما، وجف، التاج: حقف، زلف، وجف، سما.

(٣) من أول قوله: «وقيل: الحقاف جمع الحقف» قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٦، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٢٢/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٠٣، اللسان: حقف.

(٤) قال سيبويه: «واعلم أن كل اسم لا ينصرف، فإنّ الجَرَّ يدخله إذا أضَفْتَهُ أو أدْخَلْتَ فيه الألفَ واللامَ». الكتاب ٣/ ٢٢١.

قولـه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني العـذاب ﴿عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾؛ أي: سـحاب يمطرنا، وذلك أن الله عزّ وجلّ / حَبَسَ عنهم [١٦٢/ ب] المطرَ أيامًا، ثم ساق إليهم سـحابةً سـوداءَ، فخرجت على قـوم عاد من وادٍ لهم[١] يُقال له: المغيث، فلما رأوها اسـتقبلتْ أوديتَهم اسْتَبْشَرُوا بها، وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾؛ أي: غَيْمٌ فيه مَطَـرٌ، فقال هود: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾، ثُمَّ بَيَّنَ ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ والريح التي عُذِّبُوا بها نَشَأَتْ من ذلك السحاب[٢].

وقولـه: ﴿مُّمْطِرُنَا﴾ نكـرة، وإن كان مضافًا إلى معرفـة؛ لأن إضافته غير محضة، فلولا أنه نكرة لَمْ يَنْعَتْ به عارِضًا وهو نكرة[٣]، قال الشاعر:

٢٤٦ـ يا رُبَّ غابِطِنا لَوْ كانَ يَطْلُبُكُمْ لاَقَـى مُباعَـدةً مِنْكُـمْ وَحِرْمانـا[٤]

---

(١) في الأصل: «فخربت على قوم عاد من أوديتهم يقال له: المغيث». والصواب ما أثبت.

(٢) هذا الخبر ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ١١٣.

(٣) قال سـيبويه: «وليس يُغَيِّرُ كَفُّ التنوين، إذا حذفْتَهُ مُسْـتَخِفًّا، شَـيْئًا من المعنى، ولا يجعله معرفـةً، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، و﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾... ويَزِيدُ هذا عندك بَيانًا قولُهُ، تعالى جَدُّهُ: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ و﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، فلو لَمْ يكن هذا في معنى النكرة والتنوين لَمْ توصف به النكرة». الكتاب ١/ ١٦٦، وقال مثله في الكتاب ١/ ٤٢٥.

(٤) البيت من البسيط لجرير، ويُرْوَى: «لَوْ كانَ يَعْرِفُكُمْ».

التخريـج: ديوانه ص ١٦٣، الكتـاب ١/ ٤٢٧، معانِي القرآن للفـراء ٢/ ١٥، المقتضب ٣/ ٢٢٧، ٤/ ١٥٠، ٢٨٩، شـرح أبيات سـيبويه١/ ٣٧٦، إعراب ثلاثين سورة ص ١٥، سـر صناعـة الإعراب ص ٤٥٧، الحلل ص ١٢٤، ٢٥٨، شـرح الجمـل لطاهر بن أحمد ١/ ١٦٥، ٢/ ١٥٣، ثِمـارُ الصناعـة ص ٣١٧، الفريد للهمدانِـي ٤/ ٢٩٨، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ أ، اللسان: عرض، مغني اللبيب ص ٦٦٤، الدر المصون ٦/ ١٤١، المقاصد النحوية ٣/ ٣٦٤، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٠٧، شـرح شـواهد المغني ص ٧١٢، ٨٨٠، همع الهوامع ٢/ ٤١٥.

ونصب «عارِضًا» الأول على الحال، وإن شئت على التكرير؛ أي: رأوا عارِضًا، وهو السحاب، سُمِّيَ بذلك لأنه يَعْرِضُ؛ أي: يَبْدُو فِي عُرْضِ السماء، قال الأعشى:

٢٤٧ـ يا مَنْ رَأى عارِضًا قَدْ بِتُّ أرْمُقُهُ كَأنَّما البَرْقُ فِي حافاتِهِ الشُّعَلُ[1]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ﴾؛ يعني عادًا ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ﴾ يا أهل مكة؛ يعني: الذي أعْطَيْنا عادًا في الأرض من الخَيْرِ والقوة والأجسام والعمارة والأموال، ما إنْ مَكَّنّاكُمْ فِي الأرض يا أهل مكة.

قال أهل اللغة[2]: ﴿ما﴾ في قوله: ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ﴾ بِمَنْزِلةِ «الَّذِي»، يعني: في الذي إنْ مَكَّنّاكُمْ فيه، و﴿إنْ﴾ هاهنا في الجحد بِمَنْزِلةِ «ما» في النفي، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه.

و﴿مَا﴾ بمعنى «الَّذِي» أحسن في اللفظ من «ما»، أما ترى أنك لو قلت: رَغِبْنا فِيما إنْ رَغِبْتَ فِيهِ، لكان الأحسن أن تقول: قَدْ رَغِبْتَ فِيهِ، تريد: في الذي ما رَغِبْتُ فيه؛ لاختلاف اللفظين[3]، وقيل[4]: معناه: فيما لَمْ نُمَكِّنْكُمْ فيه،

(١) البيت من البسيط للأعشى، ورواية ديوانه: «بِتُّ أرْقُبُهُ».
التخريج: ديوانه ص ١٠٧، جامع البيان ٢٦/ ٣٣، الكشف والبيان ٩/ ١٦، الحلل ص ١٩٤، المحرر الوجيز ٥/ ١٠٢، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ أ، البحر المحيط ٨/ ٦٤، التاج: عرض.

(٢) هذا قول الفراء والأخفش والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٥٦، معانِي القرآن للأخفش ص ١١١، ١١٢، معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٦، وحكاه النحاس عن المبرد في إعراب القرآن ٤/ ١٧٠، وبه قال الفارسي في المسائل المشكلة ص ١٧٦، ٣١٨.

(٣) من أول قوله: «و«ما» بمعنى «الذي» أحسن في اللفظ» قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٦، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٩/ أ.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد والفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٥٦، غريب =

و«إِنْ» بمعنى «لَمْ»، وقيل[١]: بل هي زائدة، والمعنى: مَكَّنّاكُمْ فيه.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾؛ أي: فَهَلَّا نَصَرَهُمْ، وهذا استفهام إنكار؛ أي: لَمْ ينصرهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ يعني الأوثان، قال الكسائي[٢]: القُرْبانُ: كل ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى من طاعة ونَسِيكةٍ، والجمع قَرابِينُ مثل رُهْبانٍ/ ورَهابِينَ، وثُعْبانٍ وثَعابِينَ. وهو منصوب على المصدر، وقيل: هو مفعول من أجله، وقيل: هو مفعول بـ«اتَّخَذُوا» و«آلِهةً» بدل منه[٣]. [١٦٣/ أ]

﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل[٤]: ضَلَّت الآلهةُ عنهم، فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾؛ أي: اتخاذ الآلهة من دون الله كَذِبُهُمْ وافْتِراؤُهُمْ، وقرأ ابن عباس وابن الزبير: ﴿وَذَلِكَ أَفَكَهُمْ﴾ بفتح الألف؛ أي: ذلك القول صَرَفَهُمْ عن التوحيد، وقرأ عكرمة: ﴿أَفَّكَهُمْ﴾[٥] بتشديد الفاء على

= القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٨، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٥٣، شفاء الصدور ١٩/ أ، عين المعاني ١٢٢/ ب.

(١) ذكره ابن قتيبة وغيره بدون عزو، ينظر: غريب القرآن ص ٤٠٨، تأويل مشكل القرآن ص٢٥١، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٥٤، شفاء الصدور ورقة ١٩/ ب، الكشاف ٣/ ٥٢٥، البيان للأنباري ٢/ ٣٧٢، عين المعاني ورقة ١٢٢/ ب.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ١٩، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٠٩، فتح القدير ٥/ ٢٤.

(٣) هذه الأوجه الثلاثة في إعراب «قُرْبانًا» ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٧١، ومَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٣، وزعم الباقوليُّ أن «آلِهةً» مفعول أول مؤخر، و«قُرْبانًا» مفعولٌ ثانٍ مُقَدَّمٌ، وأن المعنى: اتخذوا من دون الله آلهةً قربانًا، ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٣١٢، وينظر أيضًا: الفريد للهمداني ٤/ ٣٠٠، البحر المحيط ٨/ ٦٦، الدر المصون ٦/ ١٤٣.

(٤) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ١١٤.

(٥) قرأ ابن عباس وابن الزبير وعكرمة ومجاهد وحنظلة بن النعمان بن مرة وأبو عياض والصباح بن العلاء الأنصاري: ﴿أَفَكَهُمْ﴾، وقرأ عكرمة وأبو عياض بتشديد الفاء. ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٠، المحتسب ٢/ ٢٦٧-٢٦٨، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٠٩-٢١٠، البحر المحيط ٨/ ٦٦.

التأكيد والتكثير، قال أبو حاتم[١]؛ يعني: قَلَبَهُمْ عما كانوا عليه من النعيم، ودليل قراءة العامة قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: يكذبون من أنها آلهة تقربهم إلى الله، وتشفع لهم عنده.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعني: وَجَّهْنا إليكَ يا محمد ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ والنَّفرُ والرَّهْطُ والقَوْمُ لا يُقالُ إلّا في الرجال دون النساء[٢]، وفي قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ حُجّةٌ على القَدَرِيّةِ؛ لأن الله تعالى صَرَفَ الجِنَّ إلى نَبِيِّهِ ﷺ بالإرادة، وَلَمْ يأمرهم بذلك؛ لأن الله تعالى قد يريد ما لا يأمر به فيكون، ويأمر بما لا يريد فلا يكون[٣].

وقوله: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ يعني الجن الذين صَرَفَهُمُ اللهُ عزّ وجلّ إلى النبي ﷺ يستمعون منه القرآن، وكانوا سبعةَ نَفَرٍ في قول الكلبي ومقاتل[٤]، وهم شاصر وناصر وَبَسا وَحَسا والأزد وأُبْنان والأحقم[٥]، وقيل: تسعة من جن نَصِيبِينَ، وهو قول ابن عباس[٦].

---

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ١٩، تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٠.

(٢) قال الأزهري: «أبو عُبيد عن أبِي زَيد: النَّفر والرَّهْط: ما دُون العَشرة من الرَّجال، وقال أبو العّباس: النَّفَر والقوم والرَّهْط، هؤلاء معناهم: الجمع، لا واحدَ لهم من لفْظهم للرِّجال دون النِّساء». التهذيب ١٥/ ٢٠٩.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٩/ ب.

(٤) وهو أيضًا قول ابن عباس وزِرِّ بن حُبَيْشٍ ومجاهد. ينظر: جامع البيان ٢٦/ ٤٠، الكشف والبيان ٩/ ٢٢، مجمع الزوائد ٧/ ١٠٦ كتاب التفسير: سورة الأحقاف، الدر المنثور ٦/ ٤٤.

(٥) ينظر في أسمائهم: جمهرة اللغة ١/ ٢٨٢، شفاء الصدور ورقة ٢٠/ أ، الروض الأُنُفُ للسهيلي ١/ ٢٣٦، ٢/ ١٨٠، عين المعاني ورقة ١٢٢/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٣، ٢١٥، الإصابة ١/ ٩٩، فتح الباري ٨/ ٥١٧.

(٦) رواه الطبرانِيُّ عن ابن عباس في المعجم الكبير ١١/ ٢٠٤، وابن عَدِيٍّ في الكامل في =

قال المفسرون[1]: وذلك أنه لَمّا يَئِسَ رَسُولُ الله ﷺ من قومِهِ أهلِ مَكّةَ أن يُجِيبُوهُ خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، فلما انصرف إلى مكة، فكان بِبَطْنِ نَخْلةَ بين مكة والطائف، قام يقرأ القرآن فِي صلاة الفجر، فَمَرَّ به نَفَرٌ من أشراف جِنِّ نَصِيبِينَ وساداتِهِمْ، فاستمعوا لقراءته، فجعلهم رسولُ الله ﷺ رُسُلاً إلى قومهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾؛ أي: النبي ﷺ، وقيل: حضروا استماع القرآن / ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ يعني: قال بعضهم لبعض: صَهْ! أنْصِتُوا لِلْقُرْآنِ ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ بفتح القاف والضاد[2] يعنِي النبي ﷺ ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾؛ يعني: مُخَوِّفِينَ مُحَذِّرِينَ إيّاهُمْ عَذابَ الله إن لَمْ يؤمنوا، داعِينَ قَوْمَهُمْ إلى الإيمان بالله وبرسوله، ونصب ﴿مُّنذِرِينَ﴾ على الحال. [١٦٣/ ب]

فصل

اختلف العلماء فِي مُؤْمِنِي الجِنِّ! هل يدخلون الجنة كَمُؤْمِنِي الإنْسِ أم لا؟ فقال بعضهم: ليس لِمُؤْمِنِي الجِنِّ ثوابٌ على إيمانهم إلا نَجاتُهُمْ من النار، وتَأَوَّلُوا قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾، وهذا جواب الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾، وهذا يدل على أنه كان مبعوثًا إلى الجِنِّ كما كان مبعوثًا

= الضعفاء ٧/ ٢٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٠٦ كتاب التفسير: سورة الأحقاف، وينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٣، الدر المنثور ٦/ ٤٤.

(١) ينظر: تاريخ الطبري ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧، الكشف والبيان ٩/ ١٩-٢٠، الوسيط ٤/ ١١٥، البداية والنهاية ٣/ ١٦٨.

(٢) هذه قراءة أَبِي مِجْلَزٍ وخبيب بن عبد الله بن الزبير ولاحق بن حميد، ينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٦، البحر المحيط ٨/ ٦٧.

إلى الإنس، قال مقاتل[١]: ولَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا إلى الإنس والجن قبله، وإلى هذا القــول ذهب أبو حنيفة، بدليل ما رُوِيَ عــن الليث[٢] أنه قال: الجِنُّ ثَوابُهُمْ أن يُجارُوا من النار، ثم يُقالُ لَهُمْ: كُونُوا تُرابًا مِثْلَ البهائم.

وقال آخرون[٣]: إنْ كان عليهم العقابُ في الإساءة، وجب أن يكون لهم الثواب في الإحسان مثل الإنس، وإلى هذا القول ذهب مالكٌ وابنُ أبِي ليلى، بدليل ما رُوِيَ عن الضَّحّاكِ أنه قال: الجِنُّ يدخلون الجنة، ويأكلون ويشربون، وهذا القول أصَحُّ؛ لأن المُسِيءَ منهم يدخل النار بدليل قوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[٤]، فكان المُحْسِــنُ منهم يدخل الجنة، والله أعلم بِنا وبِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ شرط ﴿فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وهذا جواب الشرط؛ أي: لا يُعْجِزُ اللهَ فَيَسْبِقُهُ، وقوله: ﴿وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُ﴾ أنصار يمنعونه من الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذي لا يجيبون داعيَ الله ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٣٢﴾.

---

(١) هذا رأي الليث بن أبِي سُــلَيْمٍ، ورُوِيَ عن أبي حنيفة، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٣، شرح صحيح مسلم للنووي ٤/ ١٦٩، تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٧، تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٤، فتح الباري ٦/ ٢٤٦، الدر المنثور ٦/ ٣١٠.

(٢) هــو الليث بن أبِي سُــلَيْمٍ الكوفي الليثي، محدث الكوفة وعالمهــا، صدوق كان من أوعية العلم، ومن أكثر الناس صلاة وصيامًا، اســم أبيه أيمن وقيل: أنس، توفِّي ســنة (١٤٨هـ). [تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٧٩-٢٨٨، ســير أعلام النبــلاء ٦/ ١٧٩: ١٨٤]، وينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٩٠/ أ.

(٣) هذا مذهب الحســن والضحاك والأوزاعي وأبِي يوســف، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٣، شــرح صحيح مســلم للنووي ٤/ ١٦٩، تفســير القرطبي ١٦/ ٢١٧-٢١٨، ١٩/ ١٨٩، تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٤، فتح الباري ٦/ ٢٤٦.

(٤) هود ١١٩، والسجدة ١٣.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾؛ أي: لَمْ يَصْعُبْ عليه ذلك، يقال: عَيِيتُ بالأمْرِ أعْيا، وكذلك: عَيِيتُ بالجواب: إذا لَمْ تَتَّجِهْ لَهُ[1]، وعَيَّ فُلَانٌ بِأَمْرِهِ: إذا لَمْ يَهْتَدِ له / ، ولَمْ يَقْدِرْ عليه. [١٦٤/ أ]

وقوله: ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ وهم أضْعَفُ خَلْقًا من السماوات والأرض، وهذا احتجاج على من أنكر البعث، قرأ العامة: ﴿بِقَادِرٍ﴾ بالباءِ والألفِ على الاسم، واختلفوا فِي وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة[2] والأخفش[3]: الباء زائدة مؤكدة، وهي صلة كقوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[4].

وقال الفراء[5] والكسائي[6] والزجاج[7]: الباء فيه دخلت للاستفهام والجحد في أول الكلام، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾[8]، والعرب تُدْخِلُها في الجحود إذا كانت رافعةً لِما قبلها كقول الشاعر:

٢٤٨ - فَما رَجَعَتْ بِخائِبَةٍ رِكابٌ حَكِيمُ بْنُ المُسَيَّبِ مُنْتَهاها[9]

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢١/ أ، وينظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٩.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢١٣.

(٣) معانِي القرآن للأخفش ص ٤٧٨.

(٤) المؤمنون ٢٠.

(٥) معانِي القرآن ٣/ ٥٦، ونص الكلام له.

(٦) ينظر قوله فِي إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٤، الكشف والبيان ٩/ ٢٤، الوسيط ٤/ ١١٦، تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٩.

(٧) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٧.

(٨) يس ٨١.

(٩) البيت من الوافر للقُحَيْفِ العُقَيْلِيِّ.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٥٧، معانِي القراءات للأزهري ٢/ ٣١٣، الكشف والبيان ٩/ ٢٤، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ ب، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٨٥، اللسان: منى، =

وكذلك قال الفراء[١]: العرب تُدْخِلُ الباءَ مع الجحد، مثل قولك: ما أظُنُّكَ بِقائِمٍ، وهو قول الكسائيِّ[٢] والزجاج أيضًا[٣].

وقرأ الأعرج وعاصم الجَحْدَرِيُّ وابنُ أبي إسحاق ويعقوب: ﴿يَقْدِرُ﴾[٤] على الفعل، واختاره أبو حاتم؛ لأن دخول الباء في خبر «أنّ» قبيح[٥]، واختار أبو عبيد قراءة العامة لأنها في قراءة عبد الله: «قادِرٌ» بغير باء[٦]﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ على ذلك لا يُعْجِزُهُ شيءٌ.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يعني: إذا كُشِفَ الغِطاءُ

= الجنى الداني ص ٥٥، ارتشاف الضرب ص ١٢١٩، مغني اللبيب ص ١٤٩، شرح شواهد المغني ص ٣٣٩، همع الهوامع ١/ ٤٠٦، خزانة الأدب ١٠/ ١٣٧، ٢٧٨.

(١) معانِي القرآن ٣/ ٥٦.

(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٤، الكشف والبيان ٩/ ٢٤.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٧.

(٤) وهي أيضًا قراءة ابن مسعود ورُوَيْسٍ ورَوْحٍ وزيد بن عَلِيٍّ وعمرو بن عبيد وعيسى بن عمر، وقرأ ابن مسعود: «قادِرٌ» بالرفع، ينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٩، البحر المحيط ٨/ ٦٨، النشر ٢/ ٣٥٥، الإتحاف ٢/ ٤٠٥، ٤٧٣.

(٥) هذا قبيح عند أبي حاتم وحده، قال النحاس مُعَلِّقًا على كلام أبي حاتم: «وفي هذا طَعْنٌ على مَنْ تقوم الحجة بقراءته، ومع ذلك فقد أجمعت الأئمة على أنْ قرؤوا: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ﴾، ولا نعلم بينهما فرقًا، ولا تجتمع الجماعة على ما لا يجوز». إعراب القرآن ٤/ ١٧٤.

وقال الأزهري في آية «يس»: «وكان أبو حاتم يُوَهِّنُ القراءةَ التي اجتمع عليها القراءُ ويُضَعِّفُها، وغَلِطَ فيما ذهب وَهَمُهُ إليه»، ثم قال الأزهريُّ: «وأجاز سيبويه وأبو العباس المبرد وأبو إسحاق الزجاج وأحمد بن يحيى ما أنكره السجستانِيُّ، وهم أعلم بهذا الباب منه، والقُرّاءُ أكثرهم على هذه القراءة». معانِي القراءات ٢/ ٣١٣.

(٦) ينظر اختيار أبي عبيد في الكشف والبيان ٩/ ٢٤، القرطبي ١٦/ ٢١٩.

عنها، فينظرون إليها، وانتصب ﴿يَوْمَ﴾ على إضمار فعل تقديره: واذكر يا محمد يوم يُعْرَضُ الذين كفروا على النار، وقد تقدم نظيرها في هذه السورة[1] ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: فَيُقالُ لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ﴾ لهم المُقَرِّرُ بذلك: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وهذا قول ابن عباس وقتادة[2]، وقال مقاتل[3]: /[١٦٤/ ب] هم سِتّةٌ: نُوحٌ صَبَرَ على أذى قَوْمِهِ، وإبراهيمُ صَبَرَ على النار، وإسحاقُ صَبَرَ على الذبح، ويعقوبُ صَبَرَ على فَقْدِ الوَلَدِ وذَهابِ البَصَرِ، ويوسفُ صَبَرَ في البئر والسجن، وأيوب صَبَرَ على الضُّرِّ، وقال الكلبي[4]: هم الذين أُمِرُوا بالجهاد والقتال، فأظهروا المكاشفة، وجاهدوا في الدين، وهذا قول السُّدِّيِّ، وقال أهل المعانِي والتحقيق[5]: كل الرسل أولو العزم، ولَمْ يَبْعَث اللهُ رسولًا إلّا كان ذا عَزْمٍ وحَزْمٍ ورَأْيٍ وكَمالِ عَقْلٍ، وإنما دخلت «مِنْ» للتجنيس لا للتبعيض، كما يقال: شَرَيْتُ أكْسِيةً مِنَ الخَزِّ، وَأرْدِيةً مِنَ البَزِّ[6]، وكأنه قيل له: اصبر كما

(١) الآية ٢٠ ٣/ ٥١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٥، الوسيط ٤/ ١١٦، الكشاف ٣/ ٥٢٨، المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٠.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٥، الوسيط ٤/ ١١٦، الكشاف ٣/ ٥٢٨، المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٠.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٥، الوسيط ٤/ ١١٦، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٠.

(٥) هذا قول ابن عباس وابن زيد، ينظر: جامع البيان ٢٦/ ٤٩، الكشف والبيان ٩/ ٢٥، الوسيط ٤/ ١١٦، المحرر الوجيز ٥/ ١٠٧، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٠.

(٦) فعلى هذا تكون «مِنْ» مثلها في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾، وهذا قول مقاتل وعَلِيِّ ابن مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيِّ. ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٥، الوسيط ٤/ ١١٦، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ ب، الفريد للهمداني ٤/ ٣٠٣، البحر المحيط ٨/ ٦٨.

صبر أولو العزم من الرسل قبلك على أذى قومهم، فوصفهم بالعزم لصبرهم ورزانتهم.

فصل

ويدل على صحة هذا القول ما رُوِيَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة: إن الدنيا لا تنبغي لِمُحَمَّدٍ ولا لآل محمد، يا عائشة: إن الله تعالى لَمْ يَرْضَ من أُولِي العَزْمِ إلّا بالصبر على مكروهها، والصبر عن مَحْبُوبِها، ولَمْ يَرْضَ إلّا إذا كَلَّفَنِي ما كَلَّفَهُمْ، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، وإنِّي ـ واللهِ ـ لا بُدَّ لِي من طاعته، وإنِّي واللهِ لأصْبِرَنَّ كما صَبَرُوا وَأَجْهَدَنَّ، ولا قوة إلّا بالله»(١).

وعن كعبِ الأحبارِ قال: في جنة عَدْنٍ مدينة من لؤلؤة بيضاء، تَكِلُّ عنها الأبصارُ، لم يَرَها نَبِيٌّ مرسلٌ ولا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أعَدَّها اللهُ لأُولِي العزم من الرسل والشهداء والمُجاهِدِينَ؛ لأنهم فُضِّلُوا على الناس عقلا وعلما وإنابة وَلُبًّا(٢).

وفِي أُولِي العَزْمِ اختلاف كثير بَيْنَ العلماء، يطول شرحه هاهنا.

قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ العذابَ، فكأنه ﷺ ضَجِرَ بعضَ الضَّجَرِ حين لَمْ يُؤْمِنْ قومُهُ، وأَحَبَّ أن يَنْزِلَ بهم العذابُ، فأُمِرَ بالصبر وترك الاستعجال.

[١٦٥/ أ] ثُمَّ خَبَّرَ بأن العذاب منهم قريب / بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني: من العذاب فِي الآخرة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ فِي الدنيا، ولَمْ يَرَوْها ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن

---

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ١١٧، تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٥، الدر المنثور ٦/ ٤٥، الجامع الصغير ١/ ٦٥٨، كنز العمال ٣/ ١٨٧.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٦.

نَّهَارٍ﴾ يعني: في جَنْبِ القيامة، وقيل: لأنهم يُنْسِيهِمْ هَوْلُ ما عايَنُوا من العذاب قَدْرَ مُكْثِهِمْ في الدنيا، كأنه ساعة من نهار؛ لأن ما مضى كَأنْ لَمْ يكن وإن كان طويلًا، و﴿سَاعَةً﴾ نصب على الظرف.

وتَمَّ الكلامُ ثم قال: ﴿بَلَٰغٌ﴾ ارتفع بإضمارٍ، يعني: أن هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ عن الله إليكم، يعني كفار مكة، والبلاغ بمعنى التبليغ، وقال ابن الأنباري[1]: ارتفع البلاغ بإضمار: ذلك بلاغٌ أو هو بَلَاغٌ، ويجوز في العربية: «بَلاَغًا» بالنصب و«بَلاَغٍ» بالخفض، وبالنصب قرأ عيسى بن عمر[2]، فمن نصبه جعله بدلاً أو مصدرًا أو نعتًا لـ«ساعةً»، ومَنْ خَفَضَهُ رَدَّهُ على قوله: «نَهارٍ بَلاَغٍ»، ولا يجوز لأحد أن يقرأ بالوجهين؛ لأنهما لا إمامَ لهما هكذا، وأنشد الفراء[3] في الإضمار:

٢٤٩ـ فَبَعَثْتُ جارِيَتِي فَقُلْتُ لَها اذْهَبِي ... قُولِي: مُحِبُّكِ هائِمًا مَخْبُولا[4]

أراد: قُولِي: هَذا مُحِبُّكِ، فأضمر «هَذا»، ومثله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[5]

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ص ٣١٤-٣١٥، وقوله: «وبالنصب قرأ عيسى بن عمر» هو من نَصّ آخَر لابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٩٤.

(٢) قرأ بالنصب عيسى بنُ عُمَرَ والحَسَنُ وزيدُ بن عَلِيٍّ وأبو عَمْرٍو الهُذَلِيُّ، وقرأ الحسن بالخفض على النعت للنهار، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤١، المحتسب ٢/ ٢٦٨، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٢، البحر المحيط ٨/ ٦٨، الإتحاف ٢/ ٤٧٣.

(٣) لَمْ أقف على هذا البيت في معانِي القرآن ولا في غيره من كتب الفراء، وإنما أنشده ابن الأنباري عن الفراء في الزاهر ٢/ ٨.

(٤) البيت من الكامل، لجميل بثينة، وليس في ديوانه.

التخريج: إيضاح الوقف والابتداء ص ٣١٥، ٦٤٩، الزاهر ٢/ ٨، ٢٧٩.

(٥) التوبة ١.

رفع البراءة بإضمار: هذه براءة، ونصب «هائِمًا» على الحال.

وقوله: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: لا يقع العذاب إلّا بالعاصين الخارجين عن أمر الله، قال الزجاج[1]: تأويله: لا يُهْلَكُ مع رحمة الله وفَضْلِهِ إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما فِي الرجاء لرحمة الله أقوى من هذه الآية.

فصل

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا عَسُرَ على المَرْأةِ وَلَدٌ فَلْيُكْتَبْ هؤلاءِ الآياتُ في صَحِيفةٍ، ثُمَّ تُغْسَلُ بماءٍ، ثم تُسْقَى المرأةُ منها، ويُنْضَحُ على بطنها، وهي: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، لا إله إلا الله الحليم الكريم، ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[4]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[5]،/ والله أعلم.

* * *

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٨، وعبارة «ولهذا قال قوم»، ليست من كلام الزجاج.

(٢) المؤمنون ٨٦.

(٣) يوسف ١١١.

(٤) النازعات ٤٦.

(٥) رواه ابن أبِي شيبة في المصنف ٥/ ٤٣٣، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٧، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٢، الدر المنثور ٤/ ٤٢، كنز العمال ١٠/ ٦٤.

سورة محمد ﷺ

مدنيّة

وهي ألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفًا، وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة، وثمان وثلاثون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سورة محمد ﷺ كان حَقًّا على الله أنْ يَسْقِيَهُ من أنهار الجنة»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة محمد ﷺ حَمَلَتْهُ الملائكةُ على أجنحتها، لا يَمُرُّ بشيء إلّا خَرَّ جاثيًا من شِدَّةِ نُورِهِ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ①﴾ يعني

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٨، الوسيط ٤/ ١١٨، الكشاف ٣/ ٥٤٠، مجمع البيان ٩/ ١٥٩، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

كفار مكة، كفروا بتوحيد الله، وصَدُّوا الناسَ عن الإسلام، وقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: أبْطَلَها اللهُ وأذْهَبَها، حتى كأنها لَمْ تَكُنْ؛ لأنهم لَمْ يَرَوْا في الآخرة لها ثوابًا.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهو اسم ناقص، و﴿كَفَرُواْ﴾ من صلته، و﴿صَدُّوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾[1]، ومن العرب من يقول: «اللَّذُونَ»[2]، فيجعله مُسَلَّمًا.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَصَدَّقُوا بتوحيد الله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني أصحاب النبي ﷺ، ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾؛ أي: صَدَّقُوا بما نُزِّلَ عليه من آيات القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ يعني: سَتَرَها عنهم، وغفرها لهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾؛ يعني: حالهم، والبال: الحال في هذا الموضع[3]، وجمعه بالَاتٌ[4]، وقد يكون في غير هذا الموضع القَلْبَ، يقول القائل: لَمْ يَخْطُرْ هذا على بالِي؛ أي: قلبي[5].

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٧٧.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٧٨، وقد تقدم مثل ذلك في آخر سورة الروم ٢/ ٥٠.

(٣) قاله قتادة والمبرد والنقاش، ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٢/ ب، وقال ابن الأنباري: «والبال مُذَكَّرٌ، وهو الحال، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾. المذكر والمؤنث ١/ ٥٣٩، وينظر قول المبرد في الوسيط ٤/ ١١٨، وزاد المسير ٧/ ٣٩٦.

(٤) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٢٩، قال ابن عطية: «والبال: مصدر كالحال والشأن، ولا يُسْتَعْمَلُ منها فِعْلٌ، وكذلك عُرْفُهُ ألا يُثَنَّى ولا يُجْمَعَ، وقد جاء مجموعًا، لكنه شاذ، فإنهم قالوا: بالات». المحرر الوجيز ٥/ ١١٠، وقال السجاوندي: «ولا يجمع البال لإبهامه، وقيل: بالات كحالات». عين المعانِي ورقة ١٢٢/ ب، وينظر: البحر المحيط ٨/ ٧٠.

(٥) قاله المبرد والنقاش، ينظر قول المبرد في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٨، شفاء الصدور ورقة ٢٢/ ب، وينظر أيضًا: تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٤.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ يعني: من أهل الحرب ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ نصب على الإغراء[١]، وقيل[٢]: على المصدر؛ أي: فاضْرِبُوا الرِّقابَ ضَرْبًا، والرقاب: الأعناق، واحدتها رَقَبةٌ، والمعنى: اقْتُلُوهُمْ؛ لأن أكثر مواضع القتل ضَرْبُ العُنُقِ، فَإِنْ ضَرَبَهُ على مَقْتَلٍ آخَرَ كان كما لو ضَرَبَ عُنُقَهُ؛ لأن المَقْصِدَ قَتْلُهُ[٣].

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾؛ أي: بالَغْتُمْ في قَتْلِهِمْ، وقَهَرْتُمُوهُمْ وغَلَبْتُمُوهُمْ/ [١٦٦/ أ] بالسيف، والإثخان: المبالغة فِي الضرب، مشتق من قولهم: شَيْءٌ ثَخِينٌ أي: مُتَكاثِفٌ[٤]، وقوله: ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ يعني: إذا أَسَرْتُمُوهُمْ كَيْ لا يُفْلِتُوا، والوَثاقُ اسم من الإيثاقِ، أَوْثَقَهُ إيثاقًا: إذا شَدَّ أَسْرَهُ كَيْ لا يُفْلِتَ[٥].

قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ يعني: بعد الأَسْرِ ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾، وهما مصدران منصوبان بإضمار فعلٍ، مجازه: فَإمّا أنْ تَمُنُّوا عليهم مَنًّا، فَتُطْلِقُوهُمْ من غير عِوَضٍ، وإما أنْ تُفادُوهُمْ فِداءً ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۝٤﴾ يعني: بِتَرْكِ الشِّرْكِ حتى لا يكون في العرب مشرك، وقال ابن عباس[٦]: حتى يُسْلِمَ كُلُّ مَنْ عَلَى وَجْهِ الأرضِ، وقيل: حتى تقع الهُدْنَةُ.

---

(١) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٥٧.

(٢) قاله أكثر العلماء، ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٦، إعراب القرآن ٤/ ١٧٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٥، الفريد للهمداني ٤/ ٣٠٦، التبيان للعكبري ص ١١٦٠، البحر المحيط ٨/ ٧٤.

(٣) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ١١٩.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٧٩.

(٥) قاله الأزهري في التهذيب ٩/ ٢٦٦، وينظر أيضًا: الوسيط ٤/ ١١٩.

(٦) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ١٢٠، وزاد المسير ٧/ ٣٩٧.

والمعنى: حتى يَضَعَ أَهْلُ الحَرْبِ أَوْزارَها، وهو السلاح، وأصل الوِزْرِ: ما حَمَلْتَهُ، فَسُمِّيَ السلاحُ وِزْرًا لأنه يُحْمَلُ[١]، وأَمَرَ أَلَّا يُقْبَلَ منهم إلّا الإسلامُ، ولَمْ يُسْمَعْ لأَوْزارِ الحَرْبِ بِواحِدٍ، إلّا أنه على التأويل: وِزْرٌ[٢]، وقد فَسَّرَهُ الأعشى بقوله:

٢٥٠ ـ وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزارَها رِماحًا طِوالًا وَخَيْلًا ذُكُورا
وَمِنْ نَسْجِ داوُدَ يُحْدَى بِها عَلَى أَثَرِ الحَيِّ عِيرًا فَعِيرا[٣]

أي: يُحْدَى بها الإِبِلُ.

---

(١) من أول قوله: «حتي يضع أهل الحرب»، قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٤٠٩، وينظر أيضًا: تأويل مشكل القرآن ص ١٧٠، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٦٤، شفاء الصدور ورقة ٢٣/ أ، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٤٢.

(٢) يفهم من كلام ابن قتيبة السابق ومن كلام أحمد بن يحيى الآتِي بعدُ أنّ واحد الأوزار وِزْرٌ، قال ثعلب: «قال: الوِزْرُ: كل ما احْتَمَلَ الرَّجُلُ على ظهره، وإنما سمى الوزير وزيرًا لأنه يَحْمِلُ أثقالَ صاحبه، وهو هاهنا حَمْلُ الإثْمِ، «حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها» قال: تسقط آثام أهلها عنهم؛ أي: إذا قاتلوا فاستشهدوا وضعت أوزارهم، ومحصت عنهم الذنوب». مجالس ثعلب ص ٢٢٥-٢٢٦، وينظر: الصحاح ٢/ ٨٤٥، اللسان: وزر.

(٣) البيتان من المتقارب للأعشى، من قصيدة يمدح بها هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ الحنفي، ورواية ديوانه:

وَمِن نَسجِ داوُدَ مَوضونَةً تُساقُ مَعَ الحَيِّ عيراً فَعيرا

اللغة: الأوزار هنا: السلاح وآلة الحرب، الحُداءُ: سَوْقُ الإبلِ والغناء لها، دِرْعٌ موضونةٌ: مضاعفة النَّسْجِ.

التخريج: ديوانه ص ١٤٩، العين ٧/ ٣٨١، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٨، تهذيب اللغة ١٣/ ٢٤٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٠، المخصص ٦/ ٧٦، الكشف والبيان ٩/ ٣٠، ٢٠٣، شمس العلوم ١١/ ٧١٤٦، زاد المسير ٧/ ٣٩٧، عين المعانِي ورقة ١٢٢/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٢٩، ١٧/ ٢٠١، تفسير غريب القرآن للرازي ص ٢٤٩، أساس البلاغة: وزر، الكشاف ٤/ ٥٣، المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١، اللسان: وزر، وضن، البحر المحيط ٨/ ٧٥، ٢٠١، الدر المصون ٦/ ١٤٧، ٢٥٥، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٨٤، التاج: وزر، وضن.

قولـه تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ شـرط وجـزاء، والمعنى: إن تُعِينُوا رسـولَهُ حيث تَوَجَّـهَ يُعِنْكُمْ على عدوكم ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ بالنصر عند القتال ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾؛ أي: بُعْدًا لهم، وقيل: نَكْسًا لهم، وقيل: خِزْيًا وبَلاءً، وقيل: مَقْتًا، وقيل: عِثارًا وسقوطًا، وقيل: خَيْبةً، وقيل: مكروها وسُوءًا، ويقال[1]: التَّعْسُ: أنْ يَخِرَّ على وجهه، والنَّكْسُ: أنْ يَخِرَّ على رأسـه. وأصل التَّعْسِ فِي الناس والدَّوابِّ، يقال للعاثر: تَعْسًـا: إذا لَمْ يريدوا قيامه، وقالوا: أَتْعَسَهُ اللهُ فَتَعِسَ وهو مُتْعَسٌ.

قال ثعلب [2]: والتَّعْسُ: الهَلَاكُ. وضده لَعًا: إذا أرادوا قيامَهُ، ولَعًا بمعنى سَلِمْتَ، وقد جمعهما الأعشى في بيت واحد يصف به ناقته، فقال/ :

٢٥١ ـ بِذاتِ لَوْثٍ عَفَرْناةٍ إذا عَثَرَتْ   والتَّعْـسُ أَدْنَى لَها مِنْ أَقُـولَ: لَعا[3]

---

(١) حكاه ابن الأنباري والنحاس عن ابن السكيت، ينظر: الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٢٤٩، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٦٧، وحكاه الأزهري عن الرستمي في تهذيب اللغة ٢/ ٧٨، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٤٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٣.

(٢) ينظر قوله في الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٢٤٨، شفاء الصدور ورقة ٢٣/ ب، وقال النحاس: «التَّعْسُ: الشَّـرُّ، قال: وقيل: هو البُعْدُ، وانْتُكِسَ: قُلِبَ أمْرُهُ وأُفْسِدَ». معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٦٧، وينظـر: التهذيب ٢/ ٧٨، عين المعانِي ١٢٣/ أ، تفسـير القرطبي ١٦/ ٢٣٢، البحر المحيط ٨/ ٧١.

(٣) البيت من البسيط للأعشى، وقوله: «بِذاتِ لَوْثٍ» متعلق بالفعل «كَلَّفْتُ» في بيت قبله، وهو قوله:

كَلَّفتُ مَجهولَها نَفسي، وَشايَعَني   هَمّـي عَلَيْهـا إذا مـا آلُهـا لَمَعـا

اللغة: اللَّوْثُ: القوة، ناقة عَفَرْناةٌ: قوية، الآلُ: السراب.

التخريج: ديوانه ص ١٥٣، العين ٢/ ١٢٣، ٨/ ٢٣٩، جمهرة اللغة ص ٩٥٢، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٢٤٨، سـر صناعة الإعراب ص ٦٩٢، المحتسـب ٢/ ١٤١، مقاييس اللغة ٤/ ٦٥، ٥/ ٢٥٣، الكشف والبيان ٩/ ٣١، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص١٠١، =

وهو منصوب على المصدر على سبيل الدعاء، يقال لِمَنْ دُعِيَ عليه بالشر والهَلَكةِ: تَعِسَ يَتْعَسُ تَعْسًا: إذا عَثَرَ وانْكَبَّ[1]، وقيل: هو نصب بإضمار فعل تقديره: أَلْزَمَهُم اللهُ تَعْسًا، وقيل: نصب على المَذَمّةِ، نحو قوله: ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾[2]، قال ابن عباس: يريد: في الدنيا العَثْرةُ، وفي الآخرة التَّرَدِّي فِي النار.

قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨﴾؛ أي: أبْطَلَها؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان، خاليةً عن الإيمان، وقد تقدم نظيرها في أول السورة[3].

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني كفار مكة ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۝١٠﴾ الآية، ونصب ﴿فَيَنظُرُوا﴾ على جواب الجحد، وقد تَقَدَّمَ تفسيرُ نظيرِها في سورة الحج[4].

قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾؛ أي: وكم من قرية قد مضت ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ﴾ يعني: أشد بطشًا وأكثر عددًا ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ﴾؛ يعني مكة ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ أهْلُها، يعني أهل مكة حين أخرجوا محمدًا ﷺ منها، فكنى بالقرية عن الرجال؛ ولهذا قال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ولَمْ يقل: أهلكناها، قال مقاتل: أُهْلِكُوا بالعذاب حين كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣﴾؛ أي: لَمْ يكن لهم ناصر يمنعهم من عذاب الله.

= أساس البلاغة: لعو، الكشاف ٣/ ٥٣٢، المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، الفريد للهمداني ٤/ ٣٠٧، عين المعاني ورقة ١٢٣/ أ، تفسير القرطبي ٦/ ٣٥٨، ١٦/ ٢٣٢، اللسان: تعس، لعا، لوث، البحر المحيط ٨/ ٧١، الدر المصون ٦/ ١٤٨، التاج: لوث، تعس، لعا.

(١) هذا القول حكاه الواحدي عن المبرد في الوسيط ٤/ ١٢١.

(٢) الأحزاب الآية ٦١، وانظر ما سبق ٢/ ١٣٨.

(٣) الآية الأولى ٣/ ٦٩.

(٤) الآية ٤٦، وينظر ١/ ٢٥٧.

فصل

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لَمّا خرج رسـول الله ﷺ من مكة إلى الغار الْتَفَتَ إلى مكة، وقال: «أنْتِ أحَبُّ بلاد الله إلى الله، وأحَبُّ بلاد الله إلَيَّ، ولولا أن المشركين أخرجوني منكِ لَمْ أخْرُجْ»، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[1].

قوله عـزّ وجلّ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾؛ أي: آجِنٍ مُتَغَيِّرٍ مُنْتِنٍ، يقال: أسِنَ الماءُ يَأْسَنُ أسَنًا، وأجِنَ يَأْجَنُ أجَنًا، وأسَنَ يَأْسُنُ، وأجَنَ يَأْجُنُ أُسُـونًا وأُجُونًا: إذا تَغَيَّـرَ[2]، ويقال: أسِنَ الرَّجُلُ ـ بكسر السين ـ: إذا أصابته ريحٌ مُنْتِنةٌ فَغُشِيَ عليه[3]، قال زهير:

٢٥٢ ـ يُغـادِرُ القِـرْنَ مُصْفَـرًّا أنامِلُهُ   يَمِيدُ فِي الرُّمْحِ مَيْدَ المائِحِ الأسِنِ[4]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢٦/ ٦٢، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٢، مجمع الزوائد ٣/ ٢٨٣ كتاب الحج: باب ما جاء في مكة وفضلها، تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٩، الدر المنثور ٦/ ٤٨، لباب النقول ص ١٧٦.

(٢) قالـه ثعلب في الفصيح ص ٢٧٢، وحـكاه الأزهري عن أبِي زيد في التهذيب ١١/ ٢٠٢، ١٣/ ٨٤، وينظر: تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه ص ١١٩، اللسان: أسن.

(٣) قاله ثعلب فِي الفصيح ص ٢٧٢، وينظر: معانِي القراءات للأزهري ٢/ ٣٨٦.

(٤) من البسيط، لزهير من قصيدة يمدح بها هَرَمَ بن سِنانٍ، ورواية ديوانه: «يَمِيلُ.. مَيْلَ المائِحِ».

اللغـة: القِرْنُ: من هو مثلك في الشـجاعة والشـدة، مُصْفَـرًّا أنامله: يعني: طعنتـه فَـنَزَفَ حَتَّـى اصْفَرَّ لَوْنُهُ، يَمِيـدُ: يَتَحَرَّكُ وَيَمِيلُ، المائح: الذي يملأ الدلو في أسـفل البئر عند قِلّةِ مائها، الأسن: الذي يُغْشَى عليه من رائحة البئر.

التخريـج: ديوانـه ص ١٢١، العين ٧/ ٣٠٧، غريب الحديث للهـروي ٣/ ٣٦٤، جمهرة اللغـة ص ١٠٩١، المُحَـبُّ والمَحْبُوبُ ٤/ ٣١، تهذيب اللغـة ١٣/ ٨٤، معانِي القراءات ٢/ ٣٨٦، الحجة للفارسي ٣/ ٤٠٢، المحرر الوجيز ٥/ ١١٤، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ أ، اللسان: أسن، البحر المحيط ٨/ ٧١، الدر المصون ٦/ ١٥٠، التاج: أسن.

[١٦٧/ أ] / قرأه العامة: «آسِنٍ» بالمد، وقرأه ابن كثير بالقصر[١]، وهما لغتان يقال: آسِنٌ وأسِنٌ، مثل حاذِرٍ وحَذِرٍ.

قوله: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ لَمْ يَحْمُضْ كما تتغير ألبان أهل الدنيا؛ لأنها لَمْ تخرج من ضروع الإبل والبقر والغنم ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لَمْ تُدَنِّسْها الأيدي ولا الأرجلُ، و«لَذَّةٍ» نعت لـ«خَمْرٍ» بمعنى: ذات لذة[٢]، ويجوز: لَذَّةٌ بالرفع نعت لـ«أنْهارٌ»، ويجوز النصب على المصدر، كما تقول: هُوَ لَكَ هِبةً[٣]، ونظير لَذٍّ ولَذِيذٍ: طَبٌّ وطَبِيبٌ.

قوله: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ من العَكَرِ والكَدَرِ، وهذه الأنهار الأربعة بِيضٌ، تُفَجَّرُ من نَهَرِ الكوثر.

فصل

قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر جَيْحانَ نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر[٤].

---

(١) وهي قراءة حُمَيْدٍ وابن محيصن أيضًا، ينظر: السبعة ص٦٠٠، البحر المحيط ٨/ ٧٩، الإتحاف ٢/ ٤٧٦.

(٢) يعني أنه على حذف مضاف؛ لأن اللذة مصدرٌ وُصِفَ به، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٨٤.

(٣) جواز رفعه ونصبه قاله الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٦٠، إعراب القرآن ٤/ ١٨٤، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٧، الفريد ٤/ ٣١٠، وقد ذكر الزمخشري وأبو حيان أنه قرئ: «لَذَّةٌ» و«لَذَّةً» بالرفع والنصب، ينظر: الكشاف ٣/ ٥٣٤، البحر المحيط ٨/ ٧٩، وينظر: الدر المصون ٦/ ١٥٠.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٢، ٣٣، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ أ، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٧.

قولــه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ يعني: فِي الجنة ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ وهــذا محذوف الجــواب، قال الفــراء[1]: أراد: أَمَنْ كان فِي هذا النعيم كَمَنْ هو خالد في النار؟ وقيل[2]: معناه: أَفَمَنْ حالُهُ ذلك في هذا النعيم كمن هو خالد في النار فيها الحميم؟ ومَثَلُ أهل الجنة فِي النعيم المقيم كمثل أهل النار فِي العذاب الأليم؟! شَـتّانَ ما بينهما ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ شديد الحر ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾، والأمعاء جميع ما في البطن من الحَوايا، واحدها مِعًى.

فصل

عن أَبِي أُمامةَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا شَرِبَ الكافرُ الماءَ الحميمَ قَطَّعَ أمْعاءَهُ حتى يخرج من دُبُرِهِ، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾».

ورُوِيَ عــن محمد بن عبيــد الله الكاتب[3] قال: قَدِمْــتُ من مكة، فلما صرت إلى طِيْزَناباذَ ذكرتُ قول أَبِي نواس:

---

(١) معانِــي القرآن ٣/ ٦٠، وهذا عند الفراء، وأما عند سـيبويه فالخبر محذوف، قال سـيبويه: «قولــه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، ثــم قال بَعْــدُ: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾ فيها كذا وكــذا، فإنمــا وُضِعَ المَثَلُ للحديث الــذي بعده، فذكر أخبارًا وأحاديــث، فكأنه قال: ومن القَصَصِ مَثَلُ الجَنَّةِ، أو مِمّا يُقَصُّ عليكم مَثَلُ الجنة». الكتاب ١/ ١٤٣.
وقال مَكِّيُّ بن أَبِي طالب: «وقال يونس: معنى ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: صفة الجنة، فـ﴿مَّثَلُ﴾ مبتدأ، و ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ﴾ ابتداء وخبر في موضع خبر ﴿مَّثَلُ﴾. مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٧.

(٢) هــذا قول ابن كيســان، ينظر: الكشــف والبيــان ٩/ ٣٣، عين المعانِــي ١٢٣/ أ، القرطبي ١٦/ ٢٣٧.

(٣) محمد بن عبيد الله بن محمد بن العلاء، أبو جعفر الأُطْرُوشُ، ثقة مأمون، ســمع أحمد بن بديل اليامي وعَلِيِّ بن حرب الطائي، روى عنه القاضي أبو الحســن الجراحي والدارقطني، توفِّي سنة (٣٢٩هـ). [تــاريخ بغـداد ٣/ ١٣٣].

٢٥٣ ـ بِطِيزَناباذَ كَرْمٌ ما مَرَرْتُ بِهِ إلّا تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الماءَ

فهتف بِي هاتفٌ أسمع صوته، ولا أراه يقول:

٢٥٤ ـ وَفِي الجَحِيمِ حَمِيمٌ ما تَجَرَّعَهُ حَلْقٌ فَأَبْقَى لَهُ فِي البَطْنِ أمْعاءَ[1]

[١٦٧/ ب] / قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم﴾ يعني المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: يستمعون إلى خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ يعني: من المسجد ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ﴾ محمد ﴿ءَانِفًا ﴿١٦﴾﴾؛ أي: الآنَ والساعةَ، استهزاءً وتهاوناً منهم بقوله، وهو نصب على المصدر[2]، ومعنى الآنِفِ من الائْتِنافِ، وأصله من الأنْفِ وهو الابتداء من كل شيء، يقال: ائْتَنَفْتُ الأمْرَ؛ أي: ابْتَدَأْتُهُ[3].

---

(١) البيتان من البسيط، لَمْ أقف على الأول في ديوان أبي نواس، وأنشدهما النويري لمحمد بن مسروق البغدادي، ويروى الثاني: «وَفِي جَهَنَّمَ مُهْلٌ.... حَلْقٌ فَأَبْقَى».

اللغة: طِيزَناباذُ: قرية بين الكوفة والقادسية، كانت محفوفة بالشجر والحانات، وكانت أحد المواضع المقصودة لِلَّهْوِ والبطالة، ولأهل الخلاعة فيها أخبار كثيرة.

التخريج: هذه القصة والبيتان في المُحَبِّ والمَحْبُوبِ للسَّرِيِّ الرَّفّاءِ ٤/ ٣٦٦-٣٦٧، الوسيط ٤/ ١٢٣-١٢٤، معجم البلدان: طيزناباذ ٤/ ٦٢، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ أ، نِهاية الأرب للنويري ٤/ ١٨٠، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٥-٣٩٦، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/ ٢٤٢.

(٢) ﴿ءَانِفًا﴾ منصوب على الحال من الضمير في ﴿قَالَ﴾؛ أي: مُؤْتَنِفًا، وهو قول العكبري وأبي حيان. ينظر: التبيان ص١١٦٢، البحر المحيط ٨/ ٧٩، وقال الزمخشري: «نصب على الظرف». الكشاف ٣/ ٥٣٤، قال أبو حيان: «والصحيح أنه ليس بظرف، ولا نعلم أحدًا من النحاة عَدَّهُ في الظروف». البحر المحيط ٨/ ٧٩، وينظر، أيضًا، الدر المصون ٦/ ١٥٢.

(٣) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٠، وينظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٤٨٣، الوسيط ٤/ ١٢٤.

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ يعني كفار مكة، أي: ينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ يعنـي القيامـة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ يعنـي: فجـأة، نصب على الحـال ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴿١٨﴾﴾ أماراتُهـا وعَلاَماتُهـا، من انشـقاقِ القمرِ، وخـروج النبيِّ ﷺ، والأشْراطُ واحدها شَرَطٌ، وأصـل الإشْراطِ الإعْلاَمُ، يقال: أشْرَطَ نَفْسَهُ للأمر: إذا جَعَلَ نَفْسَـهُ عَلَمًا فيه، وبهـذا سُمِّيَ أصحـاب الشُّـرَطِ لِلُبْسِهِمْ لِباسًا يكون علامةً لَهُمْ، ومنه قيل: الشَّرْطُ فِي البيع وغيرِه؛ لأنه علامة من المتبايعين[1].

ويقال[2]: أشْـرَطَ فُلاَنٌ نَفْسَهُ في عمل كذا؛ أي: أعْلَمَها وجعلها له. قال أوس بن حَجَرٍ يصف رَجُلًا تَدَلَّى بِحَبْلٍ من رأس جَبَلٍ إلى نَبقةٍ ليقطعها ويتخذ منها قَوْسًا:

٢٥٥ ـ فَأَشْرَطَ فِيها نَفْسَهُ، وَهْوَ مُعْصِمٌ ... وَأَلْقَـى بِأَسْـبابٍ لَـهُ وَتَوَكَّـلا[3]

---

(١) هـذه المعانِي حكاها ابن السـكيت عن الأصمعي في إصلاح المنطـق ص ٢٢٩، وحكاها الأزهري عن الأصمعي وأبي عبيد في التهذيب ١١/ ٣٠٩، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٤٣، شمس العلوم ٦/ ٣٤٤٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٠، اللسان: شرط.

(٢) قالـه ابن السـكيت في إصلاح المنطـق ص٢٢٩، وينظر: الزاهـر ١/ ٣٤٦، تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٩.

(٣) البيت من الطويل، لأوس بن حَجَر.
اللغة: أشْرَطَ نفسَهُ في الأمر: قَدَّمَها، وأشرط نفسه: جعلها عَلَمًا للموت، والمعنى هنا: هَيَّأَ لهذه النبعة، مُعْصِمٌ: معتصمٌ ومستمسك بالحبل الذي دَلّاهُ.
التخريج: ديوانه ص ٨٧، العين ٦/ ٢٣٦، غريب الحديث للهروي ١/ ٤١، الحيوان ٥/ ٢٣، ٦/ ٤٢، جمهرة اللغة ص ٧٢٦، الزاهر ١/ ٣٤٦، مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٠، الكشـف والبيان ٩/ ٣٣، المحرر الوجيز ٥/ ١١٦، أساس البلاغة: شرط، شمس العلوم ٦/ ٣٤٤٣، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ أ، منتهى الطلب ٢/ ٢٤٤، تفسير القرطبي ٤/ ١٥٧، ١٦/ ٢٤٠، اللسان: شرط، عصم، البحر المحيط ٨/ ٧١، الدر المصون ٦/ ١٥٢، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٤٨، التاج: شرط، عصم.

قوله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠﴾ يعني المنافقين، وَعِيدٌ لهم وتهديدٌ، والعرب تتكلم به فِي الوعيد والتعجب، تقول للإنسان إذا كاد أن يَعْطَبَ: أَوْلَى لَكَ، أي: قارَبَكَ العَطَبُ[(١)].

ثم استأنف فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾؛ أي: حَسَنٌ، مجازه: ويقول هؤلاء المنافقون قبل نزول الآية المحكمة: ﴿طَاعَةٌ﴾، وهو رفع على الحكاية، وقيل: هو ابتداء محذوف الخبر، تقديره: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أَمْثَلُ أو أَحْسَنُ، أو أَمْرُنا طاعةٌ[(٢)]، والمعنى على هذا أن الله قال: لو أطاعوا، وقالوا قولًا معروفًا، كان أَمْثَلَ وأَحْسَنَ، ويجوز أن / يكون متصلًا بما قبله على معنى: فَأَوْلَى لَهُمْ طاعةٌ [١٦٨/ أ] للهِ ولِرَسُولِهِ وقَوْلٌ مَعْرُوفٌ بالإجابة[(٣)]؛ أي: لو أطاعوه كانت الطاعة والإجابة

---

(١) قاله المبرد والنحاس والنقاش، ينظر: الكامل للمبرد ٤/ ٥١، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٧٩، ٤٨٠، شفاء الصدور ورقة ٢٦/ أ، وقوله: «إذا كاد أن يَعْطَبَ» فيه إدخال «أنْ» في خبر «كادَ»، وهو قليل.

(٢) المؤلف هنا ذكر أن «طاعةٌ» مبتدأ محذوف الخبر، ثم فسر ذلك بقوله: «طاعةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ أَمْثَلُ»، ولكن قوله: «أو أَمْرُنا طاعةٌ» معناه أن «طاعةٌ» خبر ابتداء محذوف، وهذا هو الراجح، على عكس ما ذكره هو أوَّلًا من أنه مبتدأ محذوف الخبر، وهذان الوجهان صحيحان، وبهما قال سيبويه، حيث قال: «قال الله تعالى جَدُّهُ: «طاعةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ»، فهو مثله، فإما أن يكون أَضْمَرَ الاسمَ، وجَعَلَ هذا خَبَرَهُ، كأنه قال: أَمْرِي طاعةٌ وقولٌ معروفٌ، أو يكونَ أَضْمَرَ الخَبَرَ، فقال: طاعة وقول معروف أَمْثَلُ». الكتاب ١/ ١٤١، ومثله في الكتاب ٢/ ١٣٦، وينظر أيضًا: الكامل للمبرد ٢/ ٥٧، المقتضب ٤/ ١١، إعراب القرآن ٤/ ١٨٧، الخصائص ٢/ ٣٦٤.

(٣) يعني أن قوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمۡ﴾ متعلق به، واللام بمعنى الباء، والخبر ﴿طَاعَةٌ﴾، أي: أولى بهم طاعة دون غيرها. ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٥، الفريد للهمداني ٤/ ٣١٢، ٣١٣، المحرر الوجيز ٥/ ١١٧، البحر المحيط ٨/ ٨١.

أَوْلَى لهم، وهذا معنى قول ابن عباس[١] في رواية عطاء[٢]، واختيارُ الكسائي[٣].

قولـه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: جَـدَّ ولَـزِمَ فَـرْضُ القتالِ، وصـار الأَمْرُ مَعْزُومًا عليه، وذلك عند حقائق الأمور، وإن العزيمة للرجال، فَأَسْـنَدَ العزيمةَ إلى الأمر لأنه فيه، كما يقال: نامَ لَيْلُكَ؛ لأن النوم فيه[٤].

وجـواب «إذا» محذوف، يدل عليه قولـه: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [٥] يعني النَّبِيَّ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ من الشك، وتقديره: فإذا عَزَمَ الأَمْرُ نَكَلُوا، وكَذَبُوا فيما وَعَدُوا من أنفسـهم، ولو صَدَقُوا اللهَ في إيمانهم وجهادهم، لكان الصدق خَيْـرًا لهم مـن المعصية، وقيل: المعنى: فلو صدقـوا الله في القلب كما قالوا باللسان إذْ أُمِرُوا لكان خيرا لهم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ يقول: لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: أعرضتم عن الإسلام ومـا جاء به محمد عليه السّـلام ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: تعودوا إلى ما

---

(١) ينظر قول ابن عباس في الوسيط ٤/ ١٢٦، مجمع البيان ٩/ ١٧٢، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٤، وقـال الدانِي: «وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قـال: «فأَوْلَى» تمام الكلام، ثم قال: «لَهُمْ طاعةٌ»، أي: للذين آمنوا منهم طاعةٌ وقولٌ معروفٌ». المكتفى في الوقف والابتدا ص ٣٣٠.

(٢) هو عطاء بن أَبِي رباح، واسمه أَسْلَمُ القرشي بالولاء، أبو محمد المكي، تابعي ثقة فقيه كثير الحديث، نشـأ بمكة، وانتهت إليه وإلى مجاهد فتوى أهلها، توفِّي سـنة (١١٤هـ)، وقيل: (١١٥هـ). [تهذيب الكمال ٢٠/ ٧٠، الأعلام ٤/ ٢٣٥].

(٣) ينظر: اختياره في الوسيط ٤/ ١٢٦، مجمع البيان ٩/ ١٧٢.

(٤) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٦/ أ.

(٥) قالـه الزجاج في معانِي القـرآن وإعرابه ٥/ ١٣، وذهب أبو حيان إلى أن الجواب هو نفس قوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، فقال: «والظاهـر أن جواب «إذا» قَوْلُهُ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، كما تقـول: إذا كان الشـتاء فلو جئتني لَكَسَـوْتُكَ». البحر المحيـط ٨/ ٨١، وينظر أيضًا: الدر المصون ٦/ ١٥٥، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٥٤.

كنتم عليه في الجاهلية، فَتُفْسِدُوا ويقتل بعضكم بعضًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢﴾ وقرأ نافع: «عَسِيتُمْ» بكسر السين[١]، وقد مضى نظيرها في سورة البقرة[٢].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ۝٢٣﴾ عن الحق ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فيعرفون ما أَعَدَّ اللهُ لِلْمُتَمَسِّكِ بالإسلام ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾ فلا تَفْهَمُ مواعِظَ القرآن وأحكامَهُ، يقال: تَدَبَّرْتُ الأمْرَ أي: نَظَرْتُ فِي عاقبته، والتَّدَبُّرُ: هو قَيْسُ دُبُرِ الكلام بِقَلْبِهِ لِيُنْظَرَ: هل يَخْتَلِفُ؟ ثُمَّ جُعِلَ كُلُّ تَمْيِيزٍ تَدَبُّرًا[٣].

ومعنى الأقفال هاهنا: الطَّبْعُ على القلب، والأقفال استعارة لانغلاق القلب عن معرفة الإسلام والقرآن.

وفي إضافة الأقفال إلى القلوب تنبيه على أن المراد بها ما هو للقلوب بِمَنْزِلةِ الأقفال / للأبواب، إذْ ليست للقلوب أقفالٌ حقيقةً[٤]، ومعنى الاستفهام فِي قوله ﴿أَمۡ﴾ الإخبارُ أنها كذلك؛ لأن معنى «أمْ» هاهنا «بَلْ». [١٦٨/ ب]

(١) وهي قراءة الحسن وطلحة أيضًا، ينظر: التيسير ص ٨١، النشر ٢/ ٢٣٠، الإتحاف ٢/ ٤٧٧، قال الأزهري: «أما قراءة نافع: ﴿فَهَلۡ عَسِيتُمۡ﴾ بكسر السين فهي لغة، وليست بالكثيرة الشائعة، وأهل اللغة اتفقوا على «عَسَيْتُمْ» بفتح السين، والدليل على صحتها اجتماع القراء على قوله: «عَسَى رَبُّكُمْ»، لَمْ يقرأه أحد: «عَسِيَ رَبُّكُمْ». معانِي القراءات ٢/ ٣٨٨، وذكر مثله في ١/ ٢١٤، والكسر لغة أهل الحجاز كما ذكر الفارسي في الحجة ١/ ٤٥٤.

(٢) في الآية ٢٤٦، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ﴾، وهي في القسم المفقود من الكتاب.

(٣) من أول قوله: «يقال: تدبرت الأمر» قاله أبو بكر السجستانِيُّ في تفسير غريب القرآن ص١٤٣، ودُبُرُ الكلامِ: عاقِبَتُهُ وآخِرُ أَمْرِهِ. اللسان: دبر.

(٤) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ١٢٧، وقال الزمخشري: «وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد =

فصل

رُوِيَ عن خالد بن مَعْدانَ[١] أنه قال: «ما من الناس أحد إلّا وله أربع[٢] أعين: عينان في وجهه لِدُنْياهُ ومَعِيشَتِهِ، وعينان في قلبه لِدِينِهِ وما وَعَدَ اللهُ من الغيب، وما من أحد إلّا وله شيطان مُتَبَطِّنٌ فَقارَ ظَهْرِهِ[٣]، عاطِفٌ على عاتِقِهِ[٤]، فاغِرٌ فاهُ إلى ثمرة قلبه، فإذا أراد اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أبْصَرَتْ عيناه اللتان في قلبه ما وَعَدَ اللهُ من الغيب، فَعَمِلَ به، وإذا أراد اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا طَمَسَ عليهما، فذلك قوله تعالى: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[٥].

ورُوِيَ عن عُرْوةَ بن الزبير أن النبي ﷺ كان يُقْرِئُ شابًّا من أهل اليمن، فقرأ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾، فقال الشابُّ: عَلَيْها أَقْفالُها، حتى يُفَرِّجَها اللهُ، فقال النبي ﷺ: «صَدَقْتَ»[٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ قيل: هم المنافقون، وقيل:

= الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت، فلا تنفتح». الكشاف ٣/ ٥٣٦، وينظر أيضًا: اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٥٩.

(١) خالد بن مَعْدانَ بن أَبِي كَرِبٍ الكَلَاعِيّ، أبو عبد الله، تابعيٌّ ثقة من أهل اليمن، وإقامته بحمص، تولى شرطة يزيد بن معاوية، كان إذا أمر الناسَ بالغزو تَقَدَّمَهُمْ، توفِّي سنة (١٠٤هـ). [تهذيب الكمال ٨/ ١٦٧، الأعلام ٢/ ٢٩٩].

(٢) في الأصل: «أربعة».

(٣) تَبَطَّنَ ظَهْرَهُ: عَلَاهُ. اللسان: بطن.

(٤) في الطبري وغيره: «عاطف عنقه على عاتقه».

(٥) رواه الطبري في جامع البيان ٢٦/ ٧٥، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٦، زاد المسير ٧/ ٤٠٨، كنز العمال ٢/ ٤٢.

(٦) رواه الطبري في جامع البيان ٢٦/ ٧٥، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٧، الوسيط ٤/ ١٢٧، تفسير ابن كثير ٤/ ١٩٣، الدر المنثور ٦/ ٦٦.

هم كفار أهل الكتاب الذين ارتدوا عن الإيمان بمحمد ﷺ بعد المعرفة به، أي: ارْتَدُّوا على أعقابهم كفارًا ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ يعني أمْرَ النَّبِيِّ ﷺ، تبين لهم في التوراة أنه نَبِيٌّ رَسُولٌ، ثم قال: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾؛ أي: زَيَّنَ لهم تَرْكَ الهدى ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥﴾ هذه قراءة أكثر الأئمة، وقرأ أبو عمرو والأعرج وشيبة وعاصم الجحدري: ﴿وَأُمْلِيَ لَهُمْ﴾ على ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، وقرأ مجاهد وسلام[1] ويعقوب: ﴿وَأُمْلي لَهُمْ﴾ بإسكان الياء[2].

فالقراءة الأولى بمعنى: فَأَمْلَى اللهُ عزّ وجلّ لهم، والثانية تَؤُولُ إلى هذا المعنى، والثالثة بَيِّنَةٌ، أَخْبَرَ اللهُ تعالى أنه يُمْلِي لهم.

ومعنى ﴿أَمْلَى لَهُمْ﴾؛ أي: أَمْهَلَهُمْ ومَدَّ لهم في العُمُرِ؛ لِيَتَمادَوْا في طغيانهم، ولَمْ يُعاجِلْهُمْ بالعقوبة، كما قال: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾[3]، ويَحْسُنُ الوقفُ على قوله: ﴿سَوَّلَ لَهُمۡ﴾؛ لأنه فعل الشيطان، والإملاءُ فِعْلُ اللهِ، وعلى قول الحَسَنِ لا يَحْسُنُ[4]؛ لأنه يقول في تفسيره: «وَأَمْلَى لَهُمْ» مَدَّ لَهُم الشيطانُ في الأَمَلِ.

---

(١) هو سلام بن سليمان الطويل، أبو المنذر المُزَنِيُّ القارئ النحويُّ الكوفِيُّ، ثقة جليل، أخذ القراءة عن عاصم بن أَبِي النَّجُودِ وأَبِي عَمْرٍو البصري، توفِّي سنة (١٧١هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٠٩، تهذيب الكمال ١٢/ ٢٨٨-٢٩١].

(٢) قرأ بالبناء للمفعول أيضًا: عيسى بن عمر وابن سيرين وأبو جعفر وابن أَبِي إسحاق، وقرأ مجاهد وسلام ويعقوب والمُطَّوِّعِيُّ وابن هرمز والأعمش والجحدري: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ على فعل المتكلم. ينظر: السبعة ص ٦٠٠، ٦٠١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٢٥، المحتسب ٢/ ٢٧٢، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٤٩، البحر المحيط ٨/ ٨٣.

(٣) الأعراف الآية ١٨٣، والقلم الآية ٤٥، وينظر في معانِي هذه القراءات: معانِي القراءات ٢/ ٣٨٦، ٣٨٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٢٥، الحجة للفارسي ٣/ ٤٠٤-٤٠٦.

(٤) يعني الحسن البصري، فإنه يرى أن الضمير في «أَمْلَى» للشيطان، ينظر: الوسيط ٤/ ١٢٧، =

والإمْلاءُ مشتق من الْمَلاوةِ، وهي القِطْعةُ من الدهر، ومنه قولهم: مَلَّاكَ اللهُ نِعْمةً؛ أي: جَعَلَها مُقِيمةً مَعَكَ، وكذا قولهم: تَمَلَّيْتُ حَبِيبًا؛ أي: عِشْتُ معه حِينًا، والمَلَوانِ: الليلُ والنهارُ[1].

قولـه تعالـى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شَـكٌّ، يعنـي المنافقيـن ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ۝٢٩﴾؛ يعني: يظهر الله أحقادَهُمْ والغِشَّ الذي في قلوبهم على المؤمنين، واحدها ضِغْنٌ، فَيُبْدِيَها لهم حتى يعرفوا نِفاقَهُمْ، والضِّغْـنُ والضَّغِينةُ: الحِقْدُ، وهو ما يُضْمِرُهُ الإنسـانُ من مكروه[2]، يقال: في قلبه عليه ضِغْنٌ؛ أي: حِقْدٌ، واضْطَغَنْتُ عليكَ ما فَعَلْتَ؛ أي: حَقَدْتُ[3].

قولـه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾؛ يعني: عَلَّمْناكَهُـمْ، وعَرَّفْناكَهُمْ، ودَلَلْناكَ عليهم، تقول العربُ: سأريك ما أصنع؛ أي: سأعلمك، ومنه قوله تعالى: «بِما أراكَ اللهُ»[4]؛ أي: بِما أعْلَمَكَ ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ يعني: بِعَلَاماتِهِم الخبيثةِ،

= المحرر الوجيز ٥/ ١١٩، القرطبي ١٦/ ٢٤٩، البحر المحيط ٨/ ٨٣. وقال ابن الأنباري: «فمن فَتَحَ الألِفَ لَمْ يُتِمَّ الوُقُوفَ على «سَـوَّلَ لَهُمْ»؛ لأن «أمْلَى لَهُمْ» نَسَـقٌ عليه، ومَنْ ضَمَّ الألِفَ وَقَفَ على «سَـوَّلَ لَهُمْ»». إيضاح الوقـف والابتداء ص ٨٩٨، وينظر: المكتفى في الوقف والابتدا للداني ص ٣٣٠-٣٣١.

(١) قاله أبو عبيدة في مَجازِ القرآن ١/ ١٠٨، ١٠٩، ٢٣٤-٣٣٣، وينظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٤٠٥، الصحاح ٦/ ٢٤٩٦.

(٢) حـكاه المبرد عـن النحاس في إعـراب القـرآن ٤/ ١٩٠، وقاله الجوهـري في الصحاح ٦/ ٢١٥٤.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٧/ أ.

(٤) النسـاء ١٠٥، قال الفراء: «وقوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لأرَيْناكَهُمْ﴾ يريد: لَعَرَّفْناكَهُمْ، تقول للرجل: قـد أرَيْتُكَ كـذا وكذا، ومعناه: عَرَّفْتُكَـهُ وعَلَّمْتُكَهُ، ومثله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِـي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾. معانِي القرآن ٣/ ٦٣.

والسِّـيما مقصور، وهــي العلامــة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾؛ أي: فَحْواهُ ومَقْصِـدِهِ ومَغْزاهُ، يقال: لَحَنْتُ لَهُ أَلْحَنُ: إذا قلتَ له قولًا يفهمه عنك، ويَخْفَى على غيرك[1]، قال الشاعر:

٢٥٦ـ وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْما تَفْهَمُوا وَوَحَيْـتُ وَحْيًـا لَيْـسَ بِالمُرْتابِ[2]

ويقال: لَحَنَ يَلْحَــنُ لَحَنًا: إذا كان جَيِّدَ الحُجّةِ والمَنْطِقِ، ولَحَنَ القارئُ فيما قَرَأ: إذا تَرَكَ الإعرابَ الصوابَ وعَدَلَ عنه.

ولِلَّحْنِ وجهان: صَــوابٌ وخَطَأٌ، فأما الصواب فالفعل منه: لَحَنَ يَلْحَنُ لَحَنًا ـ بفتح الحاء ـ، فهو لَحِنٌ: إذا فَطِنَ للشــيءِ، ومنه قول النبي ﷺ: «فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ»[3]؛ أي: أَفْطَنُ/ وأَقْوَمُ بِها، وأما الخطأ فالفعل [١٦٩/ ب] منه: لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْنًا ـ بإسـكان الحاء ـ، فهو لاَحِنٌ، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، قال الشاعر:

---

(١) قاله أبو زيد فيما حكاه الأزهري عنه في تهذيب اللغة ٥/ ٦١، وينظر: الصحاح ٦/ ٢١٩٤، الوسيط ٤/ ١٢٨، ١٢٩، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) البيت من الكامل، للقَتّالِ الكِلَابِيِّ، ورواية ديوانه: «وَلَحَنْتُ لَحْنًا لَيسَ... »، ويُرْوَى: «وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ».

التخريج: ديوانه ص ٥٠٠ ضمن (أشـعار اللصـوص)، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٤٠، الزاهر ١/ ٣٠٦، أماليُّ القالِي ١/ ٤، أماليُّ المرتضى ١/ ١٤، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٥٣، اللسـان: لحن، البحر المحيط ٨/ ٧٣، الدر المصـون ٦/ ١٥٧، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٦٦، شرح شواهد الشافية ص١٨٠-١٨١، تاج العروس: لحن.

(٣) هــذا جزء من حديـث رواه الإمام أحمد عن أبِي هريرة وأم سـلمة في المسـند ٢/ ٣٣٢، ٦/ ٢٠٣، ٣٢٠، ورواه البخـاري عـن أم سـلمة وابن عمر في صحيحـه ٣/ ١٦٢ كتاب الشـهادات: باب «كيف يسـتحلف»، ٨/ ٦٢ كتاب الحِيَلِ، ٨/ ١١٢ كتاب الأحكام: باب موعظة الإمام للخصوم.

٢٥٧ ـ وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمّا يَنْعَتُ النّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنا
مَنْطِقٌ صائِبٌ وَتَلْحَنُ أحْيا نًا، وَخَيْرُ الكَلامِ ما كانَ لَحْنا[1]

يعني: أنه يُزِيلُ كلامَهُ عن جِهَتِهِ.

واللَّحْنُ أيضًا: اللُّغةُ ومنه قول عمر رضي الله عنه: «أُبَيٌّ أقْرَؤُنا، وَإنّا لَنَرْغَبُ كَثِيرًا عَنْ لَحْنِهِ؛ أيْ: لُغَتِهِ، وَكانَ يَقْرَأُ: ﴿التّابُوهُ﴾»[2]، قال الشاعر:

٢٥٨ ـ وَقَوْمٍ لَهُمْ لَحْنٌ سِوَى لَحْنِ قَوْمِنا وَشَكْلٍ ـ وَبَيْتِ اللهِ ـ لَسْنا نُشاكِلُهْ[3]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ

---

(١) البيتان من الخفيف، لِمالِكِ بن أسماء بن خارجة الفَزارِيِّ.
التخريج: شعر مالك بن أسماء الفزاري ص ٢٧٥، البيان والتبيين ١/ ١٤٧، ٢٢٨، عيون الأخبار ٢/ ١٦٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٥، الأضداد لابن الأنباري ص٢٤١، الزاهر ١/ ٣٠٥، أمالِيُّ القالِي ١/ ٥، تهذيب اللغة ٥/ ٦١، الكشف والبيان ٩/ ٣٨، العمدة ١/ ٣٠٨، فصل المقال ص٥، أساس البلاغة: لحن، شمس العلوم ٩/ ٦٠٢١، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٥٢-٢٥٣، التذكرة الحمدونية ٧/ ٢٧١، اللسان: لحن، البحر المحيط ٨/ ٧٣، الدر المصون ٦/ ١٥٧، شرح شواهد الشافية ص١٧٩، التاج: لحن.

(٢) البقرة ٢٤٨، وطه ٣٩، وقراءة أُبَيٍّ هذه هي قراءة الأنصار، وبها قرأ زيد بن ثابت، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٢٢، المحتسب ١/ ١٢٩-١٣٠.
وحديث عُمَرَ رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس عن ابن عمر في المسند ٥/ ١١٣، والبخاري في صحيحه ٦/ ١٠٣ كتاب فضائل القرآن: باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، وينظر في معانِي هذه المادة أيضًا: غريب الحديث للهروي ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٤٠، ٢٤١، التهذيب ٥/ ٦١، ٦٢ الصحاح ٦/ ٢١٩٣، ٢١٩٤، أساس البلاغة: لحن، شمس العلوم ٩/ ٦٠٢١، اللسان: لحن، التاج: لحن.

(٣) البيت من الطويل، لامرأة كلبية.
التخريج: المجموع شرح المهذب للنووي ٢٠/ ٢٨٤، اللسان: لحن، تاج العروس: لحن.

لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ دخلت الفاء فِي خَبَرِ «إنّ»؛ لأن اسمها ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصلته فِعْلٌ، فَأشْبَهَ المُجازاةَ، فدخلت فيه الفاء، ولو قلت: إنّ زَيْدًا فَمُنْطَلِقٌ، لَمْ يَجُزْ[١].

قولـه: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾؛ أي: فـلا تَضْعُفُوا، يعني المسـلمين، مأخوذ من: وَهَـنَ يَهِنُ: إذا ضَعُـفَ، والأصل: تَوْهِنُوا، حُذِفَت الـواوُ إتْباعًا[٢] ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ عطـف عليه، ويَجُوزُ أن يكون جَوابًا[٣]، والمعنى: لا تَبْدَؤوهُمْ بالدعاء إلى السـلام، يعنِي: فلا تَضْعُفُوا إلَى الصلح والمُوادَعةِ، وقرأ حَمْزةُ وأبو بكر: «السِّلْمِ» بكسر السين، البـاقون بالفتح[٤]، والسِّلْمُ والسَّلْمُ والمُسالَمةُ واحد[٥]،

---

(١) قاله النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ١٩٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٨، وينظر ما تقدم في الآية ١٣ من سورة الأحقاف ٣/ ٤٨.

(٢) يعني بالإتباع أن الواو حذفت من «تَهِنُوا۟» إتْباعًا لحذفها من يَهِنُ، وحملًا عليه؛ لأن الأصل فيه: يَوْهِنُ، فحُذِفَت الياء لوقوعها بين ياء وكسـرة، ثُمَّ حُمِلَ أَهِنُ وتَهِنُ ونَهِنُ عليه، وإن لَمْ يكن قبل الواو فيها ياءٌ إتْباعًا لِما فيه ياء؛ لِئَلّا يختـلف الفعل، ينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٩، شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٣/ ٨٨.

(٣) يعني أنه إما أن يكون معطوفًا على «تَهِنُوا»، فيكون مجزومًا؛ لأنه داخل في النهي، والمعنى: لاَ تَهِنُوا ولاَ تَدْعُوا، وإما أن يكون منصوبًا بـ«أَنْ» مضمرة وجوبًا بعد الواو الواقعة في جواب النهي كقول الشاعر:

لاَ تَنْـهَ عَنْ خُلُـقٍ وَتَأْتِـيَ مِثْلَهُ

والوجهان قالهما النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٩٢، وينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٣١٧.

(٤) قرأ حمزةُ، وأبو بكر عن عاصمٍ، وأبو رجاء وخلفٌ والحسـنُ والأعمش وعيسـى بن عمر وطلحة بكسـر السـين، وقرأ الباقون، وحفصٌ عن عاصم بفتحها، ينظر: السبعة ص ٦٠١، البحر المحيط ٨/ ٨٤، النشر ٢/ ٢٢٧، الإتحاف ٢/ ٤٧٩.

(٥) قالـه أبو عبيدة وأبو حاتـم والمبرد، ينظر: مجاز القـرآن ١/ ٣٥٩، المذكر والمؤنث لأبي حاتم ص ١٣٥، وقول المبرد في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٩٢، وقد أنكر المبرد التفريق بين السِّلْمِ والسَّلْمِ، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٨/ ب، الصحاح ٥/ ١٩٥١.

وهو الصُّلْحُ بمعنى المسالمة وتَرْكِ الحَرْبِ، وقال يونس بن حبيب[١]: السِّلْمُ ـ مكسورةً ـ: الإسلامُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾[٢]، والصُّلْحُ سَلْمٌ وسَلاَمٌ.

﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾؛ أي: الغالبون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر يا معشر المؤمنين على عدوكم ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾؛ أي: لن يظلمكم، وقيل: لن يَنْقُصَكُمْ ثَوابَ أعمالكم، يقال: وَتَرَهُ يَتِرُهُ وَتْرًا ووِتْرًا وتِرة: إذا نَقَصَهُ حَقَّهُ، ويقال: وَتَرْتُ الرَّجُلَ: إذا قَتَلْتَ له قتيلًا، أو أخَذْتَ له مالاً بغير حَقٍّ[٣].

والأصل فيه: يَوْتِرَكُمْ، فحُذِفَت الواو لأنها بين ياء وكسرة / [١٧٠/ أ]، وحُذِفَ حرف الجر ليتعدى الفعل إلى مفعولين، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾[٤]، والتقدير عند الأخفش: وَلَنْ يَتِرَكُمْ في أعْمالِكُمْ[٥]، وهو مشتق من الوَتْرِ، وهو الفرد[٦].

---

(١) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٢٨/ ب.

(٢) البقرة ٢٠٨.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٦٤، وهذا هو القول الأول في اشتقاق الفعل «وَتَرَ»، وهو النَّقْصُ، وهو ما سيذكره المؤلف بعد قليل، قال أبو عبيد: «قال الكسائي: هو من الوَتْرِ، وذلك أن يَجْنِيَ الرَّجُلُ على الرَّجُلِ جِنايةً، يَقْتُلُ له قَتِيلاً، أو يَذْهَبُ بمالِهِ وأهْلِهِ، فيقال: قد وَتَرَ فُلاَنٌ فُلانًا أهْلَهُ ومالَهُ». غريب الحديث ١/ ٣٠٧، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ١٩٢، غريب القرآن للسجستاني ص ١٤٣، الفريد للهمداني ٤/ ٣١٧.

(٤) الأعراف ١٥٥.

(٥) قال الأخفش: «وقال: ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ أي: في أعمالكم، كما تقول: دَخَلْتُ البيتَ، وأنت تريد: في البيت». معاني القرآن ص ٤٨٠.

(٦) هذا هو القول الثاني في اشتقاق الفعل «وَتَرَ»، فقد قال أبو عبيد بعد أن ذكر قول الكسائي: «وقال غيره: «وُتِرَ أهْلَهُ» يقول: نُقِصَ أهْلَهُ ومالَهُ وبَقِيَ فَرْدًا، وذهب إلى قوله: ﴿وَلَن =

فصل

عن عُمَرَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فاتَتْهُ صلاةُ العَصْرِ فكَأنّما وُتِرَ أهْلَهُ ومالَهُ»[1]؛ أيْ: نُقِصَ وَسُلِبَ، وَقِيلَ: قُطِعَ، وقال عليه السّلام: «مَنْ تَرَكَ صَلاةَ العَصْرِ حَبطَ عَمَلُهُ»[2]، فالذي تفوته صلاة العصر لِما فاتَهُ من الأجر والثواب بِمَنْزِلةِ مَنْ أُخِذَ أهْلُهُ ومالُهُ وبَقِيَ منفردًا، وخُصَّتْ صلاةُ العصر بهذا فِي قول بعض العلماء لأنها الصلاة الوسطى، وقيل[3]: خُصَّتْ بهذا لأنها فِي وقت أشغالهم ومعايشهم، والله أعلم.

ثم حَضَّ على طلب الآخرة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل وغرور تَفْنَى وتزول عن قريب ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ تصدقوا بمحمد ﷺ ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الفواحش والكبائر ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ يعني: جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦﴾ كُلَّها فِي الصَّدَقةِ ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾؛ أي: يُجْهِدْكُم بِمَسْألةِ جَمِيعِها، فَتَبْخَلُوا بها

= ﴿يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يقول: لن يَنْقُصَكُمْ... قال أبو عبيد: وأحد القولين قريب من الآخر». غريب الحديث ١/ ٣٠٧، وقال النحاس: «والاشتقاق الآخر: أن يكون من الوِتْرِ وهو الفرد، كأنه بِمَنْزِلةِ مَنْ قد بَقِيَ منفردًا». إعراب القرآن ٤/ ١٩٢، ١٩٣، وينظر: الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ٣١٧.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٤٥، والدارمي في سننه ١/ ٢٨٠ كتاب الصلاة: باب في الذي تفوته صلاة العصر، والنسائي في سننه ١/ ٢٣٨ كتاب الصلاة: باب صلاة العصر في السفر، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٨/ ٣٣١، والمعجم الكبير ١٢/ ٢١٥.

(٢) رواه الإمام أحمد عن بُرَيْدَةَ الأسْلَمِيِّ في المسند ٥/ ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، والبخاري في صحيحه ١/ ١٣٨، ١٤٧ كتاب مواقيت الصلاة: باب من ترك العصر، وباب التبكير بالصلاة في يومٍ ذي غَيْمٍ.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٩٣.

فلا تعطوها، وهو عطف على ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾، يقال: أَحْفَى فلانٌ فُلانًا: إذا أَجْهَدَهُ وأَلْحَفَ عليه فِي المسألة، والإِلْحافُ: أن تأخذ كل شيء بيدك[١].

قوله: ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ۝٣٧﴾ عطف على جواب الشرط، والمعنى: يظهر بغضكم وعداوتكم للهِ ورسولِهِ، ولكنه فَرَضَ عليكم يَسِيرًا رُبُعَ العُشْرِ في أموالكم، قال قتادة[٢]: عَلِمَ اللهُ أن في مسألة الأموال خُرُوجَ الأضغان.

قوله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: ما فرض عليهم في أموالهم؛ أي: مما يؤمرون بإخراج ذلك وإنفاقه في طاعة الله ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بما فرض عليه من الزكاة ﴿مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ قال مقاتل: إنما يَبْخَلُ بالخير والفضل في الآخرة عن نفسه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عما عندكم من الأموال ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليه وإلى ما عنده من الخير والرحمة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ يعني: عن الإسلام وعما افترضت عليكم ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يعني: أَمْثَلَ وأَطْوَعَ منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ۝٣٨﴾ بل يكونوا خَيْرًا منكم وأَطْوَعَ، وكل هذه الآيات شرط ومجازاة.

فصل

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: إن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله: مَنْ هؤلاء الذين ذَكَرَ اللهُ في القرآن إنْ تَوَلَّيْنا اسْتُبْدِلُوا، ثُمَّ لا يكونوا أَمْثالَنا؟ قال: وكان سَلْمانُ الفارسيُّ إلى جَنْبِ رسول الله ﷺ فَضَرَبَ

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٩/ أ، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص١٤٣، الوسيط ٤/ ١٣٠.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٣٩، الوسيط ٤/ ١٣٠، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٥٧.

رسولُ الله ﷺ يَدَهُ على فَخِذِ سَلْمانَ وقال: «هذا وَقَوْمُهُ، والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان مَنُوطًا بالثُّرَيّا لتناوله رجالٌ من أهل فارِسَ»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٦٠ أبواب تفسير القرآن: سورة محمد ﷺ، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٨/ ٣٤٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٥٨ كتاب التفسير: تفسير سورة محمد ﷺ، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٩، الوسيط ٤/ ١٣١.

سورة الفتح

مدنية

وهي ألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفًا، وخَمسمائة وستون كلمة، وتسع وعشرون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بنِ كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفتح فكأنما كان مع مَنْ شَهِدَ مع محمد ﷺ فَتْحَ مَكّةَ»(١)، وعنه أيضًا أنه قال: «من قرأها فكأنما بايَعَ النَّبِيَّ ﷺ تحت الشجرة»(٢).

وعن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فقال عليه السّلام: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ البارحةَ سورةٌ هِيَ أَحَبُّ إلَيَّ من الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾»(٣).

---

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ١٣٢، الكشاف ٣/ ٥٥١، تفسير البيضاوي ٥/ ١٥٤، مجمع البيان ٩/ ١٨١.

(٢) ينظر: مجمع البيان ٩/ ١٨١، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ ب، بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٣٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣١، والبخاري في صحيحه ٥/ ٦٧ كتاب المغازي: باب غزوة الحديبية، ٦/ ٤٤ كتاب تفسير القرآن: سورة الفتح، ٦/ ١٠٥ كتاب فضائل القرآن: باب فضل سورة الفتح.

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الفتح أمِنَ من كل داء في الدنيا ومن خوف الآخرة»(١).

وعن يزيد بن هارون(٢) قال: سمعت المسعوديَّ(٣) يَذْكُرُ فقال: بلغني أنه من قرأ في أول ليلة من شهر رمضان: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ في التطوع حُفِظَ ذلك العامَ(٤).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾؛ أي: يَسَّرْنا لك يا محمد يُسْرًا، وقيل: قَضَيْنا لك قَضاءً بَيِّنًا/ [١٧١/ أ]، والفتح هاهنا قيل: هو فتح مكة، وقيل: خَيْبَرُ، وقيل: هو صُلْحُ الحُدَيْبِيةِ، وهو الصحيح، كان فتحا بغير قتال(٥)، ومعنى الفتح

---

(١) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٢) يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السُّلَمِيُّ بالولاء، أبو خالد الواسطي، حافظ ثقة، أصله من بخارى، وتُوُفِّيَ بِواسِطٍ سنة (٢٠٦هـ)، قال المأمون: «لولا مكان يزيد بن هارون لأظْهَرْتُ أن القرآن مخلوق». [تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦١، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٥٨-٣٧١، الأعلام ٨/ ١٩٠].

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود المسعودي الهُذَلِيُّ، رَوَى عن الأعمش وحُمَيْدٍ الطويلِ وزيد بن أسلم، روى عنه وكيع ويزيد بن هارون، كان ثقة صدوقًا إلا أنه اختلط في آخر عمره اختلاطًا شديدًا، توفِّي سنة (١٦٠هـ). [تهذيب الكمال ١٧/ ٢١٩: ٢٢٧، سير أعلام النبلاء ٧/ ٩٣-٩٥].

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٤٠، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٠، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٥١٩، الدر المنثور ٦/ ٧٠.

(٥) ينظر: الوسيط ٤/ ١٣٣، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦١، زاد المسير ٧/ ٤١٨، ٤٢٣.

في اللغة فَتْحُ المُنْغَلِقِ، والأصل في «إنّا» إنّنا، فحُذفت النون لاجتماع النونات وللألف[1].

قولـه: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾؛ أي: مـا كان عليـك مـن إثـم الجاهلية ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مما يكون، واللام في قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ لامُ القَسَمِ، لَمّا حُذِفَت النونُ من فعله كُسِـرَتِ اللامُ، ونُصِبَ فِعْلُها تشبيها بلام «كَيْ»[2]،

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٩٥.

(٢) هـذا قول أبِي حاتم السجسـتانِيِّ، قال ابن الأنباري: «وقال السجسـتاني: هي لام القسـم». إيضـاح الوقـف والابتـداء ص ٩٠٠، وأورد ابن الأنبـاري قوله تعالـى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [التوبـة ١٢١]، ثـم قال: «وقال السجسـتانِيُّ: اللام فـي «لِيَجْزِيَهُـم» لام اليمين، كأنه قال: لَيَجْزِيَنَّهُمُ اللهُ، فحذفوا النون، وكسـروا اللام، وكانت مفتوحةً، فأشبهت في اللفظ لام «كَيْ»، فنصبوا بها كما نصبوا بلام «كَيْ»... واحتج بأن العرب تقـول في التعجب: أَظْـرِفْ بِزَيْدٍ، فيجزمونه لِشَـبَهِهِ لَفْظَ الأمرِ». إيضـاح الوقف ص ٧٠٠، وذكـر ابن الأنباري مثـل ذلك عن أبي حاتم في مواضع أخرى مـن إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٦٧، ٧٩٩، ٨٣٤.

ورَدَّ ابـن الأنبـاري على كلام أبِي حاتم، فقال: «وهذا غلط؛ لأن لامَ القَسَـمِ لا تُكْسَـرُ، ولا يُنْصَبُ بها، ولو جاز أن يكون معنى «لِيَجْزِيَهُم»: لَيَجْزِيَنَّهُمْ لقلنا: واللهِ لِيَقُمْ زَيْدٌ، بتأويل: واللهِ لَيَقُومَنَّ، وهذا معدوم فِي كلام العرب». إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٠٠.

وأمـا قياس أبِي حاتم لاَمَ القَسَـمِ علـى التعجب فقد رَدَّه ابن الأنبـاري بقوله: «وليس هذا بِمَنْزِلةِ ذاك؛ لأن التعجب عُدِلَ إلى لفظ الأمر، ولام اليمين لَمْ توجد مكسورةً قَطُّ في حال ظهور اليمين، ولا في حال إضمارها». إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٠١.

وينظـر قول أبِي حاتم أيضًا في معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤٩٥، تهذيب اللغة ١٥/ ٤٠٨، الكشف والبيان ٩/ ٤٢، عين المعانِي ورقة ١٢٣/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٢. وقول أبِي حاتم حكاه النقاش عن بعض البصريين، واختاره، فقال: «وليس المعنى: فتحنا مكة كي يغفر الله لك، ولَمْ يكن الفتح سببًا للمغفرة»، ينظر: شفاء الصدور ورقة ٣١/ ب.

معنـاه: إنا فتحنا فتحًا مبينًا، لكي يُجْمَعَ لك مع المغفرة تَمامُ النعمة في الفتح، فلما انضم إلى المغفرة شـيءٌ حادثٌ واقعٌ حَسُنَ معنى «كَيْ»، هكذا ذكره ابن الأنباري عن أَبِي عَبّاسٍ المُبَرِّدِ(١).

قوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ يعني: بالإسـلام والنبوة والحكمة ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾؛ أي: إلى صراط مسـتقيم، ثم حُذِفَـتْ «إلَى»، وانتصب الصراط؛ لأنه مفعول به في المعنى(٢).

ومعنـى الآية: ليجتمع لك مع الفتح تَمـامُ النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم، وهو الإسلام ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ على عدوك ﴿نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ ذا عِزٍّ لا يقع معه ذُلٌّ.

فصل

عـن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسـول الله ﷺ يقوم - يعنِي: فِي الصلاة - حتى تَرِمَ قَدَماهُ، فقيل له: يا رسول الله: أتصنع هذا وقد جاءك من الله

---

(١) هذا الكلام قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٠٠، ولَمْ يَحْكِهِ عن المبرد، وأمـا حكاية ابن الأنباري عـن المبرد فقد أوردها الواحدي في الوسـيط ٤/ ١٣٣-١٣٤، ولكـن الأزهـري حكاه عن ابن الأنباري عـن ثعلب، لا عن المبرد، وينظـر: تهذيب اللغة ١٥/ ٤٠٩، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٢٣، ولَمْ أقف على أنه للمبرد.

(٢) قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١٠. وهذه لغة أهل الحجاز، قال الأخفش: «وأهل الحجـاز يقولون: هَدَيْتُهُ الطريـقَ؛ أي: عَرَّفْتُهُ، وكذلك: هديتـه البَيْتَ في لغتهم، وغيرهم يُلْحِقُ فيه «إلَى»». معانِي القرآن ص ١٦.

وقـال أبو عبيدة: «ومن مجـاز ما جاء على ثلاثة ألفاظ، فَأُعْمِلَـتْ فيه أداتان في موضعين، وتُرِكَتـا منه فِي موضع: قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، و«إلى الصراط» و«للصراط»». مجاز القرآن ١/ ١٥.

عــزّ وجلّ أنْ قَدْ غَفَرَ لك مــا تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يعني النبي ﷺ ﴿شَٰهِدٗا﴾ يريد: على هذه الأمة بالرسالة ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ لهم بالنصر في الدنيا، والجنةِ في الآخرة ﴿وَنَذِيرٗا ٨﴾ تُخَوِّفُ النارَ، وقيل: مبشرًا بالجنة للمطيعين ونذيرًا بالنار للعاصين، والنذير من الله: المُعْلِـمُ المُخْبِـرُ، وهي[٢] منصوبة على الحال من الكاف في «أرْسَـلْناكَ»، والعامل فيها «أرْسَلَ» كما أنه هو العامل في صاحب/ الحال[٣].

قولــه: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنــي: لتصدقوا بــالله أنه واحد لا شــريك له ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾؛ أي: تُعَظِّمُــوهُ وتَنْصُرُوهُ وتُعاوِنُوهُ على أمْرِهِ كُلِّهِ، والتعزير: النُّصْرةُ بالسـيف واللســانِ[٤] ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعني: تُعَظِّمُوا النَّبيَّ ﷺ وتُبَجِّلُوهُ، وهاهنا وقف تام، ثم قال فِي التقديم: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعني:

---

(١) رواه الإمام أحمد في المســند ٤/ ٢٥١، ٢٥٥، ٦/ ١١٥، والبخاري في صحيحه ٢/ ٤٤ كتاب الكســوف: باب التهجد بالليل، ٦/ ٤٤ كتاب تفسير القرآن: سورة الفتح، ٧/ ١٨٣ كتاب الرقاق: باب الصبر عن محارم الله، ومسلم في صحيحه ٨/ ١٤١، ١٤٢ كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب إكثار الأعمال.

(٢) يعني «شاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» ثلاثتها.

(٣) وهي أحوال مُقَدَّرةٌ؛ أي: مُسْــتَقْبَلَةٌ، قال الزجاج: «فقوله: «شــاهِدًا» حال مُقَدَّرةٌ؛ أي: يكون يوم القيامة، والبشارة والإنذار حالٌ يكون النبي ﷺ مُلابسًا لها في الدنيا لِمَنْ شاهَدَهُ فيها من أمته، وحالٌ مقدرةٌ لمن يأتِي بعده من أمته إلى يوم القيامة مِمَّنْ لَمْ يشــاهده». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢١، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١٠، البيان للأنباري ٢/ ٣٧٧.

(٤) هــذا القول حكاه أبو عمر الزاهد عن ثعلب في ياقوتة الصراط ص ٤٧١، وحكاه الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابي في تهذيب اللغة ٢/ ١٣٠.

تسبحوا اللهَ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾[١] يريد: تُصَلُّونَ لِله بالغَداةِ والعَشِيِّ، وهما منصوبان على الظرف والحال[٢].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو أرْبَعَتَها بالياء[٣]، واختاره أبو عبيد، قال[٤]: لِذِكْرِ اللهِ تعالى المؤمنين قبله وبعده، فأما قبله فقوله: ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأما بعده فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾، وقرأها الآخرون بالتاء، واختاره أبو حاتم على خطاب الحاضرين[٥]، معناه: قُلْ لهم يا محمد، وقرأ محمد بن السَّمَيْفَعِ: ﴿وَتُعَزِّزُوهُ﴾ بالزّايَيْنِ[٦]، غيره بالزاي والراء.

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٣٢/ ب، وقال ابن الأنباري: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ معناه: وَتُعَزِّرُوا النَّبِيَّ ﷺ وتُوَقِّرُوهُ، فالوقف عليه غير تام؛ لأن قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ نسق عليه، والتسبيح لا يكون إلا لله تعالى». إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٠٠-٩٠١.
وقال الداني: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ كافٍ، وهو للنبي ﷺ، وما بعده للهِ تعالى، إذ التسبيح لا يكون إلا للهِ تعالى». المكتفى ص ٣٣٢، وينظر: الوسيط ٤/ ١٣٦، عين المعاني ورقة ١٢٤/ أ.

(٢) ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ منصوبان على الظرف، لا على الحال كما قال المؤلف، وهذا من باب التجوز في التعبير عنده.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن واليزيدي والحسن وأبو جعفر وأبو حَيْوةَ: ﴿لِّيُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ﴾ بالياء فيها جميعًا، ورَوَى عُبَيْدٌ عن هارون عن أبي عمرو بالتاء فيها، وقرأها الباقون بالتاء. ينظر: السبعة ص ٦٠٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٦، البحر المحيط ٨/ ٩٢، الإتحاف ٢/ ٤٨١.

(٤) اختيار أبِي عبيد وقوله في كتابه غريب الحديث ٤/ ٢٣، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٩/ ٤٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٦.

(٥) ينظر اختيار أبِي حاتم في الكشف والبيان ٩/ ٤٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٦.

(٦) هذه قراءة ابن عباس واليَمانِيِّ، ولَمْ أقف على أنها قراءة لابن السميفع، ينظر: المحتسب ٢/ ٢٧٥، البحر المحيط ٨/ ٩٢.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ يعني أعْرابَ غِفار وجُهَيْنَةَ وأشْجَعَ وأسْلَمَ ومُزَيْنَةَ ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعني بني حنيفة أتباع مُسَيْلِمةَ الكَذّابِ، وهو قول أكثر المفسرين، وقيل: أراد به فارس والروم ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ قرأه العامة بالنون في محل الرفع [عطفًا] على قوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾[1]، وفِي حرف أُبَيٍّ: «أوْ يُسْلِمُوا»[2] يعني: حَتَّى يُسْلِمُوا[3] كقول امرئ القيس:

٢٥٩ ـ...... أوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرا[4]

---

(١) هذا أحد قولين لسيبويه في هذه الآية، والآخر: أن يكون مرفوعًا على الاستئناف، على تقدير: أوْ هُمْ يُسْلِمُونَ، ينظر: الكتاب ٣/ ٤٧، وينظر أيضًا: الأصول لابن السراج ٢/ ١٥٥، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١٠.

(٢) هذه قراءة أُبَيٍّ وابن مسعود وزيد بن عَلِيٍّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٤٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٧٣، البحر المحيط ٨/ ٩٤.

(٣) هذا موافق لقول الكوفيين، فهم يُقَدِّرُونَ «أوْ» هنا بـ«حَتَّى»، وأما سيبويه والبصريون فإنهم يقدرونها بـ«إلّا أنْ»، أي: إلّا أنْ يُسْلِمُوا، وأجاز المبرد والزجاج كِلا الوجهين، ينظر: الكتاب ٣/ ٤٧، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٦٦، المقتضب ٢/ ٢٧، ٢٨، ٣/ ٣٠٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤، إعراب القرآن ٤/ ٢٠٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١١.

(٤) هذه قطعة من بيت من الطويل، وهو بتمامه:

فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّما ... نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَموتَ فَنُعذَرا

اللغة: الضمير في «لَهُ» يعود لصاحبه الذي ذكره في البيت السابق، وصاحبه هذا هو عمرو ابن قميئة.

التخريج: ديوانه ص ٦٦، الكتاب ٣/ ٤٧، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٧١، المقتضب ٢/ ٢٧، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافِيِّ ٢/ ٥٩، الخصائص ١/ ٢٦٣، الصاحبي ١٧١، الأزهية ص ١٢٢، الحلل ص ٢٦٠، أمالِيُّ ابن الشجري ٣/ ٧٨، شرح المفصل ٧/ ٢٢، ٣٣، أمالِيُّ ابن الحاجب ص ٣١٣، شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ٢٦، شرح الكافية للرضي ٤/ ٧٣، البحر المحيط ٨/ ٩٤، رصف المبانِي ص ١٣٣، اللسان: أوا، الجنى الدانِي ص ٢٣١، الخزانة ٤/ ٤١٢، ٨/ ٥٤٤، ٥٤٧.

قوله: ﴿قُلْ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ شرط وجزاء، وقيل: معناه: فإن تطيعوا أبا بكر وعُمَرَ يُؤْتِكُم الله أجرًا حسنًا، يعني الجنة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ تُعْرِضُوا عن طاعتهما ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ أعرضتم عن طاعة محمد ﷺ ﴿مِّن قَبْلُ﴾ يعني عام الحُدَيْبِيةِ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ وهو النار، وهذه الآية تدل على خلافة الشيخين أبي بكر وعُمَرَ -رضي الله عنهما-؛ لأن الله تعالى وَعَدَ على طاعتهما الجنةَ، وعلى مخالفتهما النارَ[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ يعني غنيمة خَيْبَرَ ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾؛ أي:/ [١٧٢/ أ] كَفَّ أيْدِيَ الكفار عنكم بإلقاء الرعب في قلوبهم ﴿وَلِتَكُونَ﴾ يعني الغنيمة ﴿آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدق محمد ﷺ، حيث وعدهم أن يصيبوها ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: إلى صراط مستقيم، وقد تقدم نظيرها[(٢)].

ثم قال: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ محل «أُخْرَى» نصب بالعطف على قوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾، وتقديره: ووعدكم مغانمَ أخرى[(٣)]، يريد: مدائن فارس والروم، وقيل[(٤)]: محل «أُخْرَى» رفع بإضمار حرف الصفة،

---

(١) قاله مقاتل ورافع بن خديج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٥٠٤، الوسيط ٤/ ١٣٨، زاد المسير ٧/ ٤٣١، ٤٣٢، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٧٢.

(٢) في الآية الثانية من هذه السورة ٣/ ٩٦.

(٣) هذا قول الزجاج والنحاس ومكي بن أبِي طالب، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦، إعراب القرآن ٤/ ٢٠١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١١.

وذهب الزمخشري إلى أن «مَغانِمَ» معطوف على «هَذِهِ» في قوله: «فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ»؛ أي: فَعَجَّلَ لكم هذه المغانمَ ومغانمَ أخري، ينظر: الكشاف ٣/ ٥٤٧.

(٤) يعني أن ﴿أُخْرَى﴾ فاعل بالجار والمجرور، وهذا على مذهب الكوفيين، وأما البصريون فإنهم يجعلون ﴿أُخْرَى﴾ على هذا التأويل مبتدأ، والجارَّ والمجرور المحذوف خبرًا مقدَّمًا، =

تقديره: ولكم مغانمُ أخرى ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾؛ أي: حَواها لكم وحَفِظَها عليكم حتى تفتحوها وتأخذوها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من فتح القرى وغير ذلك ﴿قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني أسَدًا وغَطَفانَ وأهل خَيْبَرَ، وقيل: يعني كفار قريش ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لانْهَزَمُوا عنكم يا معشر المؤمنين؛ لأنّ اللهَ ينصركم عليهم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ قال ابن عباس: مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ الله خَذَلَهُ اللهُ ولَمْ يَنْصُرْهُ.

ثم ذكر أن سُنّةَ الله النُّصْرةُ لأوليائه، فقال: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ قال ابن عباس: يريد: هذه سُنَّتِي في أهل طاعتي وأهل معصيتي، أَنْصُرُ أوليائي وأَخْذُلُ أعدائي، وانتصب «سُنّةَ الله» لعدم الخافض؛ أي: كَسُنّةِ اللهِ الَّتِي قد خَلَتْ[١].

وقيل[٢]: هو نصب على المصدر، وقال أبو إسحاق الزجاج[٣]: يجوز «سُنّةُ اللهِ» بالرفع؛ أي: تلك سنة الله التي قد خلت من قبل في نصر أوليائه وقهر أعدائه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ

= ويجوز أن يكون ﴿أُخْرَىٰ﴾ مبتدأ والخبر ﴿قَدْ أَحَاطَ﴾، ينظر: التبيان للعكبري ص١١٦٧، الدر المصون ٦/ ١٦٣.

(١) ذكره القرطبي بغير عزو في تفسيره ١٦/ ٢٨٠.

(٢) هذا قول الزجاج والنحاس، فقد قال الزجاج: «و«سُنّةَ الله» منصوب على المصدر؛ لأن قوله: ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ معناه: سَنَّ اللهُ خِذْلانَهُم سُنّةً». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٠١، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١١.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦ باختلاف في ألفاظه، وذكر الزَّجاج أنه لا يجوز أن يُقْرَأَ به؛ لأنه لَمْ يَرِدْ.

﴿ٱلْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا به ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ معطوف على الكاف والميم؛ أي: وصَدُّوا الهَدْيَ ﴿مَعْكُوفًا﴾ يعني: محبوسًا، يقال: عَكَفْتُهُ عن كذا عَكْفًا؛ أي: حَبَسْتُهُ، فَعَكَفَ عُكُوفًا، كما يقال: رَجَعْتُهُ رَجْعًا، فَرَجَعَ رُجُوعًا[1]، ونصب ﴿مَعْكُوفًا﴾ على الحال.

[١٧٢/ ب] وقوله: ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ يعني مَنْحَرَهُ، وهو حيث / يَحِلُّ نَحْرُهُ، يعني الحرم ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ رفع إما بالابتداء وإما بفعل مضمر[2] تقديره: ولولا ثَبَتَ رجالٌ مؤمنون ﴿وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ يعني المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة بين الكفار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾؛ أي: لَمْ تعرفوهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي: بالقتل، وتقعوا بهم، يقال: وَطِئْتُ القَوْمَ: إذا أَوْقَعْتَ بهم، قال الزَّجّاجُ[3]: المعنى: لولا أن تَطَؤُوا رجالًا مؤمنين ونساء مؤمنات ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ والمَعَرّةُ: المَشَقّةُ، وأصلها من الجَرَبِ[4].

ونصب «فَتُصِيبَكُمْ» عطفًا على «تَطَؤُوهُمْ» وهو الحَرْبُ، وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ موضعه التقديم؛ لأن التقدير: لولا أن تَطَؤُوهُمْ بغير علم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ

---

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤١٣، وقال الأزهري: «يقال: عَكَفْتُهُ عَكْفًا فَعَكَفَ عُكُوفًا، وهو لازم وواقع، كما يقال: رَجَعْتُهُ فَرَجَعَ، إلا أن مصدر اللازم العُكُوفُ، ومصدر الواقع العَكْفُ». تهذيب اللغة ١/ ٣٢١.

(٢) البصريون يرفعونه بالابتداء، وخبره محذوف وجوبًا، والكوفيون يرفعونه بفعل مضمر، وقد سبق مثل ذلك في الآية ٥٣ من سورة العنكبوت ٢/ ٢١ والآية ٤٥ من سورة فصلت ٢/ ٤١٨ وفيهما اختار المؤلف مذهب الكوفيين.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧.

(٤) قال أبو عبيدة: «مَعَرّةٌ: جِنايةٌ كَجِنايةِ العَرِّ وهو الجَرَبُ». مجاز القرآن ٢/ ٢١٧، وقال ثعلب: «أي: يصيبكم أَمْرٌ تكرهونه وهو أَخْذُ الدِّياتِ، والعَرُّ: الجَرَبُ». مجالس ثعلب ص ٣١٠، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٣٥/ ب، تهذيب اللغة ١/ ٩٩.

﴿فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ اللّام متعلق بمحذوف دَلَّ عليه معنى الكلام على تقدير: حالَ بينكم وبينهم؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء[١]، يعني مَنْ أسْلَمَ من الكفار بعد الصلح، هكذا نَظْمُ الآية وحكمُها، فحذف جواب «لَوْلا» استغناءً بدلالة الكلام عليه[٢].

وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾؛ أي: تَمَيَّزُوا، يعني المؤمنين من الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٥﴾ يعني: بالقتل والسَّبْيِ بأيديكم.

قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ﴾ مفعول ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ نصب على البدل من الأُولَى، وذلك حين صَدُّوا رسولَ الله ﷺ عن البيت، ومَنَعُوهُ الطوافَ، ولَمْ يُقِرُّوا برسالته. و﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ من صلة قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾.

والحَمِيّةُ «فَعِيلةٌ» من قول القائل: حَمَى فلانٌ أنْفَهُ يَحْمِي حَمِيّةً ومَحْمِيةً[٣]، قال المتلمس[٤]:

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٠٢، وينظر: المحرر الوجيز ٥/ ١٣٧، كشف المشكلات ٢/ ٣٢٠، البيان للأنباري ٢/ ٣٧٩، الفريد للهمداني ٤/ ٣٢٨.

(٢) يعني أن جواب «لَوْ تَزَيَّلُوا» وهو قوله: «لَعَذَّبْنا» يَدُلُّ على جواب «لَوْلا»، وهذا ما قاله الفارسي في كتاب الشعر ص ٦٥، وتابعه عليه الواحديُّ فِي الوسيط ٤/ ١٤٣. وذهب ابن قتيبة إلى أن قوله: «لَعَذَّبْنا» جواب لقوله: «وَلَوْلا رِجالٌ»، ولقوله: «لَوْ تَزَيَّلُوا» مَعًا؛ أي: أنه سَدَّ مَسَدَّ الجَوابَيْنِ، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٣٦٨، وتبعه الزمخشري وابن الشجري، ينظر: الكشاف ٣/ ٥٤٨، أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ٣٥٦، ٣٥٧، ٢/ ١١٩، ١٢٠.
وينظر أيضًا: البيان للأنباري ٢/ ٢٧٨، التبيان للعكبري ص ١١٦٧، البحر المحيط ٨/ ٩٧، الدر المصون ٦/ ١٦٤.

(٣) قاله أبو عبيدة وابن السكيت، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢١٧-٢١٨، إصلاح المنطق ص٢٢٧، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٥/ ٢٧٤.

(٤) هو جرير بن عبد العُزَّى، أو عبد المسيح، من ربيعة، شاعر جاهلي من أهل البحرين، =

٢٦٠ـ ألا إنّني مِنْهُمْ وَعِرْضِيَ عِرْضُهُمْ كَذِي الرَّأْسِ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يُهَشَّما[1]

أي: يَمْنَعُ، وكل ما مَنَعْتَهُ أي: حَمَيْتَهُ.

﴿ إِذْ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ حتى لا يَدْخُلَهُم ما دَخَلَ الكُفّارَ من الحَمِيّةِ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ وهي: لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص التي يُتَّقَى بها من الشرك ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ يعني: وكان المؤمنون أَحَقَّ بها من كفار مكة، وكانوا أَهْلَها في عِلْمِ الله؛ لأن الله تعالى اختار لدينه ولِنَبِيِّهِ أهل الخير ومَنْ هو أَوْلَى بالهداية مِنْ غيرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ من أَمْرِ الفريقين.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ هما مفعولان، وهي الرؤيا التي أراها اللهُ نَبِيَّهُ في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يَدْخُلُ هو وأصحابُهُ المسجدَ الحرامَ، فقال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ اللام لام جواب القسم المضمر، والنون توكيد لفعل جماعة الرجال؛ ولهذا ضَمَمْتَ ما قبل النون، والتقدير: واللهِ لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ﴾ كلها ﴿وَمُقَصِّرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ بَعْضَها.

= وهو خال طرفة بن العبد، كان ينادم الملك عمرو بن هند، ثم هجاه، فأراد عمرٌو قَتْلَهُ، فَفَرَّ منه إلى الشام، ومات بِبُصْرَى سنة (٥٦٩م). [الشعر والشعراء ص ١٨٥-١٩٠، طبقات فحول الشعراء ص ١٥٥-١٥٦، الأعلام ٢/ ١١٩].

(١) البيت من الطويل للمُتَلَمِّسِ، ورواية ديوانه: «أن يُكَشَّما»، والكَشْمُ: قطع الأنف باستئصال.
التخريج: ديوانه ص ٢١، الجيم للشيبانِيِّ ٣/ ١٧٢، جامع البيان ٢٦/ ١٣٥، الكشف والبيان ٩/ ٦٣، عين المعانِي ورقة ١٢٤/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٨٨، البحر المحيط ٨/ ٩٨، الدر المصون ٦/ ١٦٥، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٥٠٦.

قال أبو عبيدة[١]: «إنْ» هاهنا بمعنى «إذْ»، مَجازُهُ: إذْ شاء الله، حيث أرَى رَسُولَهُ ذلك، وقيل[٢]: الاستثناء من المخلوقين؛ لأنهم لا يعرفون عواقب الأمور، وقيل[٣]: خُوطِبَ الناسُ بما يعرفون؛ لأن الاستثناء لا يكون في البِشارةِ، فيكون فيها فائدة.

ونصب ﴿ءَامِنِينَ﴾ و﴿مُحَلِّقِينَ﴾ على الحال، وزعم الفراء أنه يجوز ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[٤]، يعني: بَعْضُكُمْ كَذا وبَعْضُكُمْ كَذا، وأنشد:

وَغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْصُودُ[٥]

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ يعني دين الإسلام؛ لأن كُلَّ دِينٍ باطِلٌ غَيْرَ الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يعني: على مِلّةِ أهل الأديان كلها ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ بأنك نَبِيٌّ صادقٌ فيما تخبر به، ونصب ﴿شَهِيدًا﴾ على التفسير، وقيل: على الحال والقطع، وقد تقدم نظيره في مواضع من القرآن.

---

(١) لَمْ أقف على هذا القول في مجاز القرآن، وإنما حكاه النحاس عنه في إعراب القرآن ٤/ ٢٠٤، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٣٧/ أ، الكشف والبيان ٩/ ٦٤، الوسيط ٤/ ١٤٥، زاد المسير ٧/ ٤٤٣، عين المعاني ورقة ١٢٤/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٠.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٠٤، وحكاه الواحدي عن ثعلب في الوسيط ٤/ ١٤٥.

(٣) قاله النحاس والنقاش، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٠٤، شفاء الصدور ورقة ٣٦/ ب، وينظر أيضًا: الكشاف ٣/ ٥٤٩، زاد المسير ٧/ ٤٤٣، الفريد ٤/ ٣٣٠، البحر المحيط ٨/ ١٠٠.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٦٨، وقد قرأ اليمانِيُّ: ﴿مُحَلِّقُونَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرُونَ﴾، ينظر: شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٦٦.

(٥) تقدم برقم ٢٠٠ ٢/ ٣٢٦.

[١٧٣/ ب] قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، تَمَّ الكلامُ هاهنا / ، ثم قال مبتدئًا: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ يعني: من المؤمنين، الواو فيه استئناف، و﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ في محل الرفع بالابتداء ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ يعني: غِلَظًا كقوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: مُتَوادُّونَ متواضعون، بعضهم لبعض كالوَلَدِ لِوالِدِهِ، والعَبْدِ لِسَيِّدِهِ، كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إخبار عن كثرة صلاتهم ومُداوَمَتِهِمْ عليها، وأصل الرُّكُوعِ: الانْحِناءُ، يقال: رَكَعَ الشَّيْخُ: إذا انْحَنَى من الكِبَرِ، قال لبيد:

٢٦١ - أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّما قُمْتُ راكِعُ[٣]

والسجود: الانحناء أيضًا، وهما منصوبان على الحال.

وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني رزقًا، وهو الجنة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ يعني رِضاءَ اللهِ عزّ وجلّ ﴿سِيمَاهُمْ﴾؛ أي: علامتهم ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قرأ الأعرج: «مِنْ إِثْرِ السُّجُودِ» ساكنة الثاء[٤]، وقرأ الباقون بالفتح،

---

(١) المائدة ٥٤.

(٢) المائدة ٥٤.

(٣) هذا عَجُزُ بيتٍ من الطويل لِلَبِيدٍ، وصدره:

أُخَبِّرُ أَخْبارَ القُرُونِ التِي مَضَتْ

اللغة: أَدِبُّ: أَمْشِي الدَّبِيبَ، وهو مشيُ الشيخ الهَرِمِ، راكع: مُنْحَنٍ بسبب كِبَرِ السِّنِّ.

التخريج: ديوانه ص ٨٩، العين ١/ ٢٠٠، مجاز القرآن ١/ ٥٤، عيون الأخبار ٢/ ٣٢٣، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٦، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٩٧، مقاييس اللغة ٢/ ٤٣٥، مجمل اللغة ص ٣٩٧، المخصص ١٣/ ٨٧، ديوان الأدب ٢/ ٢١٠، بهجة المجالس ٢/ ٢٣٨، اللسان: ركع، التاج: ركع.

(٤) ومكسورة الهمزة أيضًا، وقرأ قتادة والحسن واليمانيُّ وعيسى الحجازي: «مِنْ آثارِ السُّجُودِ»، =

وَأَثَرٌ وَإِثْرٌ واحد[١]، ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي ذكره من نعت أمة محمد ﷺ ﴿مَثَلُهُمْ﴾ يعني صفتهم ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، وتَمَّ الكلامُ، ثم استأنف[٢] وقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾؛ أي: وَصْفُهُمْ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يعني نَبَاتَهُ[٣]، وقيل[٤]: سُنْبُلَهُ حين يُسَنْبِلُ نَبَاتُهُ، وقيل[٥]: فُرُوخُهُ، وجمعه أَشْطاءٌ. والعرب تقول: أَشْطَأَ الزَّرْعُ فهو شَطْءٌ ومُشْطِئٌ: إذا انْبَسَطَ، واسْتَأْزَرَ: إذا فَرَّخَ[٦]، قال الشاعر:

٢٦٢ ـ أَخْرَجَ الشَّطْءَ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى وَمِنَ الأَشْجارِ أَفْنانُ الثَّمَرْ[٧]

= ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٣، شواذ القراءة ورقة ٢٢٦، المحرر الوجيز ٥/ ١٤١، البحر المحيط ٨/ ١٠١، الدر المصون ٦/ ١٦٦.

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٣٧/ ب.

(٢) وأجاز الفراء أن يكون المعنى: وفي الإنجيل أيضًا، كمثلهم في القرآن، ينظر: معاني القرآن ٣/ ٦٩، وهذا قول مجاهد كما ذكر النحاس، فقد قال: «وعلى قول مجاهد التمامُ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾، تعطف مثلًا على مثل، ثم تبتدئ: «كَزَرْعٍ»؛ أي: هُمْ كَزَرْعٍ». إعراب القرآن ٤/ ٢٠٥، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٠١، المُكْتَفَى في الوقف والابتدا للداني ص ٣٣٣.

(٣) هذا قول أنس بن مالك وقتادة والزهري، ينظر: جامع البيان ٢٦/ ١٤٧، ٢٤٦، معاني القرآن للنحاس ٦/ ٥١٦، إعراب القرآن ٤/ ٢٠٥، الكشف والبيان ٩/ ٦٦.

(٤) هذا قول ابن عباس والفراء، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٦٩، جامع البيان ٢٦/ ١٤٧، الكشف والبيان ٩/ ٦٦، وحكاه السجاوندي عن الأخفش في عين المعاني ورقة ١٢٤/ ب.

(٥) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢١٨، غريب القرآن ص ٤١٣، وحكاه الأزهري عن ابن الأعرابيِّ في تهذيب اللغة ١١/ ٣٩٢، وحكاه الثعلبي عن الأخفش في الكشف والبيان ٩/ ٦٦.

(٦) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٣٨/ أ.

(٧) البيت من الرمل، للزبير بن العوام، ويُرْوَى: «أَفْرَخَ الشَّطْءَ».

اللغة: الأفنان: جمع فَنَنٍ وهو الغصن.

التخريج: جمهرة أشعار العرب ص ٣٠، عين المعاني ورقة ١٢٤/ ب، تفسير القرطبي =

واختلف القُرّاءُ فيه، فقرأ العامة بجزم الطاء، وقرأ أهل مكة والشام بفتحه، وقرأ أنسٌ ويحيى بنُ وثاب: «شَطاهُ» مثل: عَصاهُ، وقرأ الجحدري: «شَطَهُ» بلا همزة[١]، وكلها لغات، والشَّـطْءُ والشَّطَأُ لغتان كالبَعْرِ والبَعَرِ، وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ عزّ وجلّ للنبي ﷺ إذْ أُخْرِجَ وَحْدَهُ ثم قَوّاهُ اللهُ عزّ وجلّ بأصحابه[٢].

قوله: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾؛ أي: فَساواهُ في طُولِهِ، وقيل: شَدَّهُ وأعانَهُ وقَوّاهُ، وقرأ ابن عامـر: «فَأَزَرَهُ»[٣] مقصورًا، قال الفراء[٤]: يقـال: أَزَرْتُ فُلَانًا أَزِرُهُ أَزْرًا: إذا قَوَّيْتَهُ ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾؛ أي: غَلُظَ ذلك الزرعُ وقَوِيَ واشْتَدَّ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ يعني: قام

= ١٦/ ٢٩٤، البحـر المحيط ٨/ ١٠١، الدر المصـون ٦/ ١٦٧، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٥١٦، فتح القدير ٥/ ٥٦، روح المعاني ٢٦/ ٢٦.

(١) قرأ ابن كثير، وابنُ عامر من طريق ابن ذكوان، وابنُ محيصن: ﴿شَطَأَهُ﴾ بفتح الطاء وبالهمز، وقرأ أنس بن مالك وابن وثاب وزيد بن عَلِيٍّ ونصر بن عاصم: ﴿شَطاهُ﴾ بفتح الطاء وإبدال الهمزة ألفًا، وقرأ عاصمٌ الجحدريُّ ونافعٌ وأبو جعفر وابن أَبِي إسـحاق وشـيبةُ: ﴿شَطَهُ﴾ بفتح الطاء وبغير همزة، ينظر: السـبعة ص ٦٠٤، مختصر ابن خالويه ص١٤٣، المحتسب ٢/ ٢٧٧، عين المعانِي ورقة ١٢٤/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٥، البحر المحيط ٨/ ١٠٢، الإتحاف ٢/ ٤٨٤.

(٢) قالـه الفراء وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٦٩، تفسـير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤١٤.

(٣) وبها قرأ أيضًا ابنُ عامر وابنُ ذكوان، وهشـامٌ من طريـق الداجوانِيِّ، وأبو حيوة وحميد بن قيس. ينظر: السبعة ص ٦٠٥، تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٥، البحر المحيط ٨/ ١٠٢، النشر ٢/ ٣٧٥، الإتحاف ٢/ ٤٨٤.

(٤) الـذي قاله الفـراء: «آزَرْتُ أُؤازِرُهُ مُؤازَرةً: قَوَّيْتُـهُ وعاوَنْتُهُ، وهي المُـؤازَرةُ». معانِي القرآن ٣/ ٦٩، أما النص الذي أورده المؤلف هنا فقد حكاه الأزهري عن الفراء، فقال: «قال الفراء: أَزَرَهُ يَـأْزِرُهُ أَزْرًا أي: قَـوّاهُ، ومنه قـول الله: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾؛ أي: قَوِّني». معاني القراءات ٣/ ٢٢، وحكاه عن الفراء في التهذيب أيضًا ١٣/ ٢٤٧، وينظر: الوسيط ٤/ ١٤٧.

على قُضُبِهِ[١] وأُصُولِهِ، وقرأ قُنْبُلٌ: «سُؤْقِهِ»[٢] بالهمز ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ حَسُنَ زَرْعُهُ حين استوى قائما على سُوقِهِ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يعني: يغيظهم كَثْرةُ المؤمنين / [١٧٤/ أ] واجتماعهم، والغيظ: اجتماع الغضب ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ يعني: جزاء عظيمًا وهو الجنة.

وقوله: «مِنْهُمْ» قال الزجاج[٣]: هو تخليص للجنس، وليس يريد بعضهم؛ لأنهم كُلَّهُمْ مؤمنون، وقال صاحب «إنسان العين»[٤]: «مِنْهُمْ» للتبعيض؛ إذ المنافقون أيضًا كانوا يُؤازِرُونَ، أو للجنس كقول الزجاج، نحو قولك: أَنْفِقْ مِنَ الدراهم لا الدنانير.

فصل

في معنى قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يعني محمدًا ﷺ «فَآزَرَهُ» بِأَبِي بكر، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بِعُمَرَ، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعثمان، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾

---

(١) القُضُبُ: جمع قَضِيبٍ وهو الغصن. اللسان: قضب.

(٢) قرأ ابن كثير في رواية قُنْبُلٍ والقَوّاسِ عنه: «سُؤْقِهِ»، ورُوِيَ عن قُنْبُلٍ أيضًا: «سُؤُوقِهِ» بواو بعد الهمزة، ووافقه ابن محيصن، ينظر: السبعة ص ٦٠٥، حجة القراءات ص ٦٧٥، النشر ٢/ ٣٣٨، الإتحاف ٢/ ٤٨٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩.

(٤) قوله في كتابه عين المعاني ورقة ١٢٤/ ب بنصه، وعلى هذا يكون الكلام شاملًا للمؤمنين والمنافقين، ويكون معنى ﴿آمَنُواْ﴾: ثَبَتُو وأقاموا على الإيمان، وهو الوجه الثاني الذي ذكره الزجاج، حيث قال: «والوجه الثاني: أن يكون المعنى: وَعَدَ اللهُ الذين أقاموا منهم على الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ مغفرةً وأجرًا عظيمًا». معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠، وقد عَقَّبَ النحاسُ على كلام الزجاج، فقال: «وذلك مجاز، ولا يُحْمَلُ الشيءُ على المَجازِ ومعناه صحيح على الحقيقة». إعراب القرآن ٤/ ٢٠٦، وينظر: المحرر الوجيز ٥/ ١٤٣، البحر المحيط ٨/ ١٠٢.

عَلِيُّ بن أَبِي طالب، ﴿لِيَغِيظَ﴾ اللهُ بالنبي ﷺ وأصحابه ﴿ٱلۡكُفَّارَ﴾ [(١)].

ورَوَى أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن مثل أصحابِي في أُمَّتِي كمثل الملح فِي الطعام، لا يصلح الطعام إلّا بالملح»، قال الحسن: «ذَهَبَ مِلْحُنا فكيف نَصْلُحُ؟ »[(٢)].

وقال سفيان بن عُيَيْنةَ[(٣)]: «الرّافِضِيُّ كافر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾، فمن غاظَهُ أصحابُ رسول الله ﷺ فهو كافر»، والله أعلم.

* * *

(١) رواه النقاش عن جعفر بن محمد عن أبيه في شفاء الصدور ورقة ٣٨/ ب، ٣٩/ أ، وينظر: تاريخ دمشق ٣٩/ ١٧٧-١٧٨، ٤٢/ ٢٨٤،، تاريخ بغداد ١١/ ١٧١، ١٣/ ١٥٥، زاد المسير ٧/ ٤٤٩، وذكره الثعالبي في تفسيره ٥/ ٢٦٥ وقال: «وهذا لين الإسناد والمتن»، وينظر: الدر المنثور ٦/ ٨٣.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٢٢١، وينظر: المصنف لابن أبِي شيبة ٧/ ٥٤٨، ٨/ ٢٥٩، شفاء الصدور ورقة ٣٩/ أ، الشفا للقاضي عياض ٢/ ٥٣، مجمع الزوائد ١٠/ ١٨ كتاب المناقب: باب في فضائل الصحابة.

(٣) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٣٩/ أ، وقد حكم الإمام مالك وابن عيينة وغيرهما بتكفير الروافض استنادًا لهذه الآية. ينظر: الشفا للقاضي عياض ٢/ ٥٤، تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٩.

سورة الحجرات

مدنيّة

وهي ألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفًا، وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة، وثمانِي عشرة آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الحُجُراتِ أُعْطِيَ من الأجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ بِعَدَدِ مَنْ أطاعَ اللهَ وَمَنْ عَصاهُ»[١].

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الحُجُراتِ جاوَرَ بها محمدًا ﷺ في دار السلام».

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ «يا» حرف يُنادَى به، و«أيُّ» مضمومة لأنها نداء مفرد، و«ها» للتنبيه، و«الَّذِينَ» فـي موضع رفع نعت لـ«أيُّ»، ومن

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٦٩، الوسيط ٤/ ١٤٩، الكشاف ٣/ ٥٧٢، مجمع البيان ٩/ ٢١٤، عين المعانِي ورقة ١٢٤/ ب.

العرب من يقول: «اللَّذُونَ»(١)، و«آمَنُواْ» صلة للذين(٢).

وقوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأه العامة بضم التاء وكسر الدال من التقديم، وقرأ الضحاك ويعقوب بفتحها من التَّقَدُّمِ، و«لا» حرف نهي، و«تَقَدَّمُوا» (٣) جزم بالنهي، وبعض النحويين يقول: هو جزم بـ«لا» لشبهها بـ«لَمْ»، وبعضهم يقول: لِقُوَّتِها في قلب الفعل إلى المستقبل لا غَيْرُ(٤).

ومعنى بين اليدين يريد به: لا تقدموا قبل أمرهما ونهيهما، وبين اليدين عبارة عن الأمام/ ؛ لأن ما بين يدي الإنسان أمامه، قال أبو عبيدة(٥): والعرب تقول: لا تَقَدَّمْ بَيْنَ يَدَيِ الإمامِ وبين يَدَيِ الأبِ. [١٧٤/ ب]

قال جابر رضي الله عنه (٦): نزلت هذه الآية فِي النهي عن الذَّبْحِ يوم الأضحى قبل الصلاة؛ أي: لا تذبحوا قبل ذَبْحِ النَّبِيِّ ﷺ، وذلك أن ناسًا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «نزلت فِي النهي عن صوم يوم الشك؛ أي: لا تصوموا قبل أن يصوم نَبِيُّكُمْ»(٧).

---

(١) تقدم مثل ذلك في آخر سورة الروم ٢/ ٥٠ وفي أول سورة محمد ﷺ ٣/ ٦٩.

(٢) من أول قوله: «يا: حرف ينادى به». قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٠٧.

(٣) وهي قراءة ابن عباس والحسن وأبي حيوة وابن مِقْسَمٍ أيضًا، ينظر: المحتسب ٢/ ٢٧٨، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٠٠، البحر المحيط ٨/ ١٠٥.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٠٧.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢١٩ باختلاف في ألفاظه.

(٦) ينظر: جامع البيان ٢٦/ ١٥١، الكشف والبيان ٩/ ٦٩، الوسيط ٤/ ١٥٠، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٠٢.

(٧) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٣/ ١٣٤، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٧٠، الوسيط ٤/ ١٥٠، عين المعانِي ورقة ١٢٥/ أ، مجمع الزوائد ٣/ ١٤٨ كتاب الصيام: باب فيمن يتقدم رمضان بصوم.

وقيـل: معنـاه: لا تَمْشُـوا بين يدي رسـول الله ﷺ، وكذلـك بين يدي العلماء، فإنهم وَرَثةُ الأنبياء، ودليل هذا التأويل ما رُوِيَ عن أبِي الدَّرْداءِ رضي الله عنه قال: رَآنِي النَّبِيُّ ﷺ أمشي أمام أبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فقال: «أتَمْشِي أمامَ مَنْ هو خَيْرٌ منك فِي الدنيا والآخرة، ما طلعت الشـمس ولا غَرَبَتْ على أحد بعد النبيين والمرسلين خَيْرٍ وأفْضَلَ من أبِي بكر»[(١)].

وقيـل[(٢)]: معناه: لا تَكَلَّمُـوا قبل أن يتكلم النبـي ﷺ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فِي تضييع حَقِّـهِ الذي فرضه عليكم، وكَلَّفَكُم القيـامَ لنبيه ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِما تقولون ﴿عَلِيمٞ ١﴾ بما تفعلون.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ «فَوْقَ» نصب على الظرف ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾ هذا أدَبٌ مـن الله تعالى أدَّبَهُمْ إذا كانوا عند النبـي ﷺ ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وأن يُوَقِّرُوهُ ويُعَظِّمُوهُ، وكان واللهِ أهلًا لذلك ﷺ.

وقوله: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ «أنْ» فِي موضع نصب، تقول العرب: أسْنِد الحائـطَ أنْ يَمِيلَ[(٣)]، قال الزجاج[(٤)]: المعنى: لِئَلّا تَحْبَطَ أعمالُكُمْ، وهي عنده مثل قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾[(٥)]، وهذه

---

(١) رواه ابـن حبـان في الثقـات ٧/ ٩٤، وينظر: تاريخ دمشـق ٣٠/ ٢٠٨، ٢١١، كنز العمال ١١/ ٥٥٦، ١٣/ ١٢، ١٣.

(٢) هذا القول حكاه النقاش عن ثعلب في شفاء الصدور ورقة ٣٩/ أ.

(٣) هـذا قول الأخفـش وغيره مـن البصريين، فـ«أنْ» عندهم نصـب على المفعـول له، قال الأخفش: «أي: مَخافةَ أنْ تَحْبَطَ أعْمالُكُمْ، وقد يقال: اسْمُكِ الحائِطَ أنْ يَمِيلَ». معانِي القرآن ص ٤٨٢.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢.

(٥) القصص ٨.

اللام تسمى لام الصيرورة، والمعنى: كَيْ لاَ تَبْطُلَ حسناتُكُمْ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾؛ أي: لا تشعرون أن أعمالكم قد حَبِطَتْ.

قيل: نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن الشَّمّاس[(١)]، وكان جَهْوَرِيَّ الصوتِ[(٢)]، فربما كان يُكَلِّمُ النَّبيَّ ﷺ فيتأذَّى بصوته، فنَزَلَتْ هذه الآية، وهذا يدل على أنه يُحِبُّ أن يُعَظَّمَ النَّبيُّ ﷺ غايةَ التعظيم، ولَمّا نزلت هذه الآية حَبَسَ ثابت بن قيس نَفْسَهُ في بيته، وكان في أذنيه صَمَمٌ، فقال: أخاف أن أكون ممن حَبِطَ عَمَلُهُ؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾، وكنتُ أرفع صوتي فوق صوت / رسول الله ﷺ، فبعث النَّبيُّ ﷺ إليه: «ما الذي منعك من الحضور»؟ فقال: أخاف أن أكون من أهل النار، فقال: «بل أنت من أهل الجنة»[(٣)]، فَقُتِلَ يوم اليمامة. [١٧٥/ أ]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الغَضُّ: النَّقْصُ من كل شيء ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قال الفراء[(٤)]: أخْلَصَ قُلُوبَهُمْ للتقوى، كما يُمْتَحَنُ الذَّهَبُ بالنار فَيَخْرُجُ جَيِّدُهُ مِنْ رَدِيئِهِ، ويَسْقُطُ خَبِيثُهُ من صالحه، وتقدير الكلام على هذا: امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ، فَأَخْلَصَها للتقوى، فحذف الإخلاص لدلالة الامتحان عليه ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ جَزاءٌ وافِرٌ، وهو الجنة.

---

(١) من الخزرج، كان خطيبَ النَّبيِّ ﷺ، شهد أُحُدًا وما بعدها، واستشهد يوم اليمامة سنة (١٢هـ). [أسد الغابة ١/ ٢٢٨-٢٣٠، الإصابة ١/ ٥٥١، ٥١٢، الأعلام ٢/ ٩٨].

(٢) رَجُلٌ جَهْوَرِيُّ الصَّوْتِ: رَفِيعُهُ من: جَهْوَرَ؛ أي: أَعْلَنَ بِصَوْتِهِ وأَظْهَرَهُ. اللسان: جهر.

(٣) رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس في المسند ٣/ ١٣٧، ٢٨٧، والبخاري في صحيحه ٦/ ٤٦، ٤٧ كتاب تفسير القرآن: سورة الحجرات، ومسلم في صحيحه ١/ ٧٧ كتاب الإيمان: باب مَخافةِ المؤمن أن يحبط عمله.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٧٠ باختلاف يسير في ألفاظه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ رفع ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ على الخبر[١]، ويَجُوزُ النصب على البدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾[٢].

نزلت هذه الآية في بني تميم، قَدِمُوا على النَّبِيِّ ﷺ لِفِداءِ ذَرارِيهِمْ، فَنادَوْا: يا محمدُ: اخْرُجْ إلينا، وقد كان النبيُّ ﷺ نامَ لِلْقائلةِ، فَتَأَذَّى بأصواتهم، ولَمْ يعلموا في أيِّ حُجْرةٍ هُوَ؟ وكانوا يطوفون على حُجُراتِ أَزْواجِهِ، فَوَصَفَهُم اللهُ بالجهل وقِلّةِ العقل[٣].

والحُجُراتُ جمع الحُجَرِ، والحُجَرُ جمع حُجْرةٍ، فهو جَمْعُ الجمعِ[٤]، وفيه لغتان: فتح الجيم، وهي قراءة أَبِي جعفر[٥]، كقول الشاعر:

---

(١) يعني أن جملة ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وهي في محل رفع خبر لـ«إنّ»، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢١٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١٥.

(٢) هذا في غير القرآن فإنه لَمْ يُقْرَأْ به، قاله النحاس ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢١٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣١٦.

(٣) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٤٠/ أ، المعجم الكبير للطبرانِيِّ ٢/ ٥، ٢١١، الكشف والبيان ٩/ ٧٦، أسباب النزول ص ٢٥٩، الوسيط ٤/ ١٥١-١٥٢، مجمع الزوائد ٧/ ١٠٨ كتاب التفسير: سورة الحجرات.

(٤) هذا قول الفراء وأَبِي عبيد، وأجازه الزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٧٠، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣، وقول أَبِي عبيد ذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢١٠، وهذا مخالف لِمَذْهَبِ سيبويه، وهو أن الحُجُراتِ جمع حُجْرةٍ، وحُجَرٌ جمع حُجُراتٍ، قال سيبويه: «أما ما كان «فُعْلَةً» فإنك إذا كَسَّرْتَهُ على بناء أَدْنَى العدد، ألحقتَ التاءَ وحَرَّكْتَ العَيْنَ بضمة، وذلك قولك: رُكْبةٌ ورُكُباتٌ، وغُرْفةٌ وغُرُفاتٌ، وحُفْرةٌ وحُفُراتٌ، فإذا جاوَزْتَ بناءَ أَدْنَى العدد، كَسَّرْتَهُ على «فُعَلٍ»، وذلك قولك: رُكَبٌ وغُرَفٌ وحُفَرٌ». الكتاب ٣/ ٥٧٩، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١٠.

(٥) وهي قراءة شيبة أيضًا، وقرأ الباقون بضم الجيم، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٣١٠، البحر المحيط ٨/ ١٠٨، الإتحاف ٢/ ٤٨٥، ٤٨٦.

٢٦٣ ـ فَلَمّـا رَأوْنـا بادِيًـا رُكَباتُنـا عَلَى مَوْطِنٍ لاَ نَخْلِطُ الجِدَّ بِالهَزَلْ[1]

وضَمُّ الجِيمِ، وهي قراءة الباقين، والضم أجود[2] كقول الشاعر:

٢٦٤ ـ أمـا كانَ عَبّـادٌ كَفِيئًا لِدارِمٍ؟ بَلَـى وَلأبْيـاتٍ بِهـا الحُجُـراتُ[3]

يعني: بَلَى وَلِبَنِي هاشِمٍ.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾؛ أي: بِخَبَرِ كَذِبٍ، يعني الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْطٍ، بَعَثَهُ رسولُ اللهِ ﷺ مُصَدِّقًا[4] إلى بني المُصْطَلِقِ،

---

(١) البيت من الطويل، لِعَمْرِو بن شَـأْسٍ الأسَدِيِّ، ونُسِبَ للنَّجاشِيِّ الحارِثِيِّ، والرُّكَباتُ: جمع رُكْبَةٍ.

التخريج: شـعر عمرو بن شـأس ص٧٤، الكتاب ٣/ ٥٧٩، المقتضـب ٢/ ١٨٧، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٢٤١، ٣/ ١٤٠، شـرح أبيات سيبويه لابن السيرافِيِّ ٢/ ٢٤٣، الجمل للزجاجي ص ٣٨٠، المحتسـب ١/ ٥٦، الحلل ص ٤٠٦، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ٢٤٤، شرح المفصل ٥/ ٢٩.

(٢) قال سـيبويه: «ومن العرب من يفتح العين إذا جمع بالتاء، فيقول: رُكَباتٌ وغُرَفاتٌ، سمعنا من يقول في قول الشاعر:

وَلَـمّـا رَأوْنـا بـادِيًـا رُكَباتُنا عَلَى مَوْطِنٍ لاَ نَخْلِطُ الجِدَّ بِالهَزَلْ

... ومـن العرب من يَدَعُ العَيْنَ من الضمة في «فُعْلةٍ»، فيقول: عُرْواتٌ وخُطْواتٌ». الكتاب ٣/ ٥٧٩، ٥٨٠، فقد ذكر سـيبويه وجهًا ثالثًا وهو إسـكان العين، وينظر أيضًا: المقتضب ٢/ ١٨٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١٠.

(٣) البيـت من الطويل لرجل مـن الحَبِطاتِ يَرُدُّ على الفرزدق، ونُسِـبَ للفـرزدق، وليس في ديوانه.

التخريج: مجاز القرآن ٢/ ٢١٩، الكامل للمبرد ١/ ٦٤، ٢/ ٦٨، جامع البيان ٢٦/ ١٥٧، جمهرة اللغة ص ٩٧٠، الحجة للفارسي ٤/ ١٥٩، الكشف والبيان ٩/ ٧٧، مجمع البيان ١٠/ ٤٨٣، عين المعانِي ورقة ١٢٥/ أ، خزانة الأدب ١٠/ ٢١٢.

(٤) المُصَدِّقُ هنا: عامل الصدقات أو وكيل الفقراء في قَبْضِ الصَّدَقاتِ. اللسان: صدق.

فلما سمعوا به اجتمعوا لِيَتَلَقَّوْهُ تعظيمًا لأمْرِ رسولِ اللهِ ﷺ ولِرَسُولِهِ، فَحَدَّثَهُ الشيطانُ أنهم يريدون قَتْلَهُ، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية، فَفَرِقَ الوليدُ منهم وهابَهُمْ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد مَنَعُوا الصَّدَقَةَ، وارْتَدُّوا، وأرادوا قَتْلِي، وهم بَراءٌ من ذلك، فَنَزَلَتْ هذه الآية، وسَمّاهُ اللهُ فاسقًا[١].

وقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ﴾؛ أي: لِئَلّا / تصيبوا بالقتل والقتال[٢] ﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ بحالهم وما هُمْ عليه من الإسلام والطاعة، وقرأ حمزة والكسائي: «فَتَثَبَّتُوا»[٣] بالتاء والثاء من الثَّباتِ، وهو أبلغ في المعنى؛ لأن الإنسان قد يَتَثَبَّتُ ولا يَتَبَيَّنُ، وإذا تَبَيَّنَ فقد تَثَبَّتَ. [١٧٥/ ب]

وقوله: ﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ عطف على ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾؛ أي: تَنْدَمُوا على إصابتهم بالخطأ، وذلك أن رسول الله ﷺ هَمَّ بالإيقاع بهم حتى نزلت هذه الآية.

ثم وَعَظَهُمْ بقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ معناه: اتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يُخْبِرُ نَبِيَّهُ ﷺ فَتَفْتَضِحُوا، ثم قال:

---

(١) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٤/ ١٣٣، والمعجم الكبير ٣/ ٢٧٤، ١٨/ ٧، ٢٣/ ٤٠١، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٥٤، ٥٥ كتاب السير: باب قسمة الغنيمة في دار الحرب، وينظر: أسباب النزول ص ٢٦١.

(٢) هذا على مذهب الكوفيين، وأما على مذهب البصريين فقوله: «أنْ تُصِيبُوا» في موضع نصب على المفعول له؛ أي: مَخافَةَ أنْ تُصِيبُوا، أو كَراهَةَ أنْ تُصِيبُوا، وينظر ما سبق في أول السورة في قوله تعالى ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ ٣/ ١١٣ وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤.

(٣) وهي قراءة ابن مسعود وخلف أيضًا، ينظر: جامع البيان ٢٦/ ١٦٠، تفسير القرطبي ١٦/ ٣١٢، النشر ٢/ ٢٥١، الإتحاف ٢/ ٤٨٦.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ يعني الرسول ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ يعني: لأثِمْتُـمْ وهَلَكْتُمْ، والعَنَتُ: الضَّرَرُ والفَسادُ والهَلاكُ في الدِّينِ، يقال: أعْنَتُّ الرَّجُلَ: إذا حَمَلْتَ عليه عامدًا بما يَكْرَهُهُ[1].

ثم خاطَبَ المؤمنين الذين لا يَكْذِبُونَ، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ جعله أحَبَّ الأديان إليكم ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ حتى اخْتَرْتُمُوهُ ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾.

ثم انتقل من الخطاب إلى الخبر عنهم، فقال ـ عَزَّ مِنْ قائِلٍ ـ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧﴾ المهتدون إلى محاسن الأمور، نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾[2]، وقال النابغة:

٢٦٥ ـ يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلْياءِ فالسَّنَدِ   أقْوَتْ وَطالَ عَلَيْها سالِفُ الأبَدِ[3]

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٤١/ أ.

(٢) الروم ٣٩، وهذا ما يسمى بالالتفات، وهذا القول قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٢٨٩، وينظر: الصاحبي لابن فارس ص ٣٥٦، الكشف والبيان ٩/ ٢٧٨.

(٣) البيت من البسيط للنابغة الذبيانِيِّ، من قصيدة يمدح بها النعمان، ويروى: «سالف الأمد»، وسوف يتكرر عَجُزُهُ ٣/ ١١٨.

اللغة: العلياء: ما ارتفع من الأرض، السَّنَدُ: سَنَدُ الجبلِ: ارتفاعه حيث يُسْنَدُ فيه؛ أي: يُصْعَدُ، أقْوَتْ: خَلَتْ وأقْفَرَتْ.

التخريج: ديوانه ص ١٤، الكتاب ٢/ ٣٢١، المقصور والممدود للفراء ص ٥٤، الأضداد لقطرب ص ٩٣، مجالس ثعلب ص ٤٣٥، الأضداد لابن الأنباري ص ١٢٢، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٥٤، المحتسب ١/ ٢٥١، الصاحبي ص ٣٥٦، الكشف والبيان ٩/ ٢١٧، أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ٤١٩، ٢/ ٣٠٥، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠، البيان للأنباري ١/ ٩٦، القرطبي ١٦/ ٣١٤، ١٧/ ٢٢٢، رصف المبانِي ص ٤٥٢، اللسان: جرا، سند، قصد: يا، البحر المحيط ٨/ ٢٠٨، الدر المصون ٦/ ٢٦٦، المقاصد النحوية ٤/ ٣١٥، همع =

ثُمَّ بَيَّنَ أن جميع ذلك تَفَضُّلٌ من الله تعالى فقال: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ انتصب على المفعول من أجله؛ أي: لِلْفَضْلِ[١]، وقيل[٢]: على المصدر، وإن شئت على إضمار «كانَ»، أي: كان جميع ذلك فضلًا من الله ونعمةً[٣] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما فيه صَلاَحِ خَلْقِهِ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ في تدبيره بالعدل.

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴿٩﴾﴾ بالدعاء إلى حُكْمِ كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، قال أكثر المفسرين: وَقَفَ رسولُ الله ﷺ ذات يوم في مجلس من مجالس الأنصار، وهو على حمار، فَبالَ حِمارُهُ، فأمسك عبد الله بن أُبَيٍّ أَنْفَهُ، وقال: آذاني نَتَنُ حِمارِكَ، فقال عبد الله بن رَواحةَ: واللهِ لَبَوْلُ حِمارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَطْيَبُ مِنْكَ رِيحًا،

= الهوامع ١/ ٢٧٦، ٣/ ٤٨٦، شرح شواهد شرح الشافية ص ٤١١.

(١) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١١.

(٢) قاله الزمخشري وابن عطية والباقوليُّ وغيرهم، ولكن الزمخشري جعله مصدراً من غير فعله، والعامل فيه «الرّاشِدُونَ»، فقال الزمخشري: «وأما كونه مصدرًا من غير فعله فأن يوضع موضع «رُشْدًا»؛ لأن رُشْدَهُمْ فَضْلٌ من الله لكونهم مُوَفَّقِينَ فيه، والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام». الكشاف ٣/ ٥٦٢، وأما ابن عطية فقد جعله مُؤَكِّدًا لنفسه، فقال: «مصدر مؤكد لنفسه؛ لأن ما قبله هو بمعناه، إن التَّحَبُّبَ والتَّزْيِينَ هو نفس الفضل». المحرر الوجيز ٥/ ١٤٨، وعلى هذا فالعامل فيه فعل مضمر من لفظه؛ أي: تَفَضَّلَ بذلك فَضْلًا، وأَنْعَمَ عليكم نِعْمةً، وينظر أيضًا: الفريد للمنتجب الهمداني ٤/ ٣٣٩، البحر المحيط ٨/ ١١٠.

(٣) إضمار «كان» هنا قاله الثعلبي والزمخشري والسجاوندي، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٧٨، الكشاف ٣/ ٥٦٢، عين المعانِي ورقة ١٢٥/ أ، قال أبو حيان رَدًّا على الزمخشري: «وأما تقديره: أو كان ذلك فضلًا، فليس من مواضع إضمار «كان»، ولذلك شرط مذكور في كتب النحو». البحر المحيط ٨/ ١١٠.

فغضب لعبد الله بن أُبَيٍّ رَجُلٌ من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابُهُ، حتى اسْتَبُّوا، وكان بينهم ضَرْبٌ بالجَرِيدِ والأيْدِي والنِّعالِ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾، فلما قرأها رسول الله ﷺ عليهم اصطلحوا / وكَفَّ بَعْضُهُمْ عن بعض[1]، وارتفع «طائِفَتانِ» على إضمار فعل تقديره: وَإِنِ اقْتَتَلَ طائِفَتانِ، أو: وَإِنْ كانَ طائِفَتانِ[2]. [١٧٦/ أ]

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ يعني: بَيْنَ كل مُسْلِمَيْنِ تَخاصَما وتَقاتَلا، وهذه قراءة العامة، ومعنى الاثنين تَأَتَّى على الجميع؛ لأن تأويله: بَيْنَ كُلِّ أَخَوَيْنِ، وقرأ ابن سِيرِينَ[3] ويعقوبُ: ﴿بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ﴾ بالجمع، وقرأ الحسن: ﴿بَيْنَ إِخْوانِكُمْ﴾ بالألف والنون[4] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فلا تَعْصُوهُ ولا تخالفوا أَمْرَهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) رواه البخاري عن أنس في صحيحه ٣/ ١٦٦ كتاب الصلح: باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، ومسلمٌ في صحيحه ٥/ ١٨٣ كتاب الجهاد والسير: باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢١٢، وينظر: تأويل مشكل القرآن ٢/ ٣١٦.

(٣) هو محمد بن سيرين البصري، أبو بكر الأنصاري بالولاء، تابعي اسْتَكْتَبَهُ أَنَسُ بن مالك بفارس، كان إمام البصرة في علوم الدين، توفِّي سنة (١١٠هـ)، ينسب له كتاب «تعبير الرؤيا»، وهو غير كتاب تفسير الأحلام المنسوب له أيضًا، وليس له. [تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٤٤-٣٥٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٦-٦٢٢، الأعلام ٦/ ٥٤].

(٤) قرأ ابنُ سيرين ويعقوبُ، وابنُ عامر في روايةٍ عنه، وزيدُ بنُ عَلِيٍّ والحسنُ وأبو عمرو ونصرُ ابنُ عاصمٍ وعاصمٌ الجحدريُّ وأبو العالية: «بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ»، وقرأ الحسنُ وابنُ سيرين وأبو عمرو وعاصمٌ الجحدريُّ في رواية أخرى عنهم، وزيدُ بن ثابت وابنُ مسعود وثابتٌ البنانِيُّ وحمادُ بنُ سلمة: ﴿بَيْنَ إِخْوانِكُمْ﴾ بالنون، ينظر: السبعة ص ٦٠٦، مختصر ابن خالويه ص ١٤٤، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٢٣، البحر المحيط ٨/ ١١١.

فصل

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يَلْطِمُهُ ولا يَشْتُمُهُ، ومن كان فِي حاجة أخيه، كان الله فِي حاجته، ومن فَرَّجَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبةً مِنْ كُرَبِ الدنيا، فَرَّجَ اللهُ عنه كُرْبةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يوم القيامة»[1].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾؛ أي: لا يَسْتَهْزِئ الرجلُ بأخيه، فيقول له: إنك رديء المعيشة، لئيم الحسب، وأشباه ذلك مما ينتقصه به، ولعله خير منه عند الله، وهو قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ والقوم: اسم يجمع الرجال والنساء، وخص هاهنا الرجال بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾[2]، قال زهير:

٢٦٦ - وَما أدْرِي وَلَسْتُ إخالُ أدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِساءُ؟[3]

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٩١، والبخاري في صحيحه ٣/ ٩٨ كتاب المظالم: باب «لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه»، ٨/ ٥٩ كتاب الإكراه: باب يمين الرجل لصاحبه، ورواه مسلم في صحيحه ٨/ ١٨ كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم.

(٢) ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن لفظ القوم يطلق على الرجال دون النساء، وقال الفارسي: «فأما قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ فإنه لَمّا اختلط النساء بالرجال أجْرَى عليهنَّ لَفْظَ التذكير، وغَلَبَ، كما غَلَبَ في غير هذا الموضع». المسائل الشيرازيات ص ٣١٢، ٣١٣، المسائل الحلبيات ص ١٦٠، وينظر أيضًا: التهذيب ٩/ ٣٥٦، الصاحبي ص٣٠٥، الصحاح ٥/ ٢٠١٦.

(٣) البيت من الوافر، لزهير بن أبِي سلمى يهجو قومًا من قبيلة كلب، ورواية ديوانه: «وَسَوْفَ إخالُ أدري».

التخريج: ديوانه ص ٧٣، مجاز القرآن ٢/ ١٥٨، جمهرة اللغة ص ٩٧٨، الزاهر ٢/ ١٦٠، المسائل الحلبيات ص ١٦٠، الصاحبي ص ٣٠٦، الكشف والبيان ٩/ ٨١، أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ٤٠٦، ٣/ ١٠٧، المحرر الوجيز ٥/ ١٤٩، كشف المشكلات ٢/ ٣٢٤، =

وقوم الرجل: شِيعَتُهُ وعَشِيرَتُهُ، وسُمُّوا قَوْمًا لأنهم يقومون معه في العواقب وعند الشدائد، وينصرونه[1].

قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: لا تَعِيبُوا إخوانَكُم الذين هم كأنفسكم، ولا يَطْعَنْ بَعْضُكُمْ على بعض، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[2]، أي: لا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وكقوله: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[3]، يعني: يسلم بعضكم على بعض.

واللَّمْزُ؛ أي: العَيْبَةُ فِي المَشْهَدِ، والهَمْزُ فِي المَغِيبِ[4]، وقيل[5]: اللَّمْزُ يكون باللسان والعَيْنِ والإشارةِ، والهَمْزُ لا يكون إلا باللسان، قال الشاعر:

٢٦٧ - إذا لَقِيتُكَ عَنْ شَحْطٍ تُكاشِرُنِي وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهامِزَ اللُّمَزَهْ[6]

= شرح شواهد الإيضاح ص ٥٠٩، زاد المسير ١/ ٨٢، عين المعاني ١٢٥/ أ، الفريد ٤/ ٣٤٠، تفسير القرطبي ١/ ٤٠٠، ١٦/ ٨٢، ٣٢٥، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٢٥٦، ٢/ ٣٧٧، ارتشاف الضرب ص ٢١١٠، مغني اللبيب ص ٦١، ١٨٥، ٥١٣، ٥١٩، شرح شواهد المغني ص ١٣٠، ٤١٢، همع الهوامع ١/ ٤٩٢، ٢/ ٤٩٣.

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٤٢/ أ.

(٢) النساء ٢٩.

(٣) النور ٦١.

(٤) حكاه النحاس عن الأخفش الأصغر في إعراب القرآن ٤/ ٢١٣، وحكاه الأزهري عن الليث وابن الأعرابِيِّ في التهذيب ٦/ ١٦٤، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٨١، عين المعانِي ١٢٥/ أ.

(٥) قاله المبرد والنقاش، ينظر قول المبرد في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١٣، وقول النقاش في شفاء الصدور ورقة ٤٢/ أ، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٩/ ٨١.

(٦) البيت من البسيط، لزياد الأعجم، ويُرْوَى: «تُبْدِي لِي مُكاشَرةً»، ويُرْوَى:

تُدْلِي بِوُدِّي إذا لاقَيْتَنِي كَذِبًا وَإِنْ أَغِيبُ فَأَنْتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ =

قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ التَّنابُزُ: التفاعل من النَّبْزِ، وهو مصدر والنَّبَزُ الاسم، والألقاب جمع لَقَبٍ، وهو أن يُسَمِّيَهُ بغير اسمه، قال المفسرون: هو أن يقول الرجل لأخيه المسلم: يا فاسق! يا منافق! يا كافر، وقيل: هو أن يُعَيِّرَهُ بما كان يعمل من السيئات بعد التوبة / منها، فَنَهَى اللهُ أن يُعَيَّرَ الإنسانُ بما سَلَفَ من عمله، وقيل: هو كل شيء أَخْرَجْتَ به أخاك من الإسلام كقولك له: يا كلب، يا خنزير، يا حمار.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: بئس الاسم أن يقول لِمَنْ آمَنَ: يا فاسقُ! يا يهوديُّ! يا نَصْرانِيُّ! ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ يعني: من التنابز ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ المُجاوِزُونَ ما نَهاهُم الله عنه، وهو شرط وجزاء.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل: معناه: إن كُلَّ الظَّنِّ إِثْمٌ، قال الحسن[1]: أَمَرَهُم اللهُ باجتناب الظَّنِّ كُلِّهِ، وأَخْبَرَ أنه إِثْمٌ كُلُّهُ، إلا ما كان منه حَسَنًا تَظُنُّهُ بأخيك المسلمِ، وما كان سوى ذلك فهو إثم كُلُّهُ، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ قرأ العامة بالجيم، وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العُطارِدِيُّ

= **اللغة**: عن شَحْطٍ: عن بُعْدٍ، كاشَرَهُ: ضَحِكَ في وَجْهِهِ وباسَطَهُ.

التخريج: ديوانه ص ٧٨، مجاز القرآن ١/ ٢٦٣، ٢/ ٣١١، إصلاح المنطق ص ٤٢٨، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٥٥، ٥/ ٣٦١، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٣٢، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٥١، جمهرة اللغة ص ٨٢٧، ديوان الأدب ١/ ٢٥٦، إعراب ثلاثين سورة ص ١٨٠، إعراب القراءات السبع ١/ ٢٥٠، ٢/ ٥٢٩، مقاييس اللغة ٦/ ٦٦، مجمل اللغة ص ٩٠٩، الكشف والبيان ٩/ ٨١، ١٠/ ٢٨٥، تصحيح الفصيح ص٤٣١، الكشاف ٤/ ٢٨٣، عين المعاني ١٤٨/ أ، تفسير القرطبي ١/ /٣٣٢، ٢٠/ ١٨٢، أساس البلاغة: لمز، اللسان: همز، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٤٨٨، التاج: همز.

(١) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٤٢/ ب.

والجسنُ بالحاء[١]، قال الأخفش[٢]: ليس تَبْعُدُ إحداهما عن الأخرى، إلّا أن التجسس بالجيم عما يُكْتَمُ ويُوارَى، ومنه الجاسوس، والتَّحَسُّسُ بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها.

ويقال[٣]: إن التجسس بالجيم للشر لا غير، والتحسس بالحاء للخير والشر. معنى الآية: خُذُوا ما ظَهَرَ، ودَعُوا ما سَتَرَ اللهُ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْراتِ الناس وعُيُوبَهُمْ.

فصل

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكُمْ والظَّنَّ، فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَقاطَعُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا»[٤].

قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾؛ أي: ولا يُعَيِّرْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، والغِيبةُ أن

---

(١) وهي قراءة ابن سيرين أيضًا، ونسبها ابن خالويه للنبي ﷺ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٤، الكشف والبيان ٩/ ٨٢، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٣٢، البحر المحيط ٨/ ١١٣، الإتحاف ٢/ ٤٨٦.

(٢) لَمْ أقف عليه في معانِي القرآن، وإنما حكاه الثعلبي عنه في الكشف والبيان ٩/ ٨٢، وينظر: القرطبي ١٦/ ٣٣٣.

(٣) حكاه السجاوندي بغير عزو، ثم قال: «ولو صحّ هذا القول ما قرأ الحسن بالحاء». عين المعاني ورقة ١٢٥/ أ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ١٣٦، ١٣٧ كتاب النكاح: باب «لا يخطب على خطبة أخيه»، ٧/ ٨٨، ٨٩ كتاب الأدب: باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، وباب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، ٨/ ٣ كتاب الفرائض: باب تعليم الفرائض، ورواه مسلم في صحيحه ٨/ ١٠ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن والتجسس.

يُقالَ فِي الرجل مِنْ خَلْفِهِ ما فيه، وإذا اسْـتُقْبِلَ به فتلك المُجاهَرةُ، فإذا قيل فيه ما ليس فيه فذلك البَهْتُ[١].

وقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ قرأ نافع: ﴿مَيِّتًا﴾ بالتشديد[٢]، وقرأ الباقون بالتخفيف، وهو منصوب على الحال، وقرأ أبو سعيد الخُدْرِيُّ: ﴿فَكُرِّهْتُمُوهُ﴾[٣] بالتشديد على غير تسمية الفاعل، الباقون بالتخفيف، والمعنى: فكما تكرهون ذلك فاكرهوا غيبةَ أخيكم المسلم[٤]،

(١) قاله الأزهري في تهذيب اللغة ٨/ ٢١٥، وحكاه ابن الشجري عن قتادة في أماليه ١/ ٢٣٠، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٤٥، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٣٤.

(٢) وهي قراءة أبِي جعفر ورُوَيْسٍ ويعقوب أيضًا، ينظر: السبعة ص ٦٠٦، النشر ٢/ ٢٢٤، الإتحاف ٢/ ٤٨٧.

(٣) ورواها أبو سعيد الخُدْرِيُّ عن النَّبِيِّ ﷺ، وهي قراءة أبِي حيوة والجَحْدَرِيِّ أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٤، البحر المحيط ٨/ ١١٤.

(٤) يعني أن الفاء في قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ عاطفة على محذوف، وهذا التأويل للفارسي، فقد قال: «فَأَمّا الفاء في قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فعطفٌ على المعنى، كأنه لَمّا قيل لهم: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾؟ قالوا: لا، فقيل لهم لَمّا قالوا: لا: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، أي: كَرِهْتُمْ أَكْلَ لَحْمِهِ ميتًا، فكما كرهتم أكل لحمه ميتًا فكذلك فاكْرَهُوا غِيبَتَهُ، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معطوف على هذا الفعل المقدر، ولا يكون قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ بمعنى فاكْرَهُوهُ، واتقوا الله؛ لأن لفظ الخبر لا يوضع للدعاء في كل موضع، ولأن قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ محمول على المعنى الذي ذكرناه، فمعنى الخبر فيه صحيح». الحجة ٣/ ٤١٥، وحكاه عنه ابن الشجري في أماليه ١/ ٢٣٠: ٢٣٢، ويرى ابن الشجري أن قول الفارسي ضعيف؛ لأن فيه حَذْفَ الموصول وإبقاءَ صلته، وهو رديءٌ ضعيفٌ، ثم قال: «ولو قدر المحذوف مبتدأ كان جيدًا؛ لأن حذف المبتدأ كثير في القرآن، والتقدير عندي: فهذا كرهتموه، والجملة المقدرة المحذوفة مُبْتَدَئِيَّةٌ لا أَمْرِيَّةٌ كما قَدَّرَها». أمالِيُّ ابن الشجري ٣/ ١٠٠.
وفيه أقوال أخرى، تنظر في معانِي القرآن للفراء ٣/ ٧٣، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١٥، الكشاف للزمخشري ٣/ ٥٦٨، البحر المحيط ٨/ ١١٤، الدر المصون ٦/ ١٧١.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِحَقِّـهِ الذي فَرَضَ عليكم، فأطيعـوه فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب إليه من ذنوبه ﴿رَّحِيمٌ (١٢)﴾ بِخَلْقِهِ فلا أَرْحَمَ منه.

فصل

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ سُئِلَ عن الغِيبةِ: ما هي؟ قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بِما يَكْرَهُ»، قال: فإن كان في أخي ما أقولُ، قال: «إن كان فيه ما تقول فقد / اغْتَبْتَهُ، وإن لَمْ يكن ما قلتَ فيه فقد بَهَتَّهُ»[1]. [١٧٧/ أ]

ورُوِيَ عـن أَبِـي حكيم العَنْبَرِيِّ قال: سـأَلْتُ عائشـةَ ـ رضي الله عنها ـ عـن الغِيبةِ، فقالتْ: عَلَى الخَبيرِ سَـقَطْتَ، دخلت امرأةٌ على رسـول الله ﷺ، فَجَعَلَتْ تسـأَلُهُ عن حاجتها، وكانت امرأةً جميلةً، إلا أنها كانت قصيرة، فلما خَرَجَـتْ قُلْتُ: مـا رأيتُ كاليوم امرأةً أَجْمَلَ منهـا إلا أنها قصيرةٌ، فقال النبي ﷺ: «اغْتَبْتِها؛ لأنكِ نَظَرْتِ إلى أسوأ ما فيها فَذَكَرْتِهِ»[2].

وعن أَبِي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مَـرَرْتُ في السـماء بقوم يُقَطَّعُ اللَّحْمُ من جُنُوبِهِمْ، ثـم يُلْقَمُونَهُ، ثم يقال لهم: كُلُوا ما كنتم تأكلون من لحم أخيكم، قلت: يا جبريل: مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الهَمّازُونَ اللَّمّازُونَ»[3]، يعني: المغتابين.

(١) رواه الإمام أحمد في المسـند ٢/ ٢٣٠، ٣٨٤، ٣٨٦، ٤٥٨، ومسـلم في صحيحه ٨/ ٢١ كتاب البر والصلة: باب تحريم الغيبة.

(٢) رواه الإمـام أحمـد فـي المسند ٦/ ١٣٦، ٢٠٦، وابـن عدي فـي الكامل فِـي الضعفاء ٢/ ٢٩٥، وابن راهويه في مسـنده ٣/ ٩٢١، وينظر: شـفاء الصدور ورقة ٤٣/ ب، الدر المنثور ٦/ ٩٤، ٩٦.

(٣) هذا جزء من حديث الإسـراء الذي رواه الطبري فـي جامع البيان ١٥/ ١٨، وينظر: تاريخ دمشق ٣/ ٥١٢، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣٠، الدر المنثور ٤/ ١٤٣.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بقوم لهم أظْفارٌ من نُحاسٍ، يَخْمِشُونَ بها وُجُوهَهُمْ وصُدُورَهُمْ، فقلتُ: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، وَيَقَعُونَ فِي أعراضهم»[1].

وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ وأبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكُمْ والغِيبةَ، فإن الغيبة أشَدُّ مـن الزِّنـا»، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «إن الرجل يَزْنِي ويَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللهُ عليه، وإن صاحب الغيبة لا يُغْفَرُ له حتى يَغْفِرَ له صاحِبُهُ»[2].

وعن سَـهْلِ بن سَـعْدٍ السّـاعِدِيِّ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إذا اغتاب أحدُكم أخاه مِنْ خَلْفِهِ فَلْيَسْتَغْفِرْ له، فإن ذلك كَفّارةٌ له»[3].

وعن ابن شَوْذَبٍ[4] قال: قال رَجُلٌ لابن سِيرِينَ: إنِّي قد اغْتَبْتُكَ، فاجعلني فِي حِلٍّ، قـال: أكْـرَهُ أنْ أُحِلَّ ما حُرِّمَ[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٢٤، وأبو داود في سننه ٢/ ٤٥١ كتاب الأدب: باب في الغيبة، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ١/ ٧، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٨٥.

(٢) ينظر: المعجم الأوسـط ٦/ ٣٤٨، كتاب المجروحين ٢/ ١٦٨، الكشف والبيان ٩/ ٨٥، عين المعانِي ١٢٥/ أ، مجمع الزوائد ٨/ ٩١ كتاب الأدب: باب ما جاء في الغيبة والنميمة، الدر المنثور ٦/ ٩٧.

(٣) هـذا حديث موضوع رواه ابن عدي في الكامل ٣/ ٢٤٧، وابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١١٨، وينظر: كنز العمال ٣/ ٥٨٨، تذكرة الموضوعات للفَتَّنِيِّ ص ١٧٠.

(٤) هو عبد الله بن عمر بن شَـوْذَبٍ البَلْخِيُّ، أبـو عبد الرحمن البصري، الإمام الثقة، روى عن الحسـن وابن سيرين، سكن البصرة ثم بيت المقدس، توفِّي سنة (١٥٦هـ). [حلية الأولياء ٦/ ١٢٩-١٣٥، تهذيب الكمال ١٥/ ٩٤-٩٧].

(٥) ينظر: الكشـف والبيان ٩/ ٨٦، تاريخ مدينة دمشـق ٥٣/ ٢١٢، ٢١٣، عين المعانِي ورقة ١٢٥/ أ، ب، حلية الأولياء ٢/ ٢٦٣، مجمع البيان ٩/ ٢٢٩.

ورُوِيَ عن عيسى عليه السّلام أنه قال لأصحابه: «أرأيتم لو أن أحَدَكُمْ رَأى أخاه المسلمَ قد كَشَفَ الرِّيحُ ثِيابَهُ؟ قالوا: سبحان الله! إذَنْ كُنّا نَرُدُّها عليه، قال: بل كنتم تكشفون ما بَقِيَ، تسمعون للرجل سَيِّئةً، فتذكرون أكثرَ من ذلك»[1]، فَضَرَبَ لهم مَثَلًا.

ورُوِيَ عن خالد الرَّبَعِيِّ[2] قال: كنتُ في المسجد الجامع وفيه جماعة، فَتَناوَلُوا رَجُلاً، فَنَهَيْتُهُمْ عن ذلك، فَكَفُّوا عنه، وأخذوا عن غيره، ثم عادوا إليه، فدخلتُ معهم في شيء من أمره، فرأيتُ في تلك الليلةَ في المنام كأنه أتانِي رَجُلٌ أسْوَدُ طويلٌ جدا، ومعه طَبَقٌ عليه قطعة من / لحم خِنْزِيرٍ، فقال لِي: [١٧٧/ ب] كُلْ، فقلتُ: آكُلُ لَحْمَ الخنزير؟! والله لا أكَلْتُهُ، فانْتَهَرَنِي انتهارًا شديدًا، وقال: قد أكَلْتَ ما هو شَرٌّ منه، فَجَعَلَ يَدُسُّهُ فِي فِيَّ حتى استيقظتُ من منامي، فوالله لقد مَكَثْتُ ثلاثين يوما أو أربعين يوما ما أكلتُ طعاما إلّا وَجَدْتُ طَعْمَ ذلك اللحم ونَتَنَهُ فِي فَمِي.

ويقال: ثلاثة لا تكون غيبتهم غيبةً: سلطان جائر، وفاسقٌ مُعْلِنٌ بِفِسْقِهِ، وصاحبُ بِدْعةٍ، يعني: إذا ذَكَرَ فِعْلَهُمْ، فلو ذَكَرَ شَيْئًا من أديانهم يَعِيبُ منهم ذلك، لكان ذلك غِيبةً عنهم، ولكن إذا ذَكَرَ فِعْلَهُمْ ومَذْهَبَهُمْ فلا بأس؛ لكي يَحْذَرَهُم

---

(١) رواه الثعلبي عن خالد الرَّبَعِيِّ في الكشف والبيان ٩/ ٨٦، وينظر: تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٣٥- ٤٣٦، الدر المنثور ٢/ ٢٨.

(٢) هو خالد بن باب الرَّبَعِيِّ الأحْدَبُ، ابن أخي صفوان بن مُحْرِزٍ، تابعي بصري، روى عن أنس بن مالك وأبي هريرة وشَهْرِ بن حَوْشَبٍ، قال أبو زرعة: متروك الحديث، وقال ابن معين: ضعيف، ووَثَّقَهُ ابنُ حِبّانَ. [الثقات لابن حبان ٤/ ٢٠٠، الجرح والتعديل للرازي ٣/ ٣٢٢، لسان الميزان ٢/ ٣٧٤].

الناسُ، وقد قال عليه السّلام: «اذْكُرُوا الفاسِقَ بِما فيه يَحْذَرْهُ النّاسُ»[١].

قولـه عـزّ وجـلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحـواء، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شَعْبٍ، وهي رُؤوسُ القبائل مثل رَبِيعةَ ومُضَرَ والأوْسِ والخَزْرَجِ، واحدها شَـعْبٌ بفتح الشـين، سُمُّوا بذلك لِتَشَـعُّبِهِمْ واجتماعهم كَـتَشَعُّبِ أغصان الشجر.

قوله: ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ القبائل دون الشـعوب، واحدتها قبيلة، وهم كَبَكْرٍ من رَبيعـةَ، وَتَمِيمٍ من مُضَرَ، هذا قول جماعة المفسـرين[٢]، وقال أنس بن مالك وابن عباس[٣]: أراد بالشعوب المَوالِيَ، وبالقبائل العَرَبَ.

وإلى هذا ذهب قومٌ، فقالوا[٤]: الشعوب من العَجَمِ، وهم من لا يُعْرَفُ له أصْلُ نَسَبٍ كالهِنْدِ والجِبِلِّ[٥] والتُرْكِ، والقبائلُ من العرب، والقبيلة: الجماعة من أب واحد، والقَبيلُ: من آباءٍ شَتَّى، والسلطان: الشجرة لها أغصان وأصلها واحد، ويقال[٦]: إن القبائل مأخوذة من قبائل الرَّأْسِ، وهي أرْبَعُ قِطَعٍ مَشْعُوبٍ بَعْضُها إِلَى بَعْضٍ.

---

(١) رواه ابـن عَـدِيٍّ عن بَهْزِ بن حكيم فـي الكامل في الضعفـاء ٢/ ١٧٣، ٥/ ١٣٤، وينظر: الضعفاء الكبير ١/ ٢٠٢، الجامع الصغير ١/ ٢٢، كشف الخفاء ١/ ١٠٦.

(٢) ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧، الكشـف والبيان ٩/ ٨٧، الوسـيط ٤/ ١٥٨، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٣.

(٣) ينظر: الوسيط ٤/ ١٥٨، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٤، البحر المحيط ٨/ ١١٥.

(٤) ممن قال بذلك: الثعلبي والقشـيري، ينظر: الكشـف والبيان ٩/ ٨٧، الوسـيط ٤/ ١٥٨، المحرر الوجيز ٥/ ١٥٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٤، البحر المحيط ٨/ ١١٥.

(٥) الجِبِلُّ: الأُمّةُ من الخَلْقِ والجَماعةُ من الناس. اللسان: جبل.

(٦) ذكره النقاش بغير عزو فِي شفاء الصدور ورقة ٤٤/ ب، وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ١٥٣.

والشعوب أعظم من القبائل، ثم بعد القبائل العَمائِرُ، واحدها عَمِيرٌ، وقيل: عَمارةٌ بفتح العين، وهم كَشَيْبانَ من بَكْرٍ، ودارِمٍ من تَمِيمٍ، ودون العمائر البطون واحدتها بَطْنٌ، وهم كبَنِي غالِبٍ ولُؤَيٍّ من قريش، ثم الأفخاذ واحدها فَخِذٌ، وهم كبني هاشم وبني أمية من بني لُؤَيٍّ، ثم الفصائل واحدها فصيلة، ثم العشائر واحدها عَشِيرةٌ، وليس بعد العشيرة حَيٌّ يُوصَفُ[1]، والأَسْباطُ من بني إسرائيل[2].

وقوله: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾؛ أي: لِيَعْرِفَ بعضكم بعضًا في قُرْبِ النَّسَبِ وبُعْدِهِ، لا لِتَتَفاخَرُوا، وقرأ الأعمش: «لِتَتَعارَفُوا» بتاءين، وقرأ ابن عباس: ﴿لِتَعْرِفُوا﴾ بغير ألف[3]﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾.

---

(١) ينظر فِي هذه التسميات: نهاية الأرب فِي معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص ٢٠-٢٢، فقد فَصَّلَها وبَيَّنَها، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٤٤، الكشف والبيان ٩/ ٨٧، الكشاف ٣/ ٥٦٩، المحرر الوجيز ٥/ ١٥٣، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٥، تفسير البغوي ٤/ ٢١٧.

(٢) يبدو أنه يريد ما قاله الزجاج: «والأسباط هم الذين من ذرية الأنبياء، والأسباط اثنا عشر سبطا، وهم ولد يعقوب عليه السّلام». معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٢١٧.
وقال الأزهري: «وقال الزجاج: قال بعضهم: السِّبْطُ: القَرْنُ الذي يَجِيءُ بعد قَرْنٍ، قال: والصحيح أن الأسباط فِي ولد إسحاق، عليه السّلام، بِمَنْزِلةِ القبائل فِي ولد إسماعيل، فَوَلَدُ كُلِّ وَلَدٍ من أولاد يعقوب سِبْطٌ، وَوَلَدُ كُلِّ وَلَدٍ من أولاد إسماعيل قَبِيلةٌ، وإنما سُمُّوا هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل، لِيُفْصَلَ بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، عليهما السلام». تهذيب اللغة ١٢/ ٣٤٢، وينظر: اللسان: سبط.

(٣) قرأ ابن مسعود والأعمش: ﴿لِتَتَعارَفُوا﴾، وذكر ابن خالويه أنها في بعض المصاحف، وقرأ ابن عباس، وعاصمٌ فِي رواية أبانٍ عنه: ﴿لِتَعْرِفُوا﴾، وقرأ الأعمش أيضًا: ﴿لِتَتَعَرَّفُوا﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٤، المحتسب ٢/ ٢٨٠، شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٢٧، البحر المحيط ٨/ ١١٥.

فصل

عـن أبِي هريرة قال: قال رسـول الله ﷺ / : «إن الله يقـول يوم القيامة: [١٧٨/ أ] أمَرْتُكُمْ، فَضَيَّعْتُمْ ما عَهِدْتُ إليكم، ورَفَعْتُمْ أنسابكم، فاليومَ أرْفَعُ نَسَبِي، وأضَعُ أنْسابَكُمْ، أيْنَ المُتَّقُونَ؟ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾»(١).

وعن يحيى بن أبِي كثير(٢) أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صُوَرِكُمْ، ولا إلـى أموالكـم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكـم، وإنما أنتم - بني آدم - أكْرَمُكُمْ عند الله أتقاكم»(٣)، وعن أبِي هريرة قال: قيل لرسول الله ﷺ: مَنْ أكْرَمُ الناسِ؟ قال: «أتقاهم»(٤).

وأنشد ابن الفَرُّخانِ(٥) في المعنى:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٣ كتاب التفسير: سورة الحجرات، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ١٥٩، الدر المنثور ٦/ ٩٨.

(٢) هو يحيى بن صالح الطائي بالولاء، أبو نصر اليمامي، عالِمُ أهل اليمامة في عصره، وهو من ثقات أهل الحديث، قيل: أقام بالمدينة عشر سنين يأخذ عن أعيان التابعين، ثم سكن اليمامة فاشتهر، وعاب على بَنِي أُمَيَّةَ بعضَ أفاعيلهم، فضُرِبَ وحُبِسَ. [سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧-٣١، الأعلام ٨/ ١٥٠].

(٣) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبِي هريرة في المسند ٢/ ٢٨٥، ٥٣٩، ومسلم في صحيحه ٨/ ١١ كتاب البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم، وابن ماجهْ في سننه ٢/ ١٣٨٨ كتاب الزهد: باب القناعة.

(٤) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٣١، والبخاري في صحيحه ٤/ ١١، ١١٩، ١٢٢ كتاب أحاديث الأنبياء: باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾، وباب ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، ٤/ ١٤٧ كتاب بدء الخلق: باب المناقب، ٥/ ٢١٦ كتاب تفسير القرآن: سورة يوسف.

(٥) هو أبو حفص عمر بن الحفص بن الفَرُّخانِ الطبري البغدادي المتوفَّى سنة (٢٩٤هـ) تقريبًا، =

٢٦٨ ـ ما يَصْنَعُ العَبْدُ بِعِزِّ الغِنَى والعِزُّ كُلُّ العِزِّ لِلْمُتَّقِي
مَنْ عَرَفَ اللهَ فَلَمْ تُغْنِهِ مَعْرِفَةُ اللهِ فَذاكَ الشَّقِي[1]

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ قيل[2]: نزلت فِي بني أَسَدِ بن خُزَيْمةَ، قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينةَ فِي سنة جَدْبةٍ، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولَمْ يكونوا مؤمنين في السِّرِّ، إنما كانوا يطلبون الصدقة.

وقيل[3]: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في سورة الفتح، وهم أعراب جُهَيْنَةَ وأَسْلَمَ وأَشْجَعَ وغِفارٍ ومُزَيْنَةَ، كانوا يقولون: آمنا بالله؛ ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: انْقَدْنا واسْتَسْلَمْنا مَخافةَ القتل والسَّبْيِ.

ثم بَيَّنَ أن الإيمان محله القلب لا اللسان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، فَأَخْبَرَ أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان،

= من تصانيفه: كتاب المحاسن، اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب. [الفهرست ص ٣٣٢، هدية العارفين ١/ ٧٨٠، معجم المؤلفين ٧/ ٢٨٣].

(١) البيتان من السريع، لزينِ العابدين عَلِيِّ بنِ الحسين، يخاطب عُبّادَ البصرة حين اسْتَسْقَوْا فلم يُسْقَوْا.
التخريج: الكشف والبيان ٩/ ٨٩، عين المعاني ورقة ١٢٥/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٦.

(٢) هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٦٠٨، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٧٣، جامع البيان ٢٦/ ١٨٢، الكشف والبيان ٩/ ٨٩، الوسيط ٤/ ١٥٩، ١٦٠، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٨.

(٣) هذا قول السُّدِّيِّ، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٨٩، عين المعاني ورقة ١٢٥/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٨.

وإظهار شـرائعه بالأبدان، لا يكون إيمانًا دون الإخلاص الذي محله القلب، ولِما رَوَى أَنَسٌ عن رسـول الله ﷺ أنه قال: «الإسـلامُ عَلاَنِيـةٌ، والإيمانُ في القلب»[١]، وأشار إلى صدره.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يريد: ظاهرًا وباطنًا، وسِرًّا وعَلاَنِيةً ﴿لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا﴾ قـرأ أبو عمرو ويعقـوب: ﴿يَأْلِتْكُمْ﴾[٢] بالألف، واختاره أبـو حاتم اعتبارًا بقوله: «وَما أَلَتْناهُمْ»[٣]، يقـال: أَلَتَ يَأْلِتُ أَلْتًا، قال الشاعر:

٢٦٩ ـ أَبْلِغْ بَنِي ثُعَلٍ مِنِّي مُغَلْغَلَةً جَهْدَ الرِّسالةِ لاَ أَلْتًا وَلاَ كَذِبا[٤]

وقرأ الآخرون: ﴿يَلِتْكُمْ﴾ بغير ألف من: لاَتَ يَلِيتُ لَيْتًا، كقول رؤبة:

٢٧٠ ـ وَلَيْلَـةٍ ذاتِ نَدًى سَـرَيْتُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسـند ٣/ ١٣٤، ١٣٥، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٥/ ٣٠١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٢ كتاب الإيمان: بابٌ في الإسلام والإيمان.

(٢) وهـي قراءة الحسـن واليزيدي والأعرج والدُّورِيِّ أيضًا، ينظر: السـبعة ص ٦٠٦، تفسـير تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٨، البحر المحيط ٨/ ١١٦، الإتحاف ٢/ ٤٧٨.

(٣) الطور ٢١.

(٤) البيت من البسيط، للحُطَيْئةِ، ويُرْوَى:

أَبلِـغ سَـراةَ بَني سَـعدٍ مُغَلغَلَةً

اللغة: المُغَلْغَلَةُ: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد، الجَهْدُ: المبالغة والغاية.

التخريـج: ديوانه ص١٧، معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٢، مجاز القرآن٢/ ٢٢١، جامع البيان ٢٧/ ٣٦، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٢٠، المحتسب ٢/ ٢٩٠، الكشف والبيان ٩/ ٩٠، شمس العلوم ١/ ٣١١، عين المعانِي ورقة ١٢٥/ ب، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤٩، اللسان: ألت، البحر المحيط ٨/ ١٠٤، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٥٦١، التاج: ألت.

وَلَـمْ يَلِتْنِـي عَـنْ سُـراها لَيْتُ[1]

وهمـا لغتان[2]، ومعنى القراءتين جميعًـا: لا يَنْقُصْكُمْ ولا يَظْلِمْكُمْ من ثواب أعمالكم شيئًا، إن تطيعوا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑭﴾ / . [١٧٨/ ب]

قوله تعالـى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ أَسْلَمُواْ﴾؛ أي: بأن أسـلموا، وذلك بأنهم كانوا يأتون النبي ﷺ في كل يوم، يقولون: يا محمد! إنّ لنا عليك حَقًّا أصابك، أَسْلَمْنا، وأَتَيْناكَ بِذَرارِينا، ولَمْ نُقاتِلْكَ كما قاتلك بنو فلان، يَمُنُّونَ عليه بذلك، فقال سـبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ أي:

---

(١) الرجز لأبِي محمد الفَقْعَسِيِّ، وليس في ديوان رؤبة، ويُرْوَى: «ذاتِ دُجًى».
اللغة: لاتَهُ عَنْ الشيء يَلِيتُهُ وَيَلُوتُهُ لَيْتًا: صَرَفَهُ وَحَبَسَهُ، وقيل: معناه: لَمْ يَلِتْني عن سُراها أن أَتَنَدَّمَ، فأقول: ليتني ما سَرَيْتُها.
التخريـج: معانِي القرآن للفـراء ٣/ ٩٢، المقصور والممدود للفراء ص ٧٤، مجاز القرآن ٢/ ٢٢١، ٢٣٢، إصـلاح المنطق ص ١٣٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٦٦، إعراب ثلاثين سورة ص ٧٤، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٢٠، الحجة للفارسي ٣/ ٤١٤، المحتسب ٢/ ٢٩٠، سـر صناعة الإعـراب ص ٦٣٦، مقاييس اللغة ٥/ ٢٢٣، مجمـل اللغة ص ٢١٩، ٧٩٩، الكشـف والبيان ٩/ ٩٠، أسـاس البلاغة: ليت، عين المعانِي ورقة ١٢٥/ ب، الفريد ٤/ ٣٤٢، القرطبـي ١٠/ ٢٠٥، ١٦/ ٣٤٩، اللسـان: حنن، ليـت، البحر المحيط ٨/ ١٠٤، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٥٦١، التاج: حنن، ليت.

(٢) قال الفراء: «وقد قرأ بعضهم: ﴿لَا يَأْلِتْكُمْ﴾، ولسـتُ أشـتهيها؛ لأنهـا بغير ألف كُتِبَتْ في المصاحـف، وليس هـذا بمَوْضِعٍ يجوز فيه سـقوط الهمـز... وإنما اجترأ علـى قراءتها: «يَأْلِتْكُـمْ» أنه وجد: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ في موضـع، فأخذ ذا من ذلك، فالقرآن يأتِي باللغتين المختلفتين... ولاَتَ يَلِيتُ، وأَلَتَ يَأْلِتُ لغتان». معانِي القرآن ٣/ ٧٤.
وقـال النحاس: «إنهمـا لغتان معروفتان مشـهورتان، فإذا كان الأمر كذلك فاتباع السـواد أولـى». إعراب القـرآن ٤/ ٢١٦، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤١٦، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٢٠، ٣٢١، معانِي القراءات ٣/ ٢٥، الحجة للفارسي ٣/ ٤١٤.

بإسلامكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ﴾ نصب على الصرف[١]، وإن شئت على نزع الصفة؛ أي: بأن هداكم ﴿لِلۡإِيمَٰنِ﴾ وفي مصحف عبد الله: «إِذْ هَداكُمْ لِلإيمانِ»[٢]، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ أنكم مؤمنون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ فلا يخفى عليه شيء، قرأ ابن كثير والأعمش وطلحة وعيسى بن عمر بالياء[٣]، وقرأ الباقون بالتاء، والله أعلم.



(١) ربما يعني بالنصب على الصرف هنا النصبَ على المفعول من أجله، وهو أحد وجهين في قوله تعالى: ﴿أَنۡ هَدَىٰكُمۡ﴾، والوجه الثاني ما ذكره هو من أنه منصوب على نزع الخافض، وهو قول الفراء والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٤، إعراب القرآن ٤/ ٢١٧، وينظر أيضًا: الفريد للمنتجب الهمدانيِّ ٤/ ٣٤٣، البحر المحيط ٨/ ١١٧، الدر المصون ٦/ ١٧٢.
والنصب على الصرف مصطلح كوفِيٌّ يُقْصَدُ به شيء آخر غير ما ورد هنا، فإنّهم يَعْنُونَ به الفعلَ المضارعَ الذي صُرِفَ من حال الجزم إلى حال النصب لوقوعه بعد الواو استخفافا للنصب، وقد ذكر الجِبْليُّ هذا في الآية ٣٥ من سورة الشورى ٢/ ٤٤٠ وينظر: مصطلحات النحو الكوفِيِّ ص ١٠٥-١١٠، فقد ذكر مؤلفه أن هذا المصطلح قد يطلق عند الكوفيين على الاسم المنصوب بعد واو المعية على المفعول معه.
(٢) وهي قراءة زيد بن عَلِيٍّ أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٤، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٥٠، البحر المحيط ٨/ ١١٧.
(٣) وبها أيضًا قرأ عاصمٌ في رواية أبان عنه، وابنُ محيصن وأبو عمرو، ينظر: السبعة ص٦٠٦، تفسير القرطبي ١٦/ ٣٥٠، البحر المحيط ٨/ ١١٧، الإتحاف ٢/ ٤٨٧.

سورة ق
مكية

وهي ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون حرفًا، وثلاثمائة وخمس وسبعون كلمة، وخمس وأربعون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة «ق»، هَوَّنَ اللهُ عليه تاراتِ الموت وسَكَراتِهِ»[١].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة ﴿قٓ﴾ كُتِبَ من الذاكرين ما شاء الله كان»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿قٓ﴾ قيل: هو اسم من أسماء الله، أقْسَمَ اللهُ تعالى به، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو جَبَلٌ محيط بالدنيا من زُمُرُّذةٍ خضراءَ، خُضْرةُ السماء منه، والسماء مُقَبَّبةٌ عليه، وما أصاب الناسُ من زُمُرُّذٍ،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٩٢، الوسيط ٤/ ١٦٢، الكشاف ٤/ ١٣، مجمع البيان ٩/ ٢٣٣.
(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

فهو مما يسقط من ذلك الجبل، وهو وراءَ الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة، قيل لابن عباس: ما بالُ الأرضِ لا تَخْضَرُّ بِخُضْرَتِهِ؟ قال: لأن السماء مَوْجٌ مَكْفُوفٌ، والبحر هو ماء، فلو كانت الأرضُ ماءً لاخْضَرَّتْ، وعُرُوقُ الجبال كلها منه، فإذا أراد الله الزَّلْزَلَةَ بأرضٍ أوْحَى اللهُ إلى المَلَكِ الذي عنده أن يُحَرِّكَ عِرْقًا من الجبل، فيتحرك الجبلُ الذي يريده، وهو أول جَبَلٍ خُلِقَ، ثم بعده أبو قُبَيْسٍ[١]، وهو الجبل الذي الصَّفا تَحْتَهُ، ولِجَبَلِ قافٍ وَجْهٌ كَوَجْهِ الإنسانِ، وقَلْبٌ كقلوب الملائكة في المعرفة[٢]، والله أعلم.

وحَكَى الفَرّاءُ والزَّجّاجُ أن قوما قالوا: معنى ﴿قٓ﴾: قُضِيَ الأمْرُ، أو قُضِيَ ما هو كائن، كما قيل في «حم»: حُمَّ الأمرُ؛ أي: قُضِيَ ما هو كائن[٣].

قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾؛ أي: الشريفِ الكريمِ على الله، الكثيرِ الخيرِ، واختلفوا في جواب هذا القَسَمِ، فقال أهل الكوفة[٤]: جوابه ﴿بَلْ

---

(١) أبو قُبَيْسٍ: اسم الجبل المُشْرِفِ على مكة، وَجْهُهُ إلى قُعَيْقِعانَ، ومكةُ بينهما، أبو قُبَيْسٍ من شَرْقِيِّها، وقُعَيْقِعانُ من غَرْبِيِّها. معجم البلدان ١/ ٨٠.

(٢) ينظر في هذه الأقوال: جامع البيان ٢٦/ ١٨٩، ١٩٠، شفاء الصدور ورقة ٤٥/ ب، ٤٦/ أ، الكشف والبيان ٩/ ٩٢، ٩٣، الوسيط ٤/ ١٦٢، زاد المسير ٨/ ٤، عين المعاني ورقة ١٢٥/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ٢.

(٣) معانِي القرآن للفراء ٣/ ٧٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤١، وقال الزجاج أيضًا: «واحتج الذين قالوا من أهل اللغة: إن معنى «ق» بمعنى قُضِيَ الأمْرُ بقول الشاعر:

قُلْنا لَها: قِفِي، قالَتْ: قافْ
لاَ تَحْسَبِي أنّا نَسِينا الإيجافْ

معناه: فقالت: أَقِفُ». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤١، وذكره أيضًا في ١/ ٦٢-٦٣.

(٤) ذكره النقاش في شفاء الصدور ورقة ٤٥/ ب، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٩٣، المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٣، البحر المحيط ٨/ ١٢٠، الدر المصون ٦/ ١٧٤.

عَجِبُوا﴾، وقال الأخفش[1]: جوابه / محذوف، مجازه: والقرآنِ المَجِيدِ [١٧٩/ أ] لَتُبْعَثُنَّ، وقال أيضًا[2]: جوابه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ .. الآية﴾[3]، وجوابات القسم سبعة: «إنّ» المشددة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[4]، و«ما» التي للنفي كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[5]، واللام المفتوحة كقوله: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[6]، و«إنِ» الخفيفة كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[7]، و«لا» كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[8]، و«قَدْ» كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[9]، و«بَلْ» كقوله هاهنا[10]: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا﴾ يعني كفار مكة ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾

محمد ﷺ ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ مُعْجِبٌ، عَجِبُوا من كون

---

(١) هذا قول الفراء، قاله في معاني القرآن ٣/ ٧٥، وبه قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٤١، وأما الأخفش فالجواب عنده ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: لقد علمنا، ينظر: معاني القرآن ص ٤٨٣، وأجازه الزجاج أيضًا في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٤٢، ولَمْ يَنْسِبِ القَوْلَ بحذف الجواب للأخفش سوى الثعلبيِّ وأبي حيان، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٩٣، البحر المحيط ٨/ ١٢٠.

(٢) هذا قولٌ آخَرُ للأخفش، وهو قول ابن كيسان أيضًا، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٩٣، المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، البحر المحيط ٨/ ١٢٠.

(٣) ق ١٨.

(٤) الفجر ١٤.

(٥) الضحى ٣.

(٦) الحجر ٩٢.

(٧) الشعراء ٩٧.

(٨) النحل ٣٨.

(٩) الشمس ٩.

(١٠) الجبلي بهذا يختار قول الكوفيين، وهو أن الجواب قول تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾.

محمد ﷺ رسولًا إليهم، فأنكروا رسالته، وأنكروا البعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: من لحومهم ودمائهم وشعورهم، لا يَعْزُبُ ذلك عن علمه، ثم قال: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾

حافِظٌ لِعِدَّتِهِمْ وأسْمائِهِمْ، وهو اللَّوْحُ المَحْفُوظُ، و«كِتابٌ» رفع على خبر الظرف.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ به محمد ﷺ، يعني القرآن ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾؛ أي: مختلط ملتبس مختلف، وأصل المَرْجِ: الاضْطِرابُ والقَلَقُ، يقال: مَرَجَ أمْرُ النّاسِ، ومَرَجَ الدِّينُ، ومَرَجَ الخاتَمُ فِي إصْبَعِي أي: قَلِقَ من الهُزالِ[1]، وفي الحديث: «مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَماناتُهُمْ»[2].

ومعنى الآية أنهم قالوا: هو كاهن، ومنهم من قال: هو ساحر، ومنهم من قال: هو شاعر، ومنهم من قال: هو مجنون، وللقرآن: إنه سِحْرٌ، ومرة يقولون: رِجْزٌ، ومرة يقولون: مُفْتَرًى، فالْتَبَسَ القولُ عليهم حتى اختلفوا فِي أمْرِهِ[3].

ثم دَلَّهُمْ على قدرته على البعث بعظيمِ خَلْقِهِ، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ يعني: أفلا ينظرون هؤلاء المشركون الذين أنكروا البعث،

---

(١) قاله ابن قتيبة والنقاش، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤١٧، شفاء الصدور ورقة ٤٦/ ب، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١١/ ٧٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٥.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: قال لِي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا بَقِيتَ في حُثالةٍ من الناس؟ قال: قلت: يا رسول الله كيف ذاك؟ قال: «إذا مَرَجَتْ عُهُودُهُم وأماناتهم... إلخ». المسند ٢/ ١٦٢، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢١، ورواه ابن ماجهْ في سننه ٢/ ١٣٠٧ كتاب الفتن: باب التثبت في الفتنة.

(٣) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٢، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٩٤، الوسيط ٤/ ١٦٣، القرطبي ١٧/ ٥.

وجَحَـدُوا قُدْرَتَنا على إحيائهم بعد البِلَى، إلى قدرتنا على خلق السماء حين جعلناها سقفا محفوظا بغير عمد؟ ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾؛ أي رفعناها، وكل شيء ارتفع على شيء فهو بناء ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بنجومها وشمسها وقمرها ﴿وَمَا لَهَا﴾ في سَعَتِها ﴿مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾؛ أي: ليس فيها خِلالٌ ولا فُرْجةٌ ولا شَقٌّ ولا صُدُوعٌ ولا وَهَنٌ ولا فُتُوقٌ، وفُرُوجٌ يكون جمعًا ويكون واحدًا[١].

وفي الآية دلالة على استدارة السماء وإحاطتها بالأرض من جميع جهاتها؛ لأنه أخبر أنه لا فروج فيها، ولو كانت مبسوطةً مُتَّصِلةَ الأطرافِ لَمْ تكن كذلك[٢].

قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾؛ أي: مَدَدْنا الأرضَ، يعني: بَسَطْناها مَسِيرَ خمسمائة عام، ونصب الأرض بإضمار فعل؛ أي: مَدَدْنا الأرضَ وبَسَطْناها، والرفع جائزٌ، إلا أن النصبَ أحسنُ؛ لِيُعْطَفَ بالفعل على الفعل[٣]، وقد تقدم نظيره فِي سورة الحجر[٤].

قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جِبالاً ثَوابِتَ، وهي الجبال التي خلقها الله أوْتادًا للأرض لِئَلَّا تتحرك بأهلها وتَمِيدَ بهم ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أي: من كل

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٢١، ومعناه أن الفروج يكون جمعًا لِفَرْجٍ وفُرْجةٍ، ومعناهما الخَلَلُ بين الشيئين، وأنه يكون واحدًا، فيما أزعم، على أنه مصدر كالدُّخُولِ والخُرُوجِ ونحوهما.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٤٧/ أ.

(٣) قاله النحاس فِي إعراب القرآن ٤/ ٢٢١، وقد قرأ الجحدري: ﴿والأرْضُ مَدَدْناها﴾ بالرفع، ينظر: شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٢٨.

(٤) الحِجْر ١٩، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

لون ﴿بَهِيجٍ ۝٧﴾؛ أي: حَسَنٍ من أخْضَرَ وأحْمَرَ وأصْفَرَ، والبَهِيجُ: الجميل، والبَهْجةُ: الجمال، كقوله: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[1]؛ أي: ذات جَمالٍ.

ثم قال تعالى: ﴿تَبْصِرَةً﴾؛ أي: جَعَلْنا ذلك تَبْصِرةً، وقال أبو حاتم[2]: هو نصب على المصدر، وقيل[3]: على المفعول، قال الزجاج[4]: فَعَلْنا ذلك لِنُبَصِّرَ به ونُذَكِّرَ به، وهو قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ يعني: مخلص القلب، منيب راجع إلى الله بقوله وعمله ونِيَّتِهِ، و«ذِكْرَى» اسم مقصور، وهو في موضع نصب عطف على «تَبْصِرةً».

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ يعني: المطر كثير الخير، وفيه حياة كل شيء ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ يعني البساتين وما أخرج فيها لعباده من الثمار ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ أراد: الحَبَّ الحَصِيدَ، يعني المَحْصُودَ، وهو البُرُّ والشَّعِيرُ والذُّرةُ وسائر الحبوب مما يُحْصَدُ[5]، قال الشاعر:

٢٧١ ـ والنّاسُ فِي قَسْمِ المَنِيّةِ بَيْنَهُمْ ... [كالـزَّرْعِ مِنْـهُ] قائِـمٌ وَحَصِيـدُ[6]

---

(١) النمل ٦٠.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٩٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٦، وهو على هذا مصدر مؤكد لفعله؛ أي: بَصَّرْناهُمْ تَبْصِرةً.

(٣) يعني على المفعول له، وهو قول الزجاج والنحاس وغيرهما من العلماء. ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٣، إعراب القرآن ٤/ ٢٢١، التبيان للعكبري ص ١١٧٣، الفريد للهمداني ٤/ ٣٤٨، البحر المحيط ٨/ ١٢١، الدر المصون ٦/ ١٧٥.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٣.

(٥) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٤٧/ ب.

(٦) البيت من الكامل، لَمْ أقف على قائله، وما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

التخريج: التذكرة الحمدونية ٤/ ٢٧٨، تفسير القرطبي ٩/ ٩٥، فتح القدير ٢/ ٥٢٤، روح المعانِي ١٢/ ١٣٥.

وأضاف الحَبَّ إلى الحَصِيدِ كما يُقالُ: صَلاةُ الأُولَى؛ أي: الصلاةُ وَقْتَ الأُولَى، ومَسْجِدُ الجامِعِ، وزعم الفَرّاءُ أن الشيء أُضِيفَ لِنَفْسِهِ لاختلاف اللفظين[١]؛ لأن الحَبَّ هو الحَصِيدُ عنده، وقال محمد بن يزيد[٢]: إضافة الشيء إلى نفسه مُحالٌ، ولكن التقدير: حَبَّ النَّبْتِ الحَصِيدِ.

قولـه: ﴿وَٱلنَّخْلَ﴾؛ أي: وأَنْبَتْنا النَّخْلَ ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ يعني طِوالًا، يقال: بَسَقَ الشَّيْءُ يَبْسُقُ بُسُوقًا: إذا طالَ، وكل طويلٍ باسِقٌ، والتاء في موضع نصب على الحال والقطع.

وقوله: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾؛ أي: ثَمَرٌ مَنْضُودٌ بَعْضُهُ على بعض، وذلك قبل أن يَتَفَتَّحَ، وهو نَضِيدٌ فِي أَكْمامِهِ، فإذا خَرَجَ من أَكْمامِهِ فليس بِنَضِيدٍ[٣] ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴿١١﴾﴾ مفعول من أجله؛ أي: أَنْبَتْنا هذه الأشياءَ للرزق، وقيل: هو منصوب على المصدر[٤].

ثم ذكر الأُمَمَ المُكَذِّبَةَ تخويفًا لكفار مكة، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴿١٢﴾﴾ إلى قولـه: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾؛ أي: وَجَبَ عليهم عذابِي، وحَقَّتْ عليهم كلمةُ

---

(١) قال الفراء: «والحَبُّ هو الحصيد، وهو مما أُضِيفَ إلى نفسه مثل قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، ومثله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ والحبل هو الوريد بعينه، أُضِيفَ إلى نفسه لاختلاف اسْمَيْهِ». معانِي القرآن ٣/ ٧٦.

(٢) ينظر قول المبرد في الأصول لابن السراج ٢/ ٨، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢١، أماليُّ ابن الشجري ٢/ ٦٨، ٦٩.

(٣) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٧٦، غريب القرآن لابن قتيبة ص٤١٨.

(٤) هذان الوجهان قالهما الزجاج والنحاس، وإذا كان مصدرًا فالعامل فيه معنى الجملة قبله، أي: رَزَقْناهُمْ رِزْقًا؛ لأن إنباته هذه الأشياء رِزْقٌ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٣، إعراب القرآن ٤/ ٢٢٢.

العـذاب، و«وَعِيدِ» في موضـع رفع لأنه فاعل، إلّا أن ما قبـل ياء الإضافة لا يكون إلّا مكسورًا[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعني آدم عليه السّلام ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾؛ أي: مـا تُحَدِّثُهُ نَفْسُـهُ، يقال لِما يَقَعُ في النفس من فِعْلِ الشـيطان وشَـرِّهِ: وَسْواسٌ، ومصدره: وَسْوَسَ وَسْوَسـةً ووِسْواسًا[٢] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾؛ أي: أعْلَمُ وأقْدَرُ عليه من حبل الوريد؛ لأن أبْعاضَهُ وأجْزاءَهُ يَحْجُبُ بَعْضُها بَعْضًا، ولا يَحْجُبُ عِلْمَ اللهِ عَنْهُ شَيْءٌ.

وحَبْلُ الوَرِيدِ: عِرْقٌ بين الحُلْقُومِ والعِلْباوَيْنِ[٣]، وجمعه أوْرِدةٌ، وقيل[٤]: هو الوَتِيـنُ، وقيل[٥]: هو عِرْقُ العُنُقِ، وهو مُخالِـطٌ / للقلب، وقيل[٦]: عِرْقٌ [١٨٠/ أ]

---

(١) يعنـي ياء المتكلم، وهي مقدرة هنا على قـراءة الجمهور، وقـرأ يعقوب: «وَعِيدِي» بياء في الوصل والوقف، وقرأ ورش بياء في الوصل فقط، ينظر: التيسير ص ٢٠٢، النشر ٢/ ٣٧٦، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٨٨.

(٢) قاله النقاش، ثم قال: «ولِما وَقَعَ فيها [يعني النفس] من الخير: إلْهامٌ وإيزاعٌ، ولِما وقع فيها من الخوف للقتل وأشباهه: إيجاسٌ، ولِما وقع فيها من الأمن: طُمَأْنِينةٌ، ولِما وقع فيها مما لا يُقَدَّرُ لَها فيه ولا لَها شَـيْءٌ: خاطِرٌ كقولك: خَطَرَ بِبالِي مَجِيءُ فلان وأشـباه ذلك». شفاء الصدور ٤٩/ أ.

(٣) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٧٦، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤١٨، والعِلْباوانِ: تثنية عِلْباءٍ وهو عَصَبُ العُنُقِ. اللسان: علب.

(٤) هـذا قول الحسـن البصري، ينظر: تفسـير القرطبي ١٧/ ٩، والوَتِينُ: عِـرْقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبه. اللسان: وتن.

(٥) قاله مقاتل والزجاج، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٤، وقول مقاتل في تفسير القرطبي ١٧/ ٩.

(٦) ذكره ابن الجوزي بغير عزو في زاد المسير ٧/ ٩.

مُتَفَـرِّقٌ فِي البَدَنِ، مُخالِطٌ للإنسـان في جميـع أعضائه، والحَبْـلُ هو الوَرِيدُ فأُضِيفَ إلى نفسه لاختلاف اللفظين[١]، وسُمِّيَ الوَرِيدُ وَرِيدًا؛ لأن الرُّوحَ تَرِدُهُ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ قال الحسن[٢]: هما مَلَكانِ مُوَكَّلانِ بابن آدم، مَلَكٌ عن يمينه يكتب حسناتِهِ، ومَلَكٌ عن يَسارِهِ يكتب سيئاته، ثم قال:

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: جَلِيـسٌ وقَرِيـنٌ لا يفارقـه، قال أهل البصرة[٣]: أراد: عن اليمين قعيدٌ وعن الشمال قعيدٌ، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، كقول الشاعر:

نَحْـنُ بِمـا عِنْدَنـا وَأَنْـتَ بِمـا عِنْـ ـدَكَ راضٍ، والـرَّأْيُ مُخْتَلِـفُ[٤]

ولَـمْ يقل: راضِيانِ.

وقال أهل الكوفة[٥]: أراد: قُعُودٌ، رَدَّهُ إلى الجنس، فوضع الواحد موضع

---

(١) المؤلف اختار رأي الكوفيين في جواز إضافة الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظين، على الرغم من أنه قبل قليل اختار رأي البصريين في عدم جوازه، وأَوَّلَ ذلك على أنه مضاف لِمَحْذُوفٍ، وراجِعْ ما قاله في قوله تعالى: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ في الصفحة السابقة.

(٢) ينظر قوله في تفسير القرطبي ١٧/ ٩.

(٣) مذهب سيبويه وغيره من البصريين أن الخبر فِي مثل هذا محذوف من الأول؛ لدلالة الثانِي عليـه، وأن الخبـر إنما جُعِلَ للثانِـي لأنه أَقْرَبُ إليه، وهو مذهب الكسـائي أيضًا، كما ذكر النحاس، وهو مذهب المبرد أيضًا، وإن كان المبرد يُجِيزُ أن يكون الخبر للأول، وحُذِفَ من الثانِـي لدلالة الأول عليه، ينظر: الكتاب ١/ ٧٣-٧٧، مجاز القرآن ١/ ٣٩، ٢٥٧-٢٥٨، المقتضـب ٣/ ١١٢-١١٣، ٤/ ٧٢-٧٤، معانِي القـرآن وإعرابه ٥/ ٤٤، إعراب القرآن ٤/ ٢٢٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٠

(٤) تقدم برقم ١٥٧، ٢/ ١٧٩.

(٥) قـال الفراء: «يقال: قَعِيدٌ، ولَـمْ يقل: قَعِيدانِ... يريد به: قُعُودٌ، فجعـل القَعِيدَ جَمْعًا كما =

الجميع، كالرسول في الاثنين جُعِلَ للاثنين والجميع، قال الله تعالى في الاثنين: «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِين»[1]، وقال الشاعر:

أَلِكْنِي إِلَيْها، وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَواحِي الخَبَرْ[2]

ومعنى الآية: أن الله عزّ وجلّ وَكَّلَ بالإنسان ـ مع عِلْمِهِ بأحواله ـ مَلَكَيْنِ بالليل وملكين بالنهار، يحفظان عَمَلَهُ، ويكتبان أَثَرَهُ، إلزامًا لِلْحُجّةِ، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شِمالِهِ يكتب السيئات، فذلك قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، والمراد بالقَعِيدِ هاهنا المُلاَزِمُ الذي لا يَبْرَحُ، لا القاعدُ الذي هو ضِدُّ القائمِ[3].

= تجعل الرسول للقوم والاثنين». معانِي القرآن ٣/ ٧٧، وأجاز الفراء أن يكون «قَعِيدٌ» لأحدهما بدون تعيين، فقال: «وإن شئت جعلت القعيد واحدًا اكْتُفِيَ به من صاحبه». معانِي القرآن ٣/ ٧٧.

وذهب الأخفش والفارسي مذهب الكوفيين، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٢٣٨-٢٣٩، ٤٨٣، المسائل المشكلة ص ٤٢٣، وينظر قول الكوفيين في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٠، الفريد للهمداني ٤/ ٣٥٠-٣٥١، البحر المحيط ٨/ ١٢٣.

ولكنني وجدتُ نَصًّا لسيبويه في هذه الآية يجعل فيه لفظ «قَعِيدٌ» يؤدي عن الاثنين والجمع، كما يؤدي عن الواحد، قال سيبويه: «ونظير «أَحَقًّا أَنَّكَ ذاهِبٌ» من أشعار العرب قول العبدي:

أَحَقًّا أنّ جِيرَتَنا اسْتَقَلُّوا ... فَنِيَّتُنا وَنِيَّتُهُمْ فَرِيقُ

قال: فريق كما تقول للجماعة: هم صديق، وقال الله تعالى جده: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ الكتاب ٣/ ١٣٦.

(١) الشعراء ١٦.

(٢) تقدم برقم ٦٧، ١/ ٤١٢.

(٣) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ١٦٥، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١١.

فصل

عن أَبِي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «كاتِبُ الحَسَناتِ على يمين الرَّجُلِ، وكاتِبُ السَّـيِّئاتِ على يَسارِ الرَّجُلِ، فَكاتِبُ الحَسَناتِ أَمِيرٌ على كاتِبِ السَّـيِّئاتِ، فإذا عَمِلَ حَسَنةً كَتَبَها صاحِبُ اليَمِينِ عَشْرًا، وإذا عَمِلَ سَـيِّئةً قال صاحِبُ اليَمِينِ لِصاحِبِ الشِّـمالِ: دَعْهُ سَبْعَ سـاعاتٍ، لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ أو يَسْـتَغْفِرُ، فإن اسْـتَغْفَرَ اللهَ لَمْ يَكْتُبْ شَيْئًا، وإنْ لَمْ يَسْـتَغْفِرْ كَتَبَ عَلَيْهِ سَيِّئةً واحدةً»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ وَكَّلَ بِعَبْـدِهِ المُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يكتبان عَمَلَهُ، فـإذا مات قال المَلَكانِ اللَّذانِ وُكِّلاَ به يَكْتُبانِ عَمَلَهُ / : يا رَبِّ! قد مات فلانٌ، فَأْذَنْ لنا نَصْعَدْ إلى السـماء، فيقول الله تعالى: سَمائِي مَمْلُوءةٌ من ملائكتي، فيقولان: نُقِيمُ فِي الأرض، فيقول الله تعالى: أَرْضِي مَمْلُوءةٌ من خَلْقِي يُسَبِّحُونَ لِي، فيقولان: فأين نذهبُ؟ فيقول: قُومـا على قَبْـرِ عَبْدِي، فَسَـبِّحانِي وكَبِّرانِي وهَلِّلاَنِي، واكْتُبـا ذلك له إلى يوم القيامة»(٢).

قوله تعالـى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾؛ أي: ما يَتَكَلَّمُ من قول ﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾؛ أي: عنده ﴿رَقِيبٌ﴾ يَرْقُبُهُ ويَحْفَظُ عليه عَمَلَهُ خَيْرَهُ وشَرَّهُ ﴿عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: حاضر

(١) ينظـر: المعجم الكبير ٨/ ١٩١، ٢٤٧، الكشـف والبيان ٩/ ٩٩، الوسـيط ٤/ ١٦٦، زاد المسير ٨/ ١١، مجمع الزوائد ١٠/ ٢٠٩ كتاب التوبة: باب العجلة بالاستغفار.

(٢) هـذا حديـث موضوع رواه ابن عدي فـي الكامل في الضعفاء ٧/ ١٠٢، وينظر: الكشـف والبيـان ٩/ ١٠٠، الوسـيط ٤/ ١٦٦، الموضوعـات لابن الجوزي ٣/ ٢٢٩، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٢، الـدر المنثور ٦/ ١٠٥.

لا يغيب عنه، وهو معنى المُعْتَدِ، من قوله: ﴿أَعْتَدْنَا﴾[١]، والعرب تُعاقِبُ بين التاء والدال لقرب مخرجيهما، فتقول: أعْتَدْتُ وأعْدَدْتُ، وهَرَدَ وَهَرَتَ[٢]، وَكَبِدٌ وَكَبِتٌ، قال الشاعر:

٢٧٢ ـ لَئِنْ كُنْتَ مِنِّي فِي العِيانِ مُغَيَّبًا فَذِكْرُكَ عِنْدِي فِي الفُؤادِ عَتِيدُ[٣]

أي: حاضر، و«رَقِيبٌ» رفع لأنه خبر الظرف، وهو «لَدَيَّ»، و«عَتِيدٌ» نعته.

قوله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾؛ أي: غَمْرَتُهُ وشِدَّتُهُ التي تَغْشَى الإنسانَ وتَغْلِبُ على عقله ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: بحقيقة الموت، يريد: أنه حَقٌّ كائنٌ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الموت ﴿مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾؛ أي: تَفِرُّ وتَكْرَهُ وتَهْرُبُ وتَمِيلُ، وأصل الحَيْدِ المَيْلُ، يقال: حِدْتُ عن الشيء أَحِيدُ حَيْدًا: إذا مِلْتَ عنه، قال طرفة:

٢٧٣ ـ أبا مُنْذِرٍ رُمْتَ الوَفاءَ فَهِبْتَهُ وَحِدْتَ كَما حادَ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ[٤]

---

(١) كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾. الكهف ١٠٢، ومعنى كلامه أن لفظ «عَتِيد» فَعِيلٌ بمعنى مُفْعَلٍ، قال أبو عبيدة: «والعرب قد تضع «فَعِيلٌ» في معنى «مُفْعَلٍ»، وفي آية أخرى: «هَذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ»، مجازه: مُعَدٌّ». مجاز القرآن ١/ ٢٧٢، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٥، وحكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٥.

(٢) قال ابن السكيت: «ويقال: هَرَتَ القَصّارُ الثَّوْبَ وَهَرَدَهُ: إذا خَرَّقَهُ، وكذلك يُقالُ: هَرَتَ عِرْضَهُ وَهَرَدَهُ». الإبدال لابن السكيت ص ١٠٣، وينظر: التهذيب ٢/ ١٩٤، اللسان: هرت، هرد.

(٣) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، وقد وجدتُ لطَرّادِ بنِ عَلِيٍّ بن عبد العزيز المعروف بالبديع الدمشقي (ت ٥٢٤هـ) بَيْتًا يتفق معه في الصدر، وهو قوله:

لَئِنْ كُنْتَ عَنِّي فِي العِيانِ مُغَيَّبًا فَما أَنْتَ عَنْ سَمْعِي وَقَلْبِي بِغائِبِ

التخريج: البيت الشاهد في الكشف والبيان ٩/ ١٠٠، عين المعاني ورقة ١٢٦/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١١، وبيتُ طَرّادِ بن عَلِيٍّ في معجم الأدباء ١٢/ ٢٢.

(٤) البيت من الطويل لِطَرَفَةَ يخاطب الملكَ عَمْرَو بن هِنْدٍ. =

قولـه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ يعني نَفْخةَ البعـث ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: ذلك اليوم ﴿يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ قـال مقاتل[1]: يعني بالوعيدِ العَذابَ فِي الآخرة، والمعنى: فِي ذلك يَوْمُ وُقُوعِ الوَعِيدِ.

﴿وَجَآءَتۡ﴾ يعني فِي ذلك اليوم ﴿كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ يَسُوقُها إلى المَحْشَرِ ﴿وَشَهِيدٞ ٢١﴾ يشـهد عليها بما عملت، قال الكلبي[2]: السائق: هو الذي كان يكتب عليها، والمراد بالنفس هاهنا نفس الكافر، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ يعنـي البعث والحسـاب ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾؛ أي: قَوِيٌّ نافِذٌ ثاقِبٌ، تَرَى ما كان محجوبًا عنك، وتُبْصِرُ ما كنتَ تُنْكِرُهُ في الدنيا، قال مقاتل: هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي.

ثم يقول الله تعالى للزبانية: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤﴾؛ أي: مُعانِدٍ لله تعالى ورسولِهِ، مُجانِبٍ للإيمان، مُعْرِضٍ عن الحق، مأخوذ من العَنَدِ، وهو عَظْمٌ يَعْتَرِضُ فِي الحَلْقِ[3]، قال الشاعر:

٢٧٤ ـ إنِّي كَبِيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدا[4]

= **اللغة**: أبو منذر: كنية الملك عمرو بن هند، الدحض: يقال: مكان دَحْضٌ ودَحَضٌ؛ أي: زَلِقٌ.
التخريج: ديوانه ص ٢١٠، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٣٣، الكشف والبيان ٩/ ١٠٠، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ أ، تفسير القرطبي ١١/ ٦، ١٧/ ١٣، اللسان: دحض، التاج: دحض.

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ١٦٧.

(٢) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ١٦٧، زاد المسير ٨/ ١٣، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ أ.

(٣) حكاه الأزهري عن أبِي عبيد في تهذيب اللغة ٢/ ٢٢١.

(٤) من الرجز المشطور، نسبه القرطبي للحارثي، وقبله:

إذا رَحِلْـتُ فاجْعَلُونِي وَسَـطا

وقد اختلفا فِي الرَّوِيِّ؛ لِقُرْبِ مَخْرَجَيِ الدال والطاء، وهذا ما يسمى في علم العروض بالإكْفاءِ.
اللغة: العُنَّدُ: جمع عانِدةٍ، وهي الناقة التي لا تُخالِطُ الإبِلَ، بل ترعى وحدها. =

[١٨١/ أ] وقوله: «أَلْقيا» قيل: هو خطاب لِخَزَنةِ جَهَنَّمَ وزَبانِيَتِها / ، وقال الفَرّاءُ[١]: هو خِطابٌ للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، تقول للواحد: ارْحَلاها وازْجُراها وخُذاهُ وأَطْلِقاهُ، قال امرؤ القيس:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ[٢]

وقال أيضًا:

٢٧٥ ـ خَلِيلَيَّ مُرّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّما جِئْتُ طارِقًا وَجَدْتُ بِها طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ[٣]

معناه: أَلَمْ تَرِيانِي، فَرَجَعَ إلى الواحد، وأَوَّلُ الكلام اثْنانِ، وقال آخر:

= **التخريج**: مجاز القرآن ١/ ٢٩١، ٣٣٧، ٢/ ٢٧٥، أدب الكاتب ص ٣٨٠، المقتضب ١/ ٣٥٣، جمهرة اللغة ص ٦٦٦، ٨٧٩، الاقتضاب ٣/ ٣٠٤، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٤٥، أماليُّ ابن الشجري ١/ ٤٢٢، تفسير القرطبي ٩/ ٥٤، ٣٤٩، ١٩/ ٧٣، اللسان: عند، وسط، مغني اللبيب ص ٨٩٤، التاج: كفأ، عند.

(١) هذا معنى كلام الفراء، فهو مختلف اختلافًا كبيرًا عن نص كلامه في معاني القرآن ٣/ ٧٨-٧٩.

(٢) تقدم عَجُزُهُ وتخريجه كاملًا برقم ٤٦، ٣/ ١٥٠.

(٣) البيتان من بحر الطويل، لامرئ القيس من معلقته، ورواية الثاني في ديوانه: «أَلَمْ تَرِيانِي»، ويُروى الأول: «لِنَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤادِ».
اللغة: أُمُّ جُنْدُبٍ: زوج امرئ القيس، وكان قد طَلَّقَها، اللُّباناتُ: جمع لُبانةٍ وهي الحاجة من غير فاقة، ولكن من هِمّةٍ.
التخريج: ديوانه ص ٤١، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٧٩، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٦، إعراب القرآن ٤/ ٢٢٨، شفاء الصدور ورقة ٥١/ أ، الكشف والبيان ٩/ ١٠١، شمس العلوم ٩/ ٦٠٩٧، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٥١، ١٧/ ١٦، ٢٠/ ٢، التذكرة الحمدونية ٧/ ٢٢٥، ٢٨٠، اللسان: محل، ندل، البحر المحيط ٧/ ٣٣٠.

٢٧٦- فَإِنْ تَزْجُرانِي يا ابْنَ عَفّانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدَعانِـي أَحْمِ عِرْضًـا مُمَنَّعا[١]

والخطاب لِخـازِنِ النارِ على قول الفراء، والعرب تَأْمُرُ الواحِدَ والجَمْعَ كما تَأْمُرُ الاثْنَيْنِ، وذلـك أن الرجل أَدْنَى أعْوانِهِ فِي إبِلِهِ وغَنَمِهِ اثنان، وكذلك الرُّفْقـةُ أدْنَـى ما تكـون ثلاثـةً، فَجَرَى كـلام الواحد على صاحبيـه[٢]، وقال الزجاج[٣]: هذا أمْرٌ لِلْمَلَكَيْنِ المُوَكَّلَيْنِ به، وهما السائق والشهيد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ هذا سـؤال توبيخ لِمَنْ دخلها، وقرأ قتادة والأعرج وشـيبة ونافع وأبو بكر: «يَقُولُ» بالياء[٤] على معنى: يقول الله لجهنم: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ تَسْتَزِيدُ رَبَّها تَعَبُّدًا منها له؛ لأنه

---

(١) البيت من الطويل، لسُوَيْدِ بن كُراعٍ العُكْلِيِّ يُخاطِبُ سعيد بن عثمان بن عفان وَحْدَهُ، ورواية ديوانه: «وَإِنْ تَتْرُكانِي»، ويروى: «أَزْدَجِرْ».

التخريج: شـعره ص ٦٣ ضمن (شعراء مقلون)، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٧٨، تأويل مشكل القـرآن ص ٢٩١، جمهرة اللغة ص ٨٣٩، الكشـف والبيـان ٩/ ١٠١، المخصص ٢/ ٥، المحـرر الوجيز ٥/ ١٦٣، شـمس العلـوم ٩/ ٦٠٩٧، التنبيه والإيضـاح ٢/ ٢٣٩، التبيان للعكبري ص ١١٧٦، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ أ، الفريد للهمداني ٤/ ٣٥٣، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١١١، اللسان: جزز، الدر المصون ٦/ ١٧٨، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٠، شرح شواهد الشافية ص ٤٨٣-٤٨٤، التاج: جزز.

(٢) هذا الكلام تتمةٌ لكلام الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٧٨.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٥.

(٤) وهي أيضًا قراءة الحسن والعطاردي وأبِي جعفر والأعمش، ولَمْ أقف على أنها قراءة لقتادة، وقرأ ابن مسـعود والحسـن والأعمش وأبانٌ عن عاصم: ﴿يَوْمَ يُقالُ﴾، وقرأ الحسن أيضًا: ﴿يَوْمَ أَقُولُ﴾، وقرأ الباقون وحَفْصٌ عن عاصم: ﴿نَقُولُ﴾. ينظر: السبعة ص ٦٠٧، مختصر ابن خالويه ص ١٤٥، المحتسب ٢/ ٢٨٤، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨، البحر المحيط ٨/ ١٢٦، الإتحاف ٨/ ٤٨٩.

جعلها نَكالًا لأعدائه، وإنما هي خَلْقٌ من خَلْقِهِ، مطيعة له، تتقرب إليه بإحراق أعدائـه[١]، وقيل: معنى «هَلْ مِنْ مَزِيـدٍ»؛ أي: قد امتلأتُ، ولَمْ يَبْقَ فِيَّ مَوْضِعٌ لَمْ يُمْلأْ، وهذا اسـتفهام إنكار، ويجوز أن يكون المعنى أنها طلبت أن تُزادَ فِي سَعَتِها لِتَضايُقِها بأهلها.

والعامل فِي «يوم»[٢]: ﴿بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٣]، ومنهم من قال: في ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قـولان، أحدهما: ما فِيَّ مِـنْ مَزِيدٍ، والثانِي: اسْـتِدْعاءٌ للزيادة كما ذكرنا[٤]، وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه.

فصل

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال جهنم تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، حتى يضع رَبُّ العالمين فيها ـ أو قال: عليها ـ قَدَمَهُ، فتقول: قَطْ قَطْ ـ أي: حَسْـبِي حَسْـبِي ـ»[٥]، فهذا الحديث صحيح الإسـناد، وهو يَـدُلُّ على خلاف القول الأول، وينبغي الوقوف والتسليم بهذا الحديث من غير تكييف.

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٥١/ ب.

(٢) في الأصل: «يوم القيامة»، وهو خطأ.

(٣) هـذا قول النحاس فِي إعـراب القرآن ٤/ ٢٢٩، وأجاز الزجاج والأزهـري أن يكون «يَوْمَ» منصوبًـا بقولـه: «يُبَدَّلُ» أو بفعل مضمـر؛ أي: أَنْذِرْهُمْ يَـوْمَ نَقُولُ. معانِـي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٩، معانِي القراءات للأزهري ٣/ ٢٧.

(٤) هـذان القولان قالهما الزجاج والنحاس والواحـدي، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٧، إعراب القرآن ٤/ ٢٢٩-٢٣٠، الوسيط ٤/ ١٦٨.

(٥) رواه الإمام أحمد بسـنده عن أنس رضي الله عنه في المسند ٣/ ١٣٤، ١٤١، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٧٩، والبخاري في صحيحه ٦/ ٤٧، ٤٨ كتاب تفسير القرآن: سورة ق، ٧/ ٢٢٤-٢٢٥ كتاب الأيمان والنذور: باب الحَلِفِ بِعِزَّةِ الله وصفاته.

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: بُـرِّزَتْ وقُرِّبَتْ منهم ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ نصب على الحال، يعني: ينظرون إليها قبل دخولها غير متباعدين، ويقال لهم: ﴿هَٰذَا﴾/ الذي تَرَوْنَهُ ﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ راجِعٍ عن معاصي الله، حَفِيظٍ يَحْفَظُ ذُنُوبَهُ حتى يرجع عنها، ويستغفر لها، وقرأ ابن كثير: ﴿يُوعَدُونَ﴾ بالياء[1].

قوله: ﴿مَنْ خَشِيَ﴾ يعني الأواب الحفيظ؛ أي: هو ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ يعني: خافَهُ وأطاعَهُ، ولَمْ يَرَهُ ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ مخلص راجع عن معاصي الله إلى طاعة الله.

وفي محل «مَنْ» مِن الإعراب وجهان[2]: الخفض على البدل من «حَفِيظٍ»، والرفع على الاستئناف، والخبر في قوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾؛ أي: يُقالُ لهم: ادخلوا الجنة بسلامة من الهموم والعذاب ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ يعني: في الجنة؛ لأنه لا مَوْتَ فيها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ يزيدهم الله تعالى من عنده ما لَمْ يَسْألُوهُ، رُوِيَ عن عَلِيِّ بنِ أَبِي طالبٍ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: «يَتَجَلَّى الرَّبُّ لَهُمْ»[3].

ثم خَوَّفَ كُفّارَ مكة، فقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ

---

(١) وهذه قراءة أبي عمرو أيضًا، ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠، البحر المحيط ٨/ ١٢٦، النشر ٢/ ٣٧٦.

(٢) الوجهان قالهما الفراء والنحاس، ينظر: معاني القرآن ٣/ ٧٩، إعراب القرآن ٤/ ٢٣٠-٢٣١، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢١، البيان للأنباري ٢/ ٣٨٧، التبيان للعكبري ص ١١٧٦، الفريد ٤/ ٣٥٥-٣٥٦، البحر المحيط ٨/ ١٢٦.

(٣) ينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ١٦٩، وذكره الهيثمي عن أنس في مجمع الزوائد ٧/ ١١٢ كتاب التفسير: سورة ق، وينظر: فتح الباري ١٣/ ٣٦٤، الدر المنثور ٦/ ١٠٨.

مِنْهُم بَطْشًا ﴾ نصب على التفسير ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٣٦﴾﴾ قال امرؤُ القيس الشاعِرُ:

٢٧٧ ـ لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الآفاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمةِ بِالإيابِ[(١)]

ويقال: رَجُلٌ نَقِيبٌ: إذا كان يَظُنُّ ظَنًّا فَيُصِيبُهُ، والنَّقِيبُ فوق العَرِيفِ، وأصله من: نَقَّبَ عن الأمر؛ أي: تَعَرَّفَهُ[(٢)].

قرأ العامة: «فَنَقَّبُوا» بفتح القاف مشددة، وقرأ الحسن بفتح القاف مخففة، وقرأ السُّلَمِيُّ ويحيى بن يَعْمُرَ[(٣)] بكسر القاف مشددة[(٤)] على التهديد والوعيد.

---

(١) البيت من الوافر لامرئ القيس، ورواية ديوانه: «وَقَدْ طَوَّفْتُ»، ومعنى قوله: «نَقَّبْتُ في الآفاقِ»: سِرْتُ في البلاد، وقوله: «رَضِيتُ مِن الغَنِيمةِ بالإياب» يُضْرَبُ لمن يسعى في طلب حاجته، فَيُشْرِفُ على الهلكة، حتى يرضى بأن يُفْلِتَ سالِمًا.

التخريج: ديوانه ص ٩٩، مجاز القرآن ٢/ ٢٢٤، البيان والتبيين ٣/ ٢٥٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٨، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٠، التهذيب ٩/ ١٩٧، معانِي القراءات ٣/ ٢٨، الحجة للفارسي ٣/ ٤١٧، جمهرة الأمثال ١/ ٣٩٤، ديوان المعانِي ٢/ ١٩٣، العقد الفريد ٣/ ١٢٦، الكشف والبيان ٩/ ١٠٥، مجمع الأمثال ١/ ٢٩٥، المستقصى ٢/ ١٠٠، المحرر الوجيز ٥/ ١٦٧، التذكرة الحمدونية ٨/ ١٢٢، زاد المسير ٨/ ٢٢، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ أ، الفريد ٤/ ٣٥٦، تفسير القرطبي ٤/ ٣٧، ١٧/ ٢٢، اللسان: نقب، البحر المحيط ٨/ ١٢٧، الدر المصون ٦/ ١٨١، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٤، التاج: نقب.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ٥٣/ أ، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص٤٢، اللسان: نقب.

(٣) أبو سليمان الوَشْقِيُّ العَدْوانِيُّ، من علماء التابعين، وقيل: هو أول من نقط المصاحف، كان عالمًا بالحديث والفقه ولغات العرب ومن كتاب الرسائل الديوانية، ولد بالأهواز وسكن البصرة، ووَلِيَ قضاءها حتى مات سنة ١٢٩هـ. [إنباه الرواة ٤/ ٢٤: ٢٧، غاية النهاية ٢/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤١: ٤٤٣].

(٤) قرأ ابن عباس والحسن وأبو عمرو وأبو العالية: «فَنَقَبُوا» بفتح القاف مخففة، وقرأ ابن عباس أيضًا، والسُّلَمِيُّ وابن يَعْمُرَ وأبو العالية ونصر بن سَيّارٍ وأبو حَيْوَةَ، وأبو عمرو في =

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي ذُكِرَ من إهْلاَكِ القُرَى ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة وموعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ قال ابن عباس: عقل، قال الفراء[1]: وهذا جائز في العربية أن تقول: ما لَكَ قَلْبٌ، وما قَلْبُكَ مَعَكَ؛ أي: ما عَقْلُكَ مَعَكَ ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾؛ أي: استمع ما يُقالُ له، يقال: أَلْقِ سَمْعَكَ إِلَيَّ؛ أي: اسْتَمِعْ مِنِّي[2]﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ شاهد بالقلب والفهم ليس بِغافِلٍ ولا ساهٍ.

واختلف العلماء في ماهِيّةِ العَقْلِ، قيل: هو الغَرِيزةُ، وقيل: هو نُورٌ، وقيل: هو قُوّةٌ يُفْصَلُ بِها بين حقائق المعلومات، وقيل: هو نوع من المعلومات الضرورية، وقيل: هو جَوْهَرٌ بَسِيطٌ، وقيل: هو جسم شَفّافٌ، كما قيل في الرُّوحِ: إنه جسم لطيف يَسْكُنُ البَدَنَ.

وأصل العَقْلِ: الامْتِناعُ، يقال: عَقَلْتُ النّاقةَ؛ أي: مَنَعْتُها من السَّيْرِ، وسُمِّيَ العَقْلُ عَقْلًا لأنه يَمْنَعُ من فِعْلِ القَبِيحِ، واختلفوا في مَحَلِّهِ، فمنهم من قال: مَحَلُّهُ القَلْبُ، وهو مذهب الشافعيِّ ـ رحمه الله تعالى ـ؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾[3] وقوله هاهنا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾؛ أي: عَقْلٌ، فَعَبَّرَ عنه لأنه محله، ومنهم من قال: مَحَلُّهُ الدِّماغُ، وهو قول أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ، ومنهم من قال: هو مُشْتَرَكٌ بين الرأس والقلب، هكذا ذكره ابن الجَوْزِيِّ في كتاب الأذكياء[4]، والله أعلم.

= رواية الأصمعي عنه: «فَنَقِّبُوا» على الأمر، ينظر: السبعة ص ٦٠٧، مختصر ابن خالويه ص ١٤٥، المحتسب ٢/ ٢٨٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢، البحر المحيط ٨/ ١٢٧.

(١) معانِي القرآن ٣/ ٨٠.

(٢) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٩، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣.

(٣) الحج ٤٦.

(٤) أخبار الأذكياء لابن الجوزي ص ٣٠.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾، قال المفسرون[1]: إن اليهود / [١٨٢/ أ] قالت: خَلَقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيام، أوَّلُها يومُ الأحَدِ، وآخِرُها يَوْمُ الجُمُعةِ، واستراح يوم السبت، فلذلك لا نعمل فيه شيئًا، فأكْذَبَهُم اللهُ بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: تَعَبٍ، يقال: لَغَبَ يَلْغُبُ لُغُوبًا: إذا أعْيا من التَّعَبِ[2].

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من بَهْتِهِمْ وكُفْرِهِمْ، وهذا قَبْلَ أن يُؤْمَرَ بالقتال ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾؛ أي: صَلِّ للهِ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾ يعني الفجر ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ يعني: الظهر.

فصل

عن جرير بن عبد الله قال: كُنّا عند رسول الله ﷺ، فَنَظَرُوا إلى القمر ليلةَ البَدْرِ، فقال: «إنكم سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيانًا كما تَرَوْنَ هذا، لا تُضامُونَ فِي رؤيته، فإن استطعتم ألا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب»، رواه البخاري[3].

---

(١) ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٨٠، جامع البيان ٢٦/ ٣٢٩، ٣٣٠، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٤٩، الكشف والبيان ٩/ ١٠٦، الوسيط ٤/ ١٧٠، زاد المسير ٧/ ٢٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٥٤/ أ، وفيه لغة أخرى، يقال: لَغِبَ بالكسر، وهي ضعيفة كما قال الأزهري في التهذيب ٨/ ١٣٨، وينظر: الصحاح للجوهري ١/ ٢٢٠.

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٣٨-١٣٩، ١٤٣ كتاب مواقيت الصلاة: باب فضل صلاة العصر، وباب فضل صلاة الفجر، ٦/ ٤٨ كتاب تفسير القرآن: سورة ق، ٨/ ١٧٩ كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ قولان، قيل: أراد النَّوافِلَ؛ لأن الآيـة عامّـةٌ، فهي على العُمُومِ، إلّا أن يقع دليـلٌ، وقيل: هما ركعتان بعد المغرب، رَوَى ذلك ابنُ عباس عن النَّبِيِّ ﷺ[١].

قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسـائي: ﴿وَأَدْبارَ السُّجُودِ﴾ بفتح الهمـزة، جعلوه جمع دُبْرٍ بمعنـى خَلْفَ، وقرأ الباقون: «وَإِدْبارَ» بالكسـر[٢]، جعلوه مصدر أَدْبَرَ الشَّـيْءُ إِدْبارًا: إذا وَلَّى، وأجمعوا جميعًا على الكسـر في: ﴿وَإِدْبـارَ النُّجُومِ﴾[٣]، وقيل: من قرأ بنصب الألف فَنَصْبُهُ على أنه اسـم أُقِيمَ مُقـامَ الظَّرْفِ، ومن قرأ بخفض الألـف فَنَصْبُهُ على الظَّرْفِ؛ لأن معناه: خَلْفَ السُّجُودِ[٤].

---

(١) روى الحاكم بسـنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الركعتان قبل صلاة الفجر إِدْبارُ النجوم، والركعتان بعد المغرب أَدْبارُ السجود». المستدرك ١/ ٣٢٠ كتاب صلاة التطوع: باب الركعتين قبل صلاة الفجر، ورواه ابن أبي شيبة عن عَلِيٍّ وعُمَرَ وأبي هريرة في المصنف ٢/ ٤٠٤-٤٠٥، ورواه الترمذي في سننه ٥/ ٦٧ أبواب تفسير القرآن: سورة الطور.

(٢) قرأ بكسـر الهمزة: ابنُ عباس وابـن كثير ونافع وحمزة وخلف وابـن محيصن وأبو جعفر وشيبة وعيسى بن عمر والأعمش وشبل وطلحة، ينظر: السبعة ص ٦٠٧، معاني القراءات ٣/ ٢٧، الحجة للفارسـي ٣/ ٤١٦، تفسـير القرطبي ١٧/ ٢٦، البحر المحيط ٨/ ١٢٨، الإتحاف ٢/ ٤٨٩.

(٣) الطور ٤٩.

(٤) علـى كلتـا القراءتين هو منصوب على الظرفيـة بتقدير مضاف؛ أي: وَقْتَ أَدْبارِ السُّـجُودِ، أو وَقْتَ إِدْبارِ السُّـجُودِ، قال سـيبويه: «هـذا باب ما يكون فيه المصدر حِينًا لِسَـعةِ الكلام والاختصار، وذلك قولك: مَتَى سِـيرَ عَلَيْهِ؟ فيقول: مَقْدَمَ الحاج، وخُفُوقَ النَّجْمِ، وخِلافَةَ فُلانٍ، وصَلاةَ العَصْرِ، وإنما هو: زَمَنَ مَقْدَمِ الحاجِّ، وحِينَ خُفُوقِ النَّجْمِ، ولكنه على سَـعةِ الكلام والاختصار». الكتاب ١/ ٢٢٢.

وقال الفارسي: «والمصادر تُجْعَلُ ظُرُوفًا على إرادةِ إضافةِ أسْماءِ الزمانِ إليها وحَذْفِها»، =

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ﴾ يعني صَيْحــةَ النَّفْخةِ لِيَقُومُوا ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ وهو إسـرافيل عليه السّــلام، ينادي بالحشــر فيقول: يا أيها الناس! هَلُمُّوا إلى الحِسابِ ﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾﴾ قيل: من صخرة بيت المقدس، ينادي: أيَّتُها اللُّحُــومُ المُتَمَزِّقةُ، والأوْصالُ المُتَفَرِّقةُ، والشُّــعُورُ السّــاقِطةُ، قُومِي إلَى رَبِّكِ لِيُجازِيَــكِ بِعَمَلِكِ، قرأ نافع وأبو عمرو: «المُنادِي» بياء في الوصل فقط، وقرأ الباقون بحذفها فِي الحالين، إلّا ابن كثير فإنه يُثْبِتُ الياءَ في الحالين[١].

ومعنى «واسْــتَمِعْ»؛ أي: وقِفْ، إذِ المراد: واذْكُرْ واسْتَمِعْ هذا الكلامَ يا محمــد! وهو صفة لـ«يَوْمَ»، ومعنى «قَرِيــبٍ»: أدْنَى وأقْرَبُ مكانٍ من الأرض إلى السماء بثمانيةَ عَشَرَ مِيلاً، وهي صخرة بيت المقدس. قال صاحب «إنسان العيــن»[٢]: ورَوَى الواحِــدِيُّ عن الكَلْبِيِّ أنه قال: هي أقْــرَبُ من الأرض إلى السماء بِاثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً[٣].

وقوله: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالبعث أنه كائِنٌ حَقًّا، و﴿يَوۡمَ﴾ نصب على البدل مــن الأول، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ من القبور، وهو

= ثم أوْرَدَ الفارسـيُّ الأمثلةَ التي ذكرها سـيبويه ثم قال: «وكذلك يُقَدَّرُ في قوله: وَقْتَ إدْبارِ السُّجُودِ، إلا أن المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر، ولا يُسْتَعْمَلُ، فهذا أدْخَلُ فــي باب الظروف مِنْ قَوْلِ مَــنْ فَتَحَ». الحجة ٣/ ٤١٦، وينظر أيضًا: الكشــف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦، البحر المحيط ٨/ ١٢٨، الدر المصون ٦/ ١٨٢.

(١) قــرأ نافع وأبــو عمرو وأبو جعفر: «المُنــادِي» بإثبات الياء في الوصل فقــط، وقرأ ابن كثير ويعقــوب وابــن محيصن بإثباتها وصــلاً ووقفًا. ينظر: الســبعة ص ٦٠٧، معانِي القراءات ٣/ ٢٨، ٢٩، الحجة للفارسي ٣/ ٤١٦، ٤١٧، البحر المحيط ٨/ ١٢٩، النشر ٢/ ٣٧٦، الإتحاف ٢/ ٤٩٠.

(٢) عين المعانِي ورقة ١٢٦/ أ.

(٣) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٢.

ابتـداء وخبـر ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ أراد: نُميتُ في الدنيـا، ونُحْيِي للبعث ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ بعد البعث، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع سَرِيع / ، وهو نصب على الحال، مجازه: فَيَخْرُجُونَ من قبورهم سِـراعًا[١] إلى إجابة الدعي الذي دعاهم إليـه ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: جَمْعٌ علينا هَيِّنٌ أن نبعثهم بعد الموت ثم نَحْشُرُهُمْ، ليس كما ظَنَّ قَوْمُكَ يا مُحَمَّدُ، وهذا جواب لقولهم: «ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ».

ثُمَّ عَـزَّى نَبِيَّهُ ﷺ فقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني كفار مكة من الأذى والتكذيب ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾؛ أي: بِمُسَـلَّطٍ، والجَبّـارُ في كلام العرب: المُتَكَبِّـرُ الذي لا يُرامُ، وهو مأخوذ مـن جَبّارِ النَّخْلِ، وهو الذي قد ارتفع عن أن تَنالَهُ اليَدُ، والجَبّارُ: القَتّالُ الذي يَقْتُلُ على الغَضَبِ، وهو من الأضداد[٢].

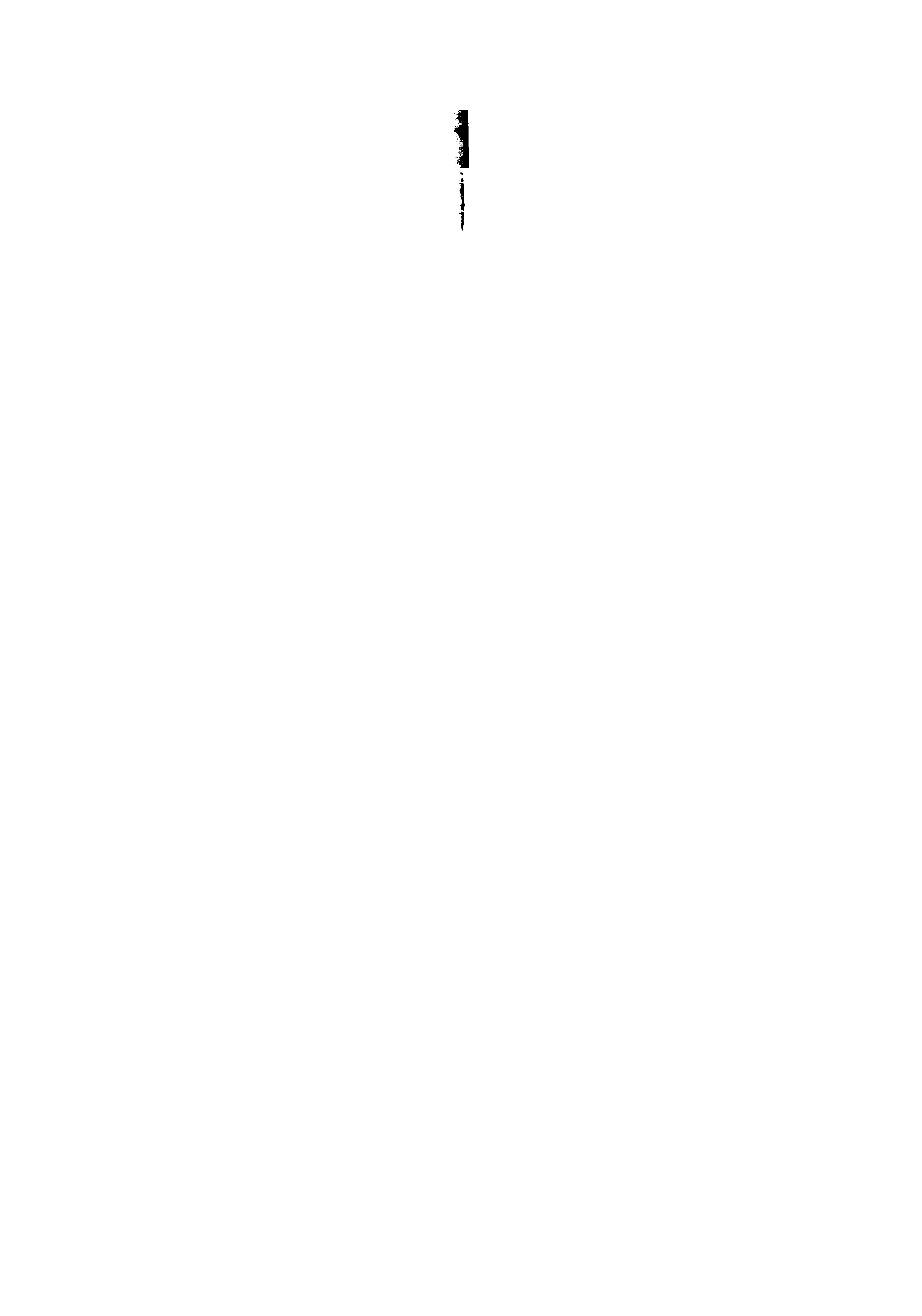
وقولـه: ﴿فَذَكِّرْ﴾ فَعِـظْ يـا محمـد ﴿بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ وعذابِي في الآخرة لِمَنْ عَصانِي، وخالَفَ أمْرِي فَيَحْذَرُ المَعاصِي، وإنما يتذكر من يخشى، والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) قـال النحاس: «سِـراعًا: نصب على الحال، قيل: من الهاء والميـم، وقيل: لا يجوز الحال مـن الهاء والميم؛ لأنـه لا عامِلَ فيها، ولكن التقديـر: فَيَخْرُجُونَ سِـراعًا». إعراب القرآن ٤/ ٢٣٤، وينظـر: مشـكل إعراب القـرآن ٢/ ٣٢١، البيـان للأنبـاري ٢/ ٣٨٨، الفريد للهمداني ٤/ ٣٥٨، البحر المحيط ٨/ ١٢٩.

(٢) مـن أول قوله: «والجبار فـي كلام العرب: المتكبر». قاله النقاش في شـفاء الصدور ورقة ٥٤/ ب، وأضاف النقاش: «والجَبّارُ: المُصْلِحُ لِلشَّأْنِ من: جَبَرَ العَظْمَ: إذا أصْلَحْتَهُ وَرَدَدْتَهُ إلى حاله»، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١١/ ٥٨، الصحاح ٢/ ٦٠٨.



سورة الذاريات
مكّية

وهـي ألف ومائتان وسـبعة وثمانـون حرفًا، وثلاثمائة وسـتون كلمة، وستون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـيَ الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ «والذّارِياتِ» أُعْطِيَ من الأجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ بِعَدَدِ كُلِّ رِيحٍ هَبَّتْ وَجَرَتْ فِي الدُّنْيا»(١).

ورُوِيَ عنـه ﷺ أنه قـال: «مَنْ قَرَأ سُـورةَ الذّارِياتِ صَلَّـى عَلَيْهِ الرُّوحُ والملائكةُ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١﴾ يعني الرياحَ التي تَذْرُو التُّرابَ ذَرْوًا،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٠٩، الوسيط ٤/ ١٧٣، الكشاف ٤/ ٢٢، مجمع البيان ٩/ ٢٥٢، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

يقال: ذَرَتِ الرِّيحُ التُّرابَ تَذْرُو ذَرْوًا: إذا فَرَّقَتْهُ، وأَذْرَتْ فَهِيَ مُذْرِيةٌ ومُذْرِياتٌ للجماعات[١]، وهي مخفوضة على القَسَمِ، وما بعده من الأسماء المخفوضةِ مَعْطُوفٌ عليه، و﴿ذَرْوًا﴾ منصوب على المصدر ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢﴾ مفعول، يعني السحابَ يَحْمِلُ ثِقْلًا من الماء، والوِقْرُ بكسر الواو: الحِمْلُ على الظَّهْرِ، والوَقْرُ ـ بالفتح ـ: الصَّمَمُ[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[٣] يعني صَمَمًا ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣﴾ يعني السفن تجري مُيَسَّرةً؛ أي: مُسَخَّرةً فِي الماء جَرْيًا سَهْلًا، والمفسرون على ذلك.

وقيل[٤]: أراد النجوم السبعة التي تسير في السماء، وهي الشمس والقمر وعُطارِدُ والمُشْتَرِي والزُّهَرةُ وبَهْرامُ[٥] وزُحَلُ، تَجْري في السماء بغير عَناءٍ ولا مَشَقَّةٍ، والسفن لا تجري يُسْرًا، وإنما تجري بالمشقة والعلاج/ [١٨٣/ أ] والعناء والأهوال، وربما غَرِقَتْ، وربما انكسرت، و«يُسْرًا» نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ، تقديرُهُ: جَرْيًا يُسْرًا[٦]، وقيل: هو منصوب على التفسير، وقيل: بِنَزْعِ الخافض؛ أي: باليسر[٧].

قوله: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ يعني الملائكة يُقَسِّمُونَ الأمورَ بين الخَلْقِ على ما أُمِرُوا به، وهم جبريل صاحب الغِلْظةِ، ومِيكائِيلُ صاحب الرحمة، وإسْرافِيلُ صاحب الصُّورِ، وعِزْرائِيلُ صاحب الموت ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

---

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٥١.
(٢) قاله أبو عبيدة وابن السكيت، ينظر: مجاز القرآن ١/ ١٨٩، ٣٨٠، إصلاح المنطق ص ٣، ٤، وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧، الصحاح ٢/ ٨٤٨.
(٣) الأنعام ٢٥، والإسراء ٤٦، والكهف ٥٧.
(٤) ذكره النقاش بغير عزو في شفاء الصدور ورقة ٥٥/ أ.
(٥) بَهْرامُ اسم كوكب المِرِّيخ. اللسان: بهرم.
(٦) قاله النحاس ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٣٥، مشكل إعراب القرآن ٣٢٢.
(٧) هذا الوجه والذي قبله ذكرهما السجاوندي بغير عزو في عين المعاني ورقة ١٢٦/ ب.

أَقْسَمَ اللهُ تعالى بهذه الأشياء لِما فيها من الدلالة على صَنْعَتِهِ وقدرته، وله أن يقسم ببعضِ بَدائِع خَلْقِهِ على وَجْهٍ يُوجِبُ الاعتبار، ويَدُلُّ عَلَى التوحيد، ولا تَخْفَى عَجائِبُ قُدْرةِ اللهِ وبدائع حِكْمَتِهِ في الأربع، ويَحْتَمِلُ الكُلَّ الرِّياحُ تَذْرُو التُّرابَ، وتَحْمِلُ السَّحابَ، وتَجْرِي رُخاءً حيث أصابَ، وتَتَحَرَّى في قِسْمةِ الأُمُورِ الصَّوابَ، من إيصال الكلام، وإصْلاَحِ أَمْرِ الأنامِ، وشِفاءِ الأسْقام، وتَرْوِيحِ المَسامِّ، وقيل: أراد النِّساءَ الوالِداتِ تَذْرُو الخَلْقَ، وهُنَّ الحامِلاَتُ الجارِياتُ في ترتيب أمْرِ البُعُولِ، المُقَسِّماتُ أمْرَ البَيْتِ في الدُّخُورِ والدُّخُولِ.

ثم ذَكَرَ المُقْسَمَ عليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من الخير والشر والثواب والعقاب والجنة والنار ﴿لَصَادِقٌ ۝٥﴾ وهذا جواب القسم ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ يعني الحساب والجزاء ﴿لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ لَنازِلٌ كائِنٌ.

ثم ابتدأ قَسَمًا آخَرَ، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ يعني: ذات الخَلْقِ الحَسَنِ المُسْتَوِي، وقيل[1]: ذات الطَّرائِقِ كَحُبُكِ الرَّمْلِ والماءِ إذا ضَرَبَتْهُما الرِّيحُ، وحُبُكِ الشَّعَرِ الجَعْدِ، ولكنّا لا نرى تلك الحُبُكَ لِبُعْدِها عَنّا، وهو جمع حِباكٍ وحَبِيكةٍ[2]، قال الراجز:

٢٧٨ ـ كَأنّما جَلَّلَها الحَوّاكُ

---

(١) قاله مقاتل والكلبي والفراء والأخفش وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٨٢، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢٠، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٤٧، الوسيط ٤/ ١٧٤، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب.

(٢) قاله أكثر العلماء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٨٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٢، إعراب القرآن ٤/ ٢٣٦، شفاء الصدور ورقة ٥٥/ ب، وقال الجوهري: «وجمع الحِباكِ حُبُكٌ، وجمع الحَبِيكةِ حَبائِكُ». الصحاح ٤/ ١٥٧٨.

طِـنْفِسـةٌ فِـي وَشْـيِها حِبـاكُ[1]

ثم ذكر جواب القسم، فقال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾ يعني: في القرآنِ ومحمدٍ عليه السّلام، فَمِنْ مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ، ومُقِرٍّ ومُنْكِرٍ، فبعضكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: ساحر، وبعضكم يقول: مجنون، وفِي القرآن تقولون: إنه سِحْرٌ وكَهانةٌ وما سَطَرَهُ الأوَّلُونَ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾؛ أي: يُصْرَفُ عن الإيمان به مَنْ صُرِفَ حَتَّى يُكَذِّبَ به، يعني: مَنْ حَرَمَهُ اللهُ الإيمانَ بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ.

[١٨٣/ ب] قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾﴾ يعني: لُعِنَ الكَذّابُونَ / الذين يَخْرُصُونَ الكَـذِبَ على الله وعلى رسوله وعلى دِينِهِ، وهم الذين قالوا: محمد ساحرٌ وشاعرٌ وكذابٌ، وأشباهَ ذلك، خَرَّصُوا ما لا عِلْمَ لهم به، ثم وَصَفَهُمْ فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾؛ أي: في حَيْرةٍ وعَمًى غافلون لاهُونَ عن الله، فَأَخْبَرَ أن الغَمْرةَ تُغَطِّي عليهم كَغَمْرةِ الماءِ، وهي التَّغْطِيةُ، إذا وَقَعَ الإنسانُ فيه مَنَعَهُ من مَعْرِفةِ شَيْءٍ.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: مَتَى يا محمدُ يَوْمُ الجَزاءِ،

---

(١) لَمْ أقف على قائل هذا الرجز.
اللغة: جَلَّلَها: غَطّاها، الحَوّاكُ: مبالغة من الحائك، الطِّنْفِسةُ والطُّنْفُسةُ: الوسادة التي تكون فوق الرحل تحت الراكب، الوَشْـيُ: خَلْطُ لونٍ بلونٍ، حَبَكَ الثوبَ يَحْبِكُهُ ويَحْبُكُهُ: أجاد نَسْجَهُ وحَسَّنَ أَثَرَ الصَّنْعةِ فيه.
التخريج: جامع البيان ٢٦/ ٢٤٣، الكشف والبيان ٩/ ١١٠، المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، عين المعاني ورقة ١٢٦/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ٣٢، البحر المحيط ٨/ ١٣١، الدر المصون ٦/ ١٨٤، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٦١، فتح القدير ٥/ ٨٣.

استهزاءً منهم بذلك وتكذيبًا، وهو مبني على الفتح، ومحله رفع بالابتداء، و﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ خبره، وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: «إِيّانَ» بكسر الهمزة، وهي لغةٌ[١].

ثم أخبر الله تعالى عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾؛ أي: يكون هذا الجَزاءُ يوم هم على النار يُحْرَقُونَ ويُعَذَّبُونَ ويُنْضَجُونَ بالنار، يقال: فُتِنَ الذَّهَبُ: إذا أُدْخِلَ النّارَ، ويقال: دِينارٌ مَفْتُونٌ: إذا أُدْخِلَ النّارَ[٢].

واختلف النحويون في نصب «يَوْمَ»، فقال الزجاج[٣]: موضعه نصب؛ أي: يَقَعُ الجَزاءُ يَوْمَ هُمْ على النار يُفْتَنُونَ، وقال غيره[٤]: هو فِي موضع رفع على البدل من قوله: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾.

وتكلموا في نصبه، فقال الفراء[٥]: لأنه أُضِيفَ إلى شيئين، وأجاز

(١) وهي قراءة الأعمش والمُطَّوِّعِيِّ أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٦، المحتسب ٢/ ٢٨٨، الإتحاف ٢/ ٤٩١، وكسر همزة «أيّانَ» لغة سُلَيْم كما ذكر الفراء في معاني القرآن ٢/ ٩٩، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٣٧، تهذيب اللغة ١٥/ ٥٥٠، الصحاح ٥/ ٢٠٧٦.

(٢) حكاه النحاس عن المبرد في إعراب القرآن ٤/ ٢٣٨، وحكاه النقاش عن عمرو بن فائد الأسواري في شفاء الصدور ٥٦/ أ، وينظر أيضًا: التهذيب ١٤/ ٢٩٧، الصحاح ٦/ ٢١٧٥.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٢، وأجاز الزجاج وجهًا آخر فقال: «ويجوز أن يكون لَفْظُهُ لَفْظَ نَصْبٍ، ومعناه معنى رفع؛ لأنه مضاف إلى جُمْلةِ كَلَامٍ، تقول: يُعْجِبُنِي يَوْمَ أَنْتَ قائِمٌ، ويَوْمُ أَنْتَ قائِمٌ، ويَوْمُ أَنْتَ تَقُومُ، وإن شئتَ فَتَحْتَ وهو في موضع رفع...، وكما قرئت: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾، ففتحت «يَوْمَ» وهو في موضع خفض؛ لأنك أَضَفْتَهُ إلى غير متمكن». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٢، ٥٣.

(٤) هذا القول حكاه النحاس بغير عزو فِي إعراب القرآن ٤/ ٢٣٧، وبه قال الباقولِيُّ فِي كشف المشكلات ٢/ ٣٢٨، وينظر أيضًا: الفريد للمنتجب الهمدانِي ٤/ ٣٦١-٣٦٢.

(٥) معانِي القرآن ٣/ ٨٣، ويعني بالشيئين المبتدأ والخبر.

الرَّفْـعَ على أصله[1]، وقال غيره[2]: لأنها إضافةٌ غَيْرُ مَحْضةٍ، ومذهب الخليل وسيبويه[3] أن ظروف الزمان غَيْرُ مُتَمَكِّنةٍ، فإذا أُضِيفَتْ إلى غَيْرِ مُعْرَبٍ أو إلى جملة مِثْلِ هذه بُنِيَتْ على الفتح، هكذا ذكره الصَّفّارُ[4]. وقال صاحب إنسـان العين[5]: النصب على حذف الفعل أو للإضافة إلى غير متمكن نحو: يَوْمَئِذٍ.

والوصـل بالضمير فِي الخط متابعة للمصحف، وحقه: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[6].

ثم تقول لهم خزنة النار: ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾؛ أي حَرِيقَكُمْ وعَذابَكُمْ ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ في الدنيا تكذيبًا به.

ثـم أعْلَمَ ما لأهـل الجنة عنده من الثواب، فقـال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ أي: قابِلِينَ ما أعطاهم رَبُّهُمْ من الثواب وأنواع الكرامات، ونصب ﴿ءَاخِذِينَ﴾ على الحال، ويَجُوزُ رفعُهُ في غير القرآن

---

(١) قـال الفراء: «فلو قيل: ﴿يَـوْمُ هُمْ عَلَى النّارِ يُفْتَنُونَ﴾ فرفع «يَوْمُ» لـكان وجهًا، ولَمْ يَقْرَأْ به أحَدٌ من القُرّاءِ». معانِي القرآن ٣/ ٨٣، وهذا الذي ذكر الفراء أنه لَمْ يقرأ به أحد قُرِئَ به في الشواذ، فقد قرأ ابنُ أبِي عَبْلةَ والزعفرانِيُّ: ﴿يَوْمُ هُمْ عَلَى النّارِ يُفْتَنُونَ﴾ برفع ﴿يَوْمُ﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٦، البحر المحيط ٨/ ١٣٤.

(٢) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٢٣٧، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب.

(٣) الكتاب ٣/ ١١٧، ١١٩.

(٤) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٣٧.

(٥) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب، وما قاله السجاوندي هو ما قاله الزجاج من قبله.

(٦) هذا وهم مـن المؤلف، فإن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ليس «هُمْ» فيه متصلًا في الخَطِّ بـ«يَوْمَ» فِي المصحف، وينظر: ما سـبق فِي الآية ١٦ من سورة غافر ٢/ ٣٨٥ وينظر أيضًا: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص ٣٤٤-٣٤٥.

على خبر «إنّ»[١]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ يعني الثواب الذي أعْطاهُمْ ﴿مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ في أعمالِهِمْ فِي الدنيا.

ثم أخْبَرَ عن إحسانهم ما هو؟ فقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: ينامون، قيل[٢]: «ما» هاهنا بمعنى الجحد؛ أي: كانوا لا ينامون بالليل، بل يقومون للصلاة والعبادة، وقيل: هو بمعنى «الَّذِي»، أي: كانوا قَلِيلاً من الليل الَّذِي يَهْجَعُونَ أي: كانوا قَلِيلاً من الليل هُجُوعُهُمْ؛ لأن «ما» إذا اتصل به الفعل صار في تأويل المصدر، كقوله: ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[٣]؛ أي: بِظُلْمِهِمْ[٤].

---

(١) ويجوز أن يكون رفعه على خبر مبتدأ محذوف، وهذان الوجهان قالهما الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٨٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٣، إعراب القرآن ٤/ ٢٣٨-٢٣٩، وقد قرأ ابنُ أَبِي عَبْلَةَ واليمانِيُّ: ﴿آخِذُونَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ بالرفع، ينظر: شواذ القراءة ورقة ٢٢٩، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب.

(٢) هذا قول قتادة والضحاك والحسن ويعقوب الحضرمي وابن الأنباري، ينظر: جامع البيان ٢٦/ ٢٥٣-٢٥٤، إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٠٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٣، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٣٦٣، تفسير القرطبي ١٧٣٦.

(٣) النمل ٥٢، ٨٥.

(٤) هذان وجهان خلط المؤلف بينهما، فالأول: أن تكون «ما» موصولة، وعليه يكون المعنى: كانوا قليلًا من الليل الوقت الذي يهجعونه، قال أبو حيان: «وفيه تكلف». البحر ٨/ ١٣٥، والوجه الثانِي: أن تكون «ما» مصدرية، وهي مع ما بعدها في تأويل مصدر في محل رفع بدل من الضمير في ﴿كَانُوا۟﴾، وخبر ﴿كَانَ﴾ قولُه: ﴿قَلِيلًا﴾، والمعنى على هذا: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم. ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٨٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٣، إعراب القرآن ٤/ ٢٣٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٣، كشف المشكلات ٢/ ٣٢٨، التبيان للعكبري ص ١١٧٩، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٣٦٢.

وقيـل[1]: «ما» هاهنا صلة مؤكدة للكلام، والخبر ما عاد من «يَهْجَعُونَ»، والمعنى: كانوا يَهْجَعُونَ قَلِيلًا، على النعت لمصدر محذوف أو ظرف محذوف، أي: هُجُوعًا قَلِيلًا، أو وَقْتًا قَلِيلًا[2]، وقيل[3]: هو منصوب على أنه / خبر «كانَ». [١٨٤/ أ]

قوله: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: يُصَلُّونَ في السُّدُسِ الأخير من الليل، وقال أَنَسٌ: «كُنّا نُؤْمَرُ بالسَّحَرِ بالاسْتِغْفارِ سَبْعِينَ مَرّةً»[4].

فصل

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ليلة إلّا وَمُنادٍ يُنادِي مِنْ بُطْنانِ[5] العَرْشِ: يا بني آدم! إن الله تعالى يُقْرِئُكُم السَّلَامَ، ويقول: شَوَّقْناكُمْ فلم تَشْتاقُوا، وخَوَّفْناكُمْ فلم تَخافُوا، ونُحْنا لكم فلم تَبْكُوا، بالليل تنامون، وبالنهار تَقِيلُونَ، المَنْزِلَ الطَّوِيلَ مَتَى تَقْطَعُونَ»[6].

قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ يعني بالحَقِّ الزَّكاةَ الواجِبَةَ، وهو رفع بالابتداء، والسائل: الذي يسأل الناسَ، والمَحْرُومُ: قيل: هو

---

(١) قاله الحسن البصري والنخعي والفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٨٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٣، إعراب القرآن ٤/ ٢٣٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٣٥.

(٢) هذا إذا جعلت «ما» صلة مؤكدة.

(٣) هذا إذا جعلت «ما» مصدرية أو نافية أو موصولة.

(٤) رواه الطبرانِيُّ في كتاب الدعاء ص ٥١٦، والنقاش في شفاء الصدور ورقة ٥٦/ ب، وينظر: تفسير القرطبي ٤/ ٣٩، تفسير ابن كثير ١/ ٣٦١.

(٥) بُطْنانُ العَرْشِ: وَسَطُهُ، وقيل: أَصْلُهُ. اللسان: بطن.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبِي الحديد ١١/ ٢٣٦، وذكره الفَتَّنِيُّ في تذكرة الموضوعات ص ٢٠١.

غير السائل، وقيل: هو المُحارَفُ، وقيل[1]: المَحْرُومُ والمُحارَفُ واحد؛ لأن المَحْرُومَ: الذي حُرِمَ الرِّزْقَ، فلا يَتَأَتَّى له، والمُحارَفُ: الذي حارَفَهُ الكَسْبُ؛ أي: انْحَرَفَ عنه، وقيل[2]: المَحْرُومُ: الكَلِبُ، وقال صاحب «إنسان العين»[3]: المَحْرُومُ: مَنْ لا سَهْمَ له في الإسلام، أو مَنْ وَجَبَتْ نَفَقَتُهُ على غَيْرِهِ.

وقال الواحديُّ[4]: هو الذي ليس له في الغنيمة سَهْمٌ، ولا يَجْرِي عليه من الفَيْءِ شَيْءٌ، ومعناه في اللغة: المَمْنُوعُ من كل شيء، وهو الذي مُنِعَ الخيرَ والعطاءَ، وقال قتادة والزُّهْرِيُّ: المَحْرُومُ هو المُتَعَفِّفُ الذي لا يَسْأَلُ، وقد ذكره النبي ﷺ، فقال: «هو الذي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، ولا يُفْطَنُ لِحاجَتِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ»[5].

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: ما خَلَقَ اللهُ فيها من الجبال والبحار والأنهار والأشجار والثمار والنبت عامًا بعامٍ، فيها آيات للموقنين بالله، يعرفونه بصنعته ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آيات أيضًا، إذْ كانت نُطْفَةً ثم عَلَقَةً ثم مُضْغةً ثم عَظْمًا، إلى أن يُنْفَخَ فيها الرُّوحُ.

---

(١) قاله أبو بكر العزيزي في تفسير غريب القرآن ص ١٤٧.

(٢) ذكره السجاوندي بغير عزو في عين المعاني ورقة ١٢٦/ ب، والكَلَبُ مَأْخُوذٌ من كُلْبةِ الزَّمانِ وكَلَبِهِ؛ أي: شِدَّتُهُ وضِيقُهُ، يقال: عامٌ كَلِبٌ؛ أي: جَدْبٌ.

(٣) عين المعاني ورقة ١٢٦/ ب.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤/ ١٧٥.

(٥) هذا جزء من حديث رواه البخاري عن أبي هريرة في صحيحه ٢/ ١٣٢ كتاب الزكاة: باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، ورواه مسلم في صحيحه ٣/ ٩٥ كتاب الزكاة: باب المسكين الذي لا يَجِدُ غِنًى.

ثم عَنَّفَهُمْ فقال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ قال مقاتل[1]: أفَلَا تُبْصِرُونَ كَيْفَ خَلَقَكُمْ فَتَعْرِفُوا قُدْرَتَهُ على البعث؟

ثم قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني المطر الذي يَنْزِلُ من السماء إلى الأرض لِيُحْيِيَ به الأرضَ، فَيُخْرِجُ به أَلْوانَ النبات ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ من الخير والشر والجنة والنار.

ثم أقْسَمَ الرَّبُّ بنفسه فقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأنه رَبُّهُما ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ يعني القرآن وما ذكر من الآيات والرزق أنه كائن ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ نَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ شَبَّهَ اللهُ تعالى تَحَقُّقَ ما أَخْبَرَ عنه بِتَحَقُّقِ نُطْقِ الآدَمِيِّ وَوُجُودِه، والمعنى: أنه في صِدْقِهِ وَوُجُودِهِ كالذي يعرفه ضرورةً.

وقوله: «مِثْلَ ما» قرأ أهل الكوفة إلّا حَفْصًا: ﴿مِثْلُ ما﴾ بالرفع على البدل من الحق، وقيل[2]: هو من صفة الحق، وقرأ غيرهم بالنصب[3] على عدم الخافض؛ أي: كَمِثْلِ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ[4]، وقيل: من نصب جعل ﴿مِثْلَ﴾ مع

---

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ١٧٦.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٥٤، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤١، مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٣٢٤.

(٣) قرأ أبو بكر عن عاصم، وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ والأعمشُ، وابنُ أبِي إسحاق والحسن بخلاف عن ثلاثتهم: «مِثْلُ» بالرفع، وقرأ الباقون، وحَفْصٌ عن عاصم بالنصب، ينظر: السبعة ص ٦٠٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٤٣، البحر المحيط ٨/ ١٣٦، الإتحاف ٢/ ٤٩٢.

(٤) النصب على نزع الخافض قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٨٥، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٤١، قال مكي: «ولا يجوز هذا عند البصريين». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٤، وينظر: عين المعاني ورقة ١٢٦/ ب.

﴿ما﴾ بمنزلة شـيء واحد، قاله أبو عثمان المازنيُّ وأبو عَلِيٍّ الفارسي[١]، قال: ومثله قولُ حُمَيْدٍ:

٢٧٩ ـ وَوَيْحًا لِمَنْ لَمْ يَدْرِ ما هُنَّ وَيْحَما[٢]

فَبَنَى وَيْحًا مع «ما»، ولَمْ يُلْحِقْهُ التَّنْوِينَ.

وقـال الفـراء[٣]: / من نصـب ﴿مِثْلَ ما﴾ جعله فـي مذهب المصدر، كقولـك: إنه لَحَـقٌّ حَقًّا. ونَحْوَ ذلـك قال الزجاج[٤]، وقيـل: هو نصب على التوكيد، وقيل[٥]: انتصب مَبْنِيًّا لإضافته إلى مَبْنِيٍّ، وهو «ما» ـ وهي زائدة ـ، إذ

---

(١) ينظر: المسائل الشيرازيات ص ٥٥٥-٥٥٧، المسائل المشكلة ص ٣٣٩، المسائل المنثورة ص ٦٥، الحجة للفارسي ٣/ ٤١٩-٤٢٠، أمالي ابن الشجري ٢/ ٦٠٤.

(٢) هذا عَجُزُ بَيْتٍ من الطويل، لِحُمَيْدِ بن ثَوْر، ونُسِبَ لِحُمَيْدٍ الأَرْقَطِ، وصدره:

ألا هَيَّمـا مِمّـا لَقِيـتُ وهَيَّمـا

اللغة: هَيَّما: كلمة معناها التَّلَهُّفُ والأسـى على ما فات؛ أي: يا عَجَبًا ما لِي، وَيْحَما: كلمة تَرَحُّمٍ وتَوَجُّعٍ.

التخريج: ديوان حميد بن ثور ص ٧، العين ٣/ ٣١٩، الحجة للفارسي ٣/ ٤٢٠، المسائل المشكلة ص ٣٤١، المسائل الشيرازيات ص ٥٥٧، المحرر الوجيز ٥/ ١٧٦، اللسان: ثور، هيـا، البحر المحيط ٨/ ١٣٦، الدر المصون ٦/ ١٨٧، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٧٧، التاج: ثور، هيا.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ٨٥.

(٤) قال الزجاج: «ويجوز أن يكون منصوبًا على التوكيد، على معنى: إنَّهُ لَحَقٌّ حَقًّا مِثْلَ نطقكم». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٤.

(٥) هذا قول الخليل وسـيبويه، قال سيبويه: «وسـألْتُهُ [يعني الخليل] عن قوله: كَما أنه لا يَعْلَمُ ذلك، فَتَجاوَزَ اللهُ عنه، وهذا حَقٌّ كَما أَنَّكَ هاهنا، فزعم أن العاملة في «أَنّ» الكافُ و«ما» لَغْوٌ، إلا أن «مـا» لا تُحْـذَفُ من هاهنا... ويَدُلُّكَ على أن الكاف هي العاملة قَوْلُهُمْ: هَذا حَقٌّ مَثْلَ ما أَنَّكَ هاهنا، وبعض العرب يَرْفَعُ فيما حَدَّثَنا يونسُ، وزعم أنه يقول أيضًا: «إنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلُ =

المضاف يَكْتَسِي حُكْمَ المضاف إليه، قال الشاعر:

٢٨٠ـ لَمْ يَمْنَعِ الشَّرْبَ مِنِّي غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ حمامــةٌ فِي غُصُــونٍ ذاتِ أَوْقالِ[1]

والمعنى: إنه لَحَقٌّ كما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ.

فصل

عن أَبِي سـعيد الخُدْرِيِّ رضيَ الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ

= مـا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ»، فلولا أن «ما» لَغْوٌ لَمْ يرتفع «مِثْلُ»، وإن نَصَبْتَ فـ«ما»، أيضا، لَغْوٌ؛ لأنك تقـول: مِثْلَ ما أَنَّكَ هاهنا». الكتـاب ٣/ ١٤٠، وذكر مثل ذلك في ٢/ ٣٣٠-٣٣١، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ٢٤١، معاني القراءات ٣/ ٣٠، الحجة للفارسي ٣/ ٤١٨-٤١٩.

(١) من البسيط، لأَبِي قيس بن الأَسْلَتِ، ونُسِبَ لأَبِي قيس بن رفاعة، ويُرْوَى عَجُزُهُ:

... فـي سَـحُوقٍ ذاتِ أَوْقـالِ

اللغة: السَّحُوقُ: ما طال من شجر الدَّوْمِ، وأوقاله: ثماره.

التخريـج: ديوان أَبِي قيس بن الأسـلت ص ٨٥، الكتـاب ٢/ ٣٢٩، معانِي القرآن للفراء ١/ ٣٨٣، معانِـي القرآن وإعرابه ٢/ ٣٤٩، ٥/ ٢٢٥، ٢٩٦، شـرح أبيات سـيبويه لابن السـيرافي ٢/ ١٨٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٣٥، إعراب القراءات السبع ١/ ١٩٠، الحجة للفارسـي ٣/ ٤١٩، المسـائل المنثورة ص ٦٤، المسائل الشيرازيات ص ٥٥٦، المسـائل المشكلة ص ٣٣٧، سـر صناعة الإعراب ص ٥٠٧، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ١٧٦، كشـف المشـكلات للباقولي ٢/ ٣٣١، البيان للأنبـاري ٢/ ٢٢٨، الإنصاف للأنبـاري ص ٢٨٧، شـرح المفصل لابـن يعيـش ٣/ ٨٠، ٨١، ٨/ ١٣٥، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب، شـرح التسـهيل لابن مالـك ٢/ ٣١٣، ٣/ ٢٦٢-٢٦٤، شـرح الكافية للرضي ٢/ ١٥٧، ٣/ ٢٦٠-٢٦٦، اللسـان: نطق، وقل، ارتشـاف الضرب ص ١٥٤٢، مغنـي اللبيب ص ٢١١، ٦٧١، الـدر المصـون ٦/ ١٨٧، اللباب فِي علوم الكتـاب ١٨/ ٧٧، شـرح شـواهد المغني ص ٤٥٨، همع الهوامع ٢/ ١٧٣، خزانة الأدب ٣/ ٤٠٦-٤٠٧، ٦/ ٥٣٢، ٥٥٢-٥٥٣.

أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ لَتَبِعَهُ كَما يَتْبَعُهُ المَوْتُ»[١]، وأُنْشِدَ فِي معناه:

٢٨١ ـ الرِّزْقُ فِي القُرْبِ وَفِي البُعْدِ أَطْلَبُ لِلْعَبْدِ مِنَ العَبْدِ
لَوْ قَصَدَ الطَّالِبُ فِي سَعْيِهْ أَتاهُ ما قُدِّرَ فِي قَصْدِ[٢]

وقال آخر:

٢٨٢ ـ أَسْعَى لِأَطْلُبَ رِزْقًا، وَهْوَ يَطْلُبُنِي والرِّزْقُ أَكْثَرُ لِي مِنِّي لَهُ طَلَبا[٣]

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)﴾ يعني الملائكة، ولَمْ يقل: أضْياف؛ لأن ضَيْفًا مَصْدَرٌ، وحقيقته فِي العربية: حَدِيثُ ذَوِي ضَيْفٍ، مثل قوله تعالى: «واسْأَلِ الْقَرْيَةَ»[٤]، و«هَلْ» بمعنى: قَدْ أتاكَ ـ ولَمْ يكن إذْ ذاكَ أتاهُ[٥] ـ حَدِيثُ ضَيْفِ إبراهيم المكرمين ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نصب على المصدر؛ أي: سَلَّمُوا على إبراهيم سَلامًا[٦]،

---

(١) رواه ابنُ عَدِيٍّ في الكامل في الضعفاء ٦/ ١٩، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١١٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٤٢-٤٣، تفسير ابن كثير ٥/ ٣٠١.

(٢) البيتان من بحر السريع، لَمْ أقف على قائلهما أو مناسبتهما.
التخريج: الكشف والبيان ٩/ ١١٦.

(٣) البيت من البسيط، لِدِعْبِلِ بن عَلِيٍّ الخُزاعِيِّ، ورواية ديوانه:
أَسْعَى لأَطْلُبَهُ، والرِّزْقُ يَطْلُبُنِي
التخريج: ديوانه ص ١٠٧، الكشف والبيان ٩/ ١١٦، ذيل الأمالِي والنوادر للقالِي ٣/ ٩٨، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب.

(٤) يوسف ٨٢، ومن أول قوله: «ولم يقل: أضياف» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٣.

(٥) قال الفراء: «لَمْ يَكُنْ عَلِمَهُ النَّبِيُّ ﷺ حتى أنزله اللهُ عليه». معانِي القرآن ٣/ ٨٦.

(٦) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٣.

وقيل[(١)]: هو منصوب بوقوع الفعل عليه ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: عَلَيْكُمْ سَلامٌ، وقد تقدم نظيره في سورة هود[(٢)]، وقرأ حمزة والكسائي: «قالَ سِلْمٌ»[(٣)]، وفي هذا تقديران، أحدهما: أن يكون سِلْمٌ وسَلاَمٌ بمعنى واحد، مثل حِلٍّ وحَلاَلٍ، ويجوز أن يكون التقدير: نَحْنُ سِلْمٌ[(٤)].

وقوله: ﴿قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ٢٥﴾ خبر ابتداء محذوف تقديره: أَنْتُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، قال ابن عباس رضي الله عنه: قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم، وذلك أنه ظَنَّهُمْ من الإنس، ولَمْ يَعْرِفْهُمْ، وكانوا جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ـ عليهم السلام ـ.

فصل

عن أَبِي شُرَيْحٍ الخُزاعِيِّ[(٥)] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر فَلْيُحْسِنْ إِلَى جارِهِ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ

---

(١) قال أبو عبيدة: «قالَ» تجيء للحكاية، وفي موضع فِعْلٍ يَعْمَلُ، فجاءت المنصوبة وقد عَمِلَ فيها «قالُوا»، وجاء المرفوع كأنه حكاية». مجاز القرآن ٢/ ٢٢٦، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٤/ ٢٤٣.

(٢) الآية ٦٩، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن وَثّابٍ والنَّخْعِيِّ وابن جبير وطلحة، ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٤٥، البحر المحيط ٨/ ١٣٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٩٢

(٤) هذان التقديران قالهما النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٣، وينظر: الحجة للفارسي ٢/ ٤٠٩.

(٥) اختلف في اسمه، والصحيح أنه خُوَيْلِدُ بن عمرو بن صخر بن عبد العُزَّى، صحابِيٌّ نزل المدينة وأسلم قبل الفتح، وتوفِّيَ بالمدينة سنة (٦٨هـ). [أسد الغابة ٢/ ١٢٨، تهذيب الكمال ٣٣/ ٤٠٠-٤٠١، الإصابة ٢/ ٤٩٤].

ضَيْفَهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتَ»[١].

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ يعني سارةَ ﴿فِى صَرَّةٍ﴾؛ أي: فِي صَيْحةٍ وصَرْخةٍ وشِدّةِ صَوْتٍ[٢]، وقيل[٣]: في جَماعةِ نِسْوةٍ مُتَبادِراتٍ؛ لِيَنْظُرْنَ الملائكةَ، ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ معنى الصَّكِّ: ضَرْبُ الشيءِ بالشيءِ العَرِيضِ[٤]؛ أي: ضَرَبَتْ وَجْهَها بجميع أصابعها تَعَجُّبًا ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: أنا عجوزٌ عاقِرٌ، فكيف ألِدُ؟! ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾؛ أي: هكذا ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ سَتَلِدِينَ غُلامًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ بأمر الوَلَدِ في بَطْنِ سارّةَ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ بما لَمْ يَعْلَمْ به العبادُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ابتداء وخبر؛ أي: ما أَمْرُكُمْ؟ ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾، فَأَخْبَرُوهُ فـ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ يعني قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً ﴿٣٤﴾﴾ هو مِنْ نَعْتِ الحجارة، أو هي نصب على

---

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي شريح وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة والسيدة عائشة، رضي الله عنهم، في المسند ٢/ ١٧٤، ٢٦٧، ٢٦٩، ٤٣٣، ٤/ ٣١، ٥/ ٤١٢، ٦/ ٦٩، ٣٨٤، ٣٨٥، ورواه البخاري في صحيحه ٧/ ٧٨، ٧٩، ١٠٤ كتاب الأدب: باب «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر»، وباب إكرام الضيف، ٧/ ١٨٤ كتاب الرقاق: باب حفظ اللسان.

(٢) قاله الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة وغيرهم، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٢٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢١، وينظر: ياقوتة الصراط ص ٤٨٣، غريب القرآن للسجستاني ص ١٤٧.

(٣) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٢٤٤، وقال الراغب: «والصَّرّةُ: الجماعة المُنْضَمُّ بَعْضُهُمْ إلى بعض، كأنهم صُرُّوا أي جُمِعُوا في وِعاءٍ». مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٧٩.

(٤) حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٩/ ٤٢٨، وينظر: زاد المسير ٨/ ٣٧، اللسان: صكك.

[١٨٥/ أ] الحال[١]، وقد تقدم تفسير المُسَوَّمةِ في سورة هود[٢]، فأغنى عن الإعادة / هاهنا.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف والأعمش بِجَرِّ الميمِ[٣]؛ أي: وفي قَوْمِ نُوحٍ، وقرأ غيرهم بالنصب، وفيه ثلاثة أوجه أحدها: أن يكون مَرْدُودًا على الهاء والميم في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: وَأَخَذَتْ قَوْمَ نُوحٍ الصّاعِقةُ، وقرأ الكسائيُّ: ﴿الصَّعْقةُ﴾[٤] ساكنة العين من غير ألف، والثاني: على تقدير: وأهْلَكْنا قَوْمَ نُوحٍ، والثالث: واذْكُرْ قَوْمَ نُوحٍ[٥] ﴿مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: مِنْ قَبْلِ عادٍ وفِرْعَوْنَ وثَمُودَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: عاصِينَ خارجين عن أمْرِ الله وطاعَتِهِ.

---

(١) إذا جُعِلَ ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ حالًا، فإما أن يكون حالًا من ﴿حِجَارَةً﴾ وإن كان نكرة؛ لأنه وُصِفَ بقوله: «مِنْ طِينٍ»، فَقَرُبَ من المعرفة، وإما أن يكون حالًا من الضمير في الجارِّ والمجرور في قوله: «مِنْ طِينٍ». ينظر: التبيان للعكبري ص ١١٨١، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٣٦٥، الدر المصون ٦/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) الآية ٨٣، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن مسعود والحسن واليزيدي وابن محيصن بخلاف عنه، وقرأ الباقون وأبو عمرو في روايةٍ عنه بالنصب، ينظر: السبعة ص ٦٠٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٥٢، البحر المحيط ٨/ ١٣٩، النشر ٢/ ٣٧٧، الإتحاف ٢/ ٤٩٣.

(٤) وبها قرأ أيضًا عُمَرُ بنُ الخطاب وعثمانُ بنُ عفان وزيدُ بنُ عَلِيٍّ والحسنُ وحُمَيْدٌ ومجاهدٌ، وابنُ محيصن بخلاف عنه، ينظر: السبعة ص ٦٠٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٥١، البحر المحيط ٨/ ١٣٩، الإتحاف ٢/ ٤٩٣.

(٥) هذه الأوجه الثلاثة في نصب «قَوْمَ نُوحٍ» قالها الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٨٨، ٨٩، وذكر الزجاج الوجهين الأول والثانِيَ، ثم قال: «والأحسن، والله أعلم، أن يكون محمولًا على قوله: فَأَخَذْناهُ وجُنُودَهُ وأغْرَقْنا قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٥٧، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾؛ أي: بِقُوّةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾[1] أي: ذا القُوّةِ فِي العبادة، والمعنى: رَفَعْناها، وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناء[2]، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ لَذَوُو سَعةٍ لِخَلْقِنا، والمعنى: لقادرون على رزقهم لا نعجز عنه، والمُوسِعُ: ذُو الوُسْعِ والسَّعةِ.

قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾؛ أي: بَسَطْناها، نظيره: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾[3]، وقد تقدم في سورة ق ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ قال ابن عباس: نِعْمَ ما وَطَّأْتُ لِعِبادِي ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ صِنْفَيْنِ ونَوْعَيْنِ كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والبَرِّ والبَحْرِ، والنُّورِ والظُّلْمةِ، والحُلْوِ والمُرِّ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾؛ أي: لكي تتعظوا، فتعلموا أن خالق الأزواج واحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يريد: بالتوبة من ذنوبكم، والمعنى: فِرُّوا من الكفر والعصيان إلى الطاعة والإيمان، والْجَأُوا إلى الله، وفارِقُوا ما أنتم عليه من المَظالِمِ والمعاصي ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾﴾ أُنْذِرُكُم العقابَ على الكفر والمعصية، وأصل الفرار البُعْدُ من الشيء، وقال شُرَيْكٌ[4]: فِرُّوا منه إليه، قال الشاعر:

٢٨٣ ـ مِنْهُ إِلَيْهِ يَفِرُّ العالِمُونَ بِهِ   وَأَيْنَ إِلَّا إِلَيْهِ يَلْجَأُ اللّاجِئُ؟[5]

---

(١) ص ١٧.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٥٩/ ب.

(٣) الحجر ١٩، وق ٧.

(٤) هو شُرَيْكُ بن عبد الله بن الحارث النَّخْعِيُّ، أبو عبد الله الكوفِيُّ، عالِمٌ بالحديث والفقه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته، استقضاه المنصورُ على الكوفة سنة (١٥٣هـ) ثم عزله، وكان عادلاً في قضائه، وُلِدَ بِبُخارَى، وتُوُفِّيَ بالكوفة سنة (١٧٧هـ). [تهذيب الكمال ١٢/ ٤٦٢: ٤٧٥، الأعلام ٣/ ١٦٣].

(٥) البيت من البسيط، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: شفاء الصدور ورقة ٦١/ ب.

قولـه تعالـى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ قـرأ العامـة بكسـر النون مضافة إلى الله، وقرأ بعض أهل الشام بنصب النون[1]، قال: ولو كان بالكسـر ما عُبِدَ غَيْـرُ اللهِ؛ لأن مِنْهُمْ مَنْ عَبَدَهُ، ومِنْهُمْ مَـنْ عَبَدَ غَيْرَهُ، قال المفسرون[2]: هذا خاصٌّ لأهل طاعته، يعني: مَنْ آمَنَ مِنَ الفريقين، وفي قراءة أُبَيٍّ: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، والمعنى: إلا لِيَخْضَعُوا إلَيَّ ويَتَذَلَّلُوا، ومعنى العبادة في اللغة: الذُّلُّ والانْقِيادُ.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾؛ أي قُوّةٍ، وقيل: أُجْرةٍ ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾؛ أي: مـا أريد منهم أن يَرْزُقُوا أحَدًا من خَلْقِي، ولا أن يُطْعِمُوا أحَدًا من خَلْقِي، وإنما أسْـنَدَ الإطْعامَ إلى نفسـه؛ لأن الخَلْقَ عِيالُ اللهِ، فمن أطْعَمَ عِيالَ اللهِ فقد أطْعَمَهُ، وهذا كما يُرْوَى أن الله يقول: «عَبْدِي: اسْـتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي»[4]، أي: فَلَمْ تُطْعِمْ عَبْدِي.

[١٨٥/ ب] ثم بَيَّنَ أن الـرَّزّاقَ/ هو لا غيره، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ لهم المُطْعِمُ ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ قـرأه العامة برفع النون على أنـه خبر بعد خبر لـ«إنّ»،

---

(١) هذه القراءة ذكرها النقاش بغير عزو، ثم قال: «فمعنى فَتْحِ النُّونِ: إلّا لِلْعِبادةِ يَعْبُدُونَ، فَعَمَلُ الـلامِ فـي العبادة المحذوفةِ، لا في قولـه: ﴿يَعْبُدُونَ﴾، وقد يُحْذَفُ الشَّـيْءُ، والمعنى فيه الإثباتُ، كقولـه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾، المعنى: فَضَرَبَ فانْفَلَقَ، ومثله كثير في القرآن». شفاء الصدور ورقة ٦٢/ أ، ٦٢/ ب.

(٢) ينظر قولهم في الوسيط ٤/ ١٨١.

(٣) هذه قراءة ابن عباس، ورَواها هو عن النَّبِيِّ ﷺ ولَمْ أقف على أنها قراءة لأُبَيٍّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٥٥، البحر المحيط ٨/ ١٤١.

(٤) هذا جزء من حديث رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة في صحيحه ٨/ ١٣ كتاب البر والصلة: باب فضل عيادة المريض، ورواه ابن راهويه في مسنده ١/ ١١٥.

وقيل: هو نعت للرَّزّاقِ أو لذي القوة، أو على إضمار مبتدأ أو نعت لاسم «إنّ» على الموضـع[١]، وقرأه يحيى والأعمشُ خَفْضًا[٢] علـى نعت القُوّةِ، وأصل القُوّةِ الطّاقةُ من طاقات الحَبْلِ وهي صَلاَبَتُهُ، ثم جُعِلَ ذلك للإنسان ولغيره[٣].

والمَتِينُ هو القَـوِيُّ المُقْتَدِرُ المُبالِغُ فِي القُوّةِ والقُدْرةِ، يقال: مَتُنَ مَتانةً: إذا قَوِيَ، قال الفراء[٤]: كان حَقُّهُ: المَتِينةُ، فَذَكَّرَهُ لأنه ذهب به إلى الشيء المُبْرَمِ المُحْكَمِ الفَتْلِ، كما يقال: حَبْلٌ مَتِينٌ، وأنشد الفراء:

٢٨٤ - لِكُلِّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْـتُ أَثْؤُبا
حَتَّى اكْتَسَـى الرَّأْسُ قِناعًا أَشْـيَبا
مِـنْ رَيْطـةٍ واليَمْنـةَ المُعَصَّبـا[٥]

فَذَكَّرَ المُعَصَّبَ لأن اليَمْنةَ صِنفٌ من الثياب.

---

(١) هـذه الأوجه في رفع «المَتِينُ» ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٥٢، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٦، الفريد للهمداني ٤/ ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) وهـي قراءة النخعـي أيضًا. ينظر: تفسـير القرطبـي ١٧/ ٥٦، البحر المحيـط ٨/ ١٤١، الإتحاف ٢/ ٤٩٤.

(٣) قالـه النقاش في شـفاء الصدور ورقـة ٦٢/ أ، ٦٢/ ب، وينظر: تهذيـب اللغة ٩/ ٣٦٨، الصحاح ٦/ ٢٤٦٩.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٩٠، وهذا معنى كلام الفراء، وليس نص كلامه.

(٥) الأبيات من الرجز المشـطور، لِحُمَيْدِ بن ثَوْرٍ، ونُسِـبَتْ لِمَعْرُوفِ بن عبد الرحمن، ويُرْوَى الثالثُ:

رِيـاطَـــهُ والـيَمْنـةَ الـمُنَشَّـبا

اللغـة: الرَّيْطةُ: المُلاءة إذا كانـت قطعة واحدة ولَمْ تكن لِفْقَيْنِ، وقيـل: هي كل ثوبٍ لَيِّنٍ، وجمعـه رَيْـطٌ ورياطٌ، اليَمْنةُ: بفتح اليـاء وضمها، نوع من بُرود اليمن، وبُرْدٌ مُنَشَّـبٌ؛ أي: مُسَهَّمٌ يُشْبِهُ وَشْيُهُ أُفاوِيقَ السِّهامِ. =

قولـه تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني كفار مكـة ﴿ذَنُوبًا﴾ قيل: نَصِيبًا، وقيـل: حَظًّا، وقيل: عَذابًـا، وقيل: طَرَفًا، وقيـل: دَوْلَةً، وقيـل: دَلْوًا، وأصل الذَّنُـوبِ فِـي اللغة: الدَّلْوُ العَظِيمـةُ المَمْلُوءةُ ماءً، ولا يقـال لها: ذَنُوبٌ وهي فارغة[١]، وجمعها أَذْنِبةٌ وذَنائِبُ، قال الراجز:

٢٨٥ ـ لَنـا ذَنُـوبٌ وَلَكُـمْ ذَنُوبُ
فَـإِنْ أَبَيْتُـمْ فَلَنـا القَلِيـبُ[٢]

وقال آخر:

٢٨٦ ـ إنّـا إذا نـازَعَنـا شَـرِيـبُ

= التخريـج: ديـوان حميـد بن ثـور ص ٦١، الكتـاب ٣/ ٥٨٨، غريب الحديـث للهروي ٢/ ٢٠٦، الجيـم ٣/ ٢٧٣، المقتضب ١/ ١٦٧، ٢٧٠، ٢/ ١٩٧، شـرح أبيات سـيبويه ٢/ ٣٩٢، مجالـس ثعلـب ص ٣٧١، المنصف ١/ ٢٨٤، ٣/ ٧٤، سـر صناعة الإعراب ص ٨٠٤، الكشف والبيان ٩/ ١٢١، أساس البلاغة: نشب، شرح المفصل ١٠/ ١١، ٧٩، تفسـير القرطبي ١٧/ ٥٧، اللسـان: ثوب، ملح، يمن، المقاصد النحوية ٤/ ٥٢٢، التاج: ثوب.

(١) قاله ابن السـكيت في إصلاح المنطـق ص ٣٣٤، ٣٦١، وقال النقاش: «قال الأصمعي: لا يُقالُ له ذَنُوبٌ إلّا وفيه ماءٌ، فلذلك سَـمَّوا النَّصِيبَ ذَنُوبًا». شـفاء الصدور ورقة ٦٢/ ب، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٤٣٩، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٤٧.

(٢) لَمْ أقف على قائل هذا الرجز.
اللغة: القليب: البئر قبل أن تُطْوَى، وقيل: هي البئر القديمة التي لا يُعْلَمُ لها صاحبٌ.
التخريج: العين ٨/ ١٩٠، جمهرة اللغة ص ٣٠٦، تهذيب اللغة ١٤/ ٤٣٩، الكشف والبيان ٩/ ١٢٢، الكشـاف ٤/ ٢١، زاد المسـير ٨/ ٤٤، تفسـير غريب القرآن للرازي ص ١٠٤، شـرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ١١٠، تفسـير القرطبي ١٧/ ٥٧، اللسـان: ذنب، البحر المحيـط ٨/ ١٣١، الـدر المصون ٦/ ١٩٤، اللباب في علوم الكتـاب ١٨/ ١١٠، التاج: ذنب.

لَـنـا ذَنُــــوبٌ، وَلَــهُ ذَنُــوبُ
فَـإنْ أبَـى كَــانَ لَـهُ الـقَـلِـيبُ[١]

وقال آخر:

٢٨٧ ـ لَعَمْـرُكَ والمَنايـا طارِقـاتٌ لِـكُلِّ بَنِـي أبٍ مِنْهـا ذَنُـوبُ[٢]

وقولـه: ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾ يعنـي: مثل نصيب أصحابهـم من الأمم الخاليـة، نحو قوم نوح وعاد وثمود الذين عُذِّبُـوا، ونصب «مِثْلَ» على البدل من «ذَنُوبًـا»، ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾ يريد: بالعذاب، تهديـد لهم ووعيد، وكان أصله: يَسْـتَعْجِلُونِي، فحذفت الياء للنهي، وبقيت الكسرةُ فِي النون لتدل على

---

(١) لَمْ أقف على قائل هذا الرجز، ويُرْوَى:

إنِّـي إذا نـازَعَـنِـي شَـرِيـبُ
فَـلِـي ذَنُــوبٌ، وَلَــهُ ذَنُــوبُ
فَـإنْ أبَـى كَــانَ لَـهُ القَلِيـبُ

اللغة: المنازعة هنا منازعة الدلاء كالمساجلة، بأن يَنْزِعَ هذا دَلْوًا وهذا دَلْوًا، الشريب: الذي يُشارِبُكَ.

التخريج: تأويل مشـكل القـرآن ص ١٥٠، المذكـر والمؤنث لابن الأنبـاري ١/ ٤٤٩، الفروق اللغوية ص ٢٥٨، المختار من شعر بشار ص١١٢، المخصص ١٧/ ١٨، المحرر الوجيز ٥/ ١٨٣، شمس العلوم ٤/ ٢٢٩٩، ١٠/ ٦٥٦٦، البحر المحيط ٨/ ١٣١، روح المعانِي ورقة ٢٧/ ٢٤.

(٢) البيت من الوافر، لأبِي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيِّ، ورواية ديوانه:

لَعَمْـرُكَ والمَنـايــا غالِبـاتٌ

التخريج: شـرح أشـعار الهذلييـن ص ١٠٤، الكشـف والبيان ٩/ ١٢٢، شـمس العلوم ٤/ ٢٢٩٩، عين المعانِي ورقة ١٢٧/ أ، تفسـير القرطبي ١٧/ ٥٧، اللسـان: ذنب، البحر المحيط ٨/ ١٣٢، التاج: ذنب.

الحذف؛ لأن النون صارت عوضًا من الياء؛ لأنها مكسورة وهي رأس آية[١].

والمعنى: أنهم أُخِّرُوا إلى يوم القيامة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنـي: من أهل مكة ﴿مِن يَوْمِهِمُ﴾ يعنـي يوم القيامة ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فيه من العذاب، وبالله التوفيق.

* * *

(١) هذا خطأ، فهذه النون ليست عوضًا من الياء ولا دالةً عليها؛ لأنها نون الوقاية، وإنما يدل على الياء المحذوفة كسرة هذه النون.

وثمة خطأٌ ثانٍ، وهو قوله: «فحذفت الياء للنهي»؛ لأن المحذوف لأجل النهي إنما هو نون الرفع؛ لأن الأصل فيه: يستعجلونني فحذفت نون الرفع لأجل النهي، وحذفت الياء لأنها رأس آية، كما قال النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٥٢، وقد قرأ يعقوب: ﴿لِيَعْبُدُونِي﴾ و﴿أنْ يُطْعِمُونِي﴾ و﴿فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِي﴾ بياءٍ في الوصل والوقف، ينظر: معانِي القراءات ٣/ ٣٢، النشر ٢/ ٣٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٩٤.

سورة الطور
مكّية

وهـي ألف وخمسـمائة حـرف، وثلاثمائة واثنتا عشـرة كلمة، وتسـع وأربعون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سورة الطُّورِ كان حَقًّا على الله أن يُؤَمِّنَهُ من عَذابِهِ، وأنْ يُنَعِّمَهُ في جَنَّتِهِ»(١).

وعنـه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُـورةَ الطُّورِ لَمْ يَكُنْ أحَـدٌ أفْضَلَ منه يَوْمَهُ ذَلِكَ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ أقْسَـمَ اللهُ تعالى بِالجَبَلِ الذي كَلَّمَ عليه مُوسَـى عليه السّلام بالأرض المقدسـة، وهو بِمَدْيَنَ ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾؛

---

(١) ينظر: الكشـف والبيان ٩/ ١٢٣، الوسـيط ٤/ ١٨٣، عين المعانِي ورقة ١٢٧/ أ، بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٤٢.
(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

أي: مكتــوب فيه ما أُثْبتَ على بني آدم من أعمالهــم، وهو أُمُّ الكتاب، وقيل: أراد بالكتاب التوراةَ، أو كتابًا كَتَبَهُ اللهُ تعالى من اللَّوْحِ، فيه: «سَـبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي»، أو كِتابَ الأعمال أو القُرْآنَ أو اللَّوْحَ / ، أو ما تَكْتُبُ الملائكةُ المُدَبِّرةُ لِلتَّنْفِيـذِ، أو ما يُكْتَبُ فِي القلوب، والله أعلم، وأصل السَّـطْرِ أن يكون متصلاً على استواء، وكذلك الكتاب سُمِّيَ كِتابًا، لاتِّصالِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ[1]. [١٨٦/ أ]

﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ الرَّقُّ: ما رَقَّ من الجِلْدِ، وهي الصَّحِيفةُ، والمَنْشُورُ: المَبْسُوطُ، قال الفَرّاءُ[2]: الرَّقُّ: الصَّحائِفُ التي تُخْرَجُ إلى بني آدم يوم القيامة، فآخِـذٌ كِتابَهُ بيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتابَهُ بِشِـمالِهِ، وهذا كقوله تعالـى: «وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامةِ كِتابًا يَلْقاهُ مَنْشُورًا»[3].

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ قيل: هو في سَماءِ الدنيا، وقيل: في السماء الرابعة بِحِـذاءِ الكَعْبةِ، يُقالُ له: الضُّراحُ بضاد معجمة، ومن رواه بالصاد المهملة فقد صَحَّـفَ، ذكره ابن الأثير[4] فـي غريبه[5]، «حُرْمَتُهُ فِي السـماء كَحُرْمةِ الكَعْبةِ فـي الأرض، يدخله كُلَّ يَوْمٍ سـبعون ألف مَلَكٍ، يَطُوفُـونَ به ويُصَلُّونَ فيه، لا

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٦٢/ ب.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٩١.

(٣) الإسراء ١٣.

(٤) هو عَلِيُّ بنُ محمد بنِ عبد الكريم بن عبد الواحد الشـيبانِيُّ، أبو الحسـن الجَزَرِيُّ، المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسـب والأدب، سـكن الموصـل، وتجول في البلـدان، ثم عاد إلى الموصل، وتوفِّي بها سنة (٦٣٠هـ)، من كتبه: أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجامع الكبير في البلاغة. [سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٣-٣٥٦، الأعلام ٤/ ٣٣١].

(٥) قال ابن الأثير: «الضُّراحُ في السـماء حِيالَ الكَعْبةِ، ويروى: الضَّرِيح، وهو البيت المعمور، مـن المُضارَحةِ وهي المقابلة والمضارعة، وقد جاء في حديـث عَلِيٍّ ومُجاهِدٍ، ومن رواه بالصاد فقد صَحَّفَ». النهاية في غريب الحديث ٣/ ٨١.

يعودون إليه أبَدًا إلى يوم القيامة»، وقد رَوَى هذا ابنُ عَبّاسٍ عن النبي ﷺ[١].

وقيل: هو البيت الحرام الذي هو مَعْمُورٌ من الناس، يَعْمُرُهُ اللهُ كُلَّ سَنةٍ، وهو أول مسجد وُضِعَ لِلْعِبادةِ في الأرض، يقال: عَمَرَ المَنْزِلُ، فهو عامِرٌ، وعَمَرْتُهُ، فهو مَعْمُورٌ؛ أي: مَأْهُولٌ.

فصل

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ يَوْمٍ من الأيام إلا وَيَهْبِطُ جِبْرِيلُ وإسْرافِيلُ ـ عليهما السلام ـ، ومعهما ملائكةُ سَبْعِ سَماواتٍ، يُصَلُّونَ فِي البيت المعمور»، قال أنس: قلنا: يا رسول الله: وما البيت المعمور؟ قال: «بيت فِي السماء الرابعة، من لُؤْلُؤةٍ بيضاءَ، له أربعة أركان، فأول رُكْنٍ منها من الياقوت الأحمر، والثاني من الزَّبَرْجَدِ الأخضر، والثالث من الذهب الأحمر، والرابع من الفضة البيضاء، فإذا كان يومُ الجُمُعةِ، يُنْصَبُ مِنْبَرٌ من الياقوت، ومَنارةٌ من الذَّهَبِ، ويُبْسَطُ بِساطٌ من النُّورِ، فيكون المُؤَذِّنُ جِبْرِيلَ، والإمامُ مِيكائِيلَ، فإذا فَرَغُوا من الصلاة قال جبريل: إلَهِي وسَيِّدِي! اجْعَلْ ثَوابَ أذاني لِلْمُؤَذِّنِينَ من أُمّةِ محمد ﷺ، ويَبْقَى إسْرافِيلُ وسائرُ الملائكة، فيقولون: إلَهنا وسَيِّدَنا! اجْعَلْ صَلاَتَنا لِلْمُذْنِبِينَ من أمة محمد عليه السّلام، فيقول الله تعالى: «يا ملائكتي: أتَسْخُونَ عَلَيَّ وأنا مَعْدِنُ السَّخاءِ والكَرَمِ؟! أُشْهِدُكُمْ أنِّي قد غَفَرْتُ للقائلين: لا إله إلّا الله محمد رسول الله»[٢].

---

(١) رواه الطبرانيُّ في المعجم الكبير ١١/ ٣٢٩، وعبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٢٨-٢٩، وذكر العقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ١٠٠) أنه لا أصل له، وينظر: الوسيط ٤/ ١٨٤، مجمع الزوائد ٧/ ٢١٣ كتاب التفسير: سورة «والطور».

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

قولـه تعالـى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ يعنـي السـماء، سَـمّاها سَـقْفًا لأنهـا للأرض كالسـقف للبيت، بدليل قولـه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[1]، ورَفَعَهـا على الأرض مَسِـيرَ خَمْسِـمِائةِ عـام، وجَعَلَها مَأْوَى للملائكة، وَلِما أنْشَأ فيها من الشمس والقمر والنجوم والسحاب، وقال الربيع: السقف المرفوع: العرشُ.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ قيل: المَفْجُـورِ، كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[2]، وقيـل: المَمْلُوءُ، يقال: / سَـجَرْتُ الإناءَ: إذا مَلأْتَـهُ، ورُوِيَ عن عَلِيِّ بن أبِي طالـب رضي الله عنه أنه قال[3]: «هو بَحْرٌ تحت العرش، غَمْرُهُ كما بَيْنَ سـبع سـماوات إلى سـبع أرَضِينَ، وهو بَحْرُ ماءٍ غَلِيظٍ، يقال له: بَحْرُ ماءِ الحَيَوانِ، يُمْطِرُ العِبادَ للنفخة الأولى أرْبَعِينَ صَباحًا، فَيَنْبُتُونَ في قبورهم». [١٨٦/ ب]

وقيل: البحر المسـجور: المُوقَدُ، مأخوذ من السَّجْرِ، وهو إيقاد النار في التَّنُّـورِ، وهذا كما يُـرْوَى أن الله تعالى يجعل البِحارَ كُلَّها نـارًا، فَتُزادُ في نار جَهَنَّمَ[4]، والبحر: الشَّـقُّ، وسُمِّيَ بَحْرًا لاسْتِبْحارِهِ واتِّساعِهِ وانْبِساطِهِ، ويقال: فَرَسٌ بَحْرٌ: إذا كان كَثِيرَ العَدْوِ، واسْتَبْحَرَ فُلَانٌ في العِلْمِ والمالِ: إذا اتَّسَعَ[5].

---

(١) الأنبياء ٣٢.

(٢) الانفطار ٣.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٧/ ٢٨، الكشـف والبيان ٩/ ١٢٦-١٢٧، الوسـيط ٤/ ١٨٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٦٢.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٢٥، وينظر: الوسيط ٤/ ١٨٥، زاد المسير ٨/ ٤٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٠.

(٥) مـن أول قولـه: «والبحر: الشـق» قاله النقاش في شـفاء الصدور ورقـة ٦٣/ ب، وحكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ٥/ ٣٧، وينظر: اللسان: بحر.

وهـذا كُلُّهُ قَسَمٌ من [أوَّلِ] السـورة إلى هاهنا، أَقْسَمَ اللهُ ـ تعالى بهذه الأشـياء للتنبيه على ما فيها من عَظِيمِ القُدْرةِ على أن تعذيب المشـركين حَقٌّ، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ وهذا جَوابُ القَسَـمِ؛ أي: لَكائِنٌ بالكافرين في الآخرة ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ يَدْفَعُ عنهم ذلك العذابَ.

ثم بَيَّـنَ مَتَى يقع بقوله تعالـى: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾؛ أي: تَدُورُ دَوَرانًـا، وتَضْطَرِبُ وتَتَحَرَّكُ وتَسْـتَدِيرُ، يقال: مارَ الشَّـيْءُ يَمُـورُ: إذا دارَ ولَمْ يَثْبُتْ، قال الأعشى:

٢٨٨ ـ كَأَنّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها مَوْرُ السَّحابةِ، لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَلُ[1]

وقيل[2]: معناه: يَضْطَرِبُ نَظْمُها ويَخْتَلِفُ سَيْرُها، قال الشاعر:

٢٩٠ ـ بَعِيـدةُ وَخْـدِ الرِّجْلِ مَـوّارةُ اليَدِ[3]

---

(١) البيت من البسيط، للأعشى، ورواية ديوانه: «مَرُّ السَّحابةِ»، والرَّيْثُ: الإبْطاءُ.

التخريـج: ديوانـه ص ١٠٥، مجاز القـرآن ٢/ ٢٣١، إعراب القـرآن ٤/ ٢٥٤، تصحيح الفصيح ص ١٥٥، المحرر الوجيز ٥/ ١٨٧، زاد المسير ٨/ ٤٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٩٤، ١٧/ ٣١، ٦٣، اللسان: مور، البحر المحيط ٨/ ١٤٣، الدر المصون ٦/ ١٩٦، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١١٨، التاج: مور.

(٢) حكاه السجاوندي عن ابن بَحْرٍ في عين المعانِي ورقة ١٢٧/ أ، وينظر: القرطبي ١٧/ ٦٣.

(٣) هذا عجز بيت من الطويل، لطرفة بن العبد يصف ناقته، وصدره:

صُهابِيّةُ العُثْنُـونِ مُؤْجَدةُ القَرا

اللغـة: العُثْنُونُ: شَـعَراتٌ تحت لِحْـيِ الناقةِ الأسـفلِ، وصُهْبَتُها: حُمْرَتُهـا، القَرا: الظهر، ومُؤْجَدةُ القَرا: مُقَوّاةُ الظَّهْرِ مُوَثَّقةُ الخَلْقِ، الوَخْدُ: نوع من سـير الإبل وهو سـعة خطوها، المَوّارةُ: مبالغة المائرة وهي التي تذهب وتجيء.

التخريج: ديوانه ص ٣٩، تهذيب اللغة ٦/ ١١٢، مقاييس اللغة ١/ ٦٢، عين المعانِي ورقة ١٢٧/ أ، اللسان: صهب، التاج: صهب.

وأصل المَوْرِ في اللغة: الاختلاف والاضطراب والذَّهابُ والمَجْيءُ والتَّرَدُّدُ والدَّوَرانُ، و«يَوْمَ» ظرف لوقوع العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ ﴿١٠﴾﴾ فتزول عن أماكنها حتى تَسْتَوِيَ بالأرض، وتَبْقَى الأرْضُ كالأدِيمِ المَمْدُودِ ﴿فَوَيْلٌ﴾؛ أي: فَشِدّةُ عَذابٍ ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ بذلك اليومِ والعذابِ الذي يكون فيه، وأدخل الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة، تقديره: إذا كان هذا فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمكذبين[1].

ثم نعتهم فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ يعني: في باطِلٍ لاَهُونَ، يَخُوضُونَ في حديث محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، ويَلْهُونَ بِذِكْرِهِ، و«الَّذِينَ» في موضع خفض على النعت لـ«المُكَذِّبِينَ»، ويجوز أن يكون رفعًا على خبر ابتداء محذوف، تقديره: هُمُ الَّذِينَ، ويجوز أن يكون نصبًا على الذَّمِّ تقديره: أعْنِي الذين، والخَوْضُ: دُخُولٌ مُتَهافِتٌ[2].

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[3] دَفْعًا، والدَّعُّ: الدَّفْعُ فِي القَفا، وهو نصب على المصدر، يقال: دَعَعْتُهُ أدُعُّهُ دَعًّا؛ أي: دَفَعْتُهُ دَفْعًا[4]، وذلك أنهم يُدْفَعُونَ على وجوههم حتى إذا دَنَوْا منها قال لهم خزنتها: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ في الدنيا.

---

(١) قاله الأخفش والنحاس، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٨٥، إعراب القرآن ٤/ ٢٥٤، وينظر: عين المعاني ورقة ١٢٧/ أ.

(٢) قال السجاوندي: «والخَوْضُ: دُخُولٌ مُتَهافِتٍ، لا يَمْلِكُ ضَبْطَ نَفْسِهِ، ولا يَتَمالَكُ». عين المعاني ورقة ١٢٧/ أ.

(٣) هذه الآية ليست موجودة في الأصل فَزِدْتُها لِتَعَلُّقِ الشرح بها.

(٤) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٤٢٥، وينظر: التهذيب ١/ ٩٢، اللسان: دعع.

ثم تُوَبِّخُهُم الخَزَنةُ حين عاينوا ما كانوا يُكَذِّبُونَ به، وهو قوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ لفظه لفظ استفهام، ومعناه التوبيخ والتقرير، أي: أتُصَدِّقُونَ الآنَ بما تَرَوْنَ / أن عذب الله واقع[1]؟ ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ وليس قوله: ﴿أَمْ أَنتُمْ﴾ جوابًا لِما قبله من الاستفهام، وإنما معناه: بَلْ أنتم لا تبصرون؛ أي: لا تفهمون، وذلك أنهم كانوا يَنْسُبُونَ محمدًا ﷺ إلى السِّحْرِ، وإلى أنه يُغَطِّي على الأبصار بالسِّحْرِ. [١٨٧/ أ]

فلَمّا شاهَدُوا ما وُعِدُوا به من العذاب وُبِّخُوا بهذا وقيل لهم: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: قاسُوا شِدَّتَها ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على العذاب ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصَّبْرُ والجَزَعُ ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾؛ أي: جَزاءَ ما كنتم تعملون من الكفر والتكذيب.

ثم ذكر ما للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني: مُعْجَبِينَ ناعِمِينَ فَرِحِينَ بما أَعْطاهُمْ رَبُّهُمْ في الجنة من الخير والكرامة والنعيم ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ يعني: صَرَفَ عنهم عَذابَ الجَحِيمِ، ونصب ﴿فَٰكِهِينَ﴾ على الحال، ويجوز الرفع في غير القرآن على أنه خبر «إنّ»[2].

قوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ الهَنِيءُ: الذي لا مَشَقّةَ

---

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٦٢.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٥٥، وقد قرأ ابن أبي عبلة: ﴿فاكِهُونَ﴾ بالرفع، ينظر: شواذ القراءة ورقة ٢٣٠، وقال أبو حيان: «وقرأ خالدٌ بالرفع على أنه خبر «إنّ». البحر المحيط ٨/ ١٤٥.

عليهم فيه ولا تَبِعةَ، ولا يُحاسَـبُونَ عليه[١]، وهو منصوب على المصدر؛ أي: هَنِئْتُمْ هَنِيئًا[٢]، وقيل[٣]: هو صفة بمعنى المصدر.

فصل

عن زيد بن أرْقَمَ[٤] قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا القاسـم! تَزْعُـمُ أن أهل الجنة يأكلون ويشـربون؟ فقال: «والذي نفسي بيده إن الرجل منهم لَيُؤْتَى قُوّةَ مِائةِ رَجُلٍ في الأكل والشُّرْبِ والجِماعِ»، قال: فإن الذي يأكل ويشـرب تكون له الحاجة؟ فقال: «عَرَقٌ يَفِيضُ مِثْلَ رِيحِ المِسْكِ، فإذا كان ذلك ضَمَرَ له بَطْنُهُ»[٥].

قوله تعالـى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍ﴾ قد صُفَّ بَعْضُهـا إلى بَعْضٍ، وقُوبِلَ بَعْضُها بِبَعْضٍ، ونصب ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ على الحال حيث كان.

قوله: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾؛ أي: قَرَنّاهُمْ بِهِنَّ، قال أبو جعفر[٦]:

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٦٤/ ب.

(٢) قاله النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٥٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢٨، وينظر أيضًا: الفريد للهمداني ٤/ ٣٧١.

(٣) قاله سـيبويه فـي الكتاب ١/ ٣١٨-٣١٩، وذهـب إليه الزجاج في معانِـي القرآن وإعرابه ٥/ ٦٣، وينظر: النكت في تفسـير كتاب سـيبويه للأعلم الشـنتمري ص ٣٦٩، الكشـاف ٤/ ٢٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٦٥.

(٤) زيـد بن أرْقَمَ بن زيد بن قيس الأنصاري الخَزْرَجِيُّ، صحابِيٌّ مشـهور، شـهد الخندق وما بعدها، وشـهد صِفِّينَ مع عَلِيٍّ، وتُوُفِّيَ بالكوفة سنة (٦٨هـ). [أسد الغابة ٢/ ٢١٩، ٢٢٠، الإصابة ٢/ ٤٨٧، ٤٨٨].

(٥) رواه الإمام أحمد في المسـند ٤/ ٣٦٧، ٣٧١، والدارمي في سننه ٢/ ٣٣٤ كتاب الرقاق: باب فِي أهل الجنة ونعيمها.

(٦) يعني النحاس، وانظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٥٦.

الحَـوَرُ في العَيْنِ: البَياضُ، ومنه: الخُبْزُ الحُـوّارِيُّ[1]، وعِينٌ جمع عَيْناءَ، وقد ذكرت نظيرها في سورة الدخان[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ يعني أولادهم الصغار والكبـار؛ لأن الكبار يَتْبَعُونَ الآباءَ بإيمانٍ منهم، والصِّغارُ يَتْبَعُونَ الآباءَ بإيمانٍ من الآباء، والوَلَدُ يُحْكَمُ له بالإسلام تَبَعًا لِوالِدِهِ.

وقوله: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يعنـي: أنهم يُرْفَعُونَ إليهم لِتَقَرَّ بهم أعْيُنُهُمْ، وإن كانوا دُونَهُمْ فِي العَمَلِ ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾؛ أي: وما نَقَصْناهُمْ، قال ابن عباس: لَمْ نَنْقُصِ الآباءَ من الثواب حين ألحقنا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ، يقال: أَلَتَهُ يَأْلِتُهُ أَلْتًا، وآلَتَهُ يُؤْلِتُهُ إيلاتًا، ولاتَهُ يَلِيتُهُ لَيْتًا، كُلُّه: إذا نَقَصَهُ[3]، و«مِنْ» في قوله: «مِنْ عَمَلِهِمْ» للتبعيض، وفي: «مِنْ شَيْءٍ» زائدة بمعنى التوكيد[4].

واختلف القُرّاءُ فـي هذه الآية، فقرأ أبو عمرو: ﴿وَأَتْبَعْناهُمْ﴾[5] / على جماعة المتكلمين، وقرأ الباقـون: ﴿واتَّبَعَتْهُمْ﴾ على فعلٍ واحدٍ مؤنثٍ، وقرأ [١٨٧/ ب]

---

(١) الخُبْزُ الحُوّارِيُّ: الأبْيَضُ، والحُوّارِيُّ: أُجْوَدُ الدَّقِيقِ وأَخْلَصُهُ. اللسان: حور.

(٢) في الآية ٥٤، وانظر ما تقدم ٣/ ٢٢.

(٣) هـذا القول حكاه أبو عمـر الزاهد عن ابـن الأعرابِيِّ بنصه في ياقوتـة الصراط ص ٤٨٦، وينظر: التهذيب ١٤/ ٣٢٠-٣٢١، معاني القراءات ٣/ ٣٤، الحجة للفارسـي ٣/ ٤١٤، وراجع ما تقدم في الآية ١٣ من سورة الحجرات ٣/ ١٣٠.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٥٦.

(٥) قرأ ابن عباس وابن مسـعود وأبو عمرو والحسـن وابن جبير واليزيـديُّ: ﴿وَأَتْبَعْناهُمْ﴾ بهمزة القطـع ﴿ذُرِّيّاتِهِمْ﴾ بالجمع، وقـرأ ابن عامر، ونافعٌ في روايةٍ خارجةَ عنه، والحسـنُ ويعقوبُ وسـهلٌ: ﴿واتَّبَعَتْهُـمْ ذُرِّيّاتُهُمْ﴾، وقرأ الباقون: ﴿واتَّبَعَتْهُـمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾، وقرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وأبو جعفر والحسـن ويعقـوب: ﴿أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ﴾ بالجمـع، وقرأ الباقون بالإفراد، ينظر: السبعة ص ٦١٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٦٦، البحر المحيط ٨/ ١٤٧، الإتحاف ٢/ ٤٩٦.

أبـو عمرو وابن عامر: ﴿ذُرِّيّاتُهُمْ﴾ بألف علـى الجمع، غير أن ابن عامر ضَمَّ التاءَ، وأبو عمرو كَسَرَها، وقرأ الباقون: ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ على الواحد مضمومة التاء، وقرأ نافع وأبو عمرو: ﴿أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ﴾ على الجمع مكسورة التاء، وقرأ الباقون: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على الواحد مفتوحة التاء.

فمن قـرأ: ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ بالرفـع، فرفعه لأنه فاعل، ومن قـرأ: «ذُرِّيّاتِهِمْ» بالخفض فمحله نصب، ومن قرأ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بنصب التاء فنصبه لأنه مفعول، وقرأ ابن كثير: ﴿أَلِتْناهُمْ﴾ بكسـر اللام[١]، وذلك لا يعرفه أهل اللغة[٢]، وقرأ الباقون: ﴿أَلَتْناهُمْ﴾ بفتح اللام.

فصل

عـن عَلِيٍّ بـن أَبِي طالب رضي الله عنـه قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن المؤمنيـن وأولادَهُمْ فِي الجنة، وإن المشـركين وأولادَهُمْ فِي النار»، ثم قرأ: «والَّذِينَ آمَنُواْ واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ.. الآية»[٣].

---

(١) وقرأ بها ابن محيصن والحسن أيضًا، ورُوِيَ عن ابن كثير أيضًا: «لِتْناهُمْ» بكسر اللام وبغير ألف، وهي قراءة ابن مسـعود وأُبَيٍّ وقُنْبُلٍ والحسـن وطلحة والأعمش وشبل وابن شَنَبُوذٍ. ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٦، المحتسـب ٢/ ٢٩٠، تفسير القرطبي ١٧٦٧، البحر المحيط ٨/ ١٤٧، النشر ٢/ ٣٧٧، الإتحاف ٢/ ٤٩٦.

(٢) قـال الأزهـري: «ما رُوِيَ عن ابن كثير: «وَما أَلِتْناهُمْ» بكسـر اللام فهـو وهم، قال ابن مجاهد وغيـره: وأخبرنِي أبو بكـر بن عثمان عن أبِي حاتم أنه قال: الهمز مع كسـر اللام غَلَطٌ، قال أبو حاتـم: ورُوِيَ عن ابن كثير الهَمْزُ مع فَتْـحِ اللام كما قرأ القُرّاءُ، وهو الصحيح، قال أبو منصور: هـذا حرف فيـه ثلاث لغات، يقال: أَلَـتَ يَأْلِـتُ، ولاَتَ يَلِيتُ، وألاَتَ يُلِيـتُ، وكلها صحيحة مسموعة معناها النَّقْصُ، وأما أَلِتَ يَأْلَتُ فهو خطأ، ولا يجوز القراءة بها». معانِي القراءات ٣/ ٣٤.

(٣) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٣٤-١٣٥، وابن أَبِي عاصم في =

قوله: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ۝٢١﴾ مَحْبُوسٌ بعَمَلِهِ في النار، وهو مبتدأ وخبر أي: كُلُّ إنسانٍ مُرْتَهَنٌ بما عَمِلَ، لا يُؤاخَذُ أحَدٌ بذنب أحَدٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يريد: بالخِدْمةِ ﴿غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ﴾ في الحُسْنِ والبَياضِ ﴿لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ۝٢٤﴾ مَسْتُورٌ مَصُونٌ، لا تَمَسُّهُ الأيدي، قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن رَجُلاً قال: يا نَبِيَّ الله! هذا الخادمُ، فكيف المخدوم؟ فقال: «والذي نفسي بِيَدِهِ، إن فَضْلَ المَخْدُومِ على الخادم كفَضْلِ القمر لَيْلةَ البَدْرِ على سائر الكواكب»[1]، والمؤمن لا يكون مُرْتَهَنًا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾[2]، فاسْتَثْنَى المؤمنين.

ثم ذَكَرَ ما أمَدَّهُمْ به من الخير والنعمة، فقال تعالى: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة؛ أي: يَتَعاطَوْنَ ويتناولون فيها ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ۝٢٣﴾؛ أي: لا تَذْهَبُ بِعُقُولِهِمْ فَيَلْغُوا ويَرْفُثُوا، كما يكون من خمر الدنيا[3]، ولا يكون بينهم ما يُؤْثِمُهُمْ، والتَّأْثِيمُ: تَفْعِيلٌ من الإثْمِ، يقال: أثَّمَهُ: إذا جَعَلَهُ ذا إثْمٍ، والمعنى أن تلك الكأس لا تَجْعَلُهُمْ آثِمِينَ[4].

= كتاب السُّنَّةِ ص ٩٤، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٢٨، الوسيط ٤/ ١٨٧، مجمع الزوائد ٧/ ٢١٧ كتاب القدر: باب ما جاء في الأطفال.

(١) رواه الطبري في جامع البيان ٢٧/ ٤٠، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٢٩، الوسيط ٤/ ١٨٨، زاد المسير ٨/ ٥٢، الدر المنثور ٦/ ١١٩.

(٢) المدثر ٣٨-٣٩.

(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٢٥، وينظر: الوسيط ٤/ ١٨٨، زاد المسير ٨/ ٥٢.

(٤) قاله الجوهري في الصحاح ٥/ ١٨٥٦-١٨٥٧، وينظر: الوسيط ٤/ ١٨٨، زاد المسير ٨/ ٥٢.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥)﴾ قال ابن عباس: يَتَذاكَرُونَ ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف، وذلك قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ يعني: في الدنيا ﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)﴾ خائِفِينَ وَجِلِينَ من عذاب الله تعالى ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)﴾ وهي جهنم، والسَّمُومُ: الرِّيحُ الحارّةُ في جهنم، وفيها أنواع العذاب[1]، وقيل[2]: السَّمُومُ هاهنا: الرِّيحُ البارِدةُ، وقال الحَسَنُ[3]: السَّمُومُ: اسم من أسماء جهنم.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾؛ أي: نَدْعُو الرَّبَّ تعالى، ونُوَحِّدُهُ ونَعْبُدُهُ ونَرْغَبُ إليه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ لإجابة الذين يدعونه ويرغبون إليه ﴿الرَّحِيمُ (٢٨)﴾ بهم، قرأ الحسن وشيبة وأبو جعفر ونافع والكسائي: / [١٨٨/ أ] «أَنَّهُ» بفتح الألف[4]؛ أي: لأَنَّهُ، أو: بِأَنَّهُ[5]، وقرأ غيرهم بالكسر على الاستئناف وقطع الكلام مما قبله، ونظير هذا: «لَبَّيْكَ إِنَّ الحَمْدَ والنِّعْمةَ

---

(١) ذكره النقاش بغير عزو في شفاء الصدور ورقة ٦٥/ ب، وينظر: المفردات للراغب ص٢٤١.

(٢) ذكره القرطبي بغير عزو في تفسيره ١٧/ ٧٠.

(٣) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٦٥/ ب، الكشف والبيان ٩/ ١٣٠، الوسيط ٤/ ١٨٨، المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠، وغيرها.

(٤) لَمْ أقف على أنها قراءة لِشَيْبَةَ، ورَوَى ابنُ جَمّازٍ عن نافع: «إِنَّهُ» بكسر الهمزة كالباقين. ينظر: السبعة ص ٦١٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٧٠، البحر المحيط ٨/ ١٤٧، الإتحاف ٢/ ٤٩٧.

(٥) يعني أن موضع «أَنَّهُ» بالفتح النصب على نزع الخافض، قاله الفراء والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٣، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٨، قال ابن الأنباري: «فمن قرأ بالكسر وقف على «نَدْعُوهُ»، وابتدأ: «إِنَّهُ»، ومن قرأ: «أَنَّهُ» بالفتح لَمْ يقف على «نَدْعُوهُ»؛ لأن «أَنّ» متعلقة بما قبلها، والمعنى: نَدْعُوهُ لأَنَّهُ وَبِأَنَّهُ». إيضاح الوقف ص ٩٠٩، وينظر أيضًا: معانِي القراءات للأزهري ٣/ ٣٤-٣٥، الوسيط للواحدي ٤/ ١٨٨.

لَكَ»بفتح «إنّ» وكسرها[١]، والبَرُّ هو اللطيف بعباده، وقيل: هو الرحيم بخلقه لا يعذبهم بعد التوبة.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: فَعِظْ يا محمد بالقرآن أهْلَ مَكّةَ ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك بالنبوة ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ الكاهن: الذي يُوهِمُ أنه يَعْلَمُ الغَيْبَ، ويُخْبَرُ بما فِي غَدٍ من غَيْرِ وَحْيٍ[٢]، يقال: كَهَنَ يَكْهُنُ كِهانةً، مثل: كَتَبَ يَكْتُبُ كِتابةً[٣]، أي: لَسْتَ تقول بِقَوْلِ كَهانةٍ ولا تَنْطِقُ إلّا بِوَحْيٍ.

قولـه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾؛ أي: هو شـاعر ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ يعنـي صُـرُوفَ الدَّهْـرِ وحَوادِثَـهُ، أي: نَنْتَظِرُ به حَدَثانَ المَوْتِ وحَوادِثَ الدَّهْرِ، فَيَهْلِكَ كما هَلَكَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَراءِ، قال ابن عباس رضي الله عنه[٤]:

٢٩١ ـ تَرَبَّصْ بِها رَيْبَ المَنُونِ لَعَلَّها   تُطَلَّـقُ يَوْمًـا أَوْ يَمُـوتُ حَلِيلُهـا[٥]

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٥٨.

(٢) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ١٨٩، وينظر: زاد المسير ٨/ ٥٣.

(٣) وفيه لغة أخرى، يقال: كَهُنَ يَكْهُنُ كَهانةً. ينظر: تهذيب اللغة ٦/ ٢٤.

(٤) قـال ابن الأنبـاري: «وحدثني أبو عبد الله القارئ قال: حدثنا أبو بكر الأنصاري قال: حدثنا أبو بشـر هارون بن حاتم البَزّازُ قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبِي حَمّادٍ عن أسْـباطِ بن نصر عن إسـماعيل ابن عبد الرحمـن السُّـدِّيِّ عن أبِي مالك عن ابن عباس قال: «رَيْبٌ»: شَكٌّ، إلا مكانًـا واحدًا في الطور: «رَيْبَ المَنُونِ»: يعني: حـوادث الأمور، قال: وقال ابن عباس: تَرَبَّصْ بِها رَيْبَ المَنُونِ... البيت». إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٩-١٠٠.

(٥) البيـت مـن الطويل، لِقَرّاصِ بن عُتْبَةَ الأزْدِيِّ، وكان قد خطب ابنة عَمٍّ له كان يهواها، فَرُدَّ عنها وزُوِّجَتْ غَيْرَهُ، ونُسِبَ البيت لِحَمّادٍ البَرْتِيِّ، ويُرْوَى: «يَمُوتُ حَمِيمُها»، ويُرْوَى عَجُزُهُ:

سَـيَهْلِكُ عَنْها بَعْلُها أوْ تُسَـرَّحُ

التخريـج: جامع البيان ٢٧/ ٤٣، معجم الشـعراء ص ١٩٢، الكشـف والبيـان ٩/ ١٣١، =

والمَنُونُ يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المَنِيّةِ.

قال صاحب «إنسان العين»[(١)]: و«أمْ» هاهنا خمسة عشر، وكلها استفهام وإن كان حُكْمُ اللغة كَوْنَ ما بعدها مشكوكًا فيه، لكن أربعة منها للتحقيق: على التوبيخ أو بمعنى «بَلْ»، وهي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾، و﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾، وقد قالُوهُما، و﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، و﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾، وقد فَعَلُوهُما، وسائِرُها للإنْكارِ، والمَنُونُ من المَنِّ وهو القَطْعُ، والمراد به حوادث الدهر وأسباب الموت، نزلت فِي المُقْسِمِينَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: هو سحاب مَرْكُومٌ بَعْضُهُ على بَعْضٍ، و«يَقُولُوا» جزم على جواب الشرط.

قوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: يَمُوتُونَ، ومن قرأ: «يُصْعَقُونَ»[(٢)] بضم الياء فهو من: أَصْعَقَهُم اللهُ؛ أي: قَتَلَهُمْ أَهْلَكَهُمْ[(٣)]، وذلك

= المحرر الوجيز ٥/ ١٩١، مجمع البيان ٢/ ٩٤، عين المعاني ورقة ١٢٧/ ب، تفسير القرطبي ٣/ ١٠٨، ١٧/ ٧٢، اللسان: ربص، البحر المحيط ٨/ ١٤٨، الدر المصون ٦/ ٢٠١، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١٣٦، الدر المنثور ٦/ ١٢٠، فتح القدير ١/ ٢٣٢.

(١) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٢٧/ ب.

(٢) قرأ عاصم وابن عامر والحسن وزيد بن عَلِيٍّ والسُّلَمِيُّ، وأهلُ مكة في قول شبل بن عباد: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بالبناء للمفعول، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب: «يَصْعَقُونَ» بالبناء للفاعل. ينظر: السبعة ص ٦١٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٧٧، البحر المحيط ٨/ ١٥٠، الإتحاف ٢/ ٤٩٨.

(٣) قال الفراء: «والعرب تقول: صُعِقَ الرَّجُلُ وصَعِقَ، وسُعِدَ وسَعِدَ، لغات كلها صَوابٌ». معانِي القرآن ٣/ ٩٤، وقال الأزهري: «من قال: صُعِقَ، فهو من: صَعَقَتْهُمْ الصّاعِقةُ، وهم مُصْعَقُونَ، ومن قال: صَعِقَ، فهو فعل لازم». معانِي القراءات ٣/ ٣٥، ومعنى هذا أن «يُصْعَقُونَ» مأخوذ من صُعِقَ المبني للمفعول، وأما مَكِّيٌّ فقد جعله من أَصْعَقَ كما قال =

اليَوْمَ لا ينفعهم كيدهم ولا يمنعهم من العذاب مانع، وهو قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ و﴿يَوْمَ﴾ نصب على البدل من ﴿يَوْمَهُمُ﴾، وهو مفعولٌ، ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ نصبًا بفعل مضمر تقديره: اذكر يوم لا يغني.

قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني كفـار مكة ﴿عَذَابًا﴾ في الدنيا ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قبل عذاب الآخرة، يعني القتل ببدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ما هو نازلٌ بِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعني: لِقَضاءِ رَبِّكَ على تكذيب قومك إيّاكَ يا محمـد ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بِحَيْثُ نَـراكَ ونَرْعاكَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صَـلِّ بأمر ربـك ﴿حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ إلى الصلاة المكتوبـة، وكان عُمَرُ ابن الخَطّابِ رضي الله عنه/ يقول في الصلاة: «سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، وتَبارَكَ اسْمُكَ، وتَعالَى جَدُّكَ[1]، ولا إلَهَ غَيْرُكَ»[2]، وكذلك قال الضَّحّاكُ.

= الجِبْلِـيُّ هنـا، قال مَكِّيٌّ: «وحجة من فتح أنه جعله مسـتقبلَ صَعِـقَ كعَلِمَ، وحجة من ضَمَّ الياءَ أنه نقله إلى الرباعي، ورَدَّهُ إلى ما لَمْ يُسَـمَّ فاعله، فَعَدّاهُ إلى مفعول، وهو الضمير في «يُصْعَقُونَ» يقوم مقام الفاعل، فهو مثل «يُكْرَمُونَ»، ولا يَحْسُـنُ أن يكون من صَعِقَ ثم رَدَّهُ إلى ما لَمْ يُسَمَّ فاعله كـ«يُضْرَبُونَ»؛ لأنه إذا كان ثلاثيًا لا يتعدى، والفعل الذي لا يتعدى لا يُرَدُّ إلى ما لَمْ يُسَمَّ فاعله على أن يقوم الفاعل مقام المفعول الذي لَمْ يُسَمَّ فاعله، وقد حَكَى الأخفشُ: صَعِقَ كسَعِدَ لغة مشهورة، فعلى هذا يجوز أن يكون من الثلاثي غيرَ منقول، لغة لا قياس عليها». الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(١) جَدُّ اللهِ: عَظَمَتُهُ وجَلَالُهُ.

(٢) رَوَى الإمام أحمد بسنده عن أبِي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل، واسْتَفْتَحَ صَلاتَهُ وَكَبَّرَ، قال: «سبحانك اللهم وبحمدك... الحديث». المسند ٣/ ٥٠، ٦٩، ورواه الدارمي في سننه ١/ ٢٨٢ كتاب الصلاة: باب ما يقال بعد افتتاح الصلاة.
وروى مسلمٌ أنّ عُمَرَ كان يجهر بهؤلاء الكلمات. صحيح مسلم ٢/ ١٢ كتاب الصلاة: باب حجة من قال: البسملة آية من كل سورة سوى براءة.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ قيل: أراد بالليل صلاةَ العِشاءِ، وقيل: صلاة المغرب والعشاء و ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قيل: أراد رَكْعَتَي الفَجْرِ، وقيل: صلاة الصبح، وهو أوْلَى لأنه فرض من الله تعالى، ودليل القول الأول ما رُوِيَ عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إدْبارُ النُّجُومِ الرَّكْعَتانِ قبل الفجر، وأدْبارُ السُّجُودِ الرَّكْعَتانِ بعد المغرب»[1].

ونصب ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ على الظرف؛ أي: وَسَبِّحْ وَقْتَ إدْبارِ النجوم، كما تقول: أنا آتِيكَ وَقْتَ مَقْدَمِ الحاجِّ، ولا يجوز: أنا آتِيكَ مَقْدَمَ زَيْدٍ، إنما يجوز هذا فيما عُرِفَ، وهو قول الخليل وسيبويه[2]، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه ٣/ ١٥٧.

(٢) الكتاب ١/ ٢٢٢، وينظر ما تقدم ٣/ ١٥٧.

سورة النجم
مكِّية

وهي ألف وأربعمائة وخمســة أحرف، وثلاثمائة وستون كلمة، واثنتان وستون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة «والنَّجْمِ» أُعْطِيَ من الأجر عَشْرَ حَسَناتٍ بعدد من صَدَّقَ بِمحمد وكَذَّبَ به»(١)، وعنه أنه قال: «من قرأ سورة النجم اسْتَغْفَرَتْ له النُّجُومُ إلى أنْ تَـتَناثَرَ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قولــه عزّ وجلّ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾ أقْسَــمَ اللهُ تعالى بالقرآن، إذْ نُزِّلَ نُجُومًا متفرقة على رســول الله ﷺ في عشــرين ســنة، والمراد بالنَّجْمِ القرآنُ، سُمِّيَ نَجْمًا لِتَفَرُّقِهِ في النُّزُولِ، والعرب تُسَمِّي التفريق تَنْجِيمًا والمُفَرَّقَ مُنَجَّمًا،

---

(١) ينظـر: الكشـف والبيـان ٩/ ١٣٤، الوسـيط ٤/ ١٩٢، الكشـاف ٤/ ٣٥، مجمع البيان ٩/ ٢٨٤.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

ومنه: نُجُومُ الدَّيْنِ[١]، وقوله: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ معناه: نَزَلَ من أعلى إلى أسفل، يقال: هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا وهُوِيًّا: إذا سَقَطَ من أعلى إلى أسفل، ومثله: مَضَى يَمْضِي مُضِيًّا.

وقيل: أراد بالنجم هاهنا الثُّرَيّا إذا سَقَطَتْ وغابَتْ، والعرب تسمي الثُّرَيّا نَجْمًا وإن كانت في العدد سَبْعَةَ أَنْجُمٍ، فَسِتّةٌ منها ظاهرة، وواحد منها خَفِيٌّ يَمْتَحِنُ الناسُ به أبصارَهُمْ، ومنه قول العرب:

٢٩٢ ـ إذا طَلَعَ النَّجْمُ عِشاءً   ابْتَغَى الرّاعِي كِساءَ[٢]

وقيل: أراد نُجُومَ السماء كُلَّها حين تَغْرُبُ، لفظه واحد، ومعناه الجمع، فَعَبَّرَ بالواحد[٣] عن الجنس، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [٤]، وأراد الجنس[٥].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة ١١/ ١٢٨، ١٢٩، اللسان: نجم.

(٢) البيت من مجزوء الرمل، وهو مَثَلٌ يقال في شِدّةِ البَرْدِ، وفيه خَزْمٌ بزيادة ثلاثة أحرف في أول تفعيلة «فاعلاتن»، والخَزْمُ: زيادةٌ تلحق أوائلَ الأبيات، ولا يختص بذلك وزنٌ دون وزنٍ، ولا يُعْتَدُّ بتلك الزيادة في تقطيع العروض، فيُزادُ في البيت حرفٌ واحدٌ، وقد يُخْزَمُ بحرفين، وقد يُخْزَمُ بثلاثة أحرف، وقد يُخْزَمُ بأربعة أحرف، ويُرْوَى البيت:

إذا الثُّرَيّا طَلَعَتْ عِشاءَ   فَبِعْ لِراعِي غَنَمٍ كِساءَ

التخريج: المعانِي الكبير ص ٣٧٥، الأضداد لأبِي الطيب اللغوي ص ٤٥، شرح الحماسة للتبريزي ٤/ ٢٧، شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٤٧٩، المحرر الوجيز ٥/ ١٩٦، الكشاف ٤/ ٢٧، عين المعاني ورقة ١٢٧/ ب، البحر المحيط ٨/ ١٥٤، سبل الهدى والرشاد ٣/ ٢٧، الدر المصون ٦/ ٢٠٣، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١٥٢.

(٣) في الأصل: «فعبر عنها بالواحد».

(٤) العصر ٢.

(٥) ينظر في هذه الأقوال وغيرها: جامع البيان ٢٧/ ٥٤ـ٥٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٦٩، =

فعلى هذا قيل[١]: معناه: وَرَبِّ النَّجْمِ، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مُقامَهُ، وقيل[٢]: بل أقْسَمَ اللهُ تعالى به من غير إضافة، وله ـ سبحانه ـ أن يُقْسِمَ بما شاء من خَلْقِهِ، وليس لنا نحن ذلك، وقيل[٣]: أراد به الرُّجُومَ من النُّجُومِ، وهو ما تُرْمَى به الشياطينُ عند اسْتِراقِهِم السَّمْعَ.

قرأ حمزة والكسائي هذه السورة بإمالةِ أواخرِ آياتِها، وقرأها نافعٌ وأبو عمرو بين اللفظينِ، إلا ما كان فيه راءٌ بعدها ياءٌ / في الخَطِّ، فإن أبا عمرو يُمِيلُهُ، وقرأها الباقون بالفتح[٤]. [١٨٩/ أ]

قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ أي: وما ضَلَّ عن طريق الهدى، وهذا جواب القسم.

قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ يعني: ما يتكلم محمد بالباطل، وذلك أنهم قالوا: محمد ﷺ يقول القرآن من تِلْقاءِ نَفْسِهِ، فقال الله تعالى: ما ينطق محمد بالقرآن عن هَوَى نَفْسِهِ، ومعنى ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾؛ أي: بالهوى، فأقيم «عَنْ» مُقامَ الباء،

= الكشف والبيان ٩/ ١٣٤-١٣٥، الوسيط ٤/ ١٩٢، الكشاف ٤/ ٢٧، المحرر الوجيز ٥/ ١٩٥، عين المعانِي ورقة ١٢٧/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ٨٢.

(١) قاله ابن الأنباري والنحاس، ينظر: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٣٨، إعراب القرآن ٤/ ٢٦٥.

(٢) قاله أكثر العلماء، وينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٩٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٦٩.

(٣) قاله ابن عباس، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٣٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٨٢.

(٤) قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ، وأبو بكر عن عاصم بإمالة أواخر آيات هذه السورة، وروى القُطَعِيُّ عن عُبَيْدٍ عن أبِي عمرو: ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ بالإمالة، وقرأ نافعٌ وأبو عمرو ووَرْشٌ والأزرقُ بين الإمالة والفتح، وقرأ الباقون، وحفصٌ عن عاصم بالفتح، ينظر: السبعة ص ٦١٤، معانِي القراءات ٣/ ٣٦، الحجة للفارسي ٤/ ٣، الإتحاف ٢/ ٤٩٩.

كما أُقِيمَ الباءُ مُقامَ «عَنْ»[١]، قال الشاعر:

فَـإِنْ تَسْـأَلُونِي بِالنِّسـاءِ، فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِـأَدْواءِ النِّسـاءِ طَبِيبُ[٢]

أراد: عن النساء.

قولـه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾؛ أي: مـا هذا القـرآن إلا وَحْيٌ من الله تعالـى، يأتِي به جبريـلُ محمدًا ـ عليهما السـلام ـ، وهـو قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ يعني جبريل عليه السّلام عَلَّمَ محمدًا ﷺ.

والقُـوَى: جمع قُـوّةٍ، وحَكَى الفَـرّاءُ أنه يُقْرَأُ: «شَـدِيدُ الْقِوَى» بكسـر القـاف[٣]، ولأن «فِعْلَةً» و«فُعْلَةً» يتضارعان[٤]، وأصل القُوَى من قُوَى الحَبْلِ، وهي طاقاتُهُ، واحدتها قُوّةٌ.

قوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ يعني جبريل عليه السّـلام؛ أي: هو ذُو قُوّةٍ

---

(١) هـذا على مذهـب الكوفيين وبعضِ البصرييـن في أن حروف الخفـض ينوب بعضها عن بعـض، وقـد تقدم مثل هذا في عدة مواضـع، وينظر: معانِي القرآن للفـراء ٣/ ٩٥، مجاز القـرآن ٢/ ٢٣٦، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٦، أدب الكاتب ص ٣٩٩، تأويل مشـكل القرآن ص ٥٦٩.

(٢) تقدم برقم ٥٧، ١/ ٣٨٧.

(٣) المقصـور والممدود للفـراء ص ٤٥، وقال الأخفـش: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ جماعـة القُوّةِ، وبعـض العرب يقول: حُبْوَةٌ وحِبًـى، فينبغي أن يقول: القِوَى فِي ذا القيـاسِ». معانِي القرآن ص٤٨٦، ولَمْ يذكر سيبويه أن «فُعْلَةً» يجمع على«فِعَلٍ»، ينظر: الكتاب ٣/ ٥٧٩-٥٨١، وقد قرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ: «القِوَى» بكسر القاف، ينظر: ليس في كلام العرب لابن خالويه ص ١٦٤، وقال ابن دريد: «القُوّةُ: قُوّة الإنسان والدّابّةِ، والجمع قُوًى وقِوًى، وقد قُرِئَ بهما جميعاً». جمهرة اللغة ص ٢٤٥، ٩٨٠، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٥.

(٤) قاله النحاس فِي إعراب القرآن ٤/ ٢٦٥.

وشِدَّةٍ في خَلْقِهِ، يقال: رَجُلٌ مَرِيرٌ؛ أي: قَوِيٌّ ذُو مِرَّةٍ، قال الشاعر:

٢٩٣ ـ تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَحَشْوُ ثِيابِهِ جَلْدٌ مَرِيرُ[1]

وأصله من شِدَّةِ فَتْلِ الحَبْلِ، يقال: أَمْرَرْتُ الحَبْلَ: إذا أَحْكَمْتَ فَتْلَهُ[2]، ومنه قول النبي ﷺ: «لاَ تَحِلُّ الصَّدَقةُ لِغَنِيٍّ، ولا لِذِي مِرّةٍ قَوِيٍّ سَوِيٍّ»[3]، فمعنى المِرّةِ في الحديث: شِدّةُ أَسْرِ الخَلْقِ، وصِحّةُ البَدَنِ التي يكون معها احْتِمالُ الكَلِّ والتَّعَبِ.

وقال أبو جعفر[4]: حقيقة المِرّةِ في اللغة اعْتِدالُ الخَلْقِ والسَّلامةُ من الآفاتِ والعاهاتِ، فإذا كان كذا كان قَوِيًّا.

---

(١) البيت من الوافر، لِكُثَيِّرِ عَزّةَ، ونُسِبَ للعَبّاسِ بن مِرْداسٍ، ولِمُعَوِّدِ الحُكَماءِ أَبِي رِياشٍ، ويُرْوَى: «أَسَدٌ هَصُورُ»، ورواية ديوان العباس:

وفِي أَثْوابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ

اللغة: رجلٌ مَرِيرٌ: عاقل، من المِرّةِ وهي القوة وشدة العقل، مَزِيرٌ: مُشْبَعُ العقلِ نافذٌ في الأمور، وجمعه أمازِرُ.

التخريج: ملحق ديوان كثير ص ٥٢٩، ديوان العباس بن مرداس ص ١٧٢، العين ٣/ ٢٤٩، مجالس ثعلب ص ١٣٤، معجم الشعراء ص ١٠٢، الجليس الصالح الكافي ١/ ٥٨٥، تهذيب اللغة ٥/ ١١١، ديوان الأدب ٢/ ٢٧٣، الكشف والبيان ٩/ ١٣٦، أساس البلاغة: مزر، تفسير القرطبي ١٧/ ٨٦، الحماسة البصرية ص٢/ ٢٤٢، التذكرة الحمدونية ٦/ ٤١٠، اللسان: مزر، نحف، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١٥٩، التاج: مزر، نحف.

(٢) قاله أبو عبيد وابن الأعرابِيِّ، ذكر ذلك الأزهريُّ في التهذيب ١٥/ ١٩٥ـ١٩٦.

(٣) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة في المسند ٢/ ١٦٤، ١٩٢، ٣٨٩، ٥/ ٣٧٥، وأبو داود في سننه ١/ ٣٦٩ كتاب الزكاة: باب من يُعْطَى من الصدقة، والترمذي في سننه ٢/ ٨٢ أبواب الزكاة: باب ما جاء من لا تحل له الصدقة، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٠٧ كتاب الزكاة: باب من تحل له الصدقة.

(٤) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٦٦.

وقولــه: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ قيــل[١]: معنــاه: واعْتَــدَلَ قائِمًا بعــد أن كان يَنْزِلُ مُسْرِعًا، كقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[٢]، وليس هو من باب: استوى زَيْدٌ وعَمْرٌو، فإنه يقال: هُوَ وهُوَ، ولا يُعطَفُ على الضمير المُسْتَكِنِّ، وما أنشــده الفراء[٣]:

٢٩٤ ـ أَلَمْ تَرَ أَنّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عُودُهُ فَلاَ يَسْتَوِي والخِرْوَعُ المُتَقَصِّفُ[٤]

فجعل «الخِرْوَعُ» نَسَقًا على ما في «يَسْتَوِي»، وهذا لا تليق به بلاغة لغة القــرآن، وقيل: معناه: اسْــتَوَى محمدٌ وجِبْرِيلُ في الأُفُــقِ الأعلى، هكذا ذكره صاحب «إنسان العين»[٥].

---

(١) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٢٦٦.

(٢) القصص ١٤.

(٣) معانــي القــرآن ٣/ ٩٥، وقد أنشــد الفراء هذا البيت شــاهدًا على أن «هُوَ» فــي قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، معطــوف علــى الضمير المســتكنِّ فــي ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بغير توكيد ولا فصل، قال الفراء: «وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: اســتوى هو وجبريلُ بالأفق الأعلى لَمّا أُسْرِيَ به، وهو مَطْلِعُ الشمس الأعلى، فأضمر الاسم في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، ورَدَّ عليه ﴿هُوَ﴾، وأكثــر كلام العرب أن يقولوا: اسْــتَوَى هو وأبُوهُ، ولا يكادون يقولون: اسْــتَوَى وأبُوهُ، وهو جائز؛ لأن في الفعل مضمرًا، أنشدنِي بعضهم: ألم تر... البيت». معاني القرآن ٣/ ٩٥.

(٤) البيت من الطويل، لجرير من قصيدة يَرُدُّ بها على الفرزدق.

اللغة: النبع: من أشــجار الجبال أصفــر تُتَّخَذُ منه القِسِــيُّ، يَصْلُبُ عُودُهُ: يَيْبَــسُ، الخِرْوَعُ المتقصف: المتكسر.

التخريج: ديوانه ص ٩٣٢، إيضاح الوقف والابتداء ص ٩١١، الكشــف والبيان ٩/ ١٣٧، أســاس البلاغة: قصف، المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧، زاد المسير ٨/ ٦٤، عين المعانِي ورقة ١٢٧/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ٨٥، ارتشاف الضرب ص ٢٤٢٦.

(٥) عين المعانِي ورقة ١٢٧/ ب.

وذلك لَمّا أُسْــرِيَ به، وهو مَطْلِعُ الشمس، قُلْتُ: فعلى هذا التأويل يليق به معنى مذهب الفراء، وقد ذكره ابن الأنباري فِي الوقف والابتداء[١].

قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ المعنى واحد؛ لأن معناه: قَرُبَ، كما تقول: فَدَنا فُلانٌ مِنِّي وقَرُبَ، والمعنى: دَنا جبريلُ عليه السّــلام من محمد ﷺ[٢]، فَتَدَلَّى إليه من الســماء، وذلك ليلةَ أُسْرِيَ بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ يعني: قَدْرَ ما بَيْنَ طَرَفَيِ القَوْسِ مِنْ قِسِيِّ العرب ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ يعني: أو أقرب، وقيل: هو ما بين كَبِدِ الوَتَرِ وكَبِدِ القَوْسِ أو أدْنَى من ذلك، وهو قول مجاهد[٣]، وقيل: القابُ: / نِصْفُ إصْبَعٍ، وقيل: ذِراعٌ.

والتَّدَلِّي على ثلاثة أوجه، أحدها: هذا، وهو من الدُّنُوِّ والقُرْبِ، والثانِي قولــه تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[٤]؛ أي: أوْقَعَهُما على أكْلِ الشــجرة، والثالث: التَّدَلِّي من فَوْقٍ إلى أسْفَلَ[٥].

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩١٠، ٩١١.

(٢) قــال الفراء: «يعني: دَنا جبريلُ ﷺ مــن محمد ﷺ... وقوله، تبارك وتعالى: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ كأنّ المعنــى: ثم تَدَلَّــى فَدَنا، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحدًا أو كالواحد، قَدَّمْتَ أَيَّهُما شِــئْتَ فقلتَ: قد دَنا فَقَرُبَ، وقَرُبَ فَدَنا». معانِي القرآن ٣/ ٩٥، وذكره الزجاج في معانِي القــرآن وإعرابه ٥/ ٧٠، وقال النحاس: «وهذا غلــط؛ لأن حكم الفاء خلاف حكم الواو؛ لأنها تدل على أن الثانِيَ بعد الأول، فالتقدير: ثم دَنا فَزادَ في القُرْبِ». إعراب القرآن ٤/ ٢٦٧، وينظر: شفاء الصدور ٦٩/ أ.

(٣) تفسير مجاهد ٢/ ٦٢٧-٦٢٨، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ورقة ٦٩/ ب، المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧، تفسير القرطبي ١٧/ ٩٠.

(٤) الأعراف ٢٢.

(٥) من أول قوله: «والتدلي على ثلاثة أوجه» قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٦٩/ ب.

فصل

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمّا عُرِجَ بِي إلى السماء، قَرَّبَنِي رَبِّي عزّ وجلّ، حتى كان بيني وبينه كَقابِ قَوْسَيْنِ أو أدْنَى، لا بَلْ أدْنَى، وعَلَّمَنِي السِّماتِ، ثم قال: يا حبيبي! يا محمد!: هل غَمَّكَ أن جَعَلْتُكَ آخِرَ النَّبِيِّينَ؟ قلتُ: لا يا رَبِّ، قال: أبْلِغْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ، وأخْبِرْهُمْ أنِّي جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ لأفْضَحَ الأُمَمَ عِنْدَهُمْ، ولا أفْضَحَهُمْ عند الأُمَمِ»[1].

وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ قال ابن عباس: أوْحَى جبريلُ عليه السّلام إلى النبيِّ ﷺ ما أوْحَى اللهُ إليه.

وما بعد هذا ظاهر الإعراب إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ «نَزْلَةً» مصدر في موضع الحال، كما تقول: جالَ فُلاَنٌ مَشْيًا؛ أي: ماشِيًا[2]، والتقدير: ولقد رآهُ نازِلًا نَزْلَةً أُخْرَى؛ أي: في نُزُولِهِ، واختلفوا في المعنى، فقيل: رَأى محمدٌ ﷺ رَبَّهُ عزّ وجلّ، وقيل: رَأى جبريلَ عليه السّلام في صورته التي خُلِقَ عليها نازِلًا من السماء نَزْلَةً أُخْرَى؛ أي: مَرّةً أُخْرَى ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ أغْصانُها اللُّؤْلُؤُ والياقُوتُ والزَّبَرْجَدُ، وهي شجرة عن يمين العرش، فوق السماء السابعة العليا، ينتهي إليها عِلْمُ الخلائق.

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥/ ٣٣٧، وينظر أيضًا: تاريخ دمشق ٣/ ٥١٦، الدر المنثور ٤/ ١٥٧ـ١٥٨، كنز العمال ١١/ ٤٤٩.

(٢) هذا قول النحاس ومَكِّيِّ بنِ أبِي طالب، وذهب الفراء إلى أنه مصدر في موضع الظرف، وأن معناه: مَرّةً أخرى، ووافقه الزمخشري في ذلك، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٩٦، إعراب القرآن ٤/ ٢٧٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٣١، الكشاف ٤/ ٢٩ وينظر أيضًا: البيان للأنباري ٢/ ٣٩٨، التبيان للعكبري ص ١١٨٧، الفريد للهمداني ٤/ ٣٨٠، البحر المحيط ٨/ ١٥٧، الدر المصون ٦/ ٢٠٧.

فصل

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمّا رُفِعْتُ إلى سِدْرةِ المُنْتَهى فِي السماء السابعة، فإذا نَبِقُها مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ[١]، ووَرَقُها مثل آذانِ الفِيَلةِ، يخرج من ساقها نهرانِ ظاهران ونهران باطنان، قلتُ: يا جبريل: ما هذا؟ قال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»[٢].

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ قيل: إنه يأوي إليها جبريلُ والملائكةُ ـ عليهم السلام ـ، وقيل: تأوي إليها أرواحُ الشهداءِ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ قيل[٣]: يغشاها فَراشٌ من ذَهَبٍ، وقيل[٤]: تَغْشاها الملائكةُ أمْثالَ الغِرْبانِ حين يَقَعْنَ على الشجر، بدليل ما رُوِيَ عن النبي ﷺ قال: «رَأيْتُ على كل ورقة من ورقها مَلَكًا قائما يُسَبِّحُ اللهَ عزّ وجلّ»[٥] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ يعني: ما مالَ بَصَرُ النَّبِيِّ ﷺ يمينًا ولا شِمالًا، وما جاوَزَ ما رَأى، وهذا وَصْفُ أدَبِهِ في

---

(١) هَجَرُ: مدينة بالبحرين، وهي قاعدة البحرين، كانت تُجْلَبُ منها القِلَالُ إلى المدينة. معجم البلدان ٥/ ٤٥٢.

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده عن أنسِ بن مالك وعن مالك بن صعصعة في المسند ٣/ ١٦٤، ٤/ ٢٠٧، ٢٠٩، ورواه البخاري في صحيحه ٤/ ٢٤٩ كتاب بدء الخلق: باب حديث الإسراء، والحاكم في المستدرك ١/ ٨١ كتاب الإيمان: ذِكْر سدرة المنتهى.

(٣) رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في المسند ١/ ٣٨٧، ٤٢٢، ومسلم في صحيحه ١/ ١٠٩ كتاب الإيمان: باب في ذِكْرِ سدرة المنتهى.

(٤) رواه الطبري بسنده عن أبِي هريرة في جامع البيان ٢٧/ ٧٥، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٤٣، الوسيط ٤/ ١٩٨، زاد المسير ٨/ ٧٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧٠.

(٥) رواه الطبري في جامع البيان ٢٧/ ٧٥، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٤٣، الوسيط ٤/ ١٩٨، مجمع البيان ٩/ ٢٩٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٩٦.

ذلك المَقامِ المُعَظَّمِ، إذْ لَمْ يَلْتَفِتْ جانبًا، ولَمْ يُمِلْ بَصَرَهُ يمينًا ولا شمالًا، ولَمْ يَمُدَّهُ أمامَهُ إلى حيث ينتهي بصره.

قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ يعني: تلك الليلةَ ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ يعني الآياتِ العظامَ التي رآها تلك الليلةَ، وقيل: رأى جِبْرِيلَ عليه السّلام في صورته التي خُلِقَ عليها، له سِتُّمِائةِ جَناحٍ قد سَدَّ أُفُقَ السماءِ.

[١٩٠/ أ] قوله:/ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ يا أهل مكة ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ هذه أسماءُ أصنامٍ اتخذوها آلهةً، فعبدوها من دون الله، واشْتَقُّوا لها أسماءً من أسماء الله عزّ وجلّ، فقالوا: اللَّاتُ من اللهِ، والعُزَّى من العَزيزِ، واللَّات: صَنَمٌ كان لِثَقِيفٍ بالطائف، والعُزَّى لِغَطَفانَ، ومَناةُ لِخُزاعةَ وهُذَيْلٍ.

وأصل اللَّات لَاوَهٌ، والتاء للتأنيث[(١)]، والعُزَّى تأنيث الأعَزِّ كالصُّغْرَى، وهي بمعنى العزيز[(٢)]، وكانت سَمُرَةً[(٣)] بِنَخْلةٍ لِغَطَفانَ يعبدونها من دون الله، فَبَعَثَ إليها رسولُ الله ﷺ خالِدَ بن الوليد، فقطعها وقال:

٢٩٥ ـ يا عُزَّ كُفْرانَكِ لَا سُبْحانَكِ

---

(١) قال الفارسي: «فأما اشتقاق اللات فمن: لَوَيْتُ؛ لأنهم كانوا يَلْوُونَ على آلهتهم، ويعطفون عبادةً لها وتَقَرُّبًا إليها، ويقال: لَوَى عَلَيْهِ وعَطَفَ عَلَيْهِ... فكأنّ اسمها اشْتُقَّ من هذا المعنى». الإغفال ٢/ ٥٣٥، وقال الزمخشري: «وهي «فَعَلَةٌ» من: لَوَى؛ لأنهم كانوا يَلْوُونَ عليها، ويَعْكُفُونَ للعبادة». الكشاف ٤/ ٣٠، وينظر: البحر المحيط ٨/ ١٥٨.

(٢) قاله الأزهري في التهذيب ١/ ٨٥، وينظر: سر صناعة الإعراب ص ٣٦٣، ٣٦٤، الصحاح ٣/ ٨٨٦.

(٣) السَّمُرةُ من شجر الطَّلْحِ، والجمع سَمُرٌ وسَمُراتٌ. اللسان: سمر.

إنِّــي رَأيْــتُ اللهَ قَــدْ أهانَــكِ[1]

فَخَرَجَ منها شَيْطانةٌ ناشِرةٌ شَعَرَها داعِيةٌ وَيْلًا، واضِعةٌ يَدَها على رأسها.

وكان الكسائي يقف على «الـلّاتَ»[2] بالهاء على الأصـل، وأبو حاتم يقـف عليها بالتاء، وشَـدَّدَ الباقون[3]، قـال الزَّجّاجُ[4]: الوقـف عليها بالتـاء؛ لاتِّباعِ المصحف، فإنها كُتِبَتْ بالتاء.

---

(١) الرجز لخالد بن الوليد، ويُرْوَى:

كُفْرانَـكِ اليَوْمَ وَلَا سُـبْحانَكِ
الـحَمْـدُ للهِ الـذِي أهـانَـــكِ

التخريـج: معانِـي القرآن للفـراء ٣/ ٩٨، الحيوان ٤/ ٤٨٤، الكشـف والبيان ٩/ ١٤٥، المخصص ١٥/ ١٩٠، الوسيط ٤/ ١٩٩، الكشاف ٤/ ٣٠، عين المعانِي ورقة ١٢٨/ أ، الفريد للهمداني ٤/ ٣٨٢، تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٠، اللسان: عزز، البحر المحيط ٨/ ١٥٨، سـير أعلام النبـلاء ١/ ٣٦٩، التصريح ١/ ١٥١، خزانـة الأدب ٧/ ٢٢٠، ٢٢٦، التاج: عزز.

(٢) في الأصل: «مناة»، وهو خطأ.

(٣) وقف الكسـائي في رواية الدُّورِيِّ، وابنُ كثير في رواية البَزِّيِّ على «اللّاتَ» بالهاء، فقالوا: «اللّاهْ»؛ لأنه من: لَوَى، فالهاء زائدة للتأنيث، وقرأ ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبـو صالـح وطلحة وأبو الجوزاء ويعقـوب ورُوَيْسٌ، وابنُ كثير فِي روايـةٍ عنه: «اللّاتَّ» بالتشـديد، فاشـتقاقه على هذا من: لَتَتَ، قال ابن عباس: كان هذا رَجُلًا بسوق عُكاظَ يَلُتُّ السَّمْنَ والسَّوِيقَ، فلما مات جعلوا له صَنَمًا وعَبَدُوهُ.

ويجوز أن يكون التشـديد على لغة من يقف على تاء التأنيـث بالتاء، قال الأخفش: «وقال بعضهـم: «اللّات»، جعله من اللّات الذي يَلُتُّ، ولغة العرب يَسْكُتُونَ على ما فيه الهاءُ بالتاء، يقولون: رأيتُ طَلْحَتْ». معانِي القرآن ص ٤٨٦، وينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٧، ٩٨، مختصر ابن خالويه ص ١٤٧، المحتسب ٢/ ٢٩٤، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٣٠، البحر ٨/ ١٥٨، النشر ٢/ ١٣٢.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٧٣ باختلاف في ألفاظه.

وكان ابن كثير يقرؤها [1] بالمَدِّ والهَمْزِ، والصحيح قراءة العامة؛ لأن العرب سَمَّتْ زَيْدَ مَناةَ وعَبْدَ مَناةَ، ولَمْ يُسْمَعْ فيها المَدُّ [2]، و«الثّالِثَةَ» نعت لـ«مَناةَ»، يعني: الثالثةَ لِصَنَمَيْنِ في الذِّكْرِ، و«الأُخْرَى» نعت لها أيضًا، والجواب محذوف والتقدير: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تُغْنِي عنكم شيئًا؟[3].

قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ استفهام فيه معنى التوبيخ، وذلك

---

(١) يعني قوله: «وَمَناةَ»، قرأ العامة: «وَمَناةَ»، وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي، والأعشى عن أبي بكر عن عاصم: «ومَناءَةَ» بهمزة بعد الألف، ينظر: السبعة ص ٦١٥، تفسير القرطبي ١٧/ ١٠١، النشر ٢/ ٣٧٧، البحر المحيط ٨/ ١٥٩، الإتحاف ٢/ ٥٠١.

(٢) هذا القول تابَعَ فيه المؤلفُ أبا عَلِيٍّ الفارِسِيَّ، فإنه قال: «ولعل مَناءةَ بالمد لغة، ولَمْ أسمع بها عن أحد من رواة اللغة، وقد سَمَّوْا: زَيْدَ مَناةَ وعَبْدَ مَناةَ، ولَمْ أسمعه بالمد». الحجة ٤/ ٥.
ولكن الأزهري قال: «المَدُّ والقَصْرُ في مَناةَ، وهو صنم، جائز، وكان لثقيف... وأنشد الكسائي بيتًا في «مناءة» ممدودة:

ألا هَلْ أتَى التَّيْمَ بنَ عَبْدِ مَناءةٍ عَلَى الشَّنْءِ فِيما بَيْنَنا ابنُ تَمِيمِ

معانِي القراءات ٣/ ٣٧، ٣٨. ومَنْ حَفِظَ حُجّةٌ على مَنْ لَمْ يحفظ، وعلى هذا فلا يجوز لأحدٍ أن يحكم على قراءة سبعية بأنها غير صحيحة، خاصة وأن السماع يؤيدها، وينظر: الصحاح ٦/ ٢٤٩٨، ٢٤٩٩، البحر المحيط ٨/ ١٥٩، الدر المصون ٦/ ٢٠٨، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١٨٠.

(٣) يعني أن المفعول الثانِيَ لـ«رَأَيْتُمْ» محذوف، وذهب الفارسي إلى أن قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ في موضع المفعول الثانِي، قال الفارسي: «فأما قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ فهو بِمَنْزِلةِ: أَخْبِرُونِي، فَتَعَدَّى «أَرَأَيْتَ» إلى المفعول، ووقع الاستفهام فِي موضع المفعول الثانِي، والمعنى: أرأيتم جَعْلَكُم اللَّاتَ والعُزَّى بَناتِ الله أَلَكُمُ الذَّكَرُ؟». المسائل الحلبيات ص ٧٨، وبه قال الباقولِيُّ والأنباري، ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٣٣٧، البيان للأنباري ٢/ ٣٩٨، وذهب ابن عطية إلى أن «رأى» هنا بصرية، وليست متعدية لمفعولين، ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

أن المشـركين كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، تَعالَى اللهُ عن ذلك وتَعَظَّمَ، فَنَزَّهَ نَفْسَـهُ عما قال المشـركون، فقال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ يعنـي: ناقصـة، وقيـل: جائرة غير عادلـة، حيث جَعَلُـوا للهِ ما يَكْرَهُونَ لأنفسهم من نِسْبةِ الإناث إلى الله ـ جَلَّ اسْمُهُ وتَعالَى عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا ـ.

يقال: ضـازَهُ حَقَّهُ إذا نَقَصَهُ، وضازَ فِي الحُكْـمِ: إذا جارَ فيه[1]، قرأ ابن كثير: «ضِئْزَى»[2] بالهمز، وضَأَزَ يَضْأَزُ ضَأْزًا: إذا ظَلَمَ ونَقَصَ، قال الشاعر:

٢٩٦ ـ ضـازَتْ بَنُو أَسَـدٍ بِحُكْمِهِمُ إِذْ يَجْعَلُـونَ الـرَّأْسَ كـالذَّنَـبِ[3]

وتقديـر «ضِيزَى» من الكلام «فُعْلَى» بضم الفاء؛ لأنها صفة، والصفات لا تكـون إلا علـى «فُعْلَى» بضم الفاء، نحو حُبْلَى وأُنْثَى وبُشْـرَى، أو «فَعْلَى» بفتح الفاء، نحو: غَضْبَى وسَـكْرَى وعَطْشَـى، وليس في كلام العرب «فِعْلَى» بكسـر الفاء في النعوت، إنما يكون في الأسـماء مثل ذِكْرَى وشِـعْرَى، وإنما

---

(١) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٧٣، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص١٤٩.

(٢) هذه قراءة ابن كثير وحده، ينظر: السـبعة ص ٦١٥. قال الفارسي: «ولا ينبغي أن يكون ابن كثيـر أراد بـ«ضِئْزَى» فُعْلَى؛ لأنه لو أراد ذلك لكان ضُوزَى، ولَمْ يُرِدْ به، أيضًا، فِعْلَى صفة؛ لأن هذا البناء لَمْ يَجِئْ صفةً، ولكن ينبغي أن يكون أراد به المصدر مثل الذِّكْرَى، فكأنه قال: قِسْمةٌ ذاتَ ظُلْمٍ، فعلى هذا يكون وجه قراءته». الحجة ٤/ ٦.

(٣) البيت من الكامل، لامرئ القيس، وهو بيت مفرد في ملحق ديوانه، وروايته فيه:

إِذْ يَعْدِلُـونَ الـرَّأْسَ بِالذَّنَـبِ

التخريج: ملحق ديوانه ص ٤٥٧، الكشـف والبيان ٩/ ١٤٦، شـمس العلوم ٦/ ٤٠٢٧، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٠٢، البحر المحيط ٨/ ١٥٢، الدر المصون ٦/ ٢٠٩، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١٨٣، روح المعانِي ٢٧/ ٥٧، فتح القدير ٥/ ١٠٩.

كُسِرَت الضادُ للياء[١]، قال المُؤَرِّجُ[٢]: كَرِهُوا ضَمَّ الضاد، وخافوا انقلابَ الياء واوًا، وهو من بنات الياء، فكسروا الضادَ لهذه العلة، كما قالوا في جمع أَبْيَضَ: بِيضٌ، والأصل: بُيْضٌ / مثل: حُمْرٍ وصُفْرٍ، وأما من قال: ضازَ يَضُوزُ، فالاسم منه ضُوزَى مثل: شُورَى[٣]. ومحل ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ رفع، نعت ﴿قِسۡمَةٌ﴾، و﴿قِسۡمَةٌ﴾ رفع لأنه خبر الابتداء، والابتداء قوله: «تِلْكَ». [١٩٠/ ب]

قولـه: ﴿إِنۡ هِيَ﴾؛ أي: مـا هـي، يعني: الأصنـام ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴿٢٣﴾﴾ الآيـة، و«أَنْتُمْ» رفع تأكيد للتـاء والميم في ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾، و﴿آباؤُكُمْ﴾ عطف على ﴿أَنتُمۡ﴾[٤].

قولـه تعالـى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ قـال الأخفش[٥]: المَلَكُ مُوَحَّدٌ، ومعناه الجمع؛ ولهذا جَمَعَ الكناية؛ لأن المراد بقوله:

---

(١) ينظـر: الكتـاب ٤/ ٣٦٤، معانِـي القـرآن للفـراء ٣/ ٩٨-٩٩، أدب الكاتب ص ٤٨٠، المقتضب ١/ ٣٠٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٧٣، تهذيب اللغة ١٢/ ٥٢، معانِي القراءات ٣/ ٣٨.

(٢) هو مُؤَرِّجُ بن عمرو بن الحارث بن ثور، أبو فَيْدٍ السَّدُوسِـيُّ البصري، نحوي لغوي شـاعر نَسّـابةٌ، ولد بالبصرة، وأخـذ العربية عن الخليل، اتصل بالمأمون وسـكن مَرْوَ وانتقل إلى نيسـابور، وتوفِّيَ بالبصرة سـنة (١٩٥هـ)، من كتبه: المعانِي، الأنواء، غريب القرآن. [إنباه الرواة ٣/ ٣٢٧: ٣٣٠، بغية الوعاة ٢/ ٣٠٥، الأعلام ٧/ ٣١٨].

(٣) ينظر قول المؤرج في الكشف والبيان ٩/ ١٤٧، تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٣، ومعنى كلامه أن من جعله مشـتقًّا من ضازَ يَضُوزُ، وهي لغة حكاها الكسـائي وأبو عبيدة، كان الاسم منه ضُوزَى على وزن فُعْلَى، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٣٧، الحجة للفارسي ٤/ ٥.

(٤) هذا غير صحيح؛ لأن قوله تعالى: ﴿آباؤُكُمْ﴾ معطوف على تاء الفاعل في قوله: ﴿سَمَّيْتُمُوها﴾، وجاءت «أَنْتُمْ» توكيدًا له ليصح العطف عليه.

(٥) لَمْ يتعرض الأخفش لهذه الآية، وإنما تعرض للآية ٤٧ من سـورة الحاقة، فقال: «وقال: =

«وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ» الكثرةُ، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[1].

قوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ يريد: في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ يعني: من أهل التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أَخْبَرَ عن قدرته وسَعةِ مُلْكِهِ وسلطانه ﴿لِيَجْزِىَ﴾ فِي الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشِّـرْكِ في الدنيا ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ وَحَّدُوا رَبَّهُمْ ﴿بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ بالجنة، واللام في قوله: «لِيَجْزِيَ» متعلق بِمَعْنَى الآية الأولى[2]، وهي لام العاقبة، وذلك أنّ عِلْمَهُ بالفريقين أدَّى إلى جزاء استحقاقهم.

ثم نَعَتَ المحسنين فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب على النعت أو البدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبله، والكبائر: كُلُّ ذَنْبٍ خُتِمَ بالنار، والفواحشُ: كُلُّ ذَنْبٍ فيه الحَدُّ، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كَبِيرَ الإِثْمِ﴾[3] على التوحيد لأنه مضاف إلى واحد في اللفظ، وإن كان يُرادُ به الكثرةُ،

= ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ على المعنى؛ لأن معنى أَحَدٍ معنى جماعة». معاني القرآن ص ٥٠٧.

(١) الحاقة ٤٧، وفي الأصل: «فما لكم».

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾، وعلى هذا تكون اللام للصيرورة، كاللام في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، قال ابن عطية: «واللام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلقة بقوله: ﴿ضَلَّ﴾ وبقوله: ﴿اهْتَدَى﴾، فكأنه قال: لِيَصِيرَ أَمْرُهُم جميعًا إلى أن يَجْزِيَ». المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣، وينظر: الكشاف ٤/ ٣٢، البحر المحيط ٨/ ١٦٢.

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن مسعود والأعمش وخلف وابن وثاب، ينظر: السبعة ص ٦١٥، تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٦، النشر ٢/ ٣٦٧.

فَلِتَوْحِيدِهِ في اللفظ وَحَّدَ الكبير وهو يريد الجمعَ، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [١].

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ اختلفوا في معنى «إلّا»، فقال قوم[٢]: هو استثناء صحيح، واللَّمَمُ من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أنْ يُلِمَّ بالفاحشة ثم يتوب فلا يعود، قال ابن عباس رضي الله عنه: وكان النبي ﷺ يقول[٣]:

٢٩٧ ـ إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّا
وَأيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمّا[٤]

أي: وأيُّ عَبْدٍ لَكَ لَمْ يُذْنِبْ.

---

(١) إبراهيم ٣٤، والنحل ١٨، وهذا القول قاله الفارسي في الحجة ٤/ ٦، ٨.

(٢) يعني بالاستثناء الصحيح الاستثناءَ المتصلَ، وهذا قول الحسن والسدي والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٠٠، الكشف والبيان ٩/ ١٤٨، الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٧١ أبواب تفسير القرآن: سورة النجم، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤-٥٥، كتاب الإيمان: باب الوصية لمن أراد سَفَرًا، ٢/ ٤٦٩ كتاب التفسير: سورة النجم، ٤/ ٢٤٥ كتاب التوبة والإنابة: باب عصمة النبي ﷺ من عمل الجاهلية قبل النبوة.

(٤) هذا الرَّجَزُ لأُمَيَّةَ بن أَبِي الصَّلْتِ، ونُسِبَ لأَبِي خِراشٍ الهُذَلِيِّ، ويروى:

إنْ يَغْفِرِ اللهُ يَغْفِرْ جَمّا

اللغة: الجَمُّ: الكثير، الإلْمامُ: مُقارَبةُ الذَّنْبِ من غير وقوع فيه، وقيل: هو ما دون الكبائر من الذنوب.

التخريج: ديوان أمية بن أَبِي الصلت ص ١١٤، شرح أشعار الهذليين ص ١٣٤٦، العين ٨/ ٣٢١، ٣٥٠، تأويل مشكل القرآن ص ٥٤٨، جمهرة اللغة ص ٩٢، شفاء الصدور ٧٣/ أ، تهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٧، ٤٢٠، الصاحبي ص٢٥٧، ديوان الأدب ٣/ ١٦٦، الكشف والبيان ٩/ ١٤٨، إصلاح الخلل ص٩١، الاقتضاب ٣/ ٣٦٢، أماليِّ ابن الشجري ١/ ٢١٨، ٢/ ٣٢٤، ٥٣٦، الإنصاف ص ٧٦، البيان للأنباري ٢/ ٥١٤، شرح الكافية للرضي =

وقال آخرون[١]: هو استثناء منقطعٌ، مجازه: لَكِنِ اللَّمَمَ، ولَمْ يجعلوا اللَّمَمَ من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سَلَفَ في الجاهلية فلا يُؤاخِذُهُمْ به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنّما كانوا بالأمس يعملون معنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

وقال بعضهم[٣]: هو صِغارُ الذُّنُوبِ من النظرة والغَمْزةِ والقُبْلةِ وما كان دون الزنـا، وقيل[٤]: اللَّمَمُ هو أن يُلِـمَّ بِالذَّنْبِ، ثم لا يعود إليه، وقيل[٥]: هو ما أَلَمَّ على القَلْبِ أي: خَطَرَ، وقيل[٦]: هي النظرة من غير تَعَمُّدٍ وهو مغفور، فإن أعادَ النظرَ فليس بِلَمَمٍ بل هو ذنب/ .

وأصـل اللَّمَمِ والإلْمام: هو ما يعمله الإنسـان المَرّةَ بعد المَرّةِ، والحِينَ بعد الحِينِ، ولا يَتَعَمَّقُ فيه، ولا يُقِيمُ عليه، يقال: أَلْمَمْتُ به: إذا زُرْتَهُ وانْصَرَفْتَ

= ١/ ٣٥٠، اللسان: جمم، لمم، لا، الجنى الداني ص ٢٩٨، مغني اللبيب ص ٣٢١، المقاصد النحوية ٤/ ٢١٦، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١٩٥، شـرح شـواهد المغني ص ٦٢٥، خزانة الأدب ٢/ ٢٩٥، ٤/ ٤، ٧/ ١٩٠.

(١) هذا قـول أكثر العلماء، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٣٧، إعـراب القرآن ٤/ ٢٧٥، الصاحبي ص ١٨٦، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٣٢، المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤، الكشـاف ٤/ ٣٢، البحر المحيط ٨/ ١٦٢.

(٢) ينظر في سبب نزولها: جامع البيان ٢٧/ ٨٥، الدر المنثور ٦/ ١٢٧.

(٣) قاله ابن مسـعود وأبو هريرة وحذيفة ومسروق والشعبي، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٤٨، الوسيط ٤/ ٢٠٣، تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٦.

(٤) قالـه ابن عبـاس ومجاهد والحسـن وابن قتيبة، ينظـر: غريب القـرآن ص ٤٢٩، وغريب الحديث لابن قتيبة ص ٢٣٠، ياقوتة الصراط ص٤٨٩، الكشف والبيان ٩/ ١٤٨، القرطبي ١٧/ ١٠٧.

(٥) قاله عطاء بن أبِي رباح، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٤٩، تفسير القرطبي ١٧/ ١٠٨

(٦) حكاه الفراء عن الكلبي في معانِي القرآن ٣/ ١٠٠، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٤٩.

عنه، ومنه: أَلَمَّ في الخَيالِ، قال الأعشى:

٢٩٨ ـ أَلَـمَّ خَيـالٌ مِنْ قُتَيْلـةَ بَعْدَما وَهَى حَبْلُها مِـنْ حَبْلِنا فَتَصَرَّمـا[1]

وقال آخر:

٢٩٩ ـ أنّـى أَلَمَّ بِـكَ الخَيالُ يَطِيفُ وَمَطافُـهُ لَـكَ ذُكْـرةٌ وَشُـعُوفُ[2]

فصل

عن أبي هريرة قال: قال رسـول الله ﷺ: «إنّ اللهَ كَتَبَ على ابن آدم حَظَّهُ من الزِّنا، أدْرَكَهُ لا مَحالةَ، فَزِنا العَيْنَيْنِ النَّظَرُ، واللِّسـانِ النُّطْقُ، والنَّفْسُ تَشْتَهِي وتَتَمَنَّـى، ويُصَدِّقُ ذلـك ويُكَذِّبُهُ الفَرْجُ، فإن تَقَدَّمَ بِفَرْجِـهِ كان الزِّنا، وإلا فهو اللَّمَمُ»، هكذا رواه البخاري عن محمود بن غَيْلاَنَ[3] عن عبد الرَّزّاقِ[4].

---

(١) البيت من الطويل للأعشـى، مـن قصيدة يمدح بها إياسَ بن قُبَيْصـةَ الطّائِيِّ، ومعنى وَهَى: ضَعُفَ.

التخريج: ديوانه ص ٣٤٣، الأغاني ٨/ ١٤٣، الكشف والبيان ٩/ ١٤٩، القرطبي ١٧/ ١٠٩.

(٢) البيت من الكامل، لكعب بن زهير.

اللغة: طاف الخيال يَطِيفُ: زاره في النوم، الذُّكْرةُ: الذِّكرى، الشُّعُوفُ: الوُلُوعُ بالشيء حتى لا يَعْدِلَ عنه.

التخريج: ديوانه ص ١١٣، مجاز القرآن ١/ ٢٣٧، ٢٥٧، الزاهر ١/ ٢٩٣، إعراب القراءات السـبع ١/ ٢١٩، مقاييس اللغة ٣/ ٤٣٢، المخصص ٥/ ١٠٩، ديوان الأدب ١/ ١٩٧، الكشف والبيان ٩/ ١٤٩، الاقتضاب ٢/ ١٥٣، تفسير غريب القرآن للسجستاني ص٦٢، اللسان: ذكر، شعف، طيف، التاج: ذكر، شعف، طيف.

(٣) محمـود بن غيلان العَدَوِيُّ بالولاء، أبو أحمد المَـرُوزِيُّ الحافظ، نزيل بغداد، محدث ثقة صاحب سُـنّةٍ، روى عن وكيع وابن عيينة والنضر بن شميل، توفِّي سنة (٢٣٩هـ). [تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٠٥، ٣٠٩، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٢٣].

(٤) صحيـح البخاري ٧/ ١٣٠ كتاب الاسـتئذان: باب زنا الجـوارح دون الفرج، ٧/ ٢١٤ =

قولـه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ لِمَـنْ تابَ إليـه واسْـتَغْفَرَهُ، وتَمَّ الكلامُ هاهنا، ثم قال تعالـى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خَلَقَ أباكُمْ آدَمَ مـن التراب ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ هـو جمع جَنِينٍ، وهو الولد ما دام فِي البطن، سُـمِّيَ جَنِينًا لاجْتِنانِهِ؛ أي: لاسْـتِتارِهِ، وكذلك سُـمِّيَ الجِنُّ جِنًّـا لاختفائهـم[1]، ومعنى الآية أن الله ـ سـبحانه ـ عَلِمَ مـن كل نفس ما هي صانِعةٌ، وإلى ما هي صائِرةٌ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: لا تُبَرِّئُوها عن الإِثْمِ، ولا تَمْدَحُوها بِحُسْـنِ أعمالها ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: بِمَنْ بَرِئَ وأطاع الله، وأخلص العمل له.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: أَعْرَضَ عن الحق وعن طاعة الله تعالـى ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ قيـل[2]: نزلت هذه الآيـة في الوليد بن المغيرة، كان قد أسْـلَمَ، ثُمَّ عَيَّرَهُ بعضُ المشـركين على تَـرْكِ دِينِهِ، فقال: إنِّي خَشِـيتُ عَذابَ الله، فقال: أنا أَتَحَمَّلُ عنك العذابَ إن أَعْطَيْتَنِي من مالك كذا وكذا، فرجع إلى الشِّرْكِ، فَأَعْطَى الذي عَيَّرَهُ بَعْضَ ذلك المالِ الذي ضَمِنَ له، ومَنَعَهُ تَمامَهُ، فنَزَلَ فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أَدْبَرَ عن الحق والإسـلام، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾؛ أي: قَطَعَ ومَنَعَ وبَخِلَ.

وأصله من الكُدْيَةِ وهو حَجَـرٌ يظهر فِي البِئْرِ، ويَمْنَعُ من الحَفْرِ، ويُيْئِسُ مـن الماء، تقول العـرب: أَكْدَى الحافِـرُ وأَجْبَـلَ: إذا بلغ فِي الحَفْـرِ الكُدْيَةَ

= كتاب الرقاق: باب «وَحَرامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها»، ورواه مسـلم في صحيحه ٨/ ٥٢ كتاب القَدَرِ: باب «قُـدِّرَ على ابن آدم حظُّـهُ من الزنا».

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ٧٣/ ب، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ١٠/ ٤٩٦.

(٢) ينظر: تفسـير مجاهد ٢/ ٦٣١، جامع البيان ٢٧/ ٩٢، الكشـف والبيان ٩/ ١٥١، أسباب النزول ص٢٦٧.

والجَبَـلَ، ويقال: كَدِيَـتْ أصابِعُهُ: إذا بَخِلَتْ، وكَدِيَتْ أصابِعُـهُ: إذا كَلَّتْ فَلَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا[(١)]، وقال المُؤَرِّجُ[(٢)]: أَكْدَى: إذا مَنَعَ الخَيْرَ، قال الحطيئة:

٣٠٠ ـ فَأَعْطَى قَلِيلًا ثُمَّ أَكْدَى بِنَفْسِهِ ... وَمَنْ يَبْذُلِ المَعْرُوفَ فِي النّاسِ يُحْمَدِ[(٣)]

قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ يريد: ما غاب عنه من أمر العذاب ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: يعلم أن صاحبه يَتَحَمَّلُ عنه عَذابَهُ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ أي: لَمْ يُخَبَّرْ ولَمْ يُحَدَّثْ ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ يعني أسـفار التوراة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ أي: صحف إبراهيم الذي وَفَّى؛ أي: أَتَمَّ وأَكْمَلَ ما أُمِرَ به.

ثم بَيَّنَ ما في صحفهما، فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾؛ أي: لا تُؤْخَذُ نَفْسٌ بِإِثْمِ غَيْرِها، وهذا في صحف إبراهيم ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ عطف على قوله: «أَنْ لَا تَزِرُ»، وهذا أيضًا ما في صحف/ إبراهيم وموسى. [١٩١/ ب]

والمعنى: ليس له جَزاءٌ إلّا جَزاءُ سَـعْيِهِ فِي الدنيـا، إنْ عَمِلَ خَيْرًا جُزِيَ خَيْرًا، وإنْ عَمِلَ شَـرًّا جُزِيَ شَرًّا، و«أَنْ» هاهنا هي المخففة من الثقيلة، والهاء مضمرة، والتقدير: وأنه ليس للإنسان إلّا ما سعى ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ يـوم القيامة فِي ميزانـه ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ يعني: يُجْزَى الإنسـانُ

---

(١) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٣٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٩، وينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٣٢٣، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٤٩، الكشف والبيان ٩/ ١٥١.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ١٥١.

(٣) مـن الطويل للحُطَيْئَةِ، وليس في ديوانه، ويُـرْوَى: «أَكْدَى عَطاؤُهُ»، يقال: أَكْدَى الرَّجُلُ أي: قَلَّ خيرُهُ.

التخريج: الكشف والبيان ٩/ ١٥١، عين المعانِي ورقة ١٢٨/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١١٢، البحر المحيط ٨/ ١٥٣، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٠١، فتح القدير ٥/ ١١٤.

بِسَعْيِهِ الجَزاءَ الأتَمَّ الأكْمَلَ، وهو مفعولٌ ثانٍ[١].

قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: أن مُنْتَهَى العبادِ ومرجعهم إليه في الآخرة، وقيل: منه ابتداء المِنّةِ، وإليه انتهاء الآمال ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ وهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان بقضائه وقَدَرِهِ، حتى الضحك والبكاء، وفي هذا رَدٌّ على القَدَرِيّةِ.

وقال الكلبي: أضْحَكَ أهْلَ الجَنّةِ، وأبْكَى أهْلَ النارِ. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر. وقيل: أضحك الأشجار بالأنوار، وأبكى السماء بالأمطار.

وقال ذو النون[٢]: أضحك قلوب المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بِظُلْمةِ نُكْرَتِهِ ومَعْصِيَتِهِ. وقال بَسّامُ بن عبد الله[٣]:

---

(١) يعني أن ﴿الجَزاءَ﴾ مفعول ثانٍ لـ«يُجْزَى»، قال العكبري: «قوله تعالى: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ هو مفعول ﴿يجْزَى﴾، وليس بمصدر؛ لأنه وُصِفَ بالأوْفَى، وذلك من صفة المَجْزِيِّ به لا من صفة الفعل». التبيان ص ١١٩٠، وذهب غيره إلى أن الهاء في «يُجْزاهُ» هي المفعول الثاني، وأما المفعول الأول فهو نائب الفاعل المضمر في الفعل، وأما الجزاء فهو مفعول مطلق مُبَيِّنٌ للنوع، والعامل فيه «يُجْزَى». ينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٠٠، الفريد للهمداني ٤/ ٣٧٨، الدر المصون ٦/ ٢١٣.

(٢) هو ثَوْبانُ بن إبراهيم، أبو الفَيّاضِ أو أبو الفَيْضِ الإخْمِيمِيُّ المصري، أحد الزُّهّادِ والعُبّادِ المشهورين، نُوبِيُّ الأصلِ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، اتهمه الخليفة المتوكل بالزندقة، فاستحضره إليه، فلما سمعه أطلقه فعاد إلى مصر، وتوفِّي بالجيزة سنة (٢٤٥هـ). [حلية الأولياء ٩/ ٣٣١-٣٩٧، الأعلام ٢/ ١٠٢].

(٣) بَسّامُ بن عبد الله الأسدي بالولاء، أبو عبد الله الصَّيْرَفِيُّ الكُوفِيُّ، محدِّثٌ ثقة صالح الحديث، روى عن زيد بن عَلِيٍّ وعكرمة وابن يامين، وروى عنه وكيع وخَلّادٌ، توفِّيَ بعد سنة (١٥٠هـ). [تهذيب الكمال ٤/ ٥٨، ٥٩].

أضحك أسنانهم وأبكى قلوبهم[١]، وأنشد:

٣٠١ـ السِّنُّ تَضْحَكُ والأَحْشاءُ تَحْتَرِقُ ... وَإِنّما ضِحْكُها زُورٌ وَمُخْتَلَقُ
يا رُبَّ باكٍ بِعَيْنٍ لاَ دُمُوعَ لَها ... وَرُبَّ ضاحِكِ سِنٍّ ما بِهِ رَمَقُ[٢]

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ أماتَ الخَلْقَ في الدنيا، وأحْياهُمْ لِلْبَعْثِ فِي الآخرة ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ يعني الصِّنْفَيْنِ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ فالذَّكَرُ زَوْجٌ والأنثى زَوْجٌ، خَلَقَهُما ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ يعني: تُصَبُّ فِي الرَّحِمِ، يقال: مَنَى الرَّجُلُ وأَمْنَى، وقيل: تُقَدَّرُ، يقال: مُنِيْتُ الشَّيْءَ: إذا قَدَّرْتَهُ، ويقال:

٣٠٢ ـ ارْضَ بِما يَمْنِي لَكَ المانِي[٣]

أي: ما يَقْدُرُ لَكَ[٤]، والمَنَى: المَقْدُورُ، واللهُ المانِي[٥]، ومنه سُمِّيَت

---

(١) ينظر في هذه الأقوال في معنى ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾: شفاء الصدور ورقة ٧٤/ ب، الكشف والبيان ٩/ ١٥٥، ١٥٦، عين المعانِي ورقة ١٢٨/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١١٦، ١١٧.

(٢) البيتان من بحر البسيط.
التخريج: الكشف والبيان ٩/ ١٥٦، عين المعانِي ورقة ١٢٨/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١١٧، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢١٢.

(٣) هذا عجز بيت من السريع لِلْباخَرْزِيِّ عَلِيِّ بن الحسن بن عَلِيٍّ المتوفَّى سنة (٤٦٧هـ)، وهو بتمامه:
فلا تُلَجِّجْ فِي غِمارِ المُنَى ... وارْضَ بِما يَمْنِي لَكَ المانِي
التخريج: ديوانه ص ١٩٤، دمية القصر لِلْباخَرْزِيِّ ص ٨٠٨.

(٤) قال أبو عبيدة: «تُمْنَى»: إذا تُخْلَقُ وَتُقَدَّرُ، ويقال: ما تَدْرِي ما يَمْنِي لك المانِي: ما يَقْدِرُ لَكَ القادِرُ». مجاز القرآن ٢/ ٢٣٨، ومثله قال ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ١٥٠، وقد ذكر النَّحّاسُ الاشْتِقاقَيْنِ في إعراب القرآن ٤/ ٢٧٨، وينظر: شفاء الصدور ٧٤/ ب، الكشف والبيان ٩/ ١٥٦.

(٥) قال ابن وَلّادٍ: «المَنا الذي يُوزَنُ به مقصور يُكْتَبُ بالألف؛ لأنه تقول في التثنية: مَنَوانِ، =

المَنِيّةُ لأنها مُقَدَّرةٌ، وأصلها: مَنِيـيةٌ[١].

قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ يعني الخَلْقَ الثانِيَ للبعث يوم القيامة، وقرأ أبو عمرو وابن كثير: «النَّشـاءَةَ» بالمد، ومثلـه في العنكبوت والواقعة[٢] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أغْنَـى الناسَ بالأموال، وأعْطاهُم القِنْيةَ وما يَدَّخِرُونَهُ بعد الكفايـة ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ وهو كوكب خَلْـفَ الجَوْزاءِ، كانت خُزاعةُ يعبدونها من دون الله، فقال تعالى: أنا رَبُّ الشِّعْرَى فاعبدونِي.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ وهم قوم هُودٍ أُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ، وكـان لهم عَقِبٌ، فهم عاد الأُخْـرَى، وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب: ﴿عادًا لُّولَى﴾ بتشـديد اللّام من غير هَمْزٍ، غير أن قالُونَ جَعَلَ مكان الواو هَمْزةً ساكنةً، وقرأ الباقون بالتشديد مع الهمزة[٣].

= والمَنَى: القَدَرُ يُكْتَبُ بالياء؛ لأنك تقول: مَنَى يَمْنِي». المقصور والممدود ص١٠٢، وينظر: المقصور والممدود للقالِي ص ١١٤.

(١) في الأصـل: «ممنية». قال ابن الأنبـاري: «والأصل في المنية: مَمْنُويـةٌ أي: «مَفْعُولةٌ» من القَدَر، فصُرِفَتْ عن «مفعولة» إلى «فَعِيلةٍ»، كما قالوا: مطبوخ وطبيخ، ومقتول وقتيل، فكان أصلهـا بعد النقل: مَنِيية، فلمـا اجتمع ياءان، الأولَى منهما سـاكنة، اندغمت في الياء التي بعدها، فصارتا ياءً مشددةً». الزاهر ٢/ ٢٢٥.

(٢) العنكبوت ٢٠، والواقعة ٦٢، وينظر ما تقدم ٢/ ١٣، وما سيأتي ٣/ ٣٠٩.

(٣) قـرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقـوبُ، وقالُونُ في روايةٍ عنه، وابنُ جَمّازٍ وإسـماعيلُ ابن جعفر ومحمد بن إسـحاق المُسَيَّبِيُّ ووَرْشٌ والأعمشُ: «عادًا لُّولَى» بإدغام التنوين في الـلام بعد نقل حركـة الهمزة إليها، وحَذْفِ الهمـزة، ورَوى قالونُ عن نافـع: «عادًا لُّؤْلَى» كالقراءة السابقة ولكن مع إبدال الواو همزة ساكنة، وهي أيضًا قراءة ابن ذكوان وابن سعدان والسوسـي. ينظر: السـبعة ص ٦١٥، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٢٠، البحر ٨/ ١٦٦، النشر ١/ ٤١٠، ٤١١، الإتحاف ٢/ ٥٠٢. =

﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ وهم قوم صالح، أهلكهم الله بالصيحة، فما أبقى منهم أحَدًا، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿ثَمُودَ﴾[1] بغير تنوين، وثَمُودُ على وزن فَعُولٍ، فمن جعله / اسمَ حَيٍّ أو أبٍ صَرَفَهُ لأنه مُذَكَّرٌ، ومن جعله اسمَ قبيلةٍ أو أرْضٍ لَمْ يصرفه[2]، وسُمِّيَتْ ثَمُودَ لِقِلّةِ مائِها، والثَّمَدُ: الماء القليل. [١٩٢/ أ]

قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ يعني: أهْلَكَ اللهُ قَوْمَ نُوحٍ من قبل عادٍ وثمودَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ وهي قُرَى قَوْم لُوطٍ المَخْسُوفِ بها، وذلك أن جبريل عليه السّلام أدخل جَناحَهُ تحتها، فَرَفَعَها إلى السماء حتى سَمِعَ ملائكةُ السماء الدنيا أصوات الدِّيكةِ ونَبْحَ الكِلاَبِ، ثُمَّ قَلَبَها فَهَوَتْ من السماء إلى الأرض[3]، ونصب «المُؤْتَفِكَةَ» بـ«أَهْوَى».

وقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ يعني: من العذاب؛ أي: ألْبَسَها الحِجارةَ، ومحل «ما» نصب لأنه مفعولٌ ثانٍ لِلتَّغْشِيةِ[4]، والفائدة في هذا معنى التعظيم،

= قال الزجاج: «فأما «الأُولَى» ففيها ثلاث لغات: بسكون اللام وإثبات الهمزة، وهي أجود اللغات، والتي تليها في الجودة: «الُولَى» بضم اللام وطرح الهمزة». معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٧٧. وقد حكم الأزهري على قراءة نافع بالشذوذ، فقال: «وأما هَمْزُ نافع «لُؤْلَى» فإنِّي أظُنُّهُ نَقَلَ هَمْزَةَ «الأُولَى» من أولها إلى الواو، وليست بجيدة، ولا أرى أن يُقْرَأَ بها لأنها شاذة». معاني القراءات ٣/ ٣٩، وينظر: الحجة للفارسي ٤/ ٨-١٠، الإغفال ٢/ ٥٤٠-٥٤٣.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف: «وَثَمُودًا» بالتنوين، ورواها حسينٌ الجعفيُّ والكسائي عن أبي بكر عن عاصم، ورَوَى يحيى بنُ آدم عن أبي بكر عن عاصم، وحفصٌ عن عاصم: «وثمودَ» بغير تنوين، وهي قراءة الباقين. ينظر: السبعة ص ٦١٦، النشر ٢/ ٢٨٩-٢٩٠، الإتحاف ٢/ ١٢٩، ٥٠٣.

(٢) ذكره سيبويه في الكتاب ٣/ ٢٥٢-٢٥٣، وينظر: ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ص ٧٩.

(٣) قاله السُّدِّيُّ، ينظر: جامع البيان ١٢/ ١٢٨، ٢٧/ ١٠٤، تفسير ابن كثير ٢/ ٤٧١.

(٤) «ما» اسم موصول بمعنى «الَّذِي»، وهو مفعولٌ ثانٍ لـ«غَشّاها»، والمفعول الأول هو =

أي: ما غَشَّى مِمّا ذَكَرَهُ لكم[١]، قال قتادة[٢]: غَشّاها الصُّخُورَ بعد ما رَفَعَها وقَلَبَها.

فصل

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بِيَدِهِ إن مَدائِنَ قَوْمِ لُوطٍ لَتَجَلْجَلُ[٣] فِي الأرض ما بَلَغَت القَرارَ، ولا تَبْلُغُ القَرارَ إلى الساعة»[٤].

قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ هذا خطاب للوليد بن المغيرة، لَمّا عَدَّدَ اللهُ ما فَعَلَهُ مما يَدُلُّ على قدرته ووحدانيته، قال: فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكَ التي تدل على وحدانيته تَتَشَكَّكُ وتُكَذِّبُ يا وَلِيدُ؟

ثم قال: ﴿هَٰذَا﴾ يعني النَّبِيَّ ﷺ ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ يعني: من الرسل قبله، أَنْذَرَ كما أَنْذَرُوا مِنْ قبله ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧﴾ يعني: دَنَتِ القِيامةُ، وقَرُبَتِ الساعةُ، سُمِّيَتْ بذلك لِقُرْبِها، يقال: أَزِفَ شُخُوصُ فُلَانٍ؛ أي: قَرُبَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾[٥] يعني: يوم القيامة.

= هذه الهاء، وأما مفعولا «ما غَشَّى» فهما محذوفان، فالأول هو ضمير يعود على «ما»، والثاني ضمير يعود على «المؤتفكة»، أي: فَغَشّاها اللهُ ما غَشّاهُ إيّاها، ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٣٤١، البيان للأنباري ٢/ ٤٠٢، الفريد للهمداني ٤/ ٣٨٨.

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٨٢.

(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٢.

(٣) جَلْجَلْتُ الشيء جَلْجَلةً: إذا حَرَّكْتَهُ حتى يكون للحركة صَوْتٌ، وكُلُّ شيءٍ تَحَرَّكَ فقد تَجَلْجَل، والتَّجَلْجُلُ: السُّؤُوخُ في الأرض والتحرك والجَوَلَانُ. اللسان: جلل.

(٤) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧٥/ ب، وينظر: الدر المنثور ٦/ ١٣١.

(٥) قاله السجستانِيُّ في تفسير غريب القرآن ص ١٤٩، وغافر ١٨.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ يعني أنّها إذا غَشِـيَتِ الخَلْقَ بِشَدائِدِها وأهْوالِها لَمْ يَكْشِفْها عنهم أحَدٌ ولَمْ يَرُدَّها، وتأنيث «كاشِفةٌ» على تقدير: نَفْسٌ كاشِـفةٌ[١]، ويجوز أن يكون مصـدرًا كالخائنة والعاقبة والباقيـة والداهية[٢]، والمعنى: ليس لها من دون الله كَشْـفٌ؛ أي: لا يَكْشِفُ عَنْها ولا يُظْهِرُها غَيْرُهُ كقولـه تعالـى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٣]، و«دُونِ اللهِ» هاهنا اسـمٌ لا ظَرْفٌ، لِسَلْبِ الإضافة معنى الظرفية[٤] نحو:

٣٠٣ـ يا سارِقَ اللَّيْلَةَ أهْلِ الدّارِ[٥]

قوله: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾ يريد: مِنْ إنْزالِهِ على محمد ﷺ، فَتُكَذِّبُونَ به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ أي: تستهزئون ﴿وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ مما فيه من الوعيد ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ سـاهون لاهون غافلون مُعْرِضُونَ، يقال: سَمَدَ

(١) هـذا قول ثعلب، فقـد قال: «قولـه: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾؛ أي: لا يكشـفها إلا هو، وأدخل الهاء للمبالغة كقولك: رَجُلٌ عَلّامةٌ». مجالس ثعلب ص ٤٥٧، وذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٢٨٣، وبه قال الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٠٥، وينظر: الكشاف ٤/ ٣٥، المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠، الفريد للهمداني ٤/ ٣٨٩، البحر المحيط ٨/ ١٦٧.

(٢) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٠٣، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٨٣، الوسيط ٤/ ٢٠٥، التبيان للعكبري ص ١١٩١، الفريد للهمداني ٤/ ٣٨٩، البحر المحيط ٨/ ١٦٧.

(٣) الأعراف ١٨٧.

(٤) قـال الأزهري: «أبو حاتم عن الأصمعي: يقـال: يَـكْفِينِي دُونُ هذا؛ لأنه اسـم». التهذيب ١٤/ ١٨١، قال محقق التهذيب: «قوله: «لأنه اسم»؛ أي: ليس ظرفًا فيكونَ منصوبًا».

(٥) من الرجز المشطور، لم أقف على قائله.

التخريج: الكتاب ١/ ١٧٥، ١٧٧، ١٩٣، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٨٠، المحتسب ١/ ١٨٣، ٢/ ٢٩٥، شـرح ديوان الحماسـة للمرزوقي ص ٦٥٥، شرح شـواهد الإيضاح ص ١٦٩، التبيان للعكبري ص ٧٧٤، ١١٠٣، شـرح المفصل ٢/ ٤٥، شـرح الكافية للرضي ٢/ ٢٦، ٢٤٨، ٢٥٢، همع الهوامع ٢/ ١٢٤، خزانة الأدب ٣/ ١٠٨، ٤/ ٢٣٣-٢٣٥، ٢٥١.

يَسْمُدُ سُمُودًا: إذا لَهَى، والسُّمُودُ: الغَفْلةُ والسَّهْوُ عن الشيء[١]، وقال مجاهد[٢]: السُّمُودُ: البَرْطَمةُ، يعني: الغناء بالحِمْيَرِيّةِ، ويقال: هو الشّامِخُ بأنْفِهِ[٣].

والسّامِدُ في اللغة على ستة أوجه[٤]: السّامِدُ: اللاّهِي / ، والسامد: المُغَنِّي، [١٩٢/ ب] والسامد: الهائِمُ، والسامد: السّاكِتُ، والسامد: القائِمُ، والسامد: الحَزِينُ.

﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ الخالق، لا تسجدوا لِلّاتِ والعُزَّى ومَناةَ ﴿وَٱعْبُدُواْ ۝٦٢﴾؛ أي: اعبدوا الله وَحْدَهُ، فإنه المُسْتَحِقُّ للعبادة.

فصل

عن أَبِي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَلِجُ النّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيةِ اللهِ، ولا يدخل الجنةَ مُصِرٌّ على معصية الله، ولو لَمْ تُذْنِبُوا لَجاءَ اللهُ بقومٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لهم»[٥].

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧٦/ أ، وحكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٧.

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٣٤، وينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٢٥٨، جامع البيان ٢٧/ ١٠٩، شفاء الصدور ورقة ٧٦/ أ، تهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٨، الكشف والبيان ٩/ ١٥٨، الفائق للزمخشري ١/ ٩٢.

(٣) ذكره النقاش بغير عزو في شفاء الصدور ورقة ٧٦/ ب، وحكاه القرطبي عن الضحاك في تفسيره ١٧/ ١٢٣.

(٤) هذه الأوجه الستة حكاها الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابِيِّ في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٨، وينظر: الصحاح ٢/ ٤٨٩، وهذه الكلمة من الأضداد، ينظر: الأضداد لقطرب ص ٧٣، الأضداد لأبِي حاتم ص ٢٣٥، الأضداد لابن الأنباري ص ٤٣-٤٥، الأضداد لأبِي الطيب اللغوي ١/ ٣٦٩ وما بعدها، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٤٩، زاد المسير ٨/ ٨٦.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤١٤، ٥٠٥، والترمذي في سننه ٣/ ٩٣ أبواب فضائل =

وروى أبو حازم(١) أن النبي ﷺ نزل عليه جبريل عليه السّلام وعنده رَجُلٌ يَبْكِي، فقال: «مَنْ هذا؟ فقال: فلانٌ، قال جبريل: إنّا نَزِنُ أعْمالَ بَنِي آدَمَ كُلَّها إلّا البُكاءَ، فإن الله عزّ وجلّ يُطْفِئُ بالدَّمْعةِ بُحُورًا من نِيرانِ جَهَنَّمَ» (٢).

وعن عبد الله بن مسعود: «أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فَسَجَدَ فيها، فما بَقِيَ من القوم إلّا رَجُلٌ واحدٌ قَدْ أخَذَ كَفًّا من حَصًى فَوَضَعَهُ على جَبْهَتِهِ وقال: يَكْفِينِي، قال عبد الله: لَقَدْ رَأيْتُهُ بعد ذلك قُتِلَ كافِرًا»(٣)، رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن بُنْدارٍ عن غُنْدَرٍ عن شُعْبةَ.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سَجْدةَ نافِلةٍ، فقال فِي سجوده: اللَّهُمَّ أنا عَبْدُكَ وابنُ عَبْدِكَ وابنُ أمَتِكَ، ناصِيَتِي بِيَدِكَ، أتَقَلَّبُ فِي قَبْضَتِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، نافِذٌ فِي قَضاؤُكَ، وأُصَدِّقُ بِلِقائِكَ، وَأُومِنُ بِوَعْدِكَ وَوَعِيدِكَ، أمَرْتَنِي فَعَصَيْتُ، وَنَهَيْتَنِي فَأبَيْتُ، هذا مَقامُ العائِذِ بِكَ من النار، لا إله إلّا أنت سبحانك، ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لِي إنّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلّا أنْتَ، واللهِ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلَّا عَلَى المَغْفِرةِ»، والله أعلم.

= الجهاد: باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله، ٣/ ٣٨٠ أبواب الزهد: باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله، ٥/ ٢٠٧، ٢٠٨ أبواب الدعوات، ورواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٥/ ٢٠٠، والمعجم الكبير ١٢/ ١٣٤.

(١) في الأصل: «حازم» فقط، وهو خطأ. وهو عوف بن عبد الحارث بن حشيش بن هلال بن الحارث الأحْمُسِيُّ البَجَلِيُّ، وقيل: اسمه عبد عوف بن الحارث، وقيل: حُصَيْنُ بن عَوْفٍ، وهو صحابِيٌّ وفد على النبي ﷺ وأسلم، كان شريفًا في قومه، رَوَى عن النبي ﷺ. [أسد الغابة ٥/ ١٦٦، تهذيب الكمال ٣٣/ ٢١٩-٢٢٠، الإصابة ٧/ ٦٩].

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٩/ ١٥٨، عين المعانِي ورقة ١٢٨/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٣، الدر المنثور ٤/ ٢٠٦.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٢ كتاب الكسوف: أبواب سجود القرآن، ٥/ ٧ كتاب المغازي: قصة غزوة بدر، باب قتل أبِي جهل، وصحيح مسلم ٢/ ٨٨ كتاب المساجد: باب سجود التلاوة.

سورة القمر
مكّية

وهي ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفًا، وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة، وخمس وخمسون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضيَ الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة «اقْتَرَبَتِ السّاعةُ» كُلَّ غِبٍّ[1] بُعِثَ يَوْمَ القيامة وَوَجْهُهُ على صورة القمر لَيْلةَ البَدْرِ، ومن قرأها كُلَّ ليلةٍ كان أفْضَلَ، وَجاءَ يوم القيامة وَوَجْهُهُ مُسْفِرٌ[2] على وجوه الخلائق»[3].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة القمر كان له بكل حرف منها مَلَكٌ، له ألْفُ جَناحٍ، يَطِيرُ تحت العرش يستغفر لقارئها»[4].

---

(١) الغِبُّ: وِرْدُ اليَوْمِ.

(٢) مُسْفِرٌ: مُشْرِقٌ مُضِيءٌ. اللسان: سفر.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٦٠، الوسيط ٤/ ٢٠٦، الكشاف ٤/ ٤٢، مجمع البيان ٩/ ٣٠٧، عين المعانِي ورقة ١٢٨/ ب.

(٤) لَمْ أعثر له على تخريج.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ في الآية تقديم وتأخير، مجازها: انْشَقَّ القَمَرُ واقْتَرَبَتِ السّاعةُ[١]، وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر؛ لأن انشـقاقه من علامات / نُبُوّةِ محمدٍ ﷺ، ونُبُوَّتُهُ وزَمانُهُ من أشراط اقتراب السـاعة، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنْ كُنْتَ صادقًا فَشُـقَّ لنا القَمَرَ فِرْقَتَيْنِ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنْ فَعَلْتُ ذلك تُؤْمِنُونَ»؟ قالوا: نعم! وكانت ليلةَ بَدْرٍ، فسـأل رسـولُ اللهِ ﷺ رَبَّـهُ أن يُعْطِيَهُ ما قالوا، فانْشَـقَّ القَمَرُ فِرْقَتَيْنِ، ورسـولُ اللهِ ﷺ يُنادِي: «يا فُلاَنُ! يا فُلاَنُ! اشْهَدُوا»، قال ابن مسعود وحذيفةُ: لقد رأيناه حتى صار نصفه على جَبَلٍ، ونصفه على جَبَلٍ آخرَ، ثم الْتَأمَ بعد ذلك، وعاد كما كان، فلما رَأَوْا ذلك أعْرَضُوا عن الإيمان[٢].

[١٩٣/ أ]

وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ شرط، يعني انشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ جواب الشـرط، يعني: عن التصديق والإيمان بها ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾؛ أي: هذا سِحْرٌ قَوِيٌّ شَدِيدٌ، يَعْلُو كُلَّ سِحْرٍ، مأخوذ من قولهم: اسْتَمَرَّ الشَّيْءُ: إذا قَوِيَ

---

(١) هذا قول الفراء، ذكره عند إعرابه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾. معانِي القرآن ٣/ ٩٦، وحكاه أبو عمر الزاهد عن ثعلب في ياقوتة الصراط ص ٤٩٣، وحكاه الثعلبي عن ابن كيسـان في الكشف والبيان ٩/ ١٦٠، وينظر: زاد المسير ٨/ ٨٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٦ـ ١٢٧.

(٢) حادثـة انشـقاق القمـر رواها الإمام أحمـد فـي المسـند ١/ ٤٤٧، ٣/ ١٦٥، والبخاري فـي صحيحه ٦/ ٥٢-٥٣ كتاب تفسـير القرآن: سـورة ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾، والحاكم في المسـتدرك ٢/ ٤٧١-٤٧٢ كتاب التفسير: سـورة القمر، وينظر: جامع البيان ٢٧/ ١١١، ١١٦، زاد المسير ٨/ ٨٧-٨٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٧.

واسْتَحْكَمَ، واسْتَمَرَّ فلانٌ على أمْرِ كَذا: إذا اسْتَحْكَمَ فِي معرفته ومُمارَسَتِهِ[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ يعني أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ يعني: من أخبار الأمم الماضية ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾؛ أي: نَهْيٌ وعِظةٌ، وهو مصدر بمعنى الازْدِجارِ، يقال: زَجَرْتُهُ وازْدَجَرْتُهُ: إذا نَهَيْتَهُ عن السوء، وهو «مُفْتَعَلٌ» من الزَّجْرِ، وهو الانْتِهارُ، وأصله: مُزْتَجَرٌ، فَقُلِبَت التاءُ دالاً؛ لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة، فَثَقُلَ الجمع بينهما، فأبدل من التاء ما هو من مخرجها وهو الدال[(٢)].

وقوله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ يعني القرآن؛ أي: هو حكمة بالغة تامّةٌ لمن أخذ بما فيه، وآمن بما فيه، واتبع ما أمر فيه، ووصفها بقوله: «بالِغةٌ»؛ لأن هذه الصفة لكل ما بَلَغَ فِي نهاية الغاية، كما يُقالُ: فُلانٌ جَيِّدٌ بالِغٌ؛ أي: قد بَلَغَ في الجَوْدةِ الغايةَ[(٣)].

وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾؛ أي: لا تُغْنِي عَمَّنْ لا يُؤْمِنُ بها، ويَتَّبِعُ ما أُمِرَ فيها، و«ما» هاهنا يجوز أن تكون نفيًا على معنى: فليست تغني النُّذُرُ، وهو نَذِيرٌ، ويجوز أن تكون استفهامًا، المعنى: بِأيِّ شَيْءٍ تُغْنِي النُّذُرُ إذا لَمْ يُؤْمِنُوا بها؟ [(٤)]، نظيرها في سورة يونس، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[(٥)].

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧٧/ أ، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٦٧ وما بعدها، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٨٥، إعراب القرآن ٤/ ٢٨٦.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧٧/ ب.

(٤) هذان الوجهان في «ما» قالهما الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٠٥، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٨٥، إعراب القرآن ٤/ ٢٨٦، الوسيط ٤/ ٢٠٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٩.

(٥) يونس من الآية ١٠١.

ثــم أمَرَ اللهُ تعالى نَبِيَّــهُ ﷺ بالإعراض عنهم بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: فَأَعْرِضْ يا محمد عن كفار مكة مما تسمع منهم من الأذى، وهاهنا وقف تام[(١)]، والخبر محــذوف؛ أي: تَرَى ما تَــرَى ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ وهو إســرافيل عليه السّــلام/ حين يَنْفُخُ النَّفْخةَ الثانيــةَ، وهو قائمٌ على صخرة بيت المقدس ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾؛ أي: عظيم فظيع، لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ، فينكرونه استعظامًا له، قال الخليل[(٢)]: النُّكُرُ: نعت للأمر الشديد، والنُّكُرُ: الداهية. [١٩٣/ ب]

قــرأ وَرْشٌ وأبــو عمرو: «الدّاعِي»[(٣)] بياء فِي الوصــل فقط، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين، وقرأ ابن كثير: «إلى شَــيْءٍ نُكْرٍ»[(٤)] ساكنةَ الكاف، الباقون بالتحريك[(٥)].

---

(١) قالــه الزجاج فــي معانِي القرآن وإعرابــه ٥/ ٨٦، ولكن ابن الأنباري جعلــه وقفًا غير تامٍّ. إيضاح الوقف والابتداء ص ٩١٣، وينظر: المكتفى فِي الوقف والابتدا ص ٣٤٠.

(٢) العين للخليل ٥/ ٣٥٥.

(٣) قرأ ابن جَمّازٍ وإســماعيلُ بــن جعفر، ووَرْشٌ عن نافع، وأبو عمــرو وأبو جعفر: «الدّاعِي» بيــاء في الوصل فقط، وقرأ البَزِّيُّ ويعقوب وابن محيصن وحُمَيْدٌ بياءٍ في الوصل والوقف، وقــرأ الباقون بغير ياء في الحالين، ينظر: الســبعة ص ٦١٧، الكشــف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٩٨، النشر ٢/ ٣٨٠، الإتحاف ٢/ ٥٠٥، ٥٠٦.

(٤) وهي قراءة الحسن وشبل أيضًا، ينظر: السبعة ص ٦١٧، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٩، البحر المحيط ٨/ ١٧٣.

(٥) ذكر ســيبويه هذا اللفــظ في باب التصريف، فقــال: «ويكون فُعُلًا فيهما، فالاســم: الطُّنُبُ والعُنُــقُ والعُضُدُ والجُمُدُ، والصفة: الجُنُبُ والأُجد ونضد ونكر، قال ســبحانه: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾. الكتاب ٤/ ٢٤٣-٢٤٤. وذكر الفارســي قول سيبويه، ثم قال: «فقولُ مَنْ قال: «نكر» إنما هو على التخفيف مثل: رُسْــلٍ وكُتِبٍ وسَبْعٍ، والضمة في تقدير الثبات». الحجة ٤/ ١١، وقــال الأزهري: «همــا لغتان: نكر ونكر، والتثقيل أجود الوجهين لتتفق الفواصل بحركتين». معانِي القراءات ٣/ ٤٢، وينظر: الصحاح ٢/ ٨٣٧.

قوله: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ﴿٧﴾﴾ قرأ ابن عباس وأبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف: «خاشِعًا»[1] بالألف على الواحد، وهو الاختيار اعتبارًا بقراءة عبد الله وأبِي رَجاءٍ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾[2]؛ أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب، وقرأ الباقون: «خُشَّعًا» بغير ألف[3] على الجمع، قال الفراء[4] وأبو عبيدة[5]: إذا تأخرت الأسماءُ عن فِعْلِها فَلَكَ فيها التوحيدُ والجَمْعُ والتأنيثُ والتذكيرُ، ويَجُوزُ فِي أسماء الفاعِلِينَ إذا تقدمتْ على الجماعةِ التوحيدُ والجَمْعُ والتأنيثُ، تقول مِنْ ذلك: مَرَرْتُ بِشُبّانٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ، وحِسانٍ[6] أَوْجُهُهُمْ، وحَسَنةٍ أَوْجُهُهُمْ، قال الشاعر:

٣٠٤ ـ وَشَبابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إيادِ بْنِ نِزارِ بْنِ مَعَدْ[7]

---

(١) وهي قراءة ابن جبير ومجاهد وعاصم الجحدري واليزيدي والحسن والأعمش، ينظر: السبعة ص ٦١٧، ٦١٨، حجة القراءات ص ٦٨٨، البحر المحيط ٨/ ١٧٣، الإتحاف ٢/ ٥٠٦.

(٢) ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٩، البحر المحيط ٨/ ١٧٣.

(٣) في الأصل: «بالألف».

(٤) معانِي القرآن ٣/ ١٠٥، وهو معنى كلام الفراء، وليس نصه.

(٥) تكلم أبو عبيدة عن هذا عند تناوله لقوله تعالى: ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾، فقال: «والعرب إذا بدأت بالأسماء قبل الفعل جعلت أفعالها على العَدَدِ، فهذا المستعمل، وقد يجوز أن يكون الفعل على لفظ الواحد، كأنه مُقَدَّمٌ ومُؤَخَّرٌ، كقولك: وَتَفِيضُ أَعْيُنُهُمْ، كما قال الأعْشَى:

فَإِنْ تَعْهَدِينِي وَلِي لِمّةٌ ... فَإِنّ الحَوادِثَ أَوْدَى بِها

ووجه الكلام أن يقول: أَوْدَيْنَ بها، فلما تُوُسِّعَ للقافية جاز على النَّكْسِ، كأنه قال: فإنه أَوْدَى الحَوادِثُ بِها». مجاز القرآن ١/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٦) في الأصل: «حسنة»، وهو خطأ.

(٧) البيت من الرَّمَلِ، لأبِي دُؤادٍ الإيادِيِّ، ونُسِبَ للحارث بن دَوْسٍ الإيادِيِّ، ويروى:

فِي فُتُوٍّ حَسَنٍ أوجههم

=

وقال آخر:

٣٠٥-يَرْمِي الفِجاجَ بِها الرُّكْبانُ مُعْتَرِضًا أعْناقَ بُزَّلِها مُرْخًى لَها الجُدُلُ[(١)]

قال الفراء[(٢)]: ولو قال: مُعْتَرِضةً أو مُعْتَرِضاتٍ، أو مُرْخاةً أو مُرْخَياتٍ، كان كُلُّ ذلك جائزًا.

فَمَنْ وَحَّدَ فلأنه في معنى الجمع، ومَنْ جَمَعَ فلأنه صفات، والصفات أسماء، ومَنْ أنّثَ فَلِتَأْنِيثِ الجماعةِ، وهو نصب على الحال تقديره: يخرجون من الأجداث خُشَّعًا أبْصارُهُمْ[(٣)]، و﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ رفع فاعل، وفِعْلُها الخُشُوعُ، والأجداث: القبور، واحدها جَدَثٌ، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ متفرق يَنْبَثُّ بَعْضُها

= **التخريج**: ديوان أبِي دؤاد الإيادي ص ٣٠٥، معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٠٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٨٦، تهذيب اللغة ١/ ١٥٢، معانِي القراءات ٣/ ٤٢، العمدة لابن رشيق ٢/ ٨٣، الكشف والبيان ٩/ ١٦٣، المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣، زاد المسير ٨/ ٩١، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٩، غرائب التفسير ص ١١٦٣، اللسان: أيد، البحر المحيط ٨/ ١٧٣، الدر المصون ٦/ ٢٢٣، اللباب فِي علوم الكتاب ١٨/ ٢٣٨، التاج: أيد.

(١) البيت من البسيط للقِطامِيِّ.
اللغة: البُزَّلُ: جمع بازل وهي الناقة، الجُدُلُ: جمع جَدِيلٍ وهو الحَبْلُ.
التخريج: ديوانه ص١٩٥، معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٥، جمهرة أشعار العرب ص٦٤٩، الكشف والبيان ٩/ ١٦٣، عين المعاني ورقة ١٢٩/ أ، البحر المحيط ٨/ ١٧٣، الدر المصون ٦/ ٢٢٣، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٣٨.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ١٠٦.

(٣) يعني أن العامل في الحال هو الفعل «يَخْرُجُونَ»، وصاحب الحال هو واو الجماعة فيه، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٣٦، كشف المشكلات ٢/ ٣٤٢، التبيان للعكبري ص ١١٩٣، الفريد للهمداني ٤/ ٣٩٣، البحر المحيط ٨/ ١٧٣.

في بعضٍ، والمعنى: أنهم يخرجون من قبورهم فَزِعِينِ حَيارَى، لا جِهةَ لأحَدٍ منهـم فيقصدها، والجَـرادُ لا جِهةَ لها، تكون أبَدًا مختلفـةً بعضُها فِي بعض، والجَرادُ جمع جَرادةٍ، وهو مُذَكَّرٌ، قاله صاحب الضياء[1]، وَذَكَّرَ المُنْتَشِرَ على لفظ الجَرادِ، ونظيرها: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾[2].

قوله: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ يعني: مُقْبِلِينَ مُسْـرِعِينَ إِلَى صَوْتِ إسرافيل إذا دَعاهُـمْ من قبورهـم ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ لا يقومـون مَقامًا، ولا يَخْرُجُونَ مَخْرَجًا، إلّا عَسُـرَ عليهم في كل مَوْطِنٍ شَرُّهُ، ويقال: المُهْطِعُ: الذّاهِـلُ العَقْلِ[3]، وهو نصـب على الحال، قرأ نافع وأبو عمـرو: «الدّاعِي» بيـاء في الوصل، وقـرأ ابن كثير بِياءٍ فـي الحالين، وقرأ الباقـون بغير ياء في الحالين[4].

قولـه تعالـى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾؛ أي: هـو مجنون ﴿وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ زَجَرُوهُ عن دعوته بالشتم والضرب والوعيد ﴿فَدَعَا﴾ نوحٌ عليه السّلام ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾؛ أي: فَخُذْ لِي بِحَقِّي، وانْتَقِمْ لِي مِمَّن كَذَّبَنِي، وذلك أنه كان يُضْرَبُ فِي كل يوم مرتين حتى يُغْشَـى عليه، فإذا أفـاقَ قال: اللَّهُمَّ اهْدِ قومي فإنهـم لا يعلمون[5]، قرأ العامة: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾

---

(١) يعني ضياء الحلوم، انظر: شمس العلوم ٢/ ١٠٥٠.

(٢) القارعة ٤.

(٣) ذكره النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧٨/ أ.

(٤) قـرأ نافع وأبو عمرو وابن كثيـر وأبو جعفر وَوَرْشٌ وابن جَمّازٍ وقالُـونُ: «الدّاعِي» بياء في الوصـل، وقرأ ابـن كثير في رواية أخـرى، ويعقوبُ وابنُ محيصن بياء فـي الحالين، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين، ينظر: السبعة ص ٦١٧، النشر ٢/ ٣٨٠، الإتحاف ٢/ ٥٠٦.

(٥) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٧٨/ ب.

بالفتح يعني: بِأنّي، وقرأ بعض القراء: «إنِّي» بالكسر[١]؛ لأن الدعاء قول فِي المعنى.

قوله: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ يعني: مُنْصَبًّا كثيرًا شديدَ الانْصِبابِ، لا ينقطع أربعين يومًا، يقال: / هَمَرْتُ الماءَ فانْهَمَرَ؛ أي: فانْصَبَّ، [١٩٤/ أ] ويقال: هَمَرَ الرَّجُلُ: إذا أَكْثَرَ من الكلام وأسْرَعَ[٢]، ويقال: المُنْهَمِرُ: الماء السائل، قرأ ابن عامر: ﴿فَفَتَّحْنا﴾ بالتشديد[٣]، وقرأ الباقون بالتخفيف.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ جمع عَيْنٍ، يعني يوم الطُّوفانِ، وذلك أن الله أرسل من السماء ماءً كأفواه القِرَبِ في أربعين يومًا وأربعين ليلة، وانفتحت الأرض بعيونٍ من الماء حتى اجتمع الماءان، وهو قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماء الأرض وماء السماء ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: قُضِيَ عليهم في أُمِّ الكتاب،

---

(١) هذه قراءة ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر والأعمش وزيد بن عَلِيٍّ، ورُوِيَتْ عن عاصم، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٨، البحر المحيط ٨/ ١٧٥، قال سيبويه: «وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، إنما أراد: بِأنّي مغلوب وبِأنّي لكم نذير مبين، ولكنه حذف الباءَ». الكتاب ٣/ ١٢٧، ثم قال سيبويه: «وكان عيسى يقرأ هذا الحرف: ﴿فَدَعا رَبَّهُ إِنِّي مَغْلُوبٌ فانْتَصِرْ﴾، أراد أن يحكي كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ كأنه قال، والله أعلم: قالوا: ما نعبدهم». الكتاب ٣/ ١٤٣، وينظر أيضًا: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٨٧، الأصول ١/ ٢٦٢، ٢٦٣، إعراب القرآن ٤/ ٢٨٨.

(٢) قاله ابن قتيبة والنقاش، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣١، شفاء الصدور ورقة ٧٨/ ب، ٧٩/ أ، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٥٠، اللسان: همر.

(٣) قرأ بالتشديد أيضًا: ابنُ عامر وأبو جعفر ورَوْحٌ، ورُوَيْسٌ من طريق النحاس، وابنُ وَرْدانَ وابنُ جَمّازٍ والأعرجُ ويعقوبُ، ينظر: السبعة ص ٦١٨، البحر المحيط ٨/ ١٧٥، النشر ٢/ ٢٥٨، الإتحاف ٢/ ٥٠٦.

وعُيُونٌ جمع عَيْنٍ فِي أكثر العدد، وقرأ الكوفيون بكسر العين[١]، والأصل الضَّمُّ فأبدل من الضمة كسرة استثقالًا للجمع بين ضمةٍ وياءٍ[٢].

ونصب ﴿عُيُونًا﴾ على التفسير، إذْ ليس كل الأرض عيونًا، فيكون كقوله: ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ [٣]، وقيل: هو نصب على الحال؛ أي: ذاتَ عُيُونٍ، وقيل: هو مفعول ﴿فَجَّرْنا﴾[٤]، وإنما قال: ﴿ٱلۡمَآءُ﴾، ولَمْ يقل: الماءانِ على هذه القراءة، والالتقاء لا يكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعدًا؛ لأن الماء يكون جمعًا وواحدًا[٥]، وقرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ: ﴿فالْتَقَى الماءانِ﴾، وقرأ الحسن: ﴿فالْتَقَى الماوانِ﴾[٦]، جعل أحد الألفين واوًا.

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان، وأبو بكر عن عاصم: «عِيُونًا» بكسر العين، ينظر: النشر ٢/ ٢٢٦، الإتحاف ٢/ ٥٠٦.

(٢) من أول قوله: «وعيون جمع عين في أكثر العدد» قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٨٨، وقد قال الزجاج: «وقد رُوِيَتْ: «عِيُونًا»، وهي رديئة في العربية». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٨٧.

(٣) الكهف ١٠٣.

(٤) وأشهر هذه الأوجه نصبُهُ على التمييز، وإن كان بعض النحويين يمنع التمييز المنقول من المفعول، ومن منع ذلك نصب ﴿عُيُونًا﴾ على الحال بتقدير مضاف؛ أي: ذاتَ عُيُونٍ، فتكون حالًا مقدرة، ومن جعله مفعولًا لـ﴿فَجَّرْنا﴾ نصب الأرض على نزع الخافض؛ أي: وَفَجَّرْنا من الأرض عيونًا، ويجوز أن يكون ﴿فَجَّرْنا﴾ متعديًا إلى مفعولين بتضمينه معنى صَيَّرْنا، فتكون الأرض مفعولًا أوَّلَ، و﴿عُيُونًا﴾ مفعولاً ثانيًا. ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٣٤٢، الفريد ٤/ ٣٩٤، ارتشاف الضرب ص ١٦٢٣، البحر المحيط ٨/ ١٧٥، الدر المصون ٦/ ٢٢٦، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٤٧.

(٥) يعني أن الماء اسم جنس، وهذا قول الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٠٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٨٧، إعراب القرآن ٤/ ٢٨٨، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ورقة ٧٩/ أ، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٣٢.

(٦) قرأ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب والحسن والجَحْدَرِيُّ ومحمد بن كعب: «الماءانِ»، وقرأ الحسن: =

قوله: ﴿وَحَمَلْنَهُ﴾ يعني نوحًا ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ يعني صَفائِحَ السفينة، أي: على سفينةٍ ذاتِ ألواح، وهي خُشْبانُها العَرِيضةُ التي منها جُمِّعَتْ ﴿وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ يعني المسامير التي تُشَدُّ بها الألواحُ، واحدها دِسارٌ ودَسِيرٌ، دَسَرْتُ السفينةَ: إذا شَدَدْتَها بالمسامير، وكل شيء إذا دَخَلَ فِي شيء بِشِدّةٍ فهو الدَّسْرُ[١]، وقيل[٢]: الدُّسُرُ: حِبالُ اللِّيفِ.

قوله: ﴿تَجْرِى﴾ يعني السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بنَظَرٍ ومَرْأًى مِنّا، وقيل: بحِفْظِنا، ومنه قول الناس لِلْمُوَدَّعِ: عَيْنُ اللهِ عليك أي: حِفْظُـهُ ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ يعنـي: فَعَلْنا ذلك ثَوابًا لِنُوحٍ عليه السّـلام، فأنجيناه ومَنْ آمَنَ به، وأغرقنا من جَحَـدَ أمْـرَهُ وكَفَرَ به، وما نَجا من الكفار غَيْرُ عُـوجِ بن عُنُقٍ[٣]، كان الماء إلى مِنْخَرَيْهِ[٤]، ونصب «جَزاءً» على المصدر[٥].

= «المـاوانِ»، ورُوِيَ عنـه أيضًـا: «المايـانِ» بقلب الهمزة يـاء. ينظر: مختصـر ابن خالويه ص ١٤٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٣٢، البحر المحيط ٨/ ١٧٥.

(١) قالـه ابن عباس وابن زيـد وقتادة وابن جبير وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج وغيرهم، ينظر: مجـاز القرآن ٢/ ٢٤٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٢، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٨٧، ٨٨، زاد المسير ٨/ ٩٣، تفسير القرطبي ١٧/ ١٣٢.

(٢) قالـه الليث، ينظر: تهذيب اللغة ١٢/ ٣٥٥، شـفاء الصـدور ٧٩/ أ، الصحاح ٢/ ٦٥٧، تفسير القرطبي ١٧/ ١٣٣.

(٣) قـال الفيروزآبادي: «وعُوقٌ كنوحٍ والـدُ عُوجِ الطويل، ومن قال: عوجُ بنُ عنق فقد أخطأ». القاموس المحيط: عنق، عوق، وَرَدَّهُ الزَّبِيدِيُّ بقوله: «هذا الذي خَطَّأَهُ [يعني الفَيْرُوزآبادِيَّ] هو المشهور على الألسنة، قال شيخنا: وزعم قوم أن عنق هي أم عوج وعوق أبوه، فلا خطأ ولا غلط». التاج: عوق.

(٤) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ١٢٩/ أ، ولكن هذا القول غير صحيح، فإن عُوجًا هذا غرق فيمن غرق، ينظر: البداية والنهاية ١/ ١١٤.

(٥) أي: جزيناهـم جزاءً، فهو مصـدر مؤكد لفعله المحذوف، وهذا قـول النحاس في إعراب القـرآن ٤/ ٢٨٩، ويجـوز أن يكون «جزاء» مفعولًا له؛ أي: فعلنـا ذلك جزاءً للمكفور،=

قولـه تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ يعنـي السـفينة ﴿ءَايَةً﴾؛ أي: عِبْرةً وعِظةً ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾؛ أي: مُتَّعِظٍ، والأصل عند سيبويه[1]: مُذْتَكِرٌ، فاجتمعت الذال، وهي مجهورة أصلية، والتاءُ وهي مهموسة زائدة، فأبدلوا من التاء حرفًا مجهورًا من مخرجها، فصار: مُذْدَكِرٌ، فأدغمت الدال فصار: مُدَّكِرٌ.

قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ استفهام عـن تلك الحالة، ومعناه التعظيـم لذلك العذاب، وفيـه تخويفٌ لِمُشْـرِكِي مَكّةَ، وقوله: «نُـذُرِ»؛ أي: إنـذاري، قرأ وَرْشٌ: «نُـذُرِي» بياء فِي الوصل حيث وقع فقـط، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين[2]، قال الفراء[3]: النُّذُرُ والإنْذارُ مصدران.

تقول العرب: أنْذَرْتُ إنْذارًا ونُذُرًا، كقوله: أنْفَقْتُ إنْفاقًا ونَفَقةً، وأيْقَنْتُ / إيقانًا ويَقِينًا، و«كَيْفَ» في موضع نصب على خبر «كان»، إلا أنها مبنية لأن فيها معنى الاستفهام، وفُتِحَتْ لالتقاء الساكنين[4].

قولـه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ يعني: للحفظ والقراءة، قال سـعيد ابـن جُبَيْرٍ[5]: ليس مِـنْ كُتُبِ الله كتابٌ يُقْـرَأُ كُـلُّهُ ظاهـرًا إلا القرآن ﴿فَهَلْ مِن

= وهو نوح عليه السّلام، وهذا قول الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٨، وينظر: التبيان للعكبري ص ١١٩٤، الفريد ٤/ ٣٩٥.

(١) الكتاب ٤/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٢) قرأ وَرْشٌ عن نافع: «وَنُذُرِي» بياء في الوصل فقط، وقرأ يعقوب بياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين، ينظر: السبعة ص ٦١٨، النشر ٢/ ٣٨٠، الإتحاف ٢/ ٥٠٦.

(٣) قال الفراء: «النُّذُرُ هاهنا مصدر معناه: فكيف كان إنْذاري». معانِي القرآن ٣/ ١٠٧.

(٤) قاله الأزهري في التهذيب ١٠/ ٣٩٢، وقال الجوهري: «كَيْفَ: اسم مبهم غير متمكن، وإنما حُرِّكَ آخِرُهُ لالتقاء الساكنين، وبُنِيَ على الفتح دون الكسر لمكان الياء». الصحاح ٣/ ١٤٢٥.

(٥) ينظر قوله في شـفاء الصدور ورقة ٧٩/ ب، الكشف والبيان ٩/ ١٦٥، الوسيط ٤/ ٢٠٩، المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ أ.

﴿مُّدَّكِرٍ ١٧﴾ يعني: مِـنْ ذاكِرٍ يَذْكُـرُهُ، وقارِئٍ يَقْرَؤُهُ، ومعناه الحَثُّ على قراءة القرآن ودَرْسِهِ وتَعَـلُّمِهِ.

قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على قوم هود ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وهي الدَّبُورُ، والصَّرْصَرُ: الرِّيحُ الشَّـدِيدةُ البارِدةُ[1]، قيل[2]: كانـت الريح تَمُرُّ على الرّاعِي فتحملـه مع غَنَمِهِ، وتَمُرُّ على العَرُوسِ وهي في خِدْرِها فتحملها ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ١٩﴾ دائِمِ الشُّؤْمِ، اسْتَمَرَّ عليهم بِنُحُوسِهِ، قيل[3]: كان فِي يوم الأربعاء آخرَ الشـهر، وكان القمر منحوسًـا بزُحَلَ، واستمرت الريح لا تَفْتُرُ عنهم سَبْعَ لَيالٍ وثَمانِيَةَ أيّامٍ حُسُـومًا دائمةً ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ يعني الريحُ، تَنْزِعُ أرْواحَ الناس؛ أي: تقطعها عن أجسامها فَتَصْرَعُهُمْ.

ثم شَـبَّهَهُمْ فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ٢٠﴾ شَبَّهَهُمْ بالنخل لِطُولِهِمْ، يقـال: قَعَرَتْهُ الرِّيـحُ: إذا ألْقَتْهُ على الأرض، وانْقَعَـرَتِ النَّخْلةُ من أصلها: إذا سَـقَطَتْ[4]، وقوله: «مُنْقَعِرٍ»؛ لأن النخل يُؤَنَّثُ ويُذَكَّرُ، يقال: هذا نَخْلٌ، وهَذِهِ نَخْلٌ، فـ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ على لغة من قال: هذا نَخْلٌ، ومن قال: هذه نَخْلٌ فدليله قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[5]، وأعْجازٌ جمع عَجُزٍ، وهو مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ.

---

(١) قالـه الزجاج وابن قتيبة، ينظـر: غريب القرآن لابن قتيبـة ص ٤٣٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٨٨، وهـو قول قتـادة والضحاك أيضًا، ينظر: تهذيب اللغـة ١٢/ ١٠٦، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥٠، تفسير القرطبي ١٧/ ١٣٥.

(٢) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٨٠/ أ.

(٣) قاله جعفر بن محمد، ينظر: شفاء الصدور ورقة ٨٠/ أ.

(٤) قاله ابن السكيت فِي إصلاح المنطق ص ٢٤٧، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٨٠/ أ، تهذيب اللغة ١/ ٢٢٨، اللسان: قعر.

(٥) الحاقـة ٧، وتأنيـث النخـل لغـة أهل الحجـاز كما ذكـر الفراء فـي المذكـر والمؤنث =

قولـه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ يعني: بالرسـل، وهم قوم صالح، وأراد بالإنذار: الذي جاءهم به صالح، ولَمْ يصرف «ثَمُودُ» لأنه اسم للقبيلة، ويجوز صرفه على أنه اسـم للحي ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾؛ أي: هذا آدَمِيٌّ مِثْلُنا، وهو واحد، فلا نكـون له تبَعًـا ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: خَطَأٍ وشَـقاءٍ وغَباءٍ وشِـدّةِ عَذابٍ بمـا يلزمنا من طاعته، ونصب ﴿بَشَـرًا مِنّا واحِدًا﴾ على تفسير ما بعده[1]، وتقديره: أنَتَّبِعُ بَشَرًا نَتَّبِعُهُ، أنكروا أن يكون الوحي إليه.

ثـم قالـوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ اسـتفهامُ إنـكار؛ أي: كيف خُصَّ من بيننـا بالنبوة والوحي؟ ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ فيما يقـول ﴿أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾؛ أي: بَطِرٌ مُتَكَبِّرٌ يريد أن يَتَعَظَّمَ علينا بالنبوة، فقال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ يعني: يوم القيامة، حين يَنْزِلُ بهم العذابُ ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾.

قولـه تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾؛ أي: باعِثُوها ومُخْرِجُوها من الصخرة التي سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾؛ أي: مِحْنةً واختبارًا لقـوم صالح، وهو منصوب على المصـدر[2]، وقيل[3]: على المفعول مـن أجله ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾؛ أي: فانْتَظِرْ ما هم

= ص ٩٠، وينظر أيضًا: المذكر والمؤنث للسجستانِيِّ ص ٨٣، المقتضب ٣/ ٣٤٦، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٢٤، المذكر والمؤنث لابن التستري ص١٠٦، شفاء الصدور ورقة ٨٠/ أ.

(١) يعني أنه منصوب على الاشتغال. ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٩٣، الفريد للهمداني ٤/ ٣٩٦، الدر المصون ٦/ ٢٢٩.

(٢) علـى معنـى: فَتَنّاهُمْ بذلـك فتنةً، وهو قـول حكاه النحـاس بغير عزو في إعـراب القرآن ٤/ ٢٩٤.

(٣) قاله الزجاج ومَكِّيٌّ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٨٩، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٣٩، وينظر أيضًا: الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٣٩٨.

صانعون ﴿وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧﴾ على ما يُصِيبُكَ] [١] من الأذى، و«اصْطَبِرْ»: افْتَعِلْ من الصَّبْرِ، وأصل الطاء فيه تاء، فَحُوِّلَتْ طاءً لأجل الصاد.

قوله: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ يعني: بَيْنَ ثَمُودَ وبَيْنَ الناقةِ، يَوْمٌ لها ويَوْمٌ لهم، وإنما قال: «بَيْنَهُمْ»؛ لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غَلَّبُوا بني آدم على البهائم[٢]، وقوله: ﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨﴾ يعني: إذا كان يومُ الناقة حَضَرَتْ شِرْبَها، وإذا كان يَوْمُهُمْ حَضَرُوا شِرْبَهُمْ، والشِّرْبُ: النَّصِيبُ، وحُضِرَ واحْتُضِرَ واحد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: على قوم صالح ﴿صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صاحَ بهم جبريلُ عليه السّلام صَيْحةً، فَخَمَدُوا جميعًا ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾ الهَشِيمُ: حُطامُ الشَّجَرِ والبَقْلِ، شَبَّهَهُمْ بالشيء الذي قد بَلِيَ وتَغَيَّرَ. والمُحْتَظِرُ ـ بكسر الظاء ـ: الرَّجُلُ الذي يَتَّخِذُ الحَظِيرةَ / لإبلِهِ أو غَنَمِهِ من البَرْدِ[٣]، ويقال: [١٩٥/ أ] احْتَظَرَ على غَنَمِهِ: إذا جَمَعَ الشَّجَرَ، ووَضَعَ بَعْضَها فَوْقَ بَعْضٍ، وهو كُلُّ شَيْءٍ كان رَطْبًا فَيَبِسَ[٤]، وقيل[٥]: المُحْتَظَرُ: هو الشَّوْكُ الذي تَحْظُرُ به العَرَبُ حَوْلَ مَواشِيها من السباع، والمعنى: أنهم بادُوا وهَلَكُوا، فصاروا كَيابِسِ الشَّجَرِ إذا تَحَطَّمَ.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من زاد المسير ٨/ ٩٧.

(٢) قال الفراء: «لأن الناس إذا خالَطَهُمْ شَيْءٌ من البهائم صار فِعْلُهُمْ كَفِعْلِ الناس كما قال: «وَنَبِّئْهُمْ أنّ الْماءَ قِسْمةٌ بَيْنَهُمْ»، فصارت الناقة بِمَنْزِلةِ الناس». معاني القرآن ٣/ ١١٢، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٦٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٤٠.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٨١/ أ.

(٤) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٨١/ أ، وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس في زاد المسير ٨/ ٩٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٩٨، غريب القرآن للسجستانيِّ ص ١٥٠، الوسيط ٤/ ٢١١.

(٥) قاله ابن عباس والضحاك وابن زيد، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٤، جامع =

قولـه تعالـى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣)﴾ يعني الرسـل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ يعني: رِيحًا تَرْضَخُهُمْ بالحَصْباءِ، وهي الحَصَى، والحاصِبُ والحَصَبُ والحَصْباءُ هي الحَجَرُ الذي دُونَ مِلْءِ الكَفِّ، والمُحَصَّبُ: الموضع الذي تُرْمَى فيه الحِجارةُ[1].

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يعني لوطا وابنتيه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤)﴾ يريد: من ذلك العذاب الذي أصاب قومه ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ قال الأخفش[2]: إنما أجرى قوله: «بِسَحَرٍ» لأنه نَكِرةٌ، ومجازه: بِسَحَرٍ من الأسْحارِ، ولو أراد سَحَرَ يَوْمٍ بعينه لقال: «بِسَحَرَ» غير مُجْرًى.

ونصب «نِعْمةً» على تقدير: جعلنا ذلك نعمةً من عندنا عليهم، وقيل[3]: هو مفعول له؛ أي: للإنعام عليهم، وقيل[4]: هو نصب على المصدر، ويجوز الرفع بمعنى: تلك نعمةٌ من عندنا[5]، ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما أنعمنا عليهم ﴿نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥)﴾ قال مقاتل: مَنْ وَحَّدَ اللهَ لَمْ يُعَذَّبْ مع المشركين.

= البيان ٢٧/ ١٣٦-١٣٧، إعراب القرآن ٤/ ٢٩٥، شفاء الصدور ورقة ٨١/ أ، الكشف والبيان ٩/ ١٦٨.

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٤/ ٢٦٠، ٢٦١، الصحاح ١/ ١١٢.

(٢) لَمْ أقف على قوله في معانِي القرآن، وإنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٦٩، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٤٣.

(٣) قاله الزجاج والنحاس وغيرهما، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٩٠، إعراب القرآن ٤/ ٢٩٧، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٠، الفريد للهمداني ٤/ ٣٩٩.

(٤) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩، وينظر: التبيان للعكبري ص ١١٩٥، البحر ٨/ ١٨٠.

(٥) هذا في غير القرآن، قال الزجاج: «ولو قُرِئَتْ: «نِعْمةٌ مِنْ عِنْدِنا» كان وجهًا، ويكون المعنى: تِلْكَ نِعْمةٌ مِنْ عِنْدِنا... ولكني لا أعلم أحدًا قرأ بها، فلا تَقْرَأَنّ بها إلّا أن تَثْبُتَ روايةٌ صحيحةٌ». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٩٠-٩١، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٩٧.

قولـه: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ يعنـي لوطاً، أنـذر قومـه ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أي: أخْذَنا إيّاهُمْ بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾؛ أي: شَكُّوا بالإنذار، ولَمْ يُصَدِّقُوا، ونصب «بَطْشَتَنا» بِنَزْعِ الصفة، تقديره: بِبَطْشَتِنا ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ طلبوا أن يُسْلِمَ إليهـم أضْيافَـهُ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ وهـو أن جبريـل عليه السّـلام صَفَقَ عليهم بِجَناحَيْهِ فَأذْهَبَها، والقصة مذكورة في سورة هود[1].

وتَـمَّ الكلامُ ثم قال: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ أي: ومـا أنْذَرَكُمْ به لوطٌ من العذاب، سُمِّيَ العذابُ باسم الإنذار.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ يعني: أتاهم العذاب صباحًا ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ يعني: استقر بقوم لوط عذاب الله، ونصب ﴿بُكْرَةً﴾ على الظرف أي: في وقت الصبح.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ يجوز أن يكون جمع نَذِيرٍ وهي الآيـات، وذلك قولـه: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ يعني الآيات التي أنذرهم بها موسـى ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ يريـد: بالعـذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾؛ أي: غالب في انتقامه ﴿مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ قادر على هلاكهم، ونصب «أخْذَ» على المصدر.

ثـم خَوَّفَ كُفّارَ مكة، فقال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ هذه إشـارة إلى قوم فرعون، والخطاب لكفار قريش، وهذا استفهام معناه الإنكار، وقيل: هو إشارة إلى مَنْ مَضَى من الأمم الخالية، والمعنى: ليسوا بأقوى ولا أشَدَّ من قوم نوح وعاد وثمود، وقد أهلكناهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ يعني الكتب التي أنزلها الله، بأنكم لا تُعَذَّبُونَ، والمعنى: ألَكُمْ بَراءةٌ من العذاب في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

---

(١) وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ يعني كفار مكة ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: جماعة لا تُرامُ ولا تُضامُ، ننتصر على أعدائنا، و«نَحْنُ» مبتدأ، و«جَمِيعٌ» توكيد، و«مُنْتَصِرٌ» خبره[1]، والمعنى: نَحْنُ يَدٌ واحدةٌ على مَنْ خالَفَنا، وكان حقه: مُنْتَصِرُونَ، فَتَبِعَ رُؤُوسَ الآيِ، وَوُحِّدَ في اللفظ وإن كان اسْمًا للجماعة كالرَّهْطِ والجيش[2].

قوله: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴾ يعني جَمْعَ كُفّارِ مكة ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ يعني: ينهزمون، فَيُوَلُّونَكُمْ أدْبارَهُمْ، وكان ذلك يَوْمَ بَدْرٍ، وإنما وَحَّدَ الدُّبُرَ ولَمْ يقل: الأدْبار لأجل رُؤُوسِ الآيِ أيضًا، كما يقال: ضَرَبْنا منهم الرُّؤوسَ، وضَرَبْنا منهم الرَّأْسَ، إذْ كان الواحد يُؤَدِّي عن معنى الجميع[3].

ثم قال: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ يعني أن موعدهم الجَمْعُ للعذاب يوم القيامة ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ ﴾ أعظم فِي الضرر وأفظع، مأخوذ من الدهاء، وهو النُّكْرُ والفظاعة ﴿وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ أشَدُّ مَرارةً من القَتْلِ والأسْرِ فِي الدنيا.

قوله: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾ يريد القَدَرِيّةَ ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ نارٍ مُسَعَّرةٍ،

---

(١) «جَمِيعٌ» هنا ليس توكيدًا، وإنما هو خبر المبتدأ، وهو بمعنى مُجْتَمِعُونَ، قال ابن منظور: «وقول أُمَيَّةَ الهُذَلِيِّ:

أُولَئِكَ آبائِي، وَهُمْ لِيَ ناصِرٌ ... وَهُمْ لَكَ إنْ صانَعْتَ ذا مَعْقِلُ

أراد: جَمْعٌ ناصِرٌ كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾. اللسان: نصر، وقال الرازي: «والجميع: الجيش، والجميع: الحَيُّ المجتمع، قلتُ: ومن أحدهما قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾». مختار الصحاح: جمع.

(٢) قال النحاس: «﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ على اللفظ، ولو كان على المعنى قيل: منتصرون». إعراب القرآن ٤/ ٢٩٩، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٦٩، الوسيط ٤/ ٢١٣.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ١١٠، وينظر: التهذيب ١٤/ ١١٠-١١١، الكشف والبيان ٩/ ١٧٠، زاد المسير ٨/ ١٠٠.

وهو جمع سَعِيرٍ في قول أَبي عبيدة[١]، وقال غيره[٢]: في ضلال وجنون، يقال: ناقةٌ مَسْعُورةٌ: إذا كانتْ كَأَنَّ بها / جُنُونًا. [١٩٥/ ب]

ثم بَيَّــنَ ذلك، فقــال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ويقال لهم ذلك اليومَ: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)﴾ يعني عذاب سَقَرَ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾؛ أي: كُلُّ ما خَلَقْناهُ مَقْدُورٌ مَكْتُوبٌ في اللَّوْحِ المحفوظ قبل وقوعه، قال ابن عباس: قَدَّرَ لأهل الجنة الكرامةَ والفضلَ والمنازلَ فيها بِقَدْرِ أعمالهم التي عملوا في الدنيا، وقَدَّرَ لأهل النار منازلَهم فيها وأصنافَ عذابهم على قَدْرِ أعمالهم التي عملوا فِي الدنيا. ونصب كُلاًّ بـ«خَلَقْنا»[٣]، وهي من ألفاظ العموم، وتستعمل فيمن يعقل وفيما لا يعقل.

فصل

عن عائشــة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رســول الله ﷺ: «مَجُوسُ هذه الأمةِ القَدَرِيّةُ، وهم المجرمون الذين سَمّاهُم اللهُ بقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾»[٤].

---

(١) الذي قاله أبو عبيدة: «ضَلَالٍ وَسُعُرٍ»: جميع سعيرة». مجاز القرآن ٢/ ٢٤١.

(٢) قالــه النقاش في شــفاء الصــدور ورقة ٨٠/ ب، وينظــر: تهذيب اللغة ٢/ ٨٧، المســائل الشيرازيات ص ٥٩٣-٥٩٤.

(٣) «كُلاًّ» منصوب بـ«خَلَقْنا» المُقَدَّرِ لا المذكور، والمسألة من باب الاشتغال.

(٤) رواه ابــن أَبِي عاصم في كتاب الســنة ص ١٤٦، ورواه أبــو داود وغيرُه عن ابن عمر بلفظ: «القَدَرِيّةُ مَجُوسُ هذه الأمةِ، إنْ مَرِضُوا فلا تَعُودُوهُم، وإن ماتوا فلا تَشْــهَدُوهُم». سنن أَبِي داود ٢/ ٤١٠ كتاب السُّــنّةِ: باب في القدر، ورواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوســط ٣/ ٦٥، وابــنُ عدي في الكامل فــي الضعفاء ٣/ ٢١٢، ٧/ ٧٧، وابن حبان في كتاب المجروحين ١/ ٣١٤، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢١٤.

وعن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جَمَعَ اللهُ الخَلائِقَ يومَ القيامة، أمَرَ مُنادِيًا فَنادَى نِداءً يسمعه الأوَّلُونَ والآخِرُونَ: أيْنَ خُصَماءُ اللهِ؟ فيقوم القَدَرِيّةُ فَيُؤْمَرُ بهم إلى النار»، يقول الله: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [1]، وإنما سُمُّوا خُصَماءَ الله لأنهم يقولون: يَكْتُبُ علينا المعاصيَ ثم يُعَذِّبُنا؟ هذا ما لا يكون، فبهذا يُخاصِمُونَ فِي أنه لا يجوز أن يُقَدِّرَ المعصيةَ على العبد، ثم يُعَذِّبُهُ عليها.

ورُوِيَ عن الحسن أنه قال[2]: «واللهِ لو أنّ قَدَرِيًّا صامَ حتى يصير كالحَبْلِ، ثم صام حتى يصير كالوَتَرِ، ثم أُخِذَ ظُلْمًا وَزُورًا حتى ذُبِحَ بين الرُّكْنِ والمَقامِ، لَكَبَّهُ اللهُ عزّ وجلّ على وجهه في سَقَرَ، ثم قيل له: ذُقْ مَسَّ سَقَرَ، إنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ».

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ يعني: وما أمْرُ الساعةِ في جميع ما نريده إلا واحدة، أن نقول له: كُنْ فَيَكُونُ، وقيل: معناه: وما أمْرُنا إلّا أمْرٌ واحِدٌ، فدخلت الهاء في نعت المذكر، قاله الخليل[3]، ثم قال: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾؛ أي: كَخَطْفٍ بِالبَصَرِ، ومعنى اللَّمْحِ: أوَّلُ النظر وأسْرَعُهُ، ومعنى الآية: إن قضائي في خلقي أسرعُ من لَمْحِ البصر.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يريد: أشباهكم ونُظَراءَكُمْ في

---

(١) رواه ابنُ أبِي عاصم في كتاب السنة ص ١٤٨، والطبرانِيُّ في الأوسط ٦/ ٣١٧، ٧/ ١٦٢، وينظر: الوسيط ٤/ ٢١٥، مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٦ كتاب القَدَرِ: باب ما جاء فيمن يُكَذِّبُ بالقَدَرِ.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢١٤، زاد المسير ٨/ ١٠٢.

(٣) الجمل المنسوب للخليل ص ٢٧٣، ولفظه: «معناه: أمْرُنا أمْرةٌ واحِدةٌ».

الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾؛ مُتَّعِظٍ يَعْلَمُ أن تلك حَقٌّ فَيَخافُ ويَعْتَبِرُ.

ثم أَخْبَرَ أن جميع ما فَعَلَتْهُ الأممُ قبلهم كان مكتوبًا عليهم فقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الخَلْقِ والأعمال ﴿مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾؛ أي: بساتين ﴿وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ أراد أنهار الجنة من الماءِ والخمر واللبن والعسل، وإنّما وُحِّدَ لأجْلِ رُؤُوسِ الآيِ، كقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[1]، ولفظ الواحد يُؤَدِّي عن الجميع، وقرأ الأعرج وطلحة: «وَنُهُرٍ»[2] بضمتَيْنِ، كأنه جَمْعُ نَهارٍ[3] ـ ولا لَيْلَ لَهُمْ ـ، قال الفراء[4]:

---

(١) القمر ٤٥.

(٢) قرأ الأعرج وابن محيصن وزهيرٌ الفُرْقُبِيُّ والأعمش وأبو نُهَيْكٍ وأبو مِجْلَزٍ واليَمانِيُّ: «وَنُهُرٍ» بضمتين، وقرأ الأعرج أيضًا: «وَنَهْرٍ». ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٤٩، المحتسب ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، الكشف والبيان ٩/ ١٧٤، تفسير القرطبي ١٧/ ١٥٠، البحر المحيط ٨/ ١٨٢.

(٣) قاله الفراء والأزهري، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١١١، تهذيب اللغة ٦/ ٢٧٦، وقال الجوهري: «النهارُ: ضد الليل، ولا يُجْمَعُ كما لا يُجْمَعُ العَذابُ والسَّرابُ، فإن جمعته قلت في قليله: نُهُرٌ مثل سَحابٍ وسُحُبٍ، وأنشد ابن كيسان:

لَوْلاَ الثَّرِيدانِ هَلَكْنا بِالضُّمُرْ
ثَرِيدُ لَيْلٍ وَثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ

الصحاح ٢/ ٨٣٩-٨٤٠، وقال ابن سيده: «والجمع أَنْهِرةٌ عن ابن الأعرابِيِّ، ونُهُرٌ عن غيره». المحكم والمحيط الأعظم ٤/ ٢١٧، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٧٤، المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢، عين المعاني ورقة ١٢٩/ ب، البحر المحيط ٨/ ١٨٢.

(٤) معاني القرآن ٣/ ١١١.

أنشدنِي بعض الأعراب:

٣٠٦ ـ إنْ تَـكُ لَيْلِـيًّـا فَإنِّـي نَهِـرُ
مَتَـى أرَ اللَّـيْـلَ فَـلا أنْـتَـظِرُ [١]

وقال آخر[٢]:

٣٠٧ ـ لَوْلاَ الثَّرِيدانِ هَلَكْنا بِالضُّمُرْ
ثَرِيـدُ لَـيْـلٍ وَثَرِيــدٌ بِالنُّهُـرْ [٣]

وقيل[٤]: هو جمع نَهَرٍ كَأَسَدٍ وأُسُدٍ، أو جمع نَهْرٍ كَرَهْنٍ وَرُهُنٍ.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾؛ أي: فِي مَجْلِسِ حَقٍّ لا لَغْوَ فيه ولا تَأْثِيمَ، وهو الجنة ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ يعني/ : عند مَلِكٍ قادِرٍ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، و«عِنْدَ» [١٩٦/ أ] إشارة إلى القُرْبةِ والرُّتْبةِ، والمعنى: في المكان الذي كَرَّسَهُ اللهُ لأوليائه.

---

(١) الرجز لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى: «إنْ كُنْتَ لَيْلِيًّا»، ويروى: «مَتَى أَتَى الصُّبْحُ».
اللغة: نَهِرٌ: صاحب نهار أُغِيرُ فيه، ولستُ صاحِبَ لَيْلٍ.
التخريج: تهذيب اللغة ٦/ ٢٧٦، ديوان الأدب ١/ ٢٤٨، الكشف والبيان ٩/ ١٧٤، القرطبي ١٧/ ١٥٠، اللسان: نهر، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٨٧، التاج: نهر.

(٢) هذا الرجز ليس في معاني القرآن، وإنما أنشده الأزهري عن الفراء في تهذيب اللغة ٦/ ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) لَمْ أقف على قائل هذا الرجز، ويُرْوَى: «لَمُتْنا بِالضُّمُرْ».
اللغة: الضُّمُرُ والضُّمْرُ: الهُزالُ والضُّعْفُ، النُّهُرُ: جمع نَهارٍ.
التخريج: إعراب ثلاثين سورة ص ٩٧، المخصص ٩/ ٥١، الكشف والبيان ٩/ ١٧٤، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ ب، القرطبي ٢/ ١٩٣، ١٧/ ١٥٠، اللسان: نهر، التاج: نهر.

(٤) حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٦/ ٢٧٦، وقاله ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٠٠-٣٠١، وينظر: الفريد ٤/ ٤٠٢، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ ب، البحر المحيط ٨/ ١٨٢.

فصل

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: بَيْنا رسولُ الله ﷺ يوما فِي مسجد المدينة، فذكر بعضُ أصحابه الجنةَ، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ للهِ لِواءً مِنْ نُورٍ وَعَمُودًا مِنْ زَبَرْجدٍ، خَلَقَهُما قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ بِألْفَيْ عامٍ، مَكْتُوبٌ عَلَى رِداءِ ذَلِكَ اللِّواءِ: لا إِلَهَ إلاّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، آلُ مُحَمَّدٍ خَيْرُ البَرِيّةِ صاحِبِ اللِّواءِ أمامَ القَوْمِ»، فَقالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدانا بِكَ وَكَرَّمَنا وَشَرَّفَنا، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يا عَلِيُّ أما علمتَ أن من أحَبَّنا وانْتَحَلَ مَحَبَّتَنا أسْكَنَهُ اللهُ تعالى مَعَنا»، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيةَ: «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»[١]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٧٤، ورواه السيوطي مختصرًا من حديث أبي دُجانةَ في الدر المنثور ٦/ ١٣٩، وينظر: كنز العمال ١٢/ ٤٢٢.

سورة الرحمن

مدنية

وهي ألف وستمائة وستة وثلاثون حرفًا، وثلاثمائة وإحدى وخمسون كلمة، وثمان وسبعون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرَّحْمَنِ رَحِمَ اللهُ ضُعْفَهُ، وأدَّى شُكْرَ ما أَنْعَمَ اللهُ عليه»(١).

وقال عليه السّلام: «من قرأ سورة الرحمن دُعِيَ في مَلَكُوتِ السماوات عَظِيمًا، وكانوا من زُوّارِهِ»(٢).

وعن عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ، وعَرُوسُ القُرْآنِ سُورةُ الرَّحْمَنِ ـ جلّ جلاله ـ»(٣).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٧٦، الوسيط ٤/ ٢١٧، الكشاف ٤/ ٥٠، مجمع البيان ٩/ ٣٢٦.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٥١، مجمع البيان ٩/ ٣٢٦، بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٤٩، كنز العمال ١/ ٥٨٢.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قولـه عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ قـال الكلبي[1]: عَلَّمَ القُرْآنَ مُحَمَّدًا عليه السّلام، وعَلَّمَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ أُمَّتَهُ، قيل: نزلت حين قال كفار مكـة: «وَما الرَّحْمَـنُ»[2]، قال: الرَّحْمَنُ الذِي عَلَّمَ القُـرْآنَ، وقيل: هو جواب لَهُمْ حيـن قالوا: «إنّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ»[3]، و«الرَّحْمَنُ» رفع بالابتداء، وخبره قوله: «عَلَّمَ الْقُرْآنَ».

قوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ يعني آدم عليه السّلام ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ أسْـماءَ كُلِّ شـيءٍ، وقيل: عَلَّمَهُ اللغاتِ كُلَّها، فكان يتكلم بسبعمائة ألف لُغةٍ، أفْضَلُها العَرَبِيّةُ، وقيل: أراد بالإنسـان جميع الناس؛ لأن الإنسـان اسمُ جِنْسٍ، ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ بيَـانَ الحلال والحرام، وبيَّنَ له طَرِيقَ الخَيْرِ والشَّـرِّ وما يأتِي ومـا يَذَرُ، لِيَحْتَجَّ بذلك عليه، وعَلَّمَهُ النُّطْـقَ والتَّمْيِيزَ والكتابة والخَطَّ والفَهْمَ والإفْهامَ، حَتَّى عَرَفَ ما يقول وما يُقالُ له.

قوله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ۝٥﴾؛ أي: يَجْرِيانِ بِحِسـابٍ ومَنازِلَ لا يَعْدُوانِها، وهما يَدُلاَّنِ على عدد الشهور والسنين والأوقات، والحُسْبانُ يكون مصدرا، يقال: حَسَبَ حُسْبانًا، مثل الغُفْرانِ والكُفْرانِ والرُّجْحانِ والقُرْبانِ[4]،

---

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢١٧، زاد المسير ٨/ ١٠٦.

(٢) الفرقان ٦٠.

(٣) النحل ١٠٣.

(٤) هذا قول الفراء والأخفش وثعلب والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١١٢، معانِي =

وارتفـع «الشَّـمْسُ والْقَمَرُ» بإضمار فعـل، مجازه: الشـمس والقمر يجريان بحسبان[١]، وقيل[٢]: هو مبتدأ وخبره فيما بعده.

فصل

قيل: «إنّ سَـعةَ الشمس تسعةُ آلاف فَرْسَخٍ، وأرْبَعُمِائةِ فَرْسَخٍ في مثلها، وسَـعةُ القَمَرِ أَلْفُ فَرْسَخٍ في أَلْفِ فَرْسَخٍ، مكتوبٌ في وجه الشمس: لا إله إلّا الله، محمد رسـول الله / ، خلق الله الشـمس بقدرته، وأجْراها بِأمْرِهِ وحِكْمَتِهِ، وفي بطنها مكتوب: لا إلـه إلّا الله، رِضاهُ كَلاَمٌ، وغَضَبُهُ كَلاَمٌ، ورَحْمَتُهُ كَلاَمٌ، وعَذابُهُ كَلاَمٌ، وفي وجه القمر مكتوبٌ: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، خلق الله الخَيْرَ والشَّـرَّ بِقُدْرَتِهِ، يَبْتَلِي بهما من شاء من خلقه، فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَى اللهُ الخَيْرَ على يديه، والوَيْلُ لِمَنْ أَجْرَى اللهُ الشَّرَّ على يديه»[٣].

قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ قيل: النَّجْمُ: هو ما ليس له سـاقٌ

= القـرآن للأخفـش ص ٤٩٠، الفصيح ص ٢٨١، معانِي القـرآن للنحاس ٤/ ٢٤٥، وينظر أيضًـا: التهذيـب ٤/ ٣٣٢، تصحيح الفصيح وشـرحه ص ١٩١، وذهب أبو عبيدة إلى أن الحُسْبانَ جمع حِسابٍ مثل شُهْبانٍ وشِهابٍ، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٤٢، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيـب ٤/ ٣٣٢، وحكاه الجوهري وغيره عن الأخفش، ينظر: الصحاح ١/ ١١١، تفسير القرطبي ١٧/ ١٥٣، اللسان: حسب.

(١) هـذا قول الأخفش في معانِي القرآن ص ٤٩٠، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣٠٣، ومعناه أن «الشَّـمْسُ» مبتدأ وخبره مضمر، وقوله: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ متعلق بهذا الخبر، والمعنى: الشمسُ والقَمَرُ يَجْرِيانِ بِحُسْبانٍ.

(٢) وهـذا الخبر هو قولـه: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ ، ذكره النحاس في إعراب القـرآن ٤/ ٣٠٣، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٢.

(٣) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٨٤/ أ، ٨٤/ ب، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٧٨.

من الأشـجار، ويَنْبَسِـطُ على وجه الأرض كالعُشْـبِ والبَقْلِ، وسُـمِّيَ نَجْمًا لِطُلُوعِهِ من الأرض، قاله الثعلبي[١]، والشَّجَرُ: ما كان له ساقٌ تَبْقَى فِي الشتاء، قاله الواحديُّ[٢]، قال زهير بن أبي سلمى:

٣٠٨ ـ مُكَلَّلٌ بِأُصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ رِيحُ الجَنُوبِ لِضاحِي مائِهِ حُبُكُ[٣]

وقوله: «يَسْـجُدانِ»؛ أي: يَخْضَعانِ للهِ، ويَذِلَّانِ له ويُعَظِّمانِه، والسُّـجُودُ: الخُضُـوعُ، والسّـاجِدُ مُعَظِّمٌ لِمَنْ سَـجَدَ له، وسُـجُودُهُما: سُـجُودُ ظِلِّهِما[٤]، وقيل[٥]: سُـجُودُهُما: أنهما يَسْتَقْبِلَانِ الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ، ثم يَمِيلَانِ معها حتى

---

(١) الكشف والبيان ٩/ ١٧٨.

(٢) الوسيط ٤/ ٢١٨.

(٣) البيت من البسيط، لزهير يصف واديًا، ورواية ديوانه: «بِأُصُولِ النَبْتِ.... رِيحٌ خَرِيقٌ».

اللغة: المُكَلَّلُ: ما كان حول النَّبْتِ كالإكْلِيلِ، النَّجْمُ: الثَّيِّلُ وهو يَنْبُتُ على شطوط الأنْهار، واحدته نَجْمةٌ، نَسَـجَتِ الرِّيحُ الماءَ: ضَرَبَتْهُ فانْتَسَجَتْ فيه طَرائِقُ، الحُبُكُ: طَرائِقُ فِي الماء تَصْنَعُها الرِّيحُ، واحِدَتُهُ حَبِيكةٌ وحِباكٌ.

التخريج: ديوانه ص ١٧٦، مجاز القرآن ٢/ ٢٢٥، جمهرة اللغة ص ٢٨٣، إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٦، الزاهر ١/ ٣٤٢، المحتسـب ٢/ ٣٨٧، المخصص ٩/ ١٤٩، أسـاس البلاغة: حبك، الكشاف ٤/ ١٤، المحرر الوجيز ٥/ ١٧٢، عين المعانِي ورقة ١٢٦/ ب، تفسـير القرطبـي ١٧/ ٣٢، ١٥٣، اللسـان: حبـك، خرق، نجم، نسـج، البحـر المحيط ٨/ ١٣١، الدر المصون ٦/ ١٨٤، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٦١، ٢٩٨، التاج: نسج، حبك، نجم.

(٤) قاله النقاش في شـفاء الصدور ورقة ٨٤/ ب، وينظر: الوسـيط ٤/ ٢١٨، وحكاه القرطبي عن الضحاك في تفسيره ١٧/ ١٥٤.

(٥) قالـه الفراء فـي معانِي القرآن ٣/ ١١٢، وينظر: الأضداد لابـن الأنباري ص ٢٩٧، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥٠.

يَنْكَسِرَ الفَيْءُ، والسُّجُودُ من جميع المَواتِ: الاستسلامُ والانقيادُ لِما سُخِّرَ له[١].

قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ نصب بإضمار فعل؛ أي: رَفَعَ السَّماءَ بغير عمد من تحتها، ولا علاقةٍ من فوقها، ورفعها عن الأرض مسيرة خمسمائة عام، فجعلها سَقْفًا على خَلْقِهِ محفوظًا.

قوله: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ يعني: الذي يُوزَنُ به، فجعله عَدْلاً بين الناس فِي الأرض في معاملتهم، لِيُوصَلَ به إلى الإنصاف والانتصاف.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ يعني: بَسَطَها على الماء، وجعلها فِراشًا ومِهادًا لجميع الخلق الذين بَثَّهُمْ فيها، ونصب الأرض بإضمار فعل؛ أي: وَضَعَ الأرضَ للأنام ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ يعني: جَعَلَ في الأرض أنواعَ الفاكهة وما يُتَفَكَّهُ به من أَلْوانِ الثمار والنِّعَمِ التي لا تُحْصَى ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١﴾ يعني أوْعِيةَ الثَّمَرِ، واحدها كُمٌّ، وأكْمامُها: اللِّيفُ المُلْتَفُّ المُسْتَدِيرُ عليها، التي تَخْرُجُ منها الثَّمَرةُ، فهي كالكُمِّ لها، وغِلافُ كُلِّ شَيْءٍ: كُمُّهُ، وكل ما يَسْتُرُ شيئًا فهو كُمٌّ وكُمّةٌ، ومنه: كُمُّ القميص، ويقال لِلْقَلَنْسُوةِ: كُمّةٌ[٢]، قال الشاعر:

٣٠٩ـ فَقُلْتُ لَهُمْ: كِيلُوا بِكُمّةِ بَعْضِكُمْ دَراهِمَكُمْ، إنِّي كَذاكَ أكِيلُ[٣]

---

(١) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٤٣٦.

(٢) ينظر في معنى الكُمِّ والكُمّةِ: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٩٧، شفاء الصدور ورقة ٨٥/ أ، التهذيب ٩/ ٤٦٦، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥١، الكشف والبيان ٩/ ١٧٨، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١٥٦.

(٣) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، ولِعُبَيْدِ اللهِ الجُعْفِيِّ بَيْتٌ يشترك مع هذا البيت في الصدر، وهو قوله: =

[١٩٧/ أ] / قولـه: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ قرأهـا العامة كُلَّها مرفوعةً عطفًا على الفاكهة، ونصبها ابن عامر كُلَّها على معنى: خَلَقَ الإنسـانَ، وخَلَقَ هذه الأشـياءَ، والوجه الرَّفع(١)، وقرأ أهل الكوفة إلّا عاصمًا: ﴿والرَّيْحانِ﴾(٢) بالجر عطفًا على ﴿العَصْفِ﴾.

والحَـبُّ: جَمِيعُ الحُبُـوبِ، والعَصْفُ: وَرَقُ الزرع، قال ابن السـكيت: تقـول العرب لورق الـزرع: العَصْفُ والعَصِيفةُ والجِلُّ بكسـر الجيم(٣). قال عَلْقَمةُ بن عَبَدَةَ:

٣١٠ـ تَسْقِي مَذانِبَ قَدْ مالَتْ عَصِيفَتُها حَدُورُهـا مِنْ أَتِيِّ المـاءِ مَطْمُومُ(٤)

= أقـولُ لَهُـم: كيلوا بِكُمّةِ بَعضِكُم وَلا تَجعَلوني في النَدى كابنِ مالِكِ

التخريـج: الكشـف والبيـان ٩/ ١٧٩، عيـن المعانِي ورقـة ١٢٩/ ب، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٥٦، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٠٥.

(١) الرفع والنصب كلاهما جائز في اللغة، والنصب قرأ به أحد القُرّاءِ السبعة بالإضافة إلى غَيْرِهِ، وقال الفراء: «وهي في مصاحف أهل الشام: ﴿وَٱلْحَبَّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾. معانِي القرآن ٣/ ١١٤، فـلا يصح بعد هذا كله أن يقول المؤلف هنا: «والوجه الرفـع»، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠٥، معانِي القراءات للأزهري ٣/ ٤٤، الحجة للفارسي ٤/ ١٣ـ ١٤.

(٢) قـرأ ابن عامـر وأبو حيوة وابن أبِي عبلـة: «والْحَبَّ ذا العَصْفِ والرَّيْحـانَ» بالنصب، وقرأ حمزة والكسـائي وخلف والأصمعي عن أبِي عمـرو والأعمشُ: ﴿والرَّيْحانِ﴾ بالخفض. ينظر: السبعة ص ٦١٩، البحر المحيط ٨/ ١٨٨، الإتحاف ٢/ ٥٠٩.

(٣) لَـمْ أقف على قوله فـي كتبه، وقال الأزهـري: «ابن السـكيت: والجِلُّ: قَصَبُ الـزَّرْعِ إذا حُصِـدَ». تهذيـب اللغة ١٠/ ٤٨٩، وأمـا القول الذي ذكره المؤلف هنا فهو في الكشـف والبيان للثعلبي ٩/ ١٧٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٥٧.

(٤) البيت من البسيط، لعَلْقَمةَ بن عَبْدةَ، ويُرْوَى: «**زالَتْ عَصِيفَتُها**»، ويُرْوَى: «**طالَتْ**»، ويُرْوَى: «**جُدُورُها**».

اللغـة: المَذانِبُ: جمـع مِذْنَبةٍ ومِذْنَبٍ، وهي المِغْرَفةُ، العَصِيفـةُ والعَصْفُ: ما يَيْبَسُ من =

والرَّيْحانُ قيل: هو الرِّزْقُ في قول الأكثرين، وقيل: هو الرَّيْحانُ الذي يُشَمُّ[1]، قال الشاعر:

٣١١ ـ سَلَامُ الإلَهِ وَرَيْحانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَماءٌ دِرَرْ[2]

ثم خاطَبَ الجِنَّ والإنْسَ بلفظ التثنية على عادة العرب، فقال: ﴿فَبِأَيِّ

= الزرع فَيُؤْكَلُ، مالَتْ عَصِيفَتُها: جُزَّ ثُمَّ سُقِيَ لِيَعُودَ وَرَقُهُ، الحَدُورُ: ما انحدر منها، والجُدُورُ جمع جَدْرٍ وهو الجانب، أَتِيُّ الماءِ: كُلُّ مَسِيلٍ سَهَّلْتَهُ لِماءٍ، والأَتِيُّ: النهر يسوقه الرجل إلى أرضه، مطموم: مغمور بالماء.

التخريج: ديوانه ص ٥٠، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٢، المفضليات ص ٣٩٨، جمهرة اللغة ص٨٨٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٩٧، الحجة للفارسي ٤/ ١٣، شرح المفضليات للتبريزي ص١٣٣٠، الكشف والبيان ٩/ ١٧٩، المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥، أساس البلاغة: طمم، منتهى الطلب ١/ ١٨٧، تفسير القرطبي ١٧/ ١٥٧، ٢٠/ ١٩٩، اللسان: جدر، عصف، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٠٨، التاج: جدر، عصف.

(١) هذا القول والذي قبله قالهما الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١١٣-١١٤، وينظر: جامع البيان ٢٧/ ١٥٩-١٦٠، الصحاح ١/ ٣٧١، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص١٥١، الكشف والبيان ٩/ ١٧٩، الوسيط ٤/ ٢١٨، زاد المسير ٨/ ١٠٩.

(٢) البيت من المتقارب، لِلنَّمِرِ بن تَوْلَبٍ.

اللغة: رَيْحانُ الله: رِزْقُهُ، أو هو الرَّيْحانُ الذي يُشَمُّ، دِرَرٌ: جمع دِرّةٍ والدِّرّةُ في المطر: أن يَتْبَعَ بعضُهُ بعضًا.

التخريج: ديوانه ص ٦٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٧، جامع البيان ٢٧/ ١٦١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٩٧، تهذيب اللغة ٥/ ٢٢١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٣٣، الحجة للفارسي ٤/ ١٣، الصحاح ص ٣٧١، ٦٥٦، المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥، تفسير غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥١، مجمع البيان ٩/ ٣٢٨، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، زاد المسير ٨/ ١٠٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٥٧، ٢٣٣، التبيان للطوسي ٩/ ٤٦٧، اللسان: درر، روح، التاج: روح، درر.

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾[١]، نظيرها قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢]، خاطَبَ الواحِدَ بلفظ الاثنين، وقد تقدم ذِكْرُهُ في سورة ق، ومعناه: فَبِأيِّ نِعَمِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ أيُّها الثَّقَلانِ.

والحكمة في تكرير هذه الآية في هذه السورة: تَقْرِيرٌ لِلنِّعْمةِ، وتَأْكِيدٌ في التذكير بها، على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع[٣]، والتكرار شائع في كلام العرب، حَسَنٌ في مثل هذا الموضع، قال الشاعر:

٣١٢ - كَمْ نِعْمةٍ كانَتْ لَكُمْ، كَمْ كَمْ وَكَمْ[٤]

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل.

(٢) ق ٢٤، ٣/ ١٤٩، وهذا أحَدُ وَجْهَيْنِ قالهما الفَرّاءُ، ثم قال: «والوجه الآخر أن الذِّكْرَ أُرِيدَ فِي الإنسان والجانِّ، فَجَرَى لهما من أول السورة إلى آخرها». معانِي القرآن ٣/ ١١٤، وقال ابن قتيبة: «وقال الله تعالى في أول سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ولَمْ يَذْكُرْ قَبْلَ ذلك إلا الإنسانَ، ثم خاطَبَ الجانَّ معه؛ لأنه ذَكَرَهُمْ بَعْدُ، وقال: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾. تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٨، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣٠٥، شفاء الصدور ورقة ٨٥/ أ، تهذيب اللغة ١٥/ ٥٠٧-٥٠٨، المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٦، تفسير القرطبي ١٧/ ١٥٩.

(٣) قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٩-٢٤٠، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٨٥/ ب، الوسيط ٤/ ٢١٩، زاد المسير ٨/ ١١٠-١١١، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٠.

(٤) من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى: «كانَتْ لَهُ».

التخريج: معانِي القرآن للفراء ١/ ١٧٧، تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٦، شفاء الصدور ورقة ٨٥/ ب، الصاحبي ص ١٧٧، الصناعتين ص ٢١٣، أمالِيُّ المرتضى ١/ ١٢١، الكشف والبيان ٩/ ١٨٠، زاد المسير ١/ ١٨٩، ٧/ ٢٥٨، ٨/ ١١١، مجمع البيان ١٠/ ٤٦٤، عين المعانِي ورقة ١٢٩/ ب، القرطبي ١٧/ ١٦٠، التبيان للطوسي ١/ ١٥، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣١٢.

وقال آخر:

٣١٣ ـ لاَ تَقْطَعَنَّ الصَّدِيقَ ما طَرَفَتْ عَيْنَاكَ مِنْ قَوْلِ كاشِحٍ أشِرْ
وَلاَ تَمَلَّنَّ مِنْ زِيارَتِهِ زُرْهُ، وَزُرْهُ، وَزُرْ، وَزُرْ، وَزُرْ[1]

فَكَرَّرَ اللَّفْظَ فِي بَيْتٍ واحِدٍ مِرارًا تأكيدًا لِفَرْطِ العناية.

فصل

عن جابر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ على أصحابه سورة الرحمن فَسَكَتُوا، فقال: «لَقَدْ قَرَأْتُها على الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ، فكانوا أَحْسَنَ منكم، كُلَّما أتَيْتُ على قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قالوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الحَمْدُ»[2].

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني آدم عليه السّلام / ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ تقدم تفسير الصلصال في سورة الحِجْرِ[3]، والفَخّارُ هو

---

(١) البيتان من المنسرح، لم أقف على قائلهما، وجاء الثاني في الأصل هكذا: «زره وزره وزره وزره وزره»، وهو سهو من الناسخ فيما يبدو.
اللغة: الكاشح: العَدُوُّ المُبْغِضُ الذي يُضْمِرُ لك العداوةَ، ويَطْوِي عليها كَشْحَهُ؛ أي: باطنه.
التخريج: الكشف والبيان ٩/ ١٨٠، عين المعاني ورقة ١٢٩/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٠، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣١٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٧٣-٧٤ أبواب تفسير القرآن: سورة الرحمن، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٧٣ كتاب التفسير: سورة الرحمن، وينظر: الوسيط ٤/ ٢١٩، مجمع الزوائد ٧/ ١١٧ كتاب التفسير: سورة الرحمن.

(٣) الآية ٢٦، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

الخَـزَفُ الذي طُبِـخَ في النار، ومعناه: من طِينٍ يابِـسٍ كالخَزَفِ[١]، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ يعنـي أبـا الجِـنِّ[٢] ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ وقـال أبـو عبيدة[٣]: الجانُّ: واحِدُ الجِنِّ.

والمـارِجُ: لَهَبٌ صافٍ لا دُخانَ فيه، وقيل: هو لِسـانُ النّارِ الذي يكون فـي طَرَفِهـا إذا الْتَهَبَتْ، وهو أحْسَـنُها، وقيل: هو ما اخْتَلَـطَ بَعْضُهُ في بَعْضٍ مـن اللهب الأحمـر والأخضر والأصفر الذي يَعْلُو النـارَ إذا أُوقِدَتْ[٤]، وهو مأخوذ من قولهم: مَرَجَ الشَّـيْءُ: إذا اخْتَلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، و«مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَماناتُهُمْ»[٥].

قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ قيل[٦]: إن لِلشَّمْسِ ثَلَاثَمِائَةٍ وسِتِّينَ مَطْلِعًا فِي كل سنة، وثَلاثَمِائَةٍ وسِتِّينَ مَغْرِبًا، تَطْلُعُ في كل يوم في مَشْرِقٍ منهـا، ثم لا تَعُـودُ إليه إلى قابِلٍ من ذلك، وتَغْرُبُ في كل يوم في مَغْرِبٍ منها، ثم لا تَعُودُ إليه إلى قابِلٍ من ذلك، وأراد بالمَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْنِ هاهنا مَشْرِقَهُما

---

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٣، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٥١، الوسيط للواحدي ٤/ ٢٢٠.

(٢) قاله نشوان الحميري في شمس العلوم ٢/ ٩٤٠.

(٣) لَـمْ أقف عليه في مجاز القرآن، وإنما ذكره الثعلبي في الكشـف والبيان ٩/ ١٨١، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٦١.

(٤) هذه الأقوال في معنى المارج تنظر في: جامع البيان ٢٧/ ١٦٤-١٦٦، شفاء الصدور ورقة ٨٦/ أ، الكشف والبيان ٩/ ١٨١، زاد المسير ٨/ ١١٠، الفريد للهمداني ٤/ ٤٠٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٦١.

(٥) هذا جزء من حديث سبق تخريجه في سورة ق، ٣/ ١٤٠.

(٦) رواه الطبري عن ابن أبْزَى في جامع البيان ٢٧/ ١٦٦، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٨٦/ أ.

في الشتاء، ومَشْرِقَهُما في الصيف، ومَغْرِبَهُما في الشتاء ومَغْرِبَهُما في الصيف، قاله ابن عباس(١).

وهو رفع على إضمار مبتدأ، ويجوز أن يكون بَدَلًا من المضمر الذي في «خَلَقَ»، ويجوز الخفض(٢) بمعنى: فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ رَبِّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ المَغْرِبَيْنِ، ويجوز النصب بمعنى: أعْنِي(٣).

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ أراد: في كل عام مَرّةً؛ أي: خَلَطَهُما، وقيل: أرْسَلَهُما، ومنه يقال: أمْرَجْتُ الدّابّةَ: إذا رَعَيْتَها، ومَرَجْتُ دابَّتِي: إذا خَلَّيْتَها تَرْعَى في المَرْجِ(٤).

وعَنَى بالبَحْرَيْنِ بَحْرَ فارِسَ والرُّومِ، وأحدهما عَذْبٌ، والآخَرُ مِلْحٌ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ يعني حاجِزًا ومانِعًا من الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾؛ أي: لا يَبْغِي أحَدُهُما على الآخر، فَيُغَيِّرُ هذا طَعْمَ هذا، ولا يَخْتَلِطانِ، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة: «يُخْرَجُ»(٥) بضم الياء وفَتْحِ

---

(١) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٨٦/ ب، عين المعاني ورقة ١٢٩/ ب، البحر المحيط ٨/ ١٨٩.

(٢) وقد قرأ: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بالخفض أبو حيوة وابنُ أبِي عَبْلَةَ وأبو البَرَهْسَمِ، ينظر: الكامل لابن جبارة ورقة ٤٧٧، شواذ القراءة للكرماني ورقة ٢٣٤، البحر المحيط ٨/ ١٨٩.

(٣) من أول قوله: «وهو رفع على إضمار مبتدأ...» قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٠٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٣.

(٤) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٧٧، ٢٤٣، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٨، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ورقة ٨٦/ ب، غريب القرآن للسجستاني ص ١٥١.

(٥) هذه قراءة نافع وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب واليَزِيدِيِّ، ورَوَى حُسَيْنٌ الجُعْفِيُّ عن أبي عمرو: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤَ والمَرْجانَ﴾، ينظر: السبعة ص ٦١٩، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٣، البحر المحيط ٨/ ١٩٠، الإتحاف ٢/ ٥١٠.

[١٩٨/ أ] الرّاءِ على غير تسمية الفاعل / وهو الاختيار، من الإخْراجِ؛ لأنه يُخْرَجُ ولا يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ، وقرأ الباقون على الضِّدِّ منهما على الاتِّساعِ، وذلك أنه إذا أُخْرِجَ خَرَجَ[(١)].

وقولـه: «مِنْهُما» يعني: من البَحْرَيْنِ، قال أهل المعانِي: وإنما يُخْرَجُ من أحَدِهِمـا، وهو المِلْح دون العَذْبِ، ولكنَّ الله تعالى ذَكَرَهُما وجَمَعَهُما، وهما بَحْرٌ واحدٌ، فإذا خَرَجَ من أحَدِهِما فقد خَرَجَ منهما، هذا قول الزَّجّاجِ[(٢)].

وقال أبو عَلِيٍّ الفارسـيُّ[(٣)]: أراد: مـن أحدهما، فحذف المضاف. وهذا جائـز فِي كلام العرب أن يُذْكَرَ شَـيْئانِ، ثم يُخَصُّ أحَدُهُمـا بِفِعْلٍ دون الآخَرِ، كقوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾[(٤)]، والرُّسُلُ من الإنْسِ دون الجِنِّ، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾[(٥)]، وإنما هو في واحِدةٍ من السماوات.

وقولـه: ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ قـال الفـراء[(٦)]: اللُّؤْلُؤُ: ما عَظُـمَ من الدُّرِّ، واحدتها لُؤْلُؤةٌ، والمَرْجانُ: ما صَغُرَ. وهذا قول جميع أهل اللغة[(٧)].

---

(١) ينظر: معانِي القراءات ٣/ ٤٥، الحجة للفارسـي ٤/ ١٥، الكشـف عـن وجوه القراءات ٢/ ٣٠١، الوسيط ٤/ ٢٢٠.

(٢) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٠.

(٣) قال الفارسي: «وقال: «يَخْرُجُ مِنْهُما»، وإنما يخرج من أحدهما على حذف المضاف، كما قـال: ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ على ذلك». الحجة ٤/ ١٥، وينظر: الإغفال ٢/ ٢١١- ٢١٢.

(٤) الأنعام ١٣٠.

(٥) نوح ١٦.

(٦) قال الفراء: «واللُّؤْلُؤُ: العِظامُ، والمَرْجانُ: ما صَغُرَ من اللُّؤْلُؤِ». معانِي القرآن ٣/ ١١٥.

(٧) ينظـر: مجاز القرآن ٢/ ٢٤٤، غريـب القرآن لابن قتيبـة ص ٤٣٨، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٠، تهذيب اللغة ١١/ ٧٢، الصحاح ١/ ٣٤١.

وقرأ أبو بكر بن عَيّاشٍ: «اللُّوْلُؤُ» بترك الهمزة الأولى[1] بناءً على أصله، قال جَبَلةُ بن عَدِيٍّ الكِنْدِيُّ الذي يقال له: الذّائِدُ:

٣١٤ ـ أَذُودُ القَوافِـيَ عَنِّي ذِيادا ذِيـادَ غُـلامٍ يُبَـقِّي جِيـادا
وَأَعْزِلُ مَـرْجـانَـهـا جـانِبًـا وَآخُـذُ مِنْ دُرِّها المُسْـتَجادا[2]

قولـه تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ يعني السُّـفُنَ الجاريـةَ في الماء ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ أي المرفوعات، والوجه فتح الشين، ومَنْ كَسَرَ[3] أراد: المُنْشِئاتُ السَّيْرَ، أي: اللّاتِي ابْتَدَأَتْ وأَنْشَـأَتِ السَّيْرَ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: كالجِبالِ، والعَلَمُ: الجَبَلُ الطويل، و﴿ٱلْجَوَارِ﴾ رفع على الخبر لِلّامِ الزائدة.

---

(١) هذه قراءة أبي بكر بن عَيّاشٍ وأبي جعفر، وأبي عمرو بخلاف عنه. ينظر: النشـر ١/ ٣٩٠، ٣٩٤، الإتحاف ٢/ ٥١٠.

(٢) البيتان من المتقارب، لامْرِئِ القَيْسِ الأكْبَرِ بن بكر بن امرئ القيس الكِنْدِيِّ، ونُسِـبا لامرئ القيس بن حُجْرٍ، ولَمْ يَنْسُبْهُما لِجَبَلَةَ بن عَدِيٍّ الكندي إلّا ابنُ الأنباريِّ، فقد قال: «حدثنا أبِي قال: حدثنا أحمدُ عن الهيثم عن الكلبيِّ عن أبِي صالح وعبدِ الوهاب عن مجاهد في قوله: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قـال: اللؤلؤ: عِظـامُ اللُّؤْلُؤِ، والمَرْجانُ: اللُّؤْلُـؤُ الصِّغارُ، قال الكلبي: وهي بِلُغةِ أهل اليمن، وأنشـدنِي شِـعْرَ جَبَلَةَ بن عَدِيٍّ الكِنْدِيِّ الـذي يقال له: الذائد: أَذُودُ القَوافِيَ... إلخ». إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٤، ٧٥.

التخريـج: ديوان امـرئ القيـس ص ٢٤٨، إيضاح الوقـف والابتـداء ص ٧٥، المؤتلف والمختلف ص ١٠، العمدة ١/ ٢٠٠، التنبيه والإيضاح ١/ ٢١٩، اللسـان: مرج، المزهر ٢/ ٤٣٨، التاج: ذود.

(٣) قرأ حمزةُ، وأبو بكر عن عاصمٍ، وابنُ وَثّابٍ والأعمشُ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ وطلحةُ: «المُنْشِئاتُ» بكسر الشين، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١١٥، السبعة ص ٦١٩-٦٢٠، معانِي القراءات ٣/ ٤٦، الحجة للفارسـي ٤/ ١٥-١٦، الوسـيط ٤/ ٢٢٠، البحر المحيط ٨/ ١٩١، الإتحاف ٢/ ٥١٠-٥١١.

قولـه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: علـى الأرض ﴿فَانٍ (٢٦)﴾؛ أي: هالِكٌ، وهو ابتداء وخبر ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾؛ أي: رَبُّكَ الظّاهِرُ بأدِلَّتِهِ ظُهُورَ الإنسـانِ بوجهه ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ والعظمة والكبريـاء ﴿وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾؛ أي: المُتَكَرِّمُ على أنبيائه وأوليائه بِلُطْفِهِ مع جلاله وعظمته، و«ذُو الجَلاَلِ» نعت لـ«وَجْهُ رَبِّكَ».

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: يسأله مَنْ في السماوات المغفرةَ، ويسـأله مَنْ في الأرض الرزقَ والمغفرةَ، لا يَسْتَغْنِي عنه أَهْلُ السماء ولا أَهْـلُ الأرض ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾ الشـأنُ: الأمْـرُ والحـالُ، ومعناه أنه يُحْيِي ويُمِيتُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعافِي ويَبْتَلِي، ويَفُكُّ أَسِيرًا ويَجْبُرُ كَسِيرًا، ويَغْفِرُ ذَنْبًا ويَكْشِفُ كَرْبًا، ويُجِيبُ داعِيًا ويُعْطِي سائِلًا، ويَفْعَلُ ما يشاء، لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عن شَأْنٍ، ونصب «كُلَّ يَوْمٍ» على الظرف.

فصل

عن عبد الله بن مسعود قال: تَلا علينا رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيَة: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَـأْنٍ»، فقلنا: يا رسول الله: ما / ذلك الشأنُ؟ قال: «يَغْفِرُ ذَنْبًا، ويُفَرِّجُ كَرْبًا، ويَرْفَعُ قَوْمًا، ويَضَعُ آخَرِينَ»[1]. [١٩٨/ ب]

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إن مِمّا خَلَقَ اللهُ عزّ وجلّ لَوْحًا من دُرّةٍ بَيْضـاءَ، دَفَّتاهُ ياقوتة حمـراء، قَلَمُهُ نُورٌ، وكتابه نور، يَنْظُـرُ اللهُ فيه كُلَّ يَوْمٍ

(١) رُوِيَ هذا الحديث عن أَبِي الدَّرْداءِ، وعن عبد الله بن منيب الأزدي، لا عن عبد الله بن مسعود كما ذكر المؤلف، رواه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٥ كتاب التفسير: سورة الرحمن، ورواه ابن ماجه في سـننه ١/ ٧٣ باب فيما أَنْكَرَتِ الجَهْمِيّةُ، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٣/ ٢٧٨، ٦/ ٣٦٢، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٧/ ١١٧ كتاب التفسير: سورة الرحمن.

ثَلاَثَمِائةٍ وستين نَظْرةً، يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(١)].

قيل[(٢)]: نزلت هذه الآية في اليهود، حين قالوا: إن الله لا يَقْضِي يَوْمَ السبت شيئا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ يعني الإنس والجن، قرأ عبد الله بن مسعود وأُبَيُّ بنُ كعب: ﴿سَنَفْرُغُ إِلَيْكُمْ﴾[(٣)]، وقرأ الأعمش: ﴿سَيُفْرَغُ﴾[(٤)] بضم الياء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل، وقرأ الأعرج بفتح النون والراء[(٥)]، قال الكسائي[(٦)]: هي لغة تميم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى بفتح الياء وضم الراء[(٧)]، واختاره أبو عبيد، اعتبارًا بقوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي

(١) رواه الطبري في جامع البيان ٢٧/ ١٧٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٧٤، ٥١٩ كتاب التفسير: سورة الرحمن، وسورة البروج، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٨٤، الوسيط ٤/ ٢٢٢، الدر المنثور ٦/ ١٤٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٨٤، زاد المسير ٨/ ١١٤.

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٠٢، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٨.

(٤) وقرأ بها أيضًا الأعمشُ وأبو حَيْوةَ بخلاف عنهما، وابنُ أَبي عبلة والنَّخْعِيُّ والزَّعْفَرانِيُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٠، المحتسب ٢/ ٣٠٤، القرطبي ١٧/ ١٦٨-١٦٩، البحر ٨/ ١٩٢.

(٥) قرأ الأعرج وقتادة ويحيى بن عمارة الزراع والأعمش وابن إدريس، وهُبَيْرةُ عن حفص عن عاصم: ﴿سَنَفْرَغُ﴾. ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٠، المحتسب ٢/ ٣٠٤، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٩، البحر المحيط ٨/ ١٩٢.

(٦) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ١٨٥، والقرطبي ١٧/ ١٦٩، وحكاه النحاس عن أَبِي عبيد في إعراب القرآن ٤/ ٣٠٩، وحكاه الفارسي عن الأخفش في الحجة ٤/ ١٦٠، وينظر: عين المعانِي للسجاوندي ورقة ١٣٠/ أ.

(٧) وقرأ بها أيضًا الأعمشُ وأبو حَيْوةَ والأعرجُ وطلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ، ينظر: مختصر =

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فَأَتْبَعُوا الخَبَرَ الخَبَرَ، وقرأ الباقون بفتح النون وضم الراء[1]، واختاره أبو حاتم، وقرأ ابن عامر: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلاَنِ﴾ بضم الهاء، ومثله في النور والزخرف[2].

ومعنى الآية: سَنَقْصِدُ لَكُمْ ونُجازِيكُمْ، وسَنُجازِيكُمْ على أعمالكم بما تَسْتَحِقُّونَ عليها أَيُّها الثَّقَلاَنِ، وليس معنى قوله: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ عن شغل، وإنما هو من كلام العرب، تقول: سَأَفْرُغُ لك، تريد بذلك تَوَعُّدًا وتَهَدُّدًا، أي: أَقْصِدُ قَصْدَكَ[3].

قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ الأقطار جمع قُطْرٍ، وهي الجوانب والنواحي والأطراف، وإنما قال: «إِنِ اسْتَطَعْتُمْ»، وَلَمْ يقل: اسْتَطَعْتُما؛ لأنهما فريقان في حال الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾[5].

ورفع ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لأن معناه الإخبارُ دُونَ النَّهْيِ، بخلاف قوله تعالى:

= ابن خالويه ص ١٥٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٣٦، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٩، البحر المحيط ٨/ ١٩٢، الإتحاف ٢/ ٥١١.

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وعيسى بن عمر: ﴿سَنَفْرُغُ﴾، وهي لغة الحجاز. ينظر: السبعة ص ٦٢٠، تفسير القرطبي ١٧/ ١٦٩، الإتحاف ٢/ ٥١١.

(٢) النور ٣١، والزخرف ٤٩، وينظر ما سبق في هذه القراءة في سورة النور ١/ ٣٢٢.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٨٧/ ب، وينظر: الصناعتين للعسكري ٢٠٤، ٢١٣.

(٤) النمل ٤٥.

(٥) الحج ١٩.

﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[١]، و﴿لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ﴾[٢]، والباء في قوله: ﴿إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ﴾ بمعنى «إلى»، يعني إلَّا إلى سلطان، في قول بعض المفسرين / [١٩٩/ أ] كقوله تعالى: «وَقَدْ أَحْسَنَ بِي»[٣]؛ أي: إلَيَّ، ومنه قول الشاعر:

٣١٥- أَسِيئِي بِنا، أَوْ أَحْسِنِي، لا مَلُومةٌ ... لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[٤]

والسُّلْطانُ: الحُجّةُ والبُرْهانُ، وهو جِوارٌ يُعْطِي اللهُ أَهْلَ الجَنّةِ، وقيل: معنى «إلّا بِسُلْطانٍ»؛ أي: بقدرة على ذلك، ولَمْ تُعْطَوْها، وقيل: إلّا بِمُلْكِي، حيث تَوَجَّهْتُمْ فَثَمَّ مُلْكِي، وأنا أَخَذْتُكُمْ بالموت، ومعنى السلطان القوة التي يُتَسَلَّطُ بها على الأمر، ثم المُلْكُ والقدرة والحجة والبرهان كلها سلطان.

ومعنى الآية: إن استطعتم أن تَهْرُبُوا من الموت بالخروج من أقطار السماوات والأرض فاهْرُبُوا واخرجوا منها، ولن تستطيعوا ذلك، إنكم حيثما كنتم أَدْرَكَكُم الموتُ، قال الله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾... الآية[٥].

---

(١) البقرة ٨٣.

(٢) البقرة ٨٤.

(٣) يوسف ١٠٠، وكون الباء هنا بمعنى «إلى» ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٨٦، وحكاه السجاوندي عن ابن عباس في عين المعانِي ١٣٠/ أ، وينظر: القرطبي١٧/ ١٧٠.

(٤) البيت من الطويل، لِكُثَيِّر عَزّةَ يذكر عزة، ويُرْوَى: «لَا مَلُولةٌ»، ومعنى «تَقَلَّتْ»: تَبَغَّضَتْ.

التخريج: ديوانه ص ١٠١، معانِي القرآن للفراء ١/ ٤٤١، معانِي القرآن للأخفش ص ١٣٠، ٣٤٢، معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ١٣، أماليُّ القالِي ٢/ ١٠٩، تهذيب اللغة ٤/ ٣١٨، الكشف والبيان ٩/ ١٨٦، أماليُّ ابن الشجري ١/ ٧٤-١٧٧، ٣/ ١٩٢، التنبيه والإيضاح ١/ ٢١، زاد المسير ٣/ ٤٥١، عين المعانِي ١٣٠/ أ، تفسير القرطبي ٨/ ١٦١، ١٧/ ١٧٠، ٢٠/ ٩٤، اللسان: حسن، سوأ، قلا، البحر المحيط ٦/ ٢٣، التاج: سوأ، قلي.

(٥) النساء ٧٨.

وقيـل: يقال لهم هـذا يوم القيامة، وفـي الخبر أنه يُحـاطُ على الخَلْقِ يـوم القيامة بالملائكة وبِلِسـانٍ مـن نار، ثم يُنـادَوْنَ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾(١)، فذلك قوله تعالـى: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا﴾ يعني: على الجن والإنس ﴿شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾؛ أي: فـلا تَمْتَنِعـانِ من ذلـك، ولا يَمْنَعُ أَحَدٌ أَحَدًا، والشُّـواظُ: القطعة من النار التـي لا دُخانَ فيها، والنُّحـاسُ: الدُّخانُ(٢)، قال النابغة:

٣١٦ـ يُضِيءُ كَضَوْءِ سِـراجِ السَّلِيـ ـطِ، لَـمْ يَجْعَـلِ اللهُ فِيهِ نُحاسـا(٣)

---

(١) ينظر هذا الخبر في الكشف والبيـان ٩/ ١٨٦، مجمع البيان ٩/ ٣٤٢، عيـن المعانِي ورقة ١٣٠/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧٠.

(٢) قاله ابن قتيبة والمبرد وأبو عمر الزاهد والنقاش، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٨، الكامل للمبرد ١/ ٣٧١، ٣٧٢، ياقوتة الصراط ص ٤٩٨، شفاء الصدور ٨٧/ ب.

(٣) البيت من المتقارب، للنابغة الجَعْدِيِّ، ونُسِـبَ للنابغة الذُّبْيانِيِّ، وليس في ديوانه، ويروى: «سِراجِ الذُّبالِ».

اللغة: السَّلِيطُ: الزيت، الذُّبالُ: جمع ذُبالةٍ وهي الفتيلة التي تُسْرَجُ.

التخريـج: ديوان النابغة الجعـدي ص ١٠٠، معانِي القرآن للفـراء ٣/ ١١٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٥، غريـب القـرآن لابـن قتيبـة ص ٤٣٨، الكامـل للمبـرد ١/ ٣٧٢، جامع البيان ٢٧/ ١٨٣، جمهرة اللغة ص ٥٣٦، تهذيب اللغة ٤/ ٣٢٠، معانِي القراءات ٣/ ٤٧، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٣٣٨، الحجة للفارسي ٤/ ١٧، الكشف والبيان ٩/ ١٨٧، الاقتضاب ٣/ ٢٨٥، الكشـاف ٤/ ٤٧، المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١، شـمس العلـوم ١٠/ ٦٥١٨، زاد المسير ٨/ ١١٦، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ أ، الفريد ٤/ ٤٠٩، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧٢، اللسـان: سـلط، نحس، البحر المحيط ٨/ ١٨٤، الدر المصـون ٦/ ٢٤٣، التاج: نحس، سلط.

قرأ ابن كثير وابن أَبِي إسحاق: «شِواظٌ» بكسر الشين، وقرأ غيرهما بالضم[١]، وهما لغتان مثل صِوارٍ وصُوارٍ[٢]، وهو اللَّهَبُ الذي لا دُخانَ فيه[٣]، قال حسان بن ثابت يهجو أُمَيّةَ بن أَبِي الصَّلْتِ:

٣١٧ ـ هَجَوْتُكَ فاخْتَضَعْتَ لَها بِذُلٍّ بِقافِيةٍ تَأَجَّجُ كالشُّواظِ[٤]

و﴿نُحاسٌ﴾ يقرأ بالرفع والخفض، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر السين[٥]

---

(١) قرأ ابن كثير وابن أَبِي إسحاق وابن محيصن والأعمش وعيسى بن عمر والحسن وشبل: «شِواظٌ» بكسر الشين، وقرأ الباقون بالضم. ينظر: السبعة ص ٦٢١، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧١، البحر المحيط ٨/ ١٩٣، الإتحاف ٢/ ٥١١.

(٢) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١١٧، وقال ابن السكيت: «أبو زيد قال: قال الكِلابِيُّونَ: شِواظٌ من نار، وقال غيرهم: شُواظٌ». إصلاح المنطق ص ١٠٦، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣١٠، معانِي القراءات ٣/ ٤٧، والصِّوار: القطيع من البقر، وجمعه صِيرانٌ وأَصْوِرةٌ. اللسان: صور.

(٣) قاله الخليل وأبو عبيدة وثعلب، ينظر: العين للخليل ٦/ ٢٧٨، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٤، مجالس ثعلب ص ٣٩٧، وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٩٩، الوسيط ٤/ ٢٢٣.

(٤) البيت من الوافر، لحسان بن ثابت، ورواية ديوانه:

مُجَلَّلَةً تُعَمِّمُكُمْ شَنارًا مُضَرَّمَةً تَأَجَّجُ كالشُّواظِ

اللغة: اخْتَضَعَ: ذَلَّ، تَأَجَّجُ: يريد: تَتَأَجَّجُ، فحذف إحدى التاءين، الشَّنار: العيب والعار، مُضَرَّمة: مشتعلة ملتهبة.

التخريج: ديوانه ص ١٩٨، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٣٨، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٣٣، الكشف والبيان ٩/ ١٨٦، المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧١، ٢٠/ ١٨١، البحر المحيط ٨/ ١٨٤، الدر المصون ٦/ ٢٤٣، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٣٢، روح المعانِي ٢٧/ ١١٢.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورَوْحٌ وابن مُحَيْصِنٍ والحَسَنُ واليَزِيدِيُّ وابن أَبِي إسحاق والنَّخْعِيُّ ومجاهد والكلبي وطلحة: ﴿وَنُحاسٍ﴾ بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع، ينظر: السبعة ص ٦٢١، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧١، البحر المحيط ٨/ ١٩٣، النشر ٢/ ٣٨١، الإتحاف ٢/ ٥١١.

عطفًا على النار، واختاره أبو حاتم، وقرأ الباقون بالرفع عطفًا على الشُّواظِ، واختاره أبو عبيد[١]، والمعنى: يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ، ويُرْسَلُ نُحاسٌ؛ أي: يُرْسَلُ هذا مَرّةً وهذا مَرّةً، ويَجُوزُ أن يُرْسَلا مَعًا من غير أن يَمْتَزِجَ أَحَدُهُما بالآخَرِ.

والرفع أقوى، والكَسْرُ ضعيف؛ لأنه لا يُمْكِنُ أن يُعْطَفَ به على «نارٍ» في قوله: «مِنْ نارٍ»؛ لأنه لا يكون شواظ من نحاس، قال أبو علي الفارسي[٢]: وهذا يجوز من وَجْهٍ على أنّ تَقْدِيرَهُ: يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ من نار وشَيْءٌ من نُحاسٍ، على أنه قد يُحْكَى أن الشُّواظَ لا يكون إلا من النارِ / والدُّخانِ جميعًا، [١٩٩/ ب] ونَحْوُ هذا حُكِيَ عن أَبِي عمرو، وقال النابغة:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِراجِ السَّلِيـ ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحاسا[٣]

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ فصارت أبوابًا لِنُزُولِ الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ يعني: مُشْرِقةً، وقيل[٤]: مُتَغَيِّرةً كَلَوْنِ الفَرَسِ الوَرْدِ، يكون في الربيع كُمَيْتًا أَصْفَرَ، فإذا ضربه الشتاءُ يكون كُمَيْتًا أَحْمَرَ، فإذا اشْتَدَّ الشتاءُ يكون كُمَيْتًا أَغْبَرَ، فَشَبَّهَ السماءَ في تَغَيُّرِها عند انشقاقها بهذا الفرس في أَوَّلِ تَلَوُّنِهِ.

---

(١) ينظر اختياره واختيار أبي حاتم في شمس العلوم ١٠/ ٦٥١٧.

(٢) الحجة ٤/ ١٧، ١٨، وهو اختصار لكلام الفارسي.

(٣) تقدم برقم ٣١٦، ٣/ ٢٦٦.

(٤) قاله ابن عباس والضحاك وقتادة والربيع والفراء، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٧، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٠١، شفاء الصدور ورقة ٨٨/ أ، الكشف والبيان ٩/ ١٨٧، عين المعاني ورقة ١٣٠/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧٣.

وقيل: تكـون كالوَرْدِ الأحْمَرِ، وقيل[1]: الدِّهـانُ: الأَدِيمُ الأحمرُ، وقال قتادة[2]: هـي اليومَ خَضْراءُ كما تَرَوْنَ، ولها يوم القيامة لَوْنٌ آخِذٌ إلى الحُمْرةِ، «كالدِّهانِ» جمع دُهْنٍ، والدُّهْنُ أَلْوانٌ، شَبَّهَ السماءَ بألوانه.

فصل

رُوِيَ عـن النبـي ﷺ أنه مَرَّ على شـابٍّ في جوف الليـل وهو يقرأ هذه الآيـة: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، فوقف الشّـابُّ، وخَنَقَتْهُ العَبْرةُ، وجَعَلَ يقول: وَيْحِي من يَوْمٍ تَنْشَـقُّ فيه السماءُ وَيْحِي! فقال النبي ﷺ: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لقد بَكَتِ الملائكةُ من بُكائِكَ»[3].

قولـه تعالـى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ يعنـي يـوم القيامـة ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ قال الحَسَـنُ: لا يُسْـأَلُونَ عن ذُنُوبِهـِمْ؛ لأن الله تعالى عَلِمَها منهم وحَفِظَها عليهم، وكَتَبَتِ الملائكةُ أقْوالَهُمْ وأفْعالَهُمْ، فلا يُسْـأَلُونَ سُؤالَ استفهام، ولكنْ يُسْأَلُونَ سُؤالَ تَقْرِيعٍ وتَوْبِيخٍ.

قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ هو سَوادُ الوُجُوهِ وزُرْقةُ الأعْيُنِ ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ تُجْعَلُ الأقدامُ مَضْمُومةً إلى النَّواصِي مِنْ خَلْفٍ ويُلْقَوْنَ فِي النار، ثـم يُقالُ لهـم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: نَضِيجٍ حارٍّ، قد انتهى حَرُّهُ، ومعنى الآية أنهم يَسْـعَوْنَ بين

---

(١) حـكاه ابن قتيبة والسجسـتانِيُّ بغير عزو، ينظر: غريب القـرآن لابن قتيبة ص ٤٣٩، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥٢، وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس في زاد المسير ٨/ ١١٨.

(٢) ينظر قوله في جامع البيان ٢٧/ ١٨٤، إعراب القرآن ٤/ ٣١٢، الوسـيط ٤/ ٢٢٣، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧٣.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٨٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧٦، الدر المنثور ٦/ ١٤٥.

الجحيم والحميم، فإذا استغاثوا من النار جُعِلَ غِياثُهُم الحَمِيمَ الآنِيَ الذي قد صار كالمُهْلِ.

قال كعب الأحبار[1]: هو وادٍ من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار، فَيُنْطَلَقُ بهم وهم في الأغلال، فَيُغْمَسُونَ في ذلك الوادي حتى تُخَلَّعَ أوصالُهُمْ، ثم يخرجون منه، وقد أَحْدَثَ الله تعالى لهم خَلْقًا جديدًا، فَيُلْقَوْنَ في النار، فذلك قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، وخفض الآنِي على النعت للحميم.

فصل

عن أنس بن مالك قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «والذي نفسي بِيَدِهِ: لقد خُلِقَتْ ملائكةُ جهنم قبل أن تُخْلَقَ جَهَنَّمُ بألف عام، فهم كُلَّ يَوْمٍ يَزْدادُونَ / [٢٠٠/ أ] قُوّةً إلى قُوَّتِهِمْ، حَتَّى يَقْبِضُوا على من قَبَضُوا عليه بالنواصي والأقدام»[2]. فنستجير بالله منهم ومن جهنم.

وعن مِرْدَوَيْهِ الصّائِغِ[3] قال: «صَلَّى بنا الإمامُ صلاةَ الصبح، فقرأ سورة الرحمن، ومعنا عَلِيُّ بنُ الفُضَيْلِ بنِ عِياضٍ[4]، فلما قرأ الإمام: ﴿يُعْرَفُ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٨٨، ١٨٩، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٧٥-١٧٦.

(٢) ينظر: الوسيط ٤/ ٢٢٤، الدر المنثور ٦/ ١٤٥.

(٣) هو عبد الصمد بن يزيد أبو عبد الله، ثقة، من أهل السُّنّة والورع، كان من أصحاب الفضيل ابن عياض، توفِّي سنة (٢٣٥هـ). [تاريخ بغداد ١١/ ٤٠، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩٣].

(٤) كان كثير العبادة والورع والخوف والخشية ثقةً عالمًا عاملاً، روى عن عبد العزيز بن أَبِي رَوّادٍ وغيرِهِ، روى عنه أبوه الفضيلُ بن عياض وأحمد بن يونس، توفِّي سنة (١٨٣هـ). [تهذيب الكمال ٢١/ ٩٦-١٠٦].

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾، خَرَّ مَغْشِيًّا عليه حتى فَرَغْنا من الصلاة، فلما كان بعد ذلك قلنا له: يا عَلِيُّ: أما سَمِعْتَ الإمامَ يقول: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾؟ قال: شَغَلَنِي عنها: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[١].

وكُلُّ ما ذَكَرَ اللهُ تعالى من قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ إلى قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ مَواعِظُ ومَزاجِرُ وتَهَدُّدٌ وتَخْوِيفٌ، وهي كلها نعمة من الله تعالى لِلانْزِجارِ به عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢].

ثم أَعْلَمَ ما لِمَنِ اتَّقاهُ وخافه بقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦)﴾ يعني مقامه بين يَدَيْ رَبِّهِ للحساب، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [٣].

قيل[٤]: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومعنى قوله: «جَنَّتانِ»؛ أي: بُسْتانانِ من الياقوت الأحمر والزُّمُرُّدِ الأخضر، تُرابُهُما الكافور والعَنْبَرُ، وحَمْأَتُهُما المِسْكُ الأَذْفَرُ[٥]، كل بستان منهما مسيرة مائة عام، في وسط كل بستان دار من نور، وقال مقاتل: هما جَنَّةُ عَدْنٍ وجَنَّةُ النَّعِيمِ، وقال

---

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ٢٢٤، زاد المسير ٨/ ١١٩.

(٢) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٢٥، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٧٦.

(٣) النازعات ٤٠-٤١.

(٤) ينظر: عين المعاني ١٣٠/ أ، القرطبي ١٧/ ١٧٨، لباب النقول ص١٨٦، الدر المنثور ٦/ ١٤٥.

(٥) الحَمْأَةُ: الطِّينُ، الأَذْفَرُ: الطَّيِّبُ الرّائِحةِ، يقال: ذَفِرَ الشَّيْءُ يَذْفَرُ ذَفَرًا فهو ذَفِرٌ وأَذْفَرُ: إذا اشْتَدَّ طِيبُ رائِحَتِهِ. اللسان: حمأ، ذفر.

أبو موسى الأشعري(١): جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين.

فصل

عن أَبِي الدَّرْداءِ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، فقلتُ: يا رسول الله: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟! قال: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْداءِ»(٢).

ثم وصفهما فقال تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: أغْصانٍ، وقيل: ألوان، وتثنية ذات: ذَواتا على الأصل؛ لأن أصل ذاتَ ذَوات، لكنْ حُذِفَت الواوُ تخفيفًا وللفرق بين الواحد والجمع، ودَلَّت التثنيةُ ورجوع الواو فيها على أصل الواحد(٣). وأفْنان جمع فَنَنٍ على قول من جعل أفنانًا بمعنى أغصان، ومن جعل أفنانا بمعنى أجناس وأنواع يكون الواحد / فَنًّا، وكان من حَقِّهِ أن يُجْمَعَ على فُنُونٍ(٤). [٢٠٠/ ب]

---

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٨٨/ ب.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٥٧، والنسائيُّ في السنن الكبرى ٦/ ٤٧٨ كتاب التفسير: سورة الرحمن، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢٢٥.

(٣) من أول قوله: «وتثنية ذات ذوات» قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٦، وهذا ما ذكره سيبويه من قبل، حين تحدث عن النسب إلى «ذُو»، فقال: «وأما الإضافة إلى رجل اسمه ذُو مالٍ فإنك تقول: ذَوَوِيٌّ، كأنك أضفتَ إلى ذَوًا، وكذلك فُعِلَ به حين أُفْرِدَ وجُعِلَ اسمًا رُدَّ إلى أصله؛ لأن أصله «فَعَلٌ»، يَدُلُّكَ على هذا قولُهُم: ﴿ذَوَاتَآ﴾. الكتاب ٣/ ٣٦٦، وحكى الأزهري عن الليث قال: «وتقول: هي ذاتُ مالٍ، وهما ذَواتا مالٍ، ويجوز في الشعر: ذاتا مالٍ، والتمام أحسن، قال الله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾. التهذيب ١٥/ ٤١، ٤٢، وينظر: كتاب الشعر للفارسي ص ١٥٤، ١٦٥، المسائل الحلبيات ص ١٥٦، الصحاح ٦/ ٢٥٥١، شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٠٦.

(٤) هذان الوزنانِ والمعنيانِ قالهما الزجاج والنحاس، ولكنهما استجادا الوجه الأول، وهو أن واحده فَنَنٌ، قال الزجاج: «والأفنان جمع فَنٍّ... والأفنان: الألوان، والأفنان: الأغصان، =

قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ قيل: تجريان من جَبَلٍ من مِسْكٍ على أهل الجنة بالزيادة والكرامة من الله تعالى، وقيل: تجريان بالماء الزُّلاَلِ، إحداهما التَّسْنِيمُ، والأخرى السَّلْسَبيلُ، وقيل: إحداهما من ماء غَيْرِ آسِنٍ، والأخرى من خمر لَذَّةٍ للشاربين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾؛ أي: صِنْفانِ ونَوْعانِ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ يعني: مُطْمَئِنِّينَ، والاتِّكاءُ: الطُّمَأْنينةُ، والاسم منه: التُّكَأةُ ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ﴾ جمع فِراشٍ ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بِطانةٍ، وهي التي تحت الظِّهارةِ[1] ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غَلُظَ من الدِّيباجِ وخَشُنَ ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ يعني: ثَمَرُها قَرِيبٌ، يَنالُهُ القائم والقاعد والمُضْطَجِعُ، ونصب «مُتَّكِئِينَ» على الحال.

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني: في الفُرُشِ التي ذكرها، ويجوز أن يكون في الجِنانِ؛ لأنها معلومة وإن لَمْ تُذْكَرْ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ غاضّاتُ الأعْيُنِ، قد قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ على أزواجهنَّ، فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم، قال ابن زيد[2]: إنها تقول لزوجها: وَعِزَّةِ رَبِّي ما أرى في الجنة شيئًا أحسنَ منك، فالحمد للهِ الذي

= واحدها فَنٌّ، وهو أجود الوجهين». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٢، وقال النحاس: «والأول أوْلَى بالصواب؛ لأن أكثر ما يجمع فَنٌّ فُنُونٌ، فَيُسْتَغْنَى بِجَمْعِهِ الكثير كما يقال: شِسْعٌ وشُسُوعٌ، ومنه: أَخَذَ فُلاَنٌ فِي فُنُونٍ من الحديث». إعراب القرآن ٤/ ٣١٤، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٥/ ٤٦٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٦.

(١) بِطانةُ البِساطِ: ما يَلِي الأرضَ منه، وظِهارَتُهُ: ما ظَهَرَ منه وعَلا، وأجاز الفَرّاءُ كَوْنَ الظِّهارةِ بِطانةً والبِطانةِ ظِهارةً، وبه قال قطرب وابن الأنباري؛ أي: أنه من الأضداد، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١١٨، الأضداد لقطرب ص ١٣٩-١٤٠، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٤٢، وهو قول الحسن كما ذكر أبو الطيب اللغوي في الأضداد ١/ ٦٧، وينظر: التهذيب ١٣/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) ينظر قوله في جامع البيان ٢٧/ ١٩٥، الكشف والبيان ٩/ ١٩١، الوسيط ٤/ ٢٢٧، البحر المحيط ٨/ ١٩٦.

جعلك زوجي، وجعلني زوجك، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾؛ أي: لَمْ يُجامِعْهُنَّ، ولَمْ يَفْتَرِعْهُنَّ، وقرأ الكسائي بِضَمِّ الميم هاهنا، وكَسَرَها في الثانِي كغيره[1]، قال الفراء[2]: الطَّمْثُ: الافْتِضاضُ، وهو النكاح بالتَّدْمِيةِ.

يقال[3]: طَمَثَ يَطْمُثُ ويَطْمِثُ، وطَمَثْتُ الجارِيةَ: إذا افْتَرَعْتَها، وأصله من الدَّمِ، ومنه قيل للحائض: طامِثٌ، كأنه قال: لَمْ يُدْمِهِنَّ أحَدٌ بالجِماعِ ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾، قال الشاعر:

٣١٨ - دُفِعْنَ إلَيَّ، لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي وَهُنَّ أصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعامِ[4]

---

(١) يعني في الآية ٧٤ من هذه السورة، وستأتي ص٢٨٠ فقد رَوَى كثيرٌ من الأئمة عن الكسائي ضَمَّ الميمِ في الأول وكَسْرَها في الثانِي، وخاصة عن الدُّورِيِّ، ورَوَى آخرون عن أبِي الحارث عن الكسائي كَسْرَ الميم فِي الأول وضَمَّها في الثاني، ورَوَى بَعْضُهُمْ عن أبِي الحارث عن الكسائي الكسرَ فيهما معًا، ورَوَى بعضُهم عنه ضَمَّهُما معًا، ورَوَى ابنُ مجاهد عن ثعلب عن سلمة بن عاصم عن أبِي الحارث عن الكسائيِّ الضَّمَّ والكَسْرَ فيهما، لا يُبالِي كيف يقرؤهما، ورَوَى الأكثرون عن الكسائي التخيير فيهما؛ أي: أنه إذا ضَمَّ الأوَّلَ كَسَرَ الثانِيَ، وإذا كَسَرَ الأوَّلَ ضَمَّ الثانِيَ، وقرأهما بالضم عَلِيُّ بن أبِي طالب وابنُ مسعودٍ وطلحة وعيسى بن عمر وأبو حَيْوةَ، قال الأزهري: «هما لغتان، طَمَثَ الرَّجُلُ الجارِيةَ البِكْرَ يَطْمِثُها ويَطْمُثُها: إذا دَمّاها حين جامَعَها». معانِي القراءات ٣/ ٤٨، وينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٩، الحجة للفارسي ٤/ ١٨-١٩، السبعة ص ٦٢١، البحر المحيط ٨/ ١٩٦، النشر ٢/ ٣٨١-٣٨٢، الإتحاف ٢/ ٥١٢.

(٢) الذي قاله الفراء: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: لَمْ يَفْتَضِضْهُنَّ، قال: وطَمَثَها؛ أي: نَكَحَها، وذلك لِحالِ الدَّمِ». معانِي القرآن ٣/ ١١٩، أما النص الذي أورده المؤلف هنا فهو ما نُقِلَ عن الفراء في كتب التفسير.

(٣) قاله الليث كما ذكر الأزهري في التهذيب ١٣/ ٣١٦، وينظر: الوسيط ٤/ ٢٢٧.

(٤) البيت من الوافر للفرزدق من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك، ويُرْوَى: «مَشَيْنَ إلَيَّ»، ويُرْوَى: «وَقَعْنَ إلَيَّ»، ويُرْوَى: «خَرَجْنَ إلَيَّ». =

قال سَهْلٌ(١): مَنْ أَمْسَكَ طَرْفَهُ في الدنيا عن اللَّذّاتِ عُوِّضَ في الآخرة القاصِراتِ، وقال أرْطاةُ بن المنذر(٢): سألتُ ضَمْرةَ بن حبيب(٣): هل لِلْجِنِّ من ثواب؟ قال: نعم، وقرأ هذه الآية، فالإنْسِيّاتُ لِلإنْسِ، والجِنِّيّاتُ لِلْجِنِّ(٤)، وفي هذه الآية دليل على أن الجن يَغْشَى كما يَغْشَى الإنسيُّ.

قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ قال قتادة(٥): أراد: لَهُنَّ صَفاءُ الياقوت

= **اللغة**: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾؛ أي: هُنَّ عَذارَى غَيْرُ مُفْتَرَعاتٍ، من قولهم: طُمِثَتِ المرأةُ: إذا افْتُضَّتْ، والطَّمْثُ: النكاح بالتَّدْمِيةِ.

التخريج: الأضداد لابن الأنباري ص ٢٤٨، تهذيب اللغة ١٣/ ٣١٦، الكشف والبيان ٩/ ١٩١، الحلل ص ٦١، أساس البلاغة: طمث، أخبار النساء لابن القيم ص ١٧٩، عين المعانِي ١٣٠/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٠، اللسان: طمث، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٥١، التاج: طمث.

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ١٩١، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ أ. وهو سهل بن عبد الله ابن يونس، أبو محمد التُّسْتَرِيُّ، شيخ العارفين وأحد أئمة الصوفية والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات، صَحِبَ ذا النون المصري، وَرَوَى عنه، توفِّي سنة (٢٨٣هـ)، من كتبه: تفسير القرآن، رقائق المحبين. [حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩-٢١٢، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠-٣٣٣، الأعلام ٣/ ١٤٣].

(٢) أرْطاةُ بن المنذر بن الأسود بن ثابت، أبو عَدِيٍّ السَّكَنِيُّ، من صغار التابعين ومن قراء أهل الشام وزُهّادهم، أدرك ثَوْبانَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ وأبا أمامة الباهلي، كان ثقة حافظًا فقيهًا، توفِّي سنة (١٦٣هـ)، رَوَى له أبو داود والنسائي وابن ماجه. [تهذيب الكمال ٢/ ٣١١، الوافي بالوفيات ٨/ ٣٤٧].

(٣) ضَمْرةُ بن حبيب بن صُهَيْبٍ الزبيديُّ، أبو عتبة الحمصي، شامي تابعي ثقة، مؤذن المسجد الجامع بدمشق، روى عن شداد بن أوس وأبِي أمامة وغيرهما، تُوُفِّيَ سنة (١٣٠هـ). [تهذيب الكمال ١٣/ ٣١٤-٣١٥].

(٤) ينظر قول أرطاة في جامع البيان ٢٧/ ١٩٦، الكشف والبيان ٩/ ١٩١، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨١.

(٥) ينظر قوله في تأويل مشكل القرآن ص ٨١، جامع البيان ٢٧/ ١٩٨.

في بَياضِ المَرْجانِ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ ابتداء وخبر؛ أي: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله، وعَمِلَ بما جاء به محمد ﷺ إلّا الجنةُ؟

و«هَلْ» فِي كلام العرب على أربعة أوجه[1]، الأول: بمَعْنَى «قَدْ»، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾[2]، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[3] / [٢٠١/ أ] والثاني: بمعنى الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾[4]، والثالث: بمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[5]؛ أي: فانْتَهُوا، والرابع: بمعنى «ما» الجحدِ، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[6]، و﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[7]، والمعنى: ما جزاء مَنْ أحْسَنَ فِي الدنيا إلّا أن يُحْسَنَ إليه فِي الآخرة[8].

فصل

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ: «هَلْ جَزاءُ الإحْسانِ إلّا الإحْسانُ»، ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلمُ، قال: «يقول: هَلْ جَزاءُ مَنْ أنْعَمْتُ عليه بالتوحيد إلا الجنةُ»؟[9].

---

(١) هذه الأوجه حكاها الأزهري عن الكسائي في التهذيب ٥/ ٣٦٤، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٩١، ١٩٢، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٢.

(٢) الإنسان ١.

(٣) الغاشية ١.

(٤) الأعراف ٤٤.

(٥) المائدة ٩١.

(٦) النحل ٣٥.

(٧) الرحمن ٦٠.

(٨) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣١٥، وحكاه القرطبي عن ابن زيد في تفسيره ١٧/ ١٨٢.

(٩) هذا الحديث رُوِيَ عن عَلِيِّ بن أبِي طالب وجابرِ بن عبد الله أيضًا، ينظر: جامع البيان =

وعن ابن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: «هَلْ جَزاءُ مَنْ أنْعَمْتُ عليه بِمَعْرِفَتِي وتَوْحِيدِي، إلا أنْ أُسْكِنَهُ جَنَّتِي وحَظِيرةَ قُدْسِي بِرَحْمَتِي»[1].

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ يعني: من دون جَنَّتَي المُقَرَّبِينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ في الفضل جَنَّتانِ، وهما جنة الفردوس وجنة المأوى.

ثم نعتهما، فقال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾؛ أي: دَهْماوانِ من شِدَّةِ الخُضْرةِ[2]، مأخوذ من الدُّهْمةِ، وهو كل نبات أخضر، يقال: ادْهامَّ الزَّرْعُ: إذا عَلاَهُ السَّوادُ رِيًّا ادْهِيمامًا، فهو مُدْهامٌّ[3] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ نعت «عَيْنانِ»؛ أي: فَوّارَتانِ بالماء لا ينقطع، والنَّضْخُ بالخاء المعجمة عند العرب: الرَّشُّ، والنَّضْحُ بالحاء المهملة: دونه[4]، قيل[5]: ينضح المسك والعنبر على دورهم، كما ينضح المطر في دُورِ أَهْلِ الدنيا.

= ٢٧/ ١٩٩، الكشف والبيان ٩/ ١٩٢، الوسيط ٤/ ٢٢٧، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٢، الدر المنثور ٦/ ١٤٩، كنز العمال ٢/ ٤٣، ٥١٧.

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٩٠/ ب، الكشف والبيان ٩/ ١٩٢، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٣.

(٢) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٢٢، وجعله ابن الأنباري من الأضداد في كتابه الأضداد ص ٣٤٨، وينظر أيضًا: جمهرة اللغة ٢/ ٦٨٤، ياقوتة الصراط ص ٤٩٩، شفاء الصدور ورقة ٩٠/ ب، غريب القرآن للسجستانيِّ ص ١٥٢.

(٣) حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٦/ ٢٢٤، وينظر: الصحاح ٥/ ١٩٢٤، الوسيط ٤/ ٢٢٨.

(٤) قال ابن قتيبة: «والنَّضْخُ أَكْثَرُ من النَّضْحِ». غريب القرآن ص ٤٤٣، وقال الأزهري: «الليث: النَّضْحُ كالنَّضْخِ، رُبَّما اتَّفَقا، ورُبَّما اخْتَلَفا، وقال ابن الفَرَجِ: سمعتُ جماعةً من قيس يقولون: النَّضْحُ والنَّضْخُ واحد، وقال أبو زيد: نَضَحْتُهُ ونَضَخْتُهُ بمعنًى واحد». التهذيب ٤/ ٢١١-٢١٢، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٩٠/ ب، الصحاح ١/ ٤٣٣.

(٥) قاله أنَسٌ وابن عباس وابن مسعود، ينظر: شفاء الصدور ورقة ٩٠/ ب، الكشف والبيان ٩/ ١٩٣، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٤، البحر المحيط ٨/ ١٩٧.

قوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾ الرُّطَبُ والرُّمّانُ من الفواكه، ولكنه ثَنَّى ذِكْرَهُما تَخْصِيصًا وتفضيلاً لهما، كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[1]، فذكر الملائكة، ثم أعادَ ذِكْرَ جبريلَ ومِيكالَ تخصيصًا وتفضيلًا لهما[2].

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني: في الجِنانِ الأرْبَعِ ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾ نعت «خَيْراتٌ» يعني: حِسانُ الوُجُوهِ والأخْلاَقِ، وأراد: خَيِّراتٌ فخفف، قرأه العامة بالتخفيف، وقرأ أبو رجاء العُطارِدِيُّ بالتشديد[3]، وهما لغتان مثل هَيْنٍ وهَيِّنٍ، ولَيْنٍ ولَيِّنٍ.

فصل

عن أُمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلتُ: يا رسول الله! أَخْبِرْني عن قوله تعالى: / «فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ»، قال: «خَيْراتُ الأخْلاَقِ حِسانُ الوُجُوهِ»[4]. [٢٠١/ ب]

---

(١) البقرة ٩٨.

(٢) قاله الفراء وابن قتيبة، وحكاه الزجاج عن يونس بن حبيب، وحكاه النقاش عن الحسن البصري، وحكاه الأزهري عن الليث، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٩، تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٠، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٣، شفاء الصدور ورقة ٩٠/ ب، التهذيب: فكه ٦/ ٢٥، رمن ١٥/ ٢١٦، الوسيط ٤/ ٢٢٨.

(٣) قرأ أبو رجاء العُطارِدِيُّ وابن السَّمَيْفَع وقتادة وبكر بن حبيب والزُّهْرِيُّ وأبو عثمان النَّهْدِيُّ: «خَيِّراتٌ» بالتشديد. ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥١، شواذ القراءة ورقة ٢٣٦، تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٢، البحر المحيط ٨/ ٣٥٩.

(٤) هذا جزء من حديث طويل رواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٣/ ٢٧٨، والكبير ٢٣/ ٣٦٧-٣٦٨، وينظر: جامع البيان ٢٧/ ٢٠٥، الكشف والبيان ٩/ ١٩٥، الوسيط ٤/ ٢٢٩، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٧، الدر المنثور ٦/ ١٥٠-١٥١.

ثم نَعَتَهُنَّ، فقال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ واحدتها حَوْراءُ، وهي البيضاء، وقوله: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾؛ أي: مَحْبُوساتٌ على أزواجهن ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ يعني: في الدُّرّةِ المُجَوَّفةِ، قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غير أزواجهن، والخِيامُ جمع خَيْمٍ، وخَيْمٌ جمع خَيْمةٍ[1]، وهي أعْوادٌ تُنْصَبُ وتُظَلَّلُ بالنبات، فتكون أبْرَدَ من الأخْبِيةِ، وأما خِيامُ الجنة فقد رَوَى قَتادةُ عن ابن عباس قال: الخَيْمةُ دُرّةٌ مُجَوَّفةٌ، فَرْسَخٌ في فَرْسَخٍ، فيها أربعة آلاف مِصْراعٍ من ذهب[2].

فصل

عن أَبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الخَيْمةُ دُرّةٌ مُجَوَّفةٌ، طُولُها فِي السماء ستون مِيلًا، فِي كل زاوية منها أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ، لا يراهم الآخرون»[3].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلةَ أُسْرِيَ بِي بِنَهَرٍ

---

(١) قال ابن دريد: «والخِيَمُ جَمْعُ خَيْمةٍ في أدْنَى العدد، وقالوا: خِيامٌ وخَيْمٌ». جمهرة اللغة ١/ ٦٦٢، أما الجوهري فالخَيْمُ عنده مفرد كالخَيْمةِ، فقد قال: «الخَيْمةُ: بَيْتٌ تَبْنِيهِ العَرَبُ من عِيدانِ الشَّجَرِ، والجمع خَيْماتٌ وخِيَمٌ مثل بَدْراتٍ وبِدَرٍ، والخَيْمُ مثل الخَيْمةِ، والجمع خِيامٌ مثل فَرْخٍ وفِراخٍ». الصحاح ٥/ ١٩١٦، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٥/ ١٦٥، الوسيط ٤/ ٢٢٩.

(٢) ينظر: مصنف عبد الرزاق ١١/ ٤١٨، المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ٨٣، الوسيط ٤/ ٢٢٩، عين المعاني ورقة ١٣٠/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤٠٠، ٤١١- ٤١٩، والبخاري في صحيحه ٤/ ٨٦ كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في صفة الجنة، ومسلم في صحيحه ٨/ ١٤٨-١٤٩ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب في صفة خيام الجنة.

حافَّتاهُ المَرْجانُ، فَنُودِيتُ منه: السـلام عليك يا رسول الله، فقلتُ: يا جبريلُ! مَنْ هـؤلاء؟ قال: هؤلاء جَوارٍ من الحُـورِ العِينِ، اسْـتَأْذَنَّ رَبَّهُنَّ عزّ وجلّ أن يُسَـلِّمْنَ عليكَ فَأذِنَ لَهُنَّ، فَقُلْنَ: نحن الخالدات فلا نَمُوتُ، ونحن الناعمات فـلا نَبْـأسُ، أزْواجُ رِجالٍ كِـرامٍ»، ثم قرأ رسـول الله ﷺ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾، قال: «مَحْبُوساتٌ»[(١)].

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي: لَـمْ يَطَأْهُنَّ ولَمْ يَقْرَبْهُنَّ ولَمْ يَمَسَّـهُنَّ ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ يعنـي: قبل أهل الجنـة ﴿وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ وقد تقدم نظيرها، قرأه العامّةُ بكسـر الميم، وهي الاختيار، وقرأ أبو حَيْوةَ الشـاميُّ وطلحـة بن مُصَرِّفٍ بالضم في الموضعين، وكان الكسائي يَضُمُّ الأوَّلَ ويَكْسِرُ الآخَرَ[(٢)]، وهما لغتان.

قولـه تعالـى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ الرَّفْـرَفُ هاهنا قيل: هـي رِياضُ الجنة، واحدتهـا رَفْرَفَةٌ، والرَّفارِفُ جَمْـعُ الجَمْعِ[(٣)]، وقيل: هي المَحابسُ والبُسُـطُ، وقيل: هي الوَسـائِدُ، وقيـل: الزَّرابِيُّ، وقيل: المَرافِقُ، وقيل: كُلُّ ثَوْبٍ عَرِيضٍ عند العرب فهو رَفْرَفٌ[(٤)]، قال ابن مقبل:

---

(١) رواه الثعلبي في الكشـف والبيان ٩/ ١٩٦، وينظـر: مجمع البيان ٩/ ٣٥٣، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٩.

(٢) ينظر ما سبق في الآية ٥٦ من هذه السورة ص٢٧٤.

(٣) حـكاه أبو عبيد عن خلـف الأحمر في غريـب الحديث ٣/ ٤٠٠، ولكـن النحاس جعل الرَّفْرَفَ اسـمَ جَمْعٍ كالرَّهْطِ والقَوْمِ، ينظر: إعراب القـرآن ٤/ ٣١٨، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٥/ ١٧١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٧، اللسان: رفف، التاج: رفف.

(٤) ينظر في هـذه الأقوال: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٣-٤٤٤، جامع البيان ٢٧/ معانِي القـرآن وإعرابـه ٥/ ١٠٥، غريب القرآن للسجسـتانِيِّ ص ١٥٢، زاد المسـير ٨/ ١٢٧، الكشف والبيان ٩/ ١٩٧، تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٠.

٣١٩ - وَإِنّـا لَنَزّالُونَ، تَغْشَـى نِعالَنا　　سَواقِطُ مِنْ أَصْنافِ رَيْطٍ وَرَفْرَفُ[١]

ورُوِيَ عن عاصم الجَحْدَرِيِّ أنه قرأ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[٢]، قال صاحب «إنسـان العين»[٣]: وقراءة «عَباقِـرِيَّ» لا تُحْمَدُ؛ إِذْ لا يكـون بعد ألف الجمع ثلاثة أحـرف وأربعة إلّا وفي الثانِي حرفُ لِينٍ نحو قَنادِيلَ، ووَجْهُهُ النِّسْبةُ نحو مَدائِنِيٍّ، و«خضر» جمع أخضر.

والعَبْقَـرِيُّ: الطَّنافِسُ والزَّرابِيُّ[٤]، وهي جمـع واحدتها عَبْقَرِيّةٌ، وقيل: هي الدِّيباجُ، وقال القُتَيْبِيُّ[٥]: كُلُّ ثَوْبٍ مُوَشًّى عند العرب عَبْقَرِيٌّ.

قـال أبو عبيد[٦]: هو منسـوب إلـى أرضٍ يُعْمَلُ بها الوَشْـيُ. وقال أبو

---

(١) البيت من الطويل، لابن مقبل، ورواية ديوانه: «سَوابِغُ مِنْ أَصْنافِ».
اللغة: تَغْشَى نِعالَنا: تُغَطِّيها، السَّواقِطُ والسَّوابِغُ: الثياب الضافية الطويلة، الرَّيْطُ: جمع رَيْطةٍ وهي كل ثوب لين دقيق، الرَّفْرَفُ: الرقيق من الديباج.
التخريـج: ديوانـه ص ١٥٢، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٩٠، التاج: رفرف.

(٢) قـرأ النبي ﷺ وعثمانُ بنُ عفان ونصرُ بنُ عَلِيٍّ وعاصمٌ الجَحْـدَرِيُّ وأبو الجَلْدِ ومالكُ بنُ دينار وأبو طُعْمةَ وابنُ محيصن وزهيرٌ الفُرْقُبِيُّ وابنُ مِقْسَمٍ: «عَلَى رَفارِفَ خُضْرٍ وَعَباقِرِيَّ»، ورُوِيَ عنهـم ضَمُّ الضـاد من «خُضُرٍ»، وعنهم فتـح القاف من «عَباقَـرِيٍّ» وصرفه. ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥١، المحتسـب ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦، شـواذ القراءة للكرمانِي ورقة ٢٣٦، الكامل لابن جبارة ورقة ٤٧٨، تفسـير القرطبـي ١٧/ ١٩١، ١٩٢، البحر المحيط ٨/ ١٩٧، ١٩٨.

(٣) عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب.

(٤) الطَّنافِسُ: جمع طِنْفِسـةٍ وهي البِسـاطُ فوق الرَّحْلِ، والزَّرابِيُّ: جمع زَرْبِيّةٍ وهي البِسـاطُ.

(٥) الذي قاله ابن قتيبة: «والعَبْقَرِيُّ: الطَّنافِسُ الثِّخانُ». تفسير غريب القرآن ص ٤٤٤.

(٦) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٨٨-٨٩.

عبيد[١]: كُلُّ شَيْءٍ من البُسُطِ عَبْقَرِيٌّ، ويقال: إن عَبْقَرَ أَرْضٌ يسكنها الجِنُّ.

وقال قُطْرُبٌ[٢]: ليس هو منسوبًا، ولكنه بمنزلة قولك: كُرْسِيٌّ وكَراسِيَّ وبُخْتِيٍّ وبَخاتِيَّ. وقال الخليل[٣]: كُلُّ شَيْءٍ جَلِيلٍ نَفِيسٍ فاضِلٍ فاخِرٍ من الرجال وغيرهم عند العرب عَبْقَرِيٌّ، ومنه الحديث في عمر رضي الله عنه: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرْيَهُ»[٤]، ونصب «مُتَّكِئِينَ» على الحال.

ثم خَتَمَ السورة بما ينبغي أن يُمَجَّدَ به ويُعَظَّمَ، فقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾؛ أي: الجليل الكريم، وفي الحديث: «أَلِظُّوا بِيا ذا الجَلاَلِ والإِكْرامِ»[٥].

قرأ ابن عامر: ﴿ذُو الجَلاَلِ﴾[٦] بالواو إجراءً على الاسم، وذلك يَدُلُّ

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٨٨، ٣/ ٤٠٠، ٤٠٢.

(٢) ينظر قوله في المحتسب ٢/ ٣٠٥، الكشف والبيان ٩/ ١٩٨، تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٣.

(٣) لَمْ يذكر الخليل ذلك في كلامه على مادة «عبقر» في العين ٢/ ٢٩٨، وأما القول الوارد هنا فقد حكاه الثعلبي عنه في الكشف والبيان ٩/ ١٩٨، وينظر أيضًا: تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٢، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٦٤.

(٤) هذا جزء من حديث رواه البخاري عن عبد الله بن عُمَرَ في صحيحه ٤/ ١٩٨ كتاب المناقب: باب مناقب المهاجرين، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٥٠، والترمذي في سننه ٣/ ٣٦٩ أبواب الرؤيا: باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ في الميزان والدلو.

(٥) رواه الإمام أحمد بسنده عن ربيعة بن عامر في المسند ٤/ ١٧٧، ورواه الترمذي عن أنس في سننه ٥/ ٢٠١ أبواب الدعوات، ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٩ كتاب الدعاء: باب «أَلِظُّوا بِيا ذا الجَلاَلِ والإِكْرامِ».

(٦) هذه قراءة ابن مسعود وأُبَيِّ بنِ كعبٍ وابنِ عامر وأهلِ الشام. ينظر: السبعة ص ٦٢١، تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٣، البحر المحيط ٨/ ١٩٨.

على أن الاسم هو المُسَمَّى[1]، وكذلك هو في قراءة أهل الشام وفي مصاحفهم، وقرأ الباقون: «ذِي الْجَلاَلِ والإكْرامِ» بالياء على نعت الرب، ولا خلاف في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أنه بالواو، نَعْتٌ لِلْوَجِهِ، وقد تقدم، والله أعلم.



(١) للعلماء في هذه المسألة ثلاثة مذاهب، فذهبت الأشْعَرِيّةُ إلى أنّ الاسم عَيْنُ المُسَمَّى، وذهبت المُعْتَزِلةُ إلى أنه غَيْرُ المُسَمَّى، ومَنَعَ الشّافِعِيُّ وابنُ حَنْبَلٍ وأَكْثَرُ الفُقَهاءِ والمُحَدِّثِينَ طَرِيقَ الكلامِ في الاسم والمُسَمَّى، حَتَّى قال الشافعي: إذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الاسْمُ هو المُسَمَّى أو غَيْرُ المُسَمَّى، فاشْهَدْ بِأَنّهُ مِنْ أَهْلِ الكَلاَمِ، وَلا دِينَ لَهُ، والراجح من هذه الأقوال عند جمهور العلماء هو أن الاسم يغاير المسمى لأمور، منها: أن أسماء الذوات لو كانت هي الذوات، لكانت أسماءُ الأفعالِ هي الأفعالَ؛ وهذا ممتنع في الأفعال، فامتنع في الذوات. ومنها: أن الاسم يوصف بكونه عربيًّا وعجميًّا ومُعربًا، وثلاثيًّا ورباعيًّا، إلى غير ذلك، مع خُلُوِّ المدلول عليه عن هذه الصفات. ومنها: أن الاسم قد يكون موجودًا، والمُسمَّى معدومًا، والعكس.
ينظر في هذه المسألة: مجاز القرآن ١/ ١٦، تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٥، تفسير الطبري ١/ ٧٨، المخصص ١٧/ ١٣٤، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٦٩، النكت للأعلم الشنتمري ص ٩٥، ٩٦، المقصد الأسنى ص ١٣، مقالة الاسم والمسمى ضمن (رسائل في اللغة) لابن السيد ص ٩١، زاد المسير ٨/ ١٢٩، الفريد للمنتجب الهمداني ١/ ١٥٤، ٤/ ٤١٤، نتائج الفكر ص ٣٩، المحرر الوجيز ١/ ٦٢، تفسير القرطبي ١/ ١٠١، البحر المحيط ٨/ ١٩٨، ابن كثير ١/ ٢٠.

سورة الواقعة
مكِّية

وهي ألف وسبعمائة وثلاثة أحرف، وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة، وست وتسعون آية.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الواقِعةِ لَمْ تُصِبْهُ فاقةٌ أبَدًا»(١).

وعن أَنَسٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلِّمُوا نِساءَكُمْ سُورةَ الواقِعةِ، فإنها سُورةُ الغِنَى»(٢)، وعن أُبَيٍّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة لَمْ يُكْتَبْ مِن الغافِلِينَ، وكان كَشاهِرٍ سَيْفَهُ فِي سبيل الله»(٣).

وعن مسروق(٤) أنه قال: «من أراد أن يَعْلَمَ نَبأ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، وَنَبأ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ١٩٩، الكشاف ٤/ ٦٠، مجمع البيان ٩/ ٣٥٥، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٤، الدر المنثور ٦/ ٥٣، الجامع الصغير ٢/ ٦٣٤، كنز العمال ١/ ٥٨٢، ٥٩٣.

(٢) ينظر: الدر المنثور ٦/ ١٥٣، كنز العمال ١/ ٥٨٢، كشف الخفاء ١/ ٤٥٨، فتح القدير ٥/ ١٤٦.

(٣) ينظر: الوسيط ٤/ ٢٣١، مجمع البيان ٩/ ٣٥٤، تذكرة الموضوعات ص ٧٨.

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانِيُّ، أبو عائشة الوِداعِيُّ، تابِعِيٌّ ثِقةٌ من أهل اليمن، قدم =

[٢٠٢/ ب] أَهْلِ الجَنّةِ، ونَبَأ / أَهْلِ النار، ونَبَأ الدنيا ونَبَأ الآخِرةِ، فَلْيَقْرَأْ سُورةَ الواقِعةِ».

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ①﴾ أي: إذا قامت القيامةُ، والواقعة: اسم للقيامة كالآزِفةِ وغيرها، و«إذا» في موضع نصب لأنها ظرف زمان، والعامل فيها «وَقَعَت»؛ لأنها تُشْبِهُ حُرُوفَ الشرط، وإنما يَعْمَلُ فيها ما بعدها[1].

قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ②﴾ اسم«لَيسَ»؛ أي: ليس لِمَجِيئِها وظهورها تَكْذِيبٌ، وهو اسم مصدر كالعافية والنازلة والعاقبة، قاله الفراء[2]، وقال الكسائي[3]: هو بمعنى الكذب، كقوله تعالى: «لَا تَسْمَعُ فِيها لَاغِيةً»[4]؛ أي: لَغْوًا، ومنه قول العامّةِ: عائِذًا بالله؛ أي: مَعاذَ اللهِ، وقُمْ قائِمًا؛ أي: قُمْ قِيامًا، ولبعض نساء العرب تُرَقِّصُ ابْنَها:

٣٢٠ ـ قُمْ قائِمًا قُمْ قائِما

= المدينة في خلافة أبي بكر، ثم سكن الكوفة، وشهد حروب عَلِيٍّ ومعاوية، قيل: كان أعلم الناس بالفتيا من شُرَيْحٍ، وشُرَيْحٌ أَبْصَرُ منه بالقضاء، توفِّي سنة (٦٣هـ). [تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٥١: ٤٥٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣، الأعلام ٧/ ٢١٥].

وينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ١٩٩، الوسيط ٤/ ٢٣١، مجمع البيان ٩/ ٣٥٤، تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٤.

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٢١.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ١٢١.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٠٠، تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٥.

(٤) الغاشية ١١.

أَصَـبْـتَ عَـبْـدًا نـائِـمـا[١]

قولــه: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ تَخْفِـضُ المُتَكَبِّرِيـنَ إلـى النـار، وتَرْفَـعُ المُتَواضِعِينَ إلى الجنة، يقال: خَفَضَتْ فَأَسْـمَعَت القريبَ، ورَفَعَتْ فَأَسْمَعَت البعيـدَ، وهو رفعٌ على إضمار مبتدأ محـذوف؛ أي: هي خافضة رافعة، وهذه قـراءة العامة، ومَنْ قَـرَأ بالنصب[٢]، وهي قراءة اليَزِيـدِيِّ[٣]، فَعَلَى الحال من «الواقِعةُ»، وفيه بُعْدٌ؛ لأن الحال في أكثر أحوالها إنما تكون لِما يُمْكِنُ أن يكون، ويُمْكِنُ ألاَّ يكون، والقيامة لا شَـكَّ فيها أنها تَرْفَـعُ قومًا إلى الجنة، وتَخْفِضُ آخَرِيـنَ إلى النار، لا بُدَّ من ذلـك، فلا فائدة في الحال، وقد أجازه الفراء على

---

(١) لَمْ أقف على قائل هذا الرجز، ويُرْوَى الثاني:

صـادَفْـتَ عَـبْـدًا نـائِـما

التخريـج: الخصائـص ٣/ ١٠٣، الصاحبـي ص ٣٩٤، أمالِـيُّ ابن الشـجري ١/ ٢٥٢، ٢/ ١٠٥، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٩٥، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٣٥٧، ارتشـاف الضرب ص ١٦٠١، ١٩٥٨، المقاصد النحوية ٣/ ١٨٤، همع الهوامع ٣/ ١٤٥، خزانة الأدب ٩/ ٣١٧.

(٢) قـرأ اليَزِيدِيُّ والحسـنُ وعيسـى بنُ عُمَـرَ وأبو حَيْـوةَ وأبو عُمَرَ الـدُّورِيُّ وزيدُ بـنُ عَلِيٍّ وابـنُ أَبِي عَبْلَـةَ وابنُ مِقْسَـمٍ والزعفرانِيُّ: «خافِضَـةً رافِعَةً» بالنصب، ينظـر: مختصر ابن خالويـه ص ١٥١، المحتسـب ٢/ ٣٠٧، تفسـير القرطبـي ١٧/ ١٩٦، البحـر المحيـط ٨/ ٢٠٣.

(٣) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العَدَوِيُّ بالولاء، أبو محمد اليزيدي، أحد القراء الفصحاء، عالِمٌ بلغات العرب، من أهل البصرة، سـكن بغداد، واتصل بالرشـيد، فَأَدَّبَ ابنَهُ المأمونَ، توفِّي سنة (٢٠٢هـ)، من كتبه: النوادر، المقصور والممدود، مناقب بني العباس. [إنباه الرواة ٤/ ٣١-٣٩، غاية النهاية ٢/ ٣٧٥-٣٧٧، بغية الوعاة ٢/ ٣٤٠].

إضمار: وَقَعَتْ خافِضةً رافِعةً[١]، هكذا ذكره المَكِّيُّ في مُشْكِلِهِ[٢].

وقال ابن الأنباري[٣]: وذلك أن تَنْصِبَهُما على مذهب المدح، كما تقول: جاءَنِي عَبْدُ اللهِ العاقِلَ، وأنت تمدحه، وكذلك: كَلَّمَنِي زَيْدٌ الفاسِقَ، وأنت تَذُمُّهُ.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾ مصدر؛ أي: إذا زُلْزِلَت الأرضُ زِلْزالاً فَتَحَرَّكَت بأهلها، وكل ما زُعْزِعَ فقد رُجَّ، وكل ما اضطرب حتى سُمِعَ فقد رُجَّ، وصَوْتُهُ رَجَّتُهُ[٤]، ومنه قولهم: السَّهْمُ يَرْتَجُّ فِي الغَرَضِ؛ أي: يَهْتَزُّ ويَضْطَرِبُ.

قال المفسرون[٥]: تَرْتَجُّ الأرْضُ كما يَرْتَجُّ الصَّبِيُّ فِي المَهْدِ، حتى يَتَهَدَّمَ كُلُّ بناءٍ عليها، ويَتَكَسَّرَ كُلُّ شَيْءٍ عليها من الجبال وغيرها، وأصل الرَّجِّ في اللغة: التَّحْرِيكُ، يقال: رَجَجْتُهُ فارْتَجَّ، فإن ضاعَفْتَهُ قُلْتَ: رَجْرَجْتُهُ فَتَرَجْرَجَ.

قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾؛ أي: فُتِّتَتْ فَتًّا، وَلُتَّتْ لَتًّا، كما يُبَسُّ السَّوِيقُ ويُلَتُّ[٦]، قال الشاعر:

---

(١) أجازه الفراء، ولكنْ على قُبْحٍ، فقال: «ولو قرأ قارئ: «خافِضةً رافِعةً» يريد: إذا وَقَعَتْ وَقَعَتْ خافِضةً لِقَوْمٍ رافِعةً لآخَرِينَ. ولكنه يَقْبُحُ؛ لأن العرب لا تقول: إذا أَتَيْتَنِي زائِرًا، حتى يقولوا: إذا أَتَيْتَنِي زائِرًا فَأْتِنِي زائِرًا أو ائْتِنِي زائِرًا». معاني القرآن ٣/ ١٢١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٤٩، ونص كلامه من أول قوله: «وفيه بُعْدٌ».

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩١٨.

(٤) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٩٢/ أ، وينظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ١٩٧.

(٥) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٢٠٠، وينظر: الوسيط ٤/ ٢٣٢، القرطبي ١٧/ ١٩٦.

(٦) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٩٢/ أ.

٣٢١ ـ فانْبَسَّ حَيّاتُ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ[١]

والبَسِيسةُ عند العرب: الدقيق أو السَّويقُ يُلَتُّ ويُتَّخَذُ زادًا[٢]، وذُكِرَ / [٢٠٣/ أ] عن لِصٍّ من غَطَفانَ أنه أراد أن يَخبِزَ، فَخافَ أن يُعَجَّلَ عن الخَبْزِ، فقال:

٣٢٢ ـ لاَ تَخْبِزا خُبْزًا وَبُسّا بَسّا
وَلاَ تُطِيلَنْ بِمُناخٍ حَبْسا[٣]

وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾؛ أي: كالهَباءِ، وهو الغُبارُ المُنْبَثُّ

---

(١) البيت من الرجز المشطور، لأبِي النجم العِجْلِيِّ يصف إبِلًا، ورواية ديوانه: «وانْسابَ حَيّاتُ».
اللغة: انْبَسَّتِ الحَيّةُ: انْسابَتْ على وجه الأرض، كَثِيبٌ أَهْيَلُ: مُنْهالٌ لا يثبت.
التخريج: ديوانه ص ٢١٩، الحيوان للجاحظ ٤/ ٢٥٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٨، جمهرة اللغة ص ٦٩، تهذيب اللغة ١٢/ ٣١٦، مقاييس اللغة ١/ ١٨١، مجمل اللغة ص١١٢، اللسان: بسس، عدل، التاج: عدل، هيل.
(٢) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٢٢، وحكاه الأزهري عنه في التهذيب ١٢/ ٣١٦.
(٣) من الرجز المشطور لِلْهَفْوانِ العُقَيْلِيِّ أحد بني المُنْتَفِقِ، ويُرْوَى: «وَنُسّا نَسّا» بالنون.
اللغة: بَسَّ الشيءَ: خَلَطَهُ وَفَتَّهُ وَلَتَّه، والنَّسُّ: السَّيْرُ الشديد، المُناخُ: الموضع الذي تُناخُ فيه الإبلُ.
التخريج: ديوانه ص ٦٣١ (ضمن أشعار اللصوص)، معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢١، مَجاز القرآن ٢/ ٢٤٨، الحيوان للجاحظ ٤/ ٤٩٠-٤٩١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٨، جمهرة اللغة ص ٦٩، معجم الشعراء ص ٤٧٦، تهذيب اللغة ٧/ ٢١٥، ٢١٦، ١٢/ ٣١٦، ٤٥٨، مجمل اللغة ص ١١٢، مقاييس اللغة ١/ ١٨١، ٢/ ٢٤٠، ديوان الأدب للفارابِي ٢/ ١٦٠، ٣/ ١٢٤، المخصص ٧/ ١٠٤، ١٢٧، الكشف والبيان ٩/ ٢٠٠، المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥٣، شمس العلوم لنشوان الحميري ١/ ٤٠١، ٣/ ١٧٠٥، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب، اللسان: بسس، حدس، خبز، التاج: خبز، بسس، حدس، ملس.

المُتَفَرِّقُ الأجزاءِ، وقيل: الْهَباءُ: هو الذي يُرَى مع الشمس، وقيل: هو ما تَطايَرَ من شَرَرِ النار، قرأه العامة: ﴿مُنۢبَثًّا﴾ بالثاء؛ أي: متفرقًا، وقرأه النخعي بالتاء[1]؛ أي: مُنْقَطِعًا.

ثــم ذكر أحوال النــاس، فقــال: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧﴾ يعني أصنافًا ثلاثــة، يقــال للأصناف التي بعضهــا مع بعــض: أَزْواجٌ، كما يقــال لِلْخُفَّيْنِ: زَوْجانِ[2].

ثم أَخْبَرَ عنهم فقال تعالى: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ يعني: الذين يُؤْخَذُ بِهِمْ ذاتَ اليمين إلى الجنة، وقيل: هم الذين يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأيْمانِهِمْ، واليمين صفة لكل خير وسعادة، وهي بِشارةٌ لهم بالجنة والكرامة.

ثم عَجَّبَ نَبِيَّهُ عليه السّــلام، فقــال: ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨﴾؛ أي: ماذا مــن الخير لأصحــاب الميمنة؟ فالأصحــاب الأَوَّلُونَ مرفوعــون بما عاد من الأصحاب الآخرين، وهو رفــع بالابتداء، و«ما» ـ أيضًا ـ محله رفع بالابتداء، و«أصحــاب الميمنة» خبره، وهما جميعًا خبــر المبتدأ الأول[3]، و«ما» حرف تعجب[4]، ومثله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ * مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾[5]، وهذا كما يقال: زَيْدٌ ما زَيْدٌ أراد: زَيْدٌ شَدِيدٌ[6].

---

(١) قرأ النخعي ومسروق وأبو حيوة: «مُنْبَتًّا» بالتاء، ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٧.

(٢) قالــه الزجاج في معاني القــرآن وإعرابه ٥/ ١٠٨، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣٢٣، شــفاء الصدور ٩٢/ أ.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٢٤، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٥٠.

(٤) يعني بالحرف هنا الحرفَ بمعناه اللغوي لا الاصطلاحي؛ لأن «ما» التعجبية اسم باتفاق.

(٥) الحاقة ١-٢.

(٦) قاله الأخفش في معانِي القرآن ص ٤٩١.

قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ يعني أصحاب الشِّمالِ، وهم المَشائِيمُ على أنفسهم ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾؛ أي: ما لأصحاب المشأمة من الشَّرِّ، والمشأمة صفة لكل شر وشقاوة، وهي بشارة لهم بالنار والخِزْيِ والهَوانِ، والعرب تسمي اليَدَ اليُسْرَى شُؤْمَى[1]، قال الشاعر:

٣٢٣- السُّمُّ والشَّرُّ فِي شُؤْمَى يَدَيْكَ لَهُمْ   وَفِي يَمِينِكَ ماءُ المُزْنِ والضَّرَبُ[2]

وكذلك تُسَمِّي الجانِبَ الأيْسَرَ: الأَشْأَمَ، ومنه اليُمْنُ والشُّؤْمُ، فاليُمْنُ كأنه ما جاء عن اليَمِينِ، والشُّؤْمُ ما جاء عن الشِّمالِ، ومنه الشّامُ واليَمَنُ[3]؛ لأن اليَمَنَ على يَمِينِ الكعبة، والشّامُ على شِمالِها إذا دَخَلْتَ الحِجْرَ تَحْتَ المِيزابِ[4]، وهم الذين يُؤْخَذُ بهم ذات الشمال إلى النار، وقيل: هم الذين يُعْطَوْنَ كُتُبَهُمْ بِشَمائِلِهِمْ، وقيل: هم المَشائِيمُ على أنفسهم، وكانت أعمارهم فِي المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ يعني: إلى الجنة فِي أَوَّلِ زُمْرةٍ، وهم السابقون في الدنيا إلى الخَيْراتِ، وقيل: هم أَوَّلُ الناس رَواحًا إلى المسجد، وأَوَّلُهُمْ خُرُوجًا في سبيل الله، وقيل: السابقون إلى إجابة الرسول في الدنيا، هم السابقون إلى الجنة في العُقْبَى.

---

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٤٦، وينظر: اللسان: شأم.

(٢) البيت من البسيط، لَمْ أقف على قائله، والضَّرَبُ: العسل الأبيض الغليظ، وقيل: هو عسل البَرِّ.

التخريج: الكشف والبيان ٩/ ٢٠١، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب.

(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٤٦، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥٣.

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٨، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥٣.

[٢٠٣/ ب] و«السّـابِقُونَ» / الأول رفع بالابتداء، والثانِي توكيد، ويكون الخبر قوله تعالـى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾ [1] يريد: إلى جَزِيلِ ثَـوابِ الله وعَظِيمِ كَرامَتِهِ مثل النبيين والمرسـلين والشـهداء والصالحين، ثم أخْبَرَنا أين محلهم فقال: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢﴾ على الجمع.

فصل

عـن أبِي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «الجَنّةُ لَبِنةٌ من فِضّةٍ، ولَبِنةٌ من ذَهَبٍ، تُرابُها الزَّعْفرانُ، وطِينُها المِسْكُ، خَلَقَها اللهُ تعالى بِيَدِهِ، وخَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وكَتَبَ التَّوْراةَ بِيَدِهِ»[2].

وعن كعبٍ فِي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، قال: «هُمْ أهْلُ القرآن، وهم المُتَوَّجُونَ يومَ القيامة»[3].

قوله تعالـى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ قال الزَّجّاجُ[4]: المعنى: هُمْ ثُلّةٌ من

---

(١) هذا الوجه قاله الفراء والزجاج، وأجازا وجهًا آخَرَ، وهو أن يكون قوله: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الأول مبتدأ، والثاني خبره، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٢، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٩، وجعل الزجاج جُملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ صفةً للخبر، وخَطَّأَهُ النَّحّاسُ في ذلك، فقال: «لأن مـا فيه الألف واللام لا يُوصَفُ بالمبهم، لا يَجُوزُ عند سـيبويه: مَـرَرْتُ بالرَّجُلِ ذَلِكَ، ولا مَرَرْتُ بالرَّجُلِ هذا على النعت، والعِلّةُ فيه أن المبهم أعْرَفُ مما فيه الألف واللام... ولكن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ بَدَلًا، أو خَبَرًا بعد خَبَرٍ». إعراب القرآن ٤/ ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) رواه النقاش في شـفاء الصدور ورقة ٩٣/ أ، وروى الإمام أحمد بسـنده عن أبِي هريرة عن النبي ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله! أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَبِنةٌ من ذَهَبٍ، ولَبِنةٌ من فِضّةٍ، مِلاَطُها المِسْـكُ الأذْفَرُ، حَصْباؤُها الياقـوت واللؤلؤ، وتُرْبَتُها الوَرْسُ والزَّعْفرانُ، من يدخلها يخلد لا يموت... ». المسند ٢/ ٤٤٥، وينظر: المعجم الأوسط ٧/ ١٤٥.

(٣) قول كعب في الكشف والبيان ٩/ ٢٠٢، زاد المسير ٨/ ١٣٣.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٠٩.

الأَوَّلِينَ، يعني: من الأُمَمِ الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤)﴾ يعني: من أمة محمد ﷺ، والثُّلَّـةُ: جماعة غير محصـورة العَدَدِ، وهي الفِرْقـةُ من الناس، وجمعها ثُلَلٌ، واشتقاق الثُّلَّةِ من القطعة، والثَّلُّ: الكَسْرُ والقَطْعُ، والثُّلَّةُ نحو الفِئةِ والفِرْقةِ والقِطْعةِ[1].

وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥)﴾؛ أي: مَنْسُـوجةٍ مُشَبَّكةٍ بالذَّهَبِ والفِضّةِ والياقُوتِ والجَوْهَـرِ واللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ، قد أُدْخِلَ بَعْضُها فِي بعض، كما تُوضَنُ حِلَقُ الدِّرْعِ بَعْضُها في بعض مُضاعَفةً[2]، قال الأعشى:

٣٢٤ ـ وَبَيْضـاءَ كالنِّهْـيِ مَوْضُونةً   لَهـا قَوْنَـسٌ فَـوْقَ جَيْبِ البَـدَنْ[3]

وإنما سَمَّتِ العربُ وَضِينَ الناقة وَضِينًا لأنه منسوج[4].

والسُّـرُرُ جمع سرير، قال الكلبي[5]: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا

---

(١) من أول قوله: «واشـتقاق الثلـة» قاله الزجاج في معانِي القـرآن وإعرابه ٥/ ١٠٩، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٩٣/ أ.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٨، وينظر أيضًا: الصحاح ٦/ ٢٢١٤، غريب القرآن للسجستـانِي ص ١٥٣.

(٣) البيت من المتقارب للأعشى، من قصيدة له في مدح قيس بن مَعْدِي كَرِبِ الكِنْدِيِّ.
اللغة: البَيْضاءُ: الدِّرْعُ، النِّهْيُ: غَدِيرُ الماءِ، المَوْضُونةُ: المَنْسُوجةُ بالجَواهِرِ، وقيل: المُضاعَفةُ النَّسْـجِ، قَوْنَسُ البَيْضةِ من السِّلاَحِ: مُقَدَّمُها، وقيل: أعْلاَها، البَدَنُ: الدِّرْعُ القَصِيرةُ على قَدْرِ الجَسَدِ فقط، وجَيْبُها: فَتْحَتُها.
التخريج: ديوانه ص ٧٥، جمهرة أشعار العرب ص ١٨، الكشف والبيان ٩/ ٢٠٣، ذكر الفرق بيـن الأحرف الخمسـة ص ٣٨٨، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب، تفسـير القرطبي ٨/ ٣٨٠، ١٧/ ٢٠١.

(٤) قالـه الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٢٢، وينظر: شـفاء الصدور ورقـة ٩٣/ ب، تهذيب اللغة ١٢/ ٦٨، والوَضِينُ: بِطانٌ مَنْسُوجٌ بَعْضُهُ على بعض، يُشَدُّ به الرَّحْلُ على البعير، اللسان: وضن.

(٥) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٠٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٢.

أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦﴾ يعني: في الزيارة، لا ينظر بعضُهم في قَفا بَعْضٍ، وهما منصوبان على الحال.

قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧﴾ غِلْمانٌ لا يموتون ولا يَهْرَمُونَ ولا يَكْبُرُونَ، مُنَعَّمُونَ مُقَرَّطُونَ، قال المُؤَرِّجُ[1]: يقال لِلْقُرْطِ: الخَلَدُ، ومنه قولهم: خَلَّدَ جارِيَتَهُ: إذا حَلاَّها بالخِلَدِ وهي القِرَطةُ، قال الشاعر:

٣٢٥ ـ وَمُخَلَّداتٍ بِاللُّجَيْنِ، كَأَنّما ... أَعْجازُهُنَّ أَقاوِزُ الكُثْبانِ[2]

وقيل[3]: هُمْ وِلْدانُ أَهْلِ الدنيا، لَمْ يكن لهم حسنات فَيُثابُوا عليها، ولا سَيِّئاتٌ فَيُعاقَبُوا عليها؛ لأن الجنة لا وِلاَدةَ فيها، وفِي الحديث: «أَطْفالُ الكُفّارِ خَدَمُ أَهْلِ الجَنّةِ»[4].

---

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٠٤، وبدون نسبة في الوسيط ٤/ ٢٣٣، وحكاه الأزهري بنصه عن أبي عمرو فِي التهذيب ٧/ ٢٧٩، وينظر: اللسان: خلد، تاج العروس: خلد.

(٢) البيت من الكامل لشاعر حِمْيَرِيٍّ.

اللغة: اللُّجَيْنُ: الفِضّةُ، الأقاوِزُ: جمع قَوْزٍ وهو كَثِيبٌ صغيرٌ من الرَّمْلِ مُسْتَدِيرٌ تُشَبَّهُ بِهِ أَرْدافُ النِّساءِ.

التخريج: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٧، جمهرة اللغة ص ٥٨٠، ٨٢٣، الزاهر ٢/ ٨٣، ١٥٧، تهذيب اللغة ٧/ ٢٨٧، مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٨، ديوان الأدب ٢/ ٣٤٩، المخصص ١٠/ ١٣٧، الكشف والبيان ٩/ ٢٠٤، زاد المسير ٨/ ١٣٦، عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٢، اللسان: خلد، قوز، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٨٥، التاج: خلد، قوز.

(٣) قاله الحسن، ينظر: زاد المسير ٨/ ١٣٥، عين المعاني ورقة ١٣٠/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٣، الدر المنثور ٦/ ٢١٩.

(٤) رواه الطبرانيُّ عن سمرة بن جندب وأنس بن مالك في المعجم الأوسط ٢/ ٣٠٢-٣٠٣، =

وقوله: ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ جمع كُوبٍ، وهي الأقداح المستديرة الأفْواهِ، لا آذانَ لها ولا عُرًى/ ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع إبْرِيقٍ، وهي ذات الخراطيم، سُمِّيَتْ بذلك لِبَرِيقِ لونها من صفائها، ولَمْ ينصرف «أبارِيقَ»؛ لأنه جمع لا نظير له في الواحد[1] ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ١٨﴾؛ أي: خمر جارية، والكأس: الخمر، والمعين: الجاري. [٢٠٤/ أ]

قال الضحاك[2]: كل كَأْسٍ فِي القرآن فهي الخَمْرُ، وقوله: «مِنْ مَعِينٍ» قال قتادة[3]: يعني: من خَمْرٍ تُرَى بالعُيُونِ، وقيل[4]: تَجْرِي من العيون.

قوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾ يعني: لا تُصَدَّعُ رُؤُوسُهُمْ من شربها، ولا تَذْهَبُ عُقُولُهُمْ؛ أي: لا يَسْكَرُونَ كَفِعْلِ خَمْرِ أَهْلِ الدنيا إذا شَرِبُوها، فهي كما قال الله تعالى: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[5]، وقرأ الكوفيون: ﴿وَلَا يُنْزِفُونَ﴾[6] بكسر الزاي، والمعنى: لا تَفْنَى خَمْرُهُمْ.

= ٣/ ٢٢٠، ٥/ ٢٩٤، والمعجم الكبير ٧/ ٢٤٤، وينظر: مسند أبي يعلى ٧/ ١٣١، مجمع الزوائد ٧/ ٢١٩ كتاب القَدَرِ: باب فِي أولاد المشركين.

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٢٥-٣٢٦، وقال الجوهري: «والإبْرِيقُ: واحد الأباريق، فارسي معرب». الصحاح ٤/ ١٤٤٩، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٥/ ٢٤٥، المعرب للجواليقي ص ٢٣، ٢٦٥، زاد المسير ٨/ ١٣٦.

(٢) ينظر قوله في جامع البيان ٢٣/ ٦٣، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٢٦، تفسير القرطبي ١٥/ ٧٧.

(٣) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٢٦.

(٤) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٠، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٣.

(٥) الصافات ٤٦، ومحمد ١٥.

(٦) قرأ ابن مسعود وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن أبي إسحاق والسلمي والأعمش وطلحة وعيسى ابن عمر: «يُنْزِفُونَ» بكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتح الزاي، ينظر: القرطبي ١٧/ ٢٠٣، البحر المحيط ٨/ ٢٠٥، النشر ٢/ ٣٥٧، الإتحاف ٢/ ٥١٥، وينظر: ما سبق في سورة الصافات الآية ٤٧، ٢/ ٢٦٥.

قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ يعني: مما يختارون من ألوان الفواكه، يقال: تَخَيَّرْتُ الشَّيْءَ: إذا أخَذْتَ خَيْرَهُ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢١﴾ قال ابن عباس: «يَخْطُرُ على قلبه الطَّيْرُ، فَيَصِيرُ مُمَثَّلًا بين يديه على ما اشْتَهَى»[١].

فصل

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لَطَيْرًا فيه سبعون ألف ريشة، فيجيء فيقع على صَحْفَةِ الرَّجُلِ من أهل الجنة، ثم يَنْتَفِضُ فَيَخْرُجُ من كل ريشة لَوْنٌ أبْيَضُ مِثْلُ الثَّلْجِ والبَرَدِ، وألْيَنُ من الزُّبْدِ، وأعذب من الشَّهْدِ، ليس فيه لون يُشْبِهُ صاحِبَهُ، ثم يطير فيذهب»[٢].

قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ٢٢﴾؛ أي: بِيضٌ عِينٌ كِبارُ الأعْيُنِ، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي والمُفَضَّلُ بكسر الراء والنون[٣]، أتْبَعُوا آخِرَ الكلام في الإعراب على أوَّلِهِ في اللَّفْظِ دون المعنى؛ لأن الحُورَ لا يُطافُ بِهِنَّ، كقول الشاعر ـ الحُطَيْئةِ ـ:

٣٢٦ ـ إذا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يَوْمًا ... وَزَجَّجْنَ الحَواجِبَ والعُيُونا[٤]

---

(١) ينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢٣٣، مجمع البيان ٩/ ٣٦١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٠٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٤، الدر المنثور ٦/ ١٥٦، كنز العمال ١٤/ ٤٦٢.

(٣) قرأ أبو جعفر وحمزةُ والكسائيُّ، والمفضلُ عن عاصمٍ وأبو جعفر والحسنُ والسُّلَمِيُّ وعمرُو بنُ عبيد وشيبةُ والأعمشُ وطلحةُ وأبانُ وعُصْمةُ: ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالخفض، ينظر: السبعة ص ٦٢٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٤، البحر المحيط ٨/ ٢٠٦، الإتحاف ٢/ ٥١٥.

(٤) البيت من الوافر، ولكنه ليس للحُطَيْئةِ، وإنما هو للراعي النُّمَيْرِيِّ يفتخر، ورواية ديوانه:

وَهِـزَّةِ نِسوةٍ مِـن حَـيِّ صِـدقٍ ... يُـزَجِّجنَ الحَـواجِبَ والعُيونـا =

فعطف العيون على الحواجب، والعَيْنُ لا تُزَجَّجُ وإنما تُكَحَّلُ، والمعنى: وكَحَّلْنَ العُيُونَ، كذلك هاهنا، معناه: ويُكْرَمُونَ بفاكهةٍ ولَحْمِ طَيْرٍ وحُورٍ عِينٍ[1]، ويجوز أن يكون خفضا على تقدير: وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ[2].

وقرأ النَّخْعِيُّ وأَشْهَبُ العُقَيْلِيُّ: ﴿وَحُورًا عِينًا﴾[3] بالنصب، وكذلك هو في مصحف أُبَيٍّ، عَلَى معنى: ويُزَوَّجُونَ حُورًا عِينًا[4]، قال صاحب «إنسان

= **اللغة**: زَجَّجَتِ المَرْأةُ حاجِبَها بِالمِزَجِّ: دَقَّقَتْهُ وَطَوَّلَتْهُ، والمِزَجُّ: ما يُزَجَّجُ بِهِ الحاجِبُ.
التخريج: ديوان الراعي ص ٢٦٩، معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢٣، ١٩١، تأويل مشكل القرآن ص ٢١٣، إعراب القرآن ٤/ ٣٢٨، الخصائص ٢/ ٤٣٢، الإنصاف ص ٦١٠، البيان للأنباري ١/ ٤١٧، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢٥٤، ٢٦٢، ٣/ ٣٥٠، اللسان: رغب، زجج، ارتشاف الضرب ص ١٤٩٠، مغني اللبيب ص ٤٦٦، شرح شواهد المغني ص ٧٧٥، همع الهوامع ٢/ ١٨٢، ٣/ ١٥٩.

(١) هذا ما قاله الفراء والزجاج والنحاس، ومعناه أن العطف هنا على المعنى، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢٣-١٢٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١١، إعراب القرآن ٤/ ٣٢٨، وذهب الفارسي إلى أنه مخفوض على أنه معطوف على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، فقال: «وَوَجْهُ الجَرِّ أن تَحْمِلَهُ على قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، التقدير: أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حُورٍ عِينٍ؛ أي: في مُقارَنةِ حُورٍ عِينٍ، ومُعاشَرةِ حُورٍ عِينٍ، فحذف المضاف». الحجة ٤/ ٢١، وذكر مثله في المسائل العسكرية ص ١٦٥، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢٣٣.

(٢) لو قُدِّرَ: وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، لكان في هذا إضمارٌ للفعل ولحرف الجر، وهو غير جائز عند سيبويه، فقد قال: «ولا يجوز أن تضمر فِعْلاً لا يصل إلا بحرف جَرٍّ؛ لأن حرف الجر لا يُضْمَرُ... ولو جاز ذلك لقلت: زَيْدٍ، تريد: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ». الكتاب ١/ ٩٤، وينظر: شرح الكتاب للسيرافِيِّ ٣/ ١٤٠-١٤١.

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن مسعود وأُبَيٍّ والنَّخْعِيِّ وأَشْهَبَ العُقَيْلِيِّ وعيسى بن عمر، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥١، المحتسب ٢/ ٣٠٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٥، البحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

(٤) ذكر سيبويه قراءة «وَحُوراً عِينًا» بالنصب، وأنها مما حُمِلَ على المعنى. الكتاب ١/ ٩٤، ٩٥، =

العيــن»[١]: النصب علــى تقدير: يُعْطَوْنَ حُورًا، والخفــض على الجِوارِ، نحو قول الشاعر:

٣٢٧ـ كَبِيرُ أُناسٍ فِي بِجادٍ مُزَمَّلِ[٢]

وحَكَى الفَرّاءُ أن من العرب من يقول: «حِيرٌ عِينٌ» على الإتْباعِ[٣]، وقرأ الباقــون بالرَّفع على معنى: ولهم أو وعندهم / حُورٌ عِينٌ[٤]، وقيل: هو ابتداء [٢٠٤/ ب]

= وينظر أيضًا: إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٢٢، ٩٢٣، إعراب القرآن ٤/ ٣٢٩، شرح كتاب سيبويه للسيرافِيِّ ٣/ ١٤١، المحتسب ٢/ ٣٠٩، النكت للأعلم الشنتمري ص ٢٢٧.

(١) عين المعانِي ورقة ١٣٠/ ب.

(٢) هذا عَجُزُ بَيْتٍ من الطويل، لامرئ القيس، من معلقته، وصدره:

كَأَنَّ أبانًــا فِــي أفانِيــنِ وَدْقِــهِ

اللغــة: ثَبِيــرٌ: جَبَلٌ بمكةَ، وأبانٌ: واحِــدُ الأبانَيْنِ، وهما جَبَلانِ في الباديةِ، أحَدُهُما أَسْــوَدُ، والآخر أَبْيَضُ، فالأبيضُ لبَنِي أَسَدٍ، والأَسْوَدُ لبَنِي فَزارةَ، بينهما نَهَرٌ يُقالُ له: الرُّمّة، وبينهما نحــو ثلاثةِ أميالٍ، وأبانانِ: اســم عَلَمٍ عليهما، الأفانِينُ: الأَنْواعُ والضُّــرُوبُ، الوَبْلُ: المَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ القَطْرِ، البِجادُ: كِساءٌ مُخَطَّطٌ، المُزَمَّلُ: المُلَفَّفُ بالثوب.

التخريــج: ديوانــه ص ٢٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٩، المحتســب ٢/ ١٣٥، الكشــف والبيــان ١٠/ ٥٨، المحــرر الوجيز ٥/ ٣٨٦، أمالِيُّ ابن الشــجري ١/ ١٣٤، شــرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٩٧، القرطبي ٦/ ٩٤، ١٩/ ٣٢، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٠٩، شرح كافية ابن الحاجب للرضي ٤/ ٩٧، اللسان: خزم، زمل، عقق، البحر المحيط ٨/ ٣٥١، مغني اللبيب ص ٦٦٩، ٨٩٥، الدر المصون ٦/ ٤٠١، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٤٥٠، شرح شواهد المغني ص ٨٨٣، خزانة الأدب ٥/ ٩٨-١٠٢، ٩/ ٣٧، التاج: خزم.

(٣) لَــمْ أقــف على هذا القول فــي معانِي القرآن، وإنمــا حكاه النحاس عنه فــي إعراب القرآن ٤/ ٣٢٩، وقد قرأ النَّخَعِيُّ: «وَحِيرٍ عِينٍ»، ينظر: البحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

(٤) قاله ســيبويه في الكتــاب ١/ ١٧٢، وينظر: معانِي القرآن للفــراء ٣/ ١٢٣، إعراب القرآن ٤/ ٣٢٧، شرح كتاب سيبويه للسيرافِي ٣/ ١٤١، المسائل الشيرازيات ص ٢٦٨.

وخبره فيما بعده(١)، وقيل(٢): معناه: ويَطُوفُ عليهم حُورٌ عِينٌ.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ يعني: المَخْزُونِ فِي الصَّدَفِ الذي لا تَمَسُّهُ الأيدي ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يعني: ثَوابًا، وهو نصب على المفعول له، معناه: نفعل ذلك لَهُمْ جزاءَ أعمالِهِمْ، وقيل: على المصدر؛ أي: نَجْزِيهِمْ بذلك جَزاءَ أعمالهم(٣).

فصل

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «سَطَعَ نُورٌ فِي الجنة، قالوا: ما هذا؟ قالوا: ضَوْءُ ثَغْرِ حَوْراءَ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِها»(٤).

ويُرْوَى أن الحَوْراءَ إذا مَشَتْ سُمِعَ تَقْدِيسُ الخَلاخِلِ من ساقِها، وتَمْجِيدُ الأَسْوِرةِ من ساعِدَيْها، وإنَّ عِقْدَ الياقُوتِ يَضْحَكُ من نَحْرِها، فِي رِجْلَيْها نَعْلانِ من ذَهَبٍ شِراكُهُما من لُؤْلُؤٍ يَصِرّانِ بالتسبيح(٥).

قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ يعني: باطلًا ﴿وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ أي: لا يتكلمون بالإثم ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ يُسَلِّمُ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ،

---

(١) يعني أن الخبر قوله: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾.

(٢) يعني أنه معطوف على «وِلْدانٌ»؛ أي: يطوف عليهم ولدانٌ، ويطوف عليهم حُورٌ عِينٌ، ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، ٢٤٣، التبيان للعكبري ص ١٢٠٤، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٤١٨.

(٣) الوجهان قالهما الزجاج، ورَجَّحَ كَوْنَهُ مَصْدَرًا، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١١-١١٢، وحكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٣٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٥٢.

(٤) رواه ابن عَدِيٍّ في الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٥٧، وينظر: علل الدار قطني ٥/ ١٦٩، الكشف والبيان ٩/ ٢٠٥.

(٥) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٠٥.

وقيل: تُسَلِّمُ عليهم الملائكةُ، وفِي نصبهما وجهان[١]، أحدهما: إتْباعٌ لِلْقِيلِ؛ أي: لَكِنْ يقولون قِيلاً سَلامًا، والثانِي: بإضمار فِعْلٍ؛ أي: بل يَسْمَعُونَ سَلامًا، وقيل: هما منصوبان على المصدر[٢]، وقيل[٣]: على الاستثناء و﴿سَلَٰمًا﴾ يكون نعتًا لقِيلٍ؛ أي: إلّا قِيلًا يُسْلَمُ فيه من الصِّياحِ والصَّخَبِ وما يُؤْثَمُ فيه.

ثم رجع إلى ذِكْرِ منازل أصحاب الميمنة، فقال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: ماذا لهم؟ وما أعَدَّ اللهُ لهم من الكرامة؟ وفِي معنى أصحب اليمين ثلاثة أقوال[٤]، أحدها: أنه قيل لهم: أصحاب اليمين لأنهم أُعْطُوا كُتُبَهُمْ بِأيْمانِهِمْ، والثانِي: لأنه يُؤْخَذُ بهم يوم القيامة ذاتَ اليَمِينِ، وذلك أمارةُ مَنْ نَجا، والثالث: أنهم الذين أقسم الله تعالى أن يُدْخِلَهُم الجنةَ.

وقوله: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾﴾ يعني: لا شَوْكَ فيه، قد خُضِدَ شَوْكُهُ؛ أي: قُطِعَ[٥]، قال أُمَيّةُ بن أبِي الصَّلْتِ فِي وصف الجنة:

٣٢٨ ـ إنّ الحَدائِقَ فِي الجِنانِ ظَلِيلةٌ ... فِيها الكَواعِبُ سِدْرُها مَخْضُودُ[٦]

---

(١) كتب فوق هذه الكلمة في الأصل: «أربعة أوجه».

(٢) هذه الأقوال إنما هي في نصب «قِيلًا»، لا في نصب «سَلامًا سَلامًا»، ينظر في هذه الأوجه: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢٤، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٩١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٢، إعراب القرآن ٤/ ٣٣٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٥٢.

(٣) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٣٣٠.

(٤) هذه الأقوال الثلاثة ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٣١ وبهذا النص الذي ذكره الجبلي، وينظر أيضًا: زاد المسير ٨/ ١٣٢، تفسير القرطبي ١٧/ ١٩٨.

(٥) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٤٧، وينظر: تهذيب اللغة ٧/ ٩٨.

(٦) البيت من الكامل.

اللغة: الكَواعِبُ: جمع كاعِبٍ، وهي الجارية التي نَهَدَ ثَدْيُها، السِّدْرُ: شَجَرُ النَّبْقِ، والبَرِّيُّ منه ذو شَوْكٍ.

=

قولــه: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: مُتَراكِمٍ قد نُضِـدَ بالحَمْلِ من أوله إلى آخره، والطَّلْحُ جمع طَلْحةٍ، وهو المَوْزُ، والسِّـدْرُ المَخْضُودُ هو النَّبقُ الذي لا شَوْكَ فيه، / كأنه خُضِدَ شَوْكُهُ أي: قُطِعَ ونُزِعَ، ومنه الحديث فِي المدينة: «لا يُخْضَدُ شَوْكُها، ولا يُعْضَدُ شَجَرُها»[1]. وقيل[2]: الطَّلْحُ: هو من أعظم أشجار العرب كثير الشوك، قال بعض الحُداةِ: [٢٠٥/ أ]

٣٢٩ ـ سَـيَّرَها دَلِيلُهـا وَقـالا
غَـدًا تَرَيْـنَ الطَّلْـحَ والجِبـالا[3]

قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾؛ أي: دائم باقٍ لا يزول، ولا تَنْسَـخُهُ الشـمسُ، كَظِـلِّ ما بيـن طلوع الفجر إلى طلوع الشـمس[4]، والعرب تقول لكل شـيء

= التخريج: ديوان أمية بن أبِي الصلت ص ٥٩، مجاز القرآن ٢/ ٢٥٠، المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣، عيـن المعانِـي ورقة ١٣١/ أ، تفسـير القرطبي ١٧/ ٢٠٧، البحر المحيـط ٨/ ٢٠٢، الدر المصون ٦/ ٢٥٩، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٩٦، الدر المنثور ٦/ ١٥٧.

(١) قالـه ابن قتيبة فـي غريب القـرآن ص ٤٤٧، وينظر: تهذيب اللغـة ١٢/ ٤، غريب القرآن للسجسـتانِي ص ١٥٣، والحديـث رواه الإمام أحمد بسـنده عن أنس رضـي الله عنه في المسـند ٣/ ٢٣٨، وينظر: المعجم الأوسـط ٥/ ٢٦٧، سـنن الدارقطني ٣/ ٧٩، ومعنى قوله: «ولا يُعْضَدُ»؛ أي: لا يُقْطَعُ، والعَضَدُ والمَعْضُودُ: ما قُطِعَ من الشجر.

(٢) قاله أبو عبيدة وابن السكيت وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٥٠، إصلاح المنطق ص ٢٢، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٨.

(٣) من الرجز المشطور، نسبه القرطبي للجَعْدِيِّ، ونسبه غيره للحارِثِيِّ.
التخريـج: مجاز القـرآن ٢/ ٢٥٠، جامع البيـان ٢٧/ ٢٣٤، الكشـف والبيان ٩/ ٢٠٦، زاد المسـير ٧/ ٢٨٣، غريب الحديث للحربِي ٢/ ٦٣٠، مجمع البيان ٩/ ٣٢٩، تفسـير القرطبي ١٧/ ٢٠٨، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٩٦.

(٤) قالـه الفراء وأبو عبيدة، ينظر: معانِي القرآن ٣/ ١٢٥، مجاز القرآن ٢/ ٢٥٠، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٥٣.

طويل لا ينقطع: مَمْدُودٌ، قال لبيد:

٣٣٠ـ غَلَبَ العَزاءَ، وَكانَ غَيْرَ مُغَلَّبِ دَهْـرٌ طَـوِيـلٌ دائِـمٌ مَـمْـدُودُ[١]

قيل: هو مسيرة سبعين ألف سنة، وقيل: هو ظِلُّ العَرْشِ، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «هي شجرة في الجنة على ساق العرش، يَخْرُجُ إليها أَهْلُ الجنة: أَهْلُ الغُرَفِ وغَيْرُهُمْ، فيتحدثون في أصلها، ويُذاكِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ويشتهي بعضهم لَهْوَ الدنيا، فَيُرْسِلُ اللهُ عزّ وجلّ إليها رِيحًا من الجنة، فتتحرك تلك الشجرةُ بكل لَهْوٍ كان في الدنيا»[٢].

فصل

عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فِي الجنة شجرةً، يسير الراكب في ظِلِّها مائة سنة لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[٣].

---

(١) البيت من الكامل، لِلَبِيدٍ، من قصيدة يذكر فيها طول عمره وسَأَمَهُ من الحياة، ويُرْوَى: «غَلَبَ البَقاءَ وَكُنْتُ غَيْرَ... »، ويُرْوَى: «غَلَبَ الرِّجالَ»، وقوله: «دَهْرٌ» فاعل الفعل «غَلَبَ» مؤخر، و«العَزاءَ» مفعولٌ مقدمٌ، والمُغَلَّبُ: المَغْلُوبُ كثيرًا.

التخريج: ديوانه ص ٤٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٥٠، جامع البيان ٢٧/ ٢٣٦، الأغانِي ١٤/ ٩٤، ١٠٠، الكشف والبيان ٩/ ٢٠٧، الأنساب ٤/ ١١٦، مجمع البيان ٩/ ٣٣٠، عين المعانِي ورقة ١٣١/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٠٩، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٣٩٨.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٠٧، تفسير ابن كثير ٤/ ٣١١، فتح الباري ٦/ ٢٣٣، الدر المنثور ٦/ ١٥٧.

(٣) رُوِيَ هذا الحديث عن أنس أيضًا، رواه البخاري في صحيحه ٤/ ٨٧ كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في صفة الجنة، ٦/ ٥٧ كتاب تفسير القرآن: سورة الواقعة، ٧/ ٢٠١ كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، ورواه مسلم في صحيحه ٨/ ١٤٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب «إنّ فِي الجنة شجرةً... إلخ».

قوله: ﴿وَمَآءٍ مَّسۡكُوبٍ ٣١﴾؛ أي: مَصْبُوبٍ يجري دائمًا في غَيْرِ أُخْدُودٍ، لا ينقطع ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٍ﴾ بالأزمان ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٍ ٣٣﴾

بالأثمانِ، قال قتادة(١): لا يَمْنَعُ منها شَوْكٌ ولا بُعْدٌ، رُوِيَ عن ثَوْبانَ(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قُطِعَتْ ثَمَرةٌ من ثِمارِ الجنة إلّا أبْدَلَ اللهُ مَكانَها ضِعْفَيْنِ»(٣)، قال الصَّفّارُ(٤): و﴿مَقۡطُوعَةٍ﴾ نعت، وجاز أن يفرق بين النعت والمنعوت بقولك: «لا» لكثرة تصرفها، وأنها تقع زائدة.

قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤﴾ يعني: على الأسِرّةِ، بعضُها فوق بعض عالية، رُوِيَ عن أبِي سعيد الخُدْرِيِّ وأبِي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ فِي قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرۡفُوعَةٍ﴾، قال: «إنّ ارتفاعَها لَكَما بين السماء والأرض، مسيرةَ خمسمائة عام»(٥)، وقيل(٦): إنه أراد بالفُرُشِ النَّسْلَ، والعرب تسمي المرأةَ

---

(١) ينظر قوله في إعراب القرآن ٤/ ٣٣٢، وذكره القرطبي بغير عزو في تفسيره ١٧/ ٢١٠.

(٢) هو ثَوْبانُ بن يَجْدُدَ، أبو عبد الله، مولَى النبيِّ ﷺ، أصله من أهل السراة بين مكة واليمن، اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه، فلم يزل يخدمه حتى مات النبي ﷺ، فخرج إلى الشام ونزل الرملة بفلسطين، ثم انتقل إلى حمص فمات بها سنة (٥٤هـ). [أسد الغابة ١/ ٢٤٩-٢٥٠، الإصابة ١/ ٥٢٧-٥٢٨، الأعلام ٥/ ١٠٢].

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٠٨.

(٤) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣٣١-٣٣٢.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٧٥، والترمذي في سننه ٤/ ٨٦ أبواب صفة الجنة: باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، ٥/ ٧٥ أبواب تفسير القرآن: سورة الواقعة، والثعلبيُّ في الكشف والبيان ٩/ ٢٠٨، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبِي هريرة بلفظ: «غِلَظُ كُلِّ فِراشٍ منها ما بين السماء والأرض». الموضوعات ٣/ ٢٥٤، وينظر: تذكرة الموضوعات ص ٨٥.

(٦) قاله ابن جبير والحسن ومجاهد وقتادة، ورُوِيَ عن ابن عباس، ينظر: الكشف والبيان =

فِراشًا ولِباسًا وإزارًا على الاستعارة؛ لأن الفُرُشَ مَحْمَلُ النساء، وقوله: «مَرْفُوعةٍ» رُفِعَتْ بالجَمالِ والفَضْلِ على نساء أهل الدنيا، ودليل هذا التأويل قولُهُ تعالى في عقبه: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥﴾ يعني مُؤْمِناتِ نِساءِ أَهْلِ الدنيا؛ أي: خَلَقْناهُنَّ بعد الخَلْقِ الأَوَّلِ خَلْقًا آخَرَ ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾ عَذارَى ﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوبٍ، وهي المُتَحَسِّنةُ / المُتَحَبِّبَةُ إِلَى زوجها، العاشقة له الغَنِجةُ. [٢٠٥/ ب]

قال صاحب «إنسان العين»[1]: العَرُوبُ: التي يُعْرِبُ لِسانُها على ما فِي قلبها، فهي التي تُكَلِّمُ زَوْجَها بما يُنَشِّطُ فِي الجِماعِ، قال الشاعر:

٣٣١ ـ يَعْرُبْنَ عِنْدَ بُعُولِهِنَّ إذا خَلَوْا وَإذا هُمُ خَرَجُوا فَهُنَّ خِفارُ[2]

قرأ حَمْزةُ وأبو بكر بنُ عَيّاشٍ: ﴿عُرْبًا﴾[3] ساكنة الراء، وقرأ الباقون بالتحريك، وقوله: ﴿أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ يعني: مُسْتَوِياتٍ فِي السِّنِّ، كأنهن وُلِدْنَ في

= ٩/ ٢٠٩، الكشاف ٤/ ٥٤، زاد المسير ٨/ ١٤١، عين المعانِي ورقة ١٣١/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٠.

(١) عين المعانِي ورقة ١٣١/ أ.

(٢) البيت من الكامل، للفرزدق، ورواية ديوانه:

يَأْنَسْنَ عِنْدَ بُعُولِهِنَّ إذا التَقَوْا وَإذا هُمُ بَرَزُوا فَهُنَّ خِفارُ

اللغة: يَعْرُبْنَ: يَتَحَبَّبْنَ إلى أزواجهن، الخِفارُ: جمع خَفِرةٍ وهي الشديدة الحياء.

التخريج: ديوانه ١/ ٣٧١، غريب الحديث للهروي ٣/ ٢٥٣، عيون الأخبار ٤/ ٤، تهذيب الكمال ٢/ ٤٤٣، تاريخ دمشق ٨/ ٢٤٣، ٤٦/ ١٠٣، روضة المحبين ص ٣٤٣، الدر المنثور ٦/ ١٥٩، روح المعانِي ٢٧/ ١٤٢.

(٣) قرأ حمزةُ، وعاصمٌ في رواية أبي بكر وحمادٍ وأبانٍ عنه، ونافعٌ في رواية إسماعيل بن جعفر عنه، وأبو زيد، وأبو عمرو في رواية شجاع بن أبِي نصر عنه: «عُرْبًا» ساكنة الراء، وهي لغة تميم وبكر، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢٥، السبعة ص ٦٢٢، إعراب القرآن ٤/ ٣٣٢، الحجة للفارسي ٤/ ٢١، تفسير القرطبي ١٧/ ٢١١، البحر المحيط ٨/ ٢٠٦.

يوم واحد، مأخوذ من لَعِبِ الصبيان بالتراب، وقوله: ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾ يريد: أنْشَأْناهُنَّ لأصحاب اليمين.

فصل

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة الصالحة تفوق الحُورَ سبعين ضِعْفًا، إذا كانت صالحةً مسلمةً»[١].

وعن أبِي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنّةِ الجَنّةَ جُرْدًا مُرْدًا بِيضًا جِعادًا[٢] مُكَحَّلِينَ أبْناءَ ثَلَاثٍ وثَلَاثِينَ على خَلْقِ آدَمَ، طوله ستون ذراعًا فِي سبعة أذرع»[٣].

ثم ذكر الله تعالى أصحاب الشِّمالِ، وذكر منازلهم فقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ﴾؛ أي: فِي رِيحٍ حارّةٍ أو بارِدةٍ تعمل عَمَلَ السُّمِّ ﴿وَحَمِيمٖ ٤٢﴾ ماء حارٌّ يَغْلِي ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣﴾ من دخان جهنم، واليَحْمُومُ: «يَفْعُولٌ» من الأحَمِّ وهو الأسْوَدُ، والعرب تقول: أسْوَدُ يَحْمُومٌ: إذا كان شديد السواد[٤].

---

(١) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٩٤/ ب.

(٢) المُرْدُ: جمع أمْرَدَ وهو الشابُّ الذي بَلَغَ خُرُوجَ لِحْيَتِهِ، وطُرَّ شارِبُهُ، ولَمْ تَبْدُ لِحْيَتُهُ، والجِعادُ: جمع جَعْدٍ، وهو الرجل الذي تَجَعَّدَ شَعَرُهُ، يقال: جَعُدَ الشَّعَرُ يَجْعُدُ جُعُودةً وجَعادةً وتَجَعَّدَ، وجَعَّدَهُ صاحِبُهُ تجْعِيدًا. اللسان: مرد، جعد.

(٣) ورُوِيَ أيضًا عن معاذ، رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٩٥، ٣٤٣، ٤١٥، ٥/ ٢٤٣، والترمذي في سننه ٤/ ٨٨ أبواب صفة الجنة: باب ما جاء في سِنِّ أهل الجنة، والطبرانِيُّ في المعجم الصغير ٢/ ١٧، والمعجم الأوسط ٥/ ٣١٨، والمعجم الكبير ٢٠/ ٦٤.

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٥١، وينظر: جامع البيان ٢٧/ ٢٤٩، الوسيط =

وقيل[١]: اليَحْمُومُ: نار شديدة السواد، يَغْلِبُها الدُّخانُ، مأخوذ من الحَمِّ، وهو الشَّحْمُ المُسَوَّدُ بالاحتراق، قال قُطْرُبٌ:

٣٣٢ - وَماءٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَطْنِ قِدْرٍ فُراتِ المَدِّ كاليَحْمُومِ جارِي[٢]

وقال ابن بُرَيْدَةَ[٣]: اليَحْمُومُ: جَبَلٌ في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار.

ثم نعت ذلك الظِّلَّ، فقال: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ قال ابن عباس[٤]: يريد: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر، قال الفراء[٥]: العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نَفَتْ عنه وَصْفًا تَنْوِي به الذَّمَّ، تقول: ما هو بِسَمِينٍ ولا كَرِيمٍ، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة.

ثم ذكر أعمالهم التي أوْجَبَتْ لهم هذا العذابَ، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ مُنَعَّمِينَ مُتَكَبِّرِينَ في تَرْكِ أَمْرِ الله والعمل بطاعته ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ يعني: يقيمون على الذنب الكبير، وهو الشرك.

= ٤/ ٢٣٦، المفردات للراغب ص ١٣٠، وقال العكبري: «والياء في «يحموم» زائدة، ووزنه «يَفْعُولٌ» من الحمم أو من الحميم». التبيان ص ١٢٠٥.

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ١٧/ ٢١٢.

(٢) البيت من الوافر، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: الكشف والبيان ٩/ ٢١٣ برواية «ببطن مكة»، عين المعانِي ١٣١/ أ برواية «ببطن نَزْلٍ».

(٣) ينظر قوله في شفاء الصدور ٩٥/ ب، الكشف والبيان ٩/ ٢١٣، المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٣.

(٤) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢٣٦، زاد المسير ٨/ ١٤٤.

(٥) معانِي القرآن ٣/ ١٢٧.

وما بعد هذا ظاهر التفسير/ إلى قوله تعالى ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥﴾ [٢٠٦/ أ] قرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة والأعمش وأيوب بضم الشين، واختاره أبو حاتم، وقرأ الباقون بفتحه[1]، واختاره أبو عبيد، قال المبرد[2]: الفتح على أصل المصدر، والضم اسم للمصدر، والمعنى فيهما واحد، تقول: شَغَلَهُ شَغْلًا، والاسم الشُّغْلُ، وضَعُفَ ضَعْفًا، والاسم الضُّعْفُ.

وبعدهما لغتان جيدتان، تقول العرب: شَرِبْتُ شُرْبًا وشُرُوبًا بالضم[3]، وشُرُبًا بضمتين، ومن العرب من يقول: شَرِبْتُ شِرْبًا[4] بكسر الشين، وكلها لغات جاءت عن العرب، والتقدير: فَشَارِبُونَ شُرْبًا مِثْلَ شُرْبِ الهِيمِ، فحذف المصدر[5]، قال الشاعر:

٣٣٣- شَكَّ الفَرِيصةَ بِالمِدْرَى فَأَنْفَذَها شَكَّ المُبَيْطِرِ إذْ يَشْفِي مِنَ العَضَدِ[6]

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي والأعرج وابن المُسَيِّبِ ويحيى بن سعيد الأموي وشعيب بن الحبحاب ومالك بن دينار وابن جريج: «شَرْبَ الهِيمِ» بفتح الشين، ينظر: السبعة ص ٦٢٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٤٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٤، البحر المحيط ٨/ ٢٠٩، الإتحاف ٢/ ٥١٧.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢٣٦.

(٣) قال الجوهري: «شَرِبَ الماءَ وغيرَهُ شُرْبًا وشَرْبًا وشِرْبًا، وقرئ: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ بالوجوه الثلاثة، والشَّرْبُ: جمع شارِبٍ، ثم يجمع الشَّرْبُ على شُروبٍ». الصحاح ١/ ١٥٣.

(٤) وقد قرأ بكسر الشين مجاهدٌ وأبو عثمان النهدي، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٢، البحر المحيط ٨/ ٢٠٩.

(٥) قاله مَكِّيٌّ في مشكله ٢/ ٣٥٣، وينظر: أمالي ابن الشجري ١/ ٨٧، التبيان للعكبري ص ١٢٠٥.

(٦) من البسيط، للنابغة يَصِفُ ثَوْرًا ضَرَبَ بِقَرْنِهِ فَرِيصةَ كَلْبٍ فَأَنْفَذَها، ورواية ديوانه: «طَعْنَ المُبَيْطِرِ».

=

وأما الهِيمُ فهي الإبِلُ العِطاشُ[١]، وقيل[٢]: هو داءٌ بالإبل لا تَرْوَى معه، ولا تزال تشرب حتى تَهْلِكَ، ويقال لذلك الداء: الهُيامُ، والْهِيمُ جمع هَيْماءَ وأهْيَمَ، ويقال: جَمَلٌ أهْيَمُ وناقةٌ هَيْماءُ وإبِلٌ هِيمٌ، وقد أجاز الفراء أن يكون الهِيمُ جمع هائِمٍ[٣]، قال مقاتل[٤]: يُلْقَى على أهل النار العَطَشُ، فيشربون -أراد: من الحميم- كشرب الهيم ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ يعني: ما ذُكِرَ من الزَّقُّومِ وشرب الحميم عذابُهُمْ ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ يعني: يَوْمَ يُجازَوْنَ بأعمالهم.

= **اللغة**: شَكَّهُ بالرُّمْحِ والسَّهْمِ: انْتَظَمَهُ وَخَرَقَهُ، الفَرِيصةُ: اللَّحْمُ الذي بَيْنَ الكَتِفِ والصَّدْرِ، المِدْرَى: قَرْنُ الثَّوْرِ، المُبَيْطِرُ: الذي يُعالِجُ الدَّوابَّ، العَضَدُ: داء يأخذ الإبل في أعضادها فتُبَطُّ.

والشاهد فيه نصب «شَكَّ» على النعت لمصدر محذوف، والتقدير: شَكًّا مِثْلَ شَكِّ المبيطر، فحذف الموصوف والمضاف.

التخريج: ديوانه ص ١٩، العين ١/ ٢٦٨، ٧/ ٤٢٢، ٨/ ٦١، مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦، جمهرة اللغة ٢/ ٦٥٨، تهذيب اللغة ١/ ٤٥٣، ١٢/ ١٦٥، ١٤/ ١٦٠، الصحاح ص ٥٠٩، ٢٣٣٥، تاريخ دمشق ٩/ ٢٣٢، اللسان: بطر، درى، عضد، التاج: دري.

(١) قاله أكثر العلماء، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٦٤٩، جامع البيان ٢٧/ ٢٥٤-٢٥٥، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١١٣، ياقوتة الصراط ص ٥٠٢، الصحاح ٥/ ٢٠٦٣، القرطبي ١٧/ ٢١٤-٢١٥.

(٢) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٠، وحكاه الثعلبي عن عكرمة وقتادة في الكشف والبيان ٩/ ٢١٤، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٥٤، المفردات للراغب ص ٥٤٧، النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٨٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٥.

(٣) قال الفراء: «واحدها أهْيَمُ، والأنثى هَيْماءُ، ومن العرب من يقول: هائِمٌ، والأنثى: هائِمةٌ، ثم يجمعونه على هِيمٍ كما قالوا: عائِطٌ وعِيطٌ وحائِلٌ وحُولٌ». معاني القرآن ٣/ ١٢٨.

(٤) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٢٣٦.

ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾؛ أي: خلقناكم ولَمْ تكونوا شيئًا، وأنتم لا تعلمون ذلك ﴿فَلَوْلَا﴾؛ أي: فَهَلّا ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ بالبعث.

قولــه تعالــى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾؛ أي: تَصُبُّونَ في أرحام النســاء من النُّطَفِ ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ بَشَرًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ استفهام إنكار ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ منكم من يموت كبيرًا، ومنكم من يموت صغيرًا، وقيل: تقديره أنه جَعَلَ أهل السماء وأهل الأرض فيه سواءً، وعلى هذا يكون معنى «قَدَّرْنا» قَضَيْنا، وقرأ ابن كثير: ﴿قَدَرْنا﴾[1] مخففًا، وهما لغتان، يقال: قَدَرْتُ الشَــيْءَ وقَدَّرْتُهُ[2] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾؛ أي: بِمَغْلُوبينَ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾؛ أي: نأتِي بِخَلْقٍ مِثْلِكم بَدَلاً منكــم ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ من الصُّوَرِ؛ أي: نجعل منكم القِرَدةَ والخَنازِيـرَ، ولَمْ يَفُتْنا ذلك ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني ابتداء الخَلْقِ حين خُلِقْتُمْ من نُطْفةٍ وعَلَقةٍ ومُضْغةٍ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾؛ أي: فَهَلَّا تَتَّعِظُونَ، فلا تُنْكِرُوا قدرة الله على النشأة الأخيرة، قرأ أبو عمرو وابن كثير والحسن: «النَّشاءَةَ» بالمَدِّ حيث وقع، وقرأ الباقون بالقصر[3]، وهما لغتان فصيحتان.

قوله تعالــى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾؛ أي: تُـثَيرُونَ الأرضَ وتعملون فيها وتُلْقُــونَ فيها من البَذْرِ ﴿ءَأَنتُمْ﴾ ابتداء ﴿تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ خبـره؛ أي: تُنْبِتُونَهُ،

---

(١) هــذه قراءة ابن مُحَيْصِنٍ ومجاهد وحُمَيْدٍ أيضًا، ينظر: السـبعة ص ٦٢٣، تفسـير القرطبي ١٧/ ٢١٦، الإتحاف ٢/ ٢١٦.

(٢) ينظر ما سبق في الآية ٨٧ من سورة الأنبياء ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ١/ ٢٠٣.

(٣) ينظر ما تقدم في سورة العنكبوت ٢/ ١٣ وسورة النجم ٣/ ٢٢١.

[٢٠٦/ ب] استفهام إنكار ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)﴾ المنبتون، قال المبرد[١]: يقال: زَرَعَهُ / اللهُ؛ أي: أنْماهُ.

ورَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَقُولُ أحَدُكُمْ: زَرَعْتُ، ولْيَقُلْ: حَرَثْتُ»، قال أبو هريرة: أَلَمْ يسمعوا قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [٢].

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ يعني: هَشِيمًا يابِسًا ﴿فَظَلْتُمْ﴾ فَصِرْتُمْ ﴿تَفَكَّهُونَ (٦٥)﴾ ويقال: تَفَكَّنُونَ[٣] أيضًا بالنون، وهي لغة عُكْلٍ[٤]؛ أي: تَنَدَّمُونَ، قرأ العامة: «فَظَلْتُمْ» بفتح الظاء، وقرأ عبد الله بكسرها[٥]، والأصل: ظَلِلْتُمْ فحذف إحدى اللامين تخفيفًا، فمن فتح الظاء فعلى الأصل، ومن كسرها نقل حركة اللام المحذوفة إلى الظاء، قال الشاعر:

٣٣٤ ـ ظَلِلْتُ بِها أبْكِي وَأبْكِي إلَى الغَدِ[٦]

---

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢٣٧، فتح القدير ٥/ ١٥٧.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٨/ ٨٠، والبيهقيُّ في السنن الكبرى ٦/ ١٣٨ كتاب المزارعة: باب ما يستحب من حفظ المنطق في الزرع، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٤/ ١٢٠ كتاب البيوع: باب «لا يقال: زرعت».

(٣) وقد قرأ بالنون أبو حِزامٍ العُكْلِيُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٥٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٩، البحر المحيط ٨/ ٢١١.

(٤) ذكر ابن قتيبة ذلك في غريب القرآن ص ٤٥٠، وابن الأنباري في الأضداد ص ٦٥، وحكاه الأزهري عن الفراء في التهذيب ٦/ ٢٧، وينظر: اللسان: فكه.

(٥) قرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حَيْوةَ وأبو بكر بن عَيّاشٍ والثَّوْرِيُّ: «فَظِلْتُمْ» بكسر الظاء، ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٩، البحر المحيط ٨/ ٢١١.

(٦) هذا عجز بيت من الطويل، لطرفة بن العبد، وصدره:

بِرَوْضةِ دُعْمِيٍّ فَأكْنافِ حائِلِ =

ومعنـى «تَفَكَّهُونَ»: تتَعَجَّبُونَ مما نَزَلَ بكم في زَرْعِكُمْ، وقيل: تَنَدَّمُونَ، وقيـل: تَلاَوَمُونَ، وقيل: تَحْزَنُونَ، وهـو من الأضداد، تقول العرب: تَفَكَّهْتُ: إذا تَنَعَّمْـتَ، وتَفَكَّهْـتُ: إذا حَزِنْتَ[1]، قـال أبو عمرو والكسـائيُّ[2]: التَّفَكُّهُ هـو التَّلَهُّفُ على ما فـات، وقيل[3]: التَّفَكُّهُ: التَّكَلُّمُ فيمـا لا يَعْنِيكَ، ومنه قيل للمِزاحِ: فُكاهةٌ.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٦٦﴾ قرأ أبو بكر والمفضل: ﴿أَإِنَّا﴾ بهمزتين[4]، وقرأ الباقون: «إِنَّا» على الخبر، ومجاز الآية: فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ، وتقولون: إنا لَمُغْرَمُونَ[5]؛ أي: مُعَذَّبُونَ، والغَرامُ: العذاب[6]، وقيل[7]: المُغْرَمُ: الذي ذهب مالُهُ بغير عِوَضٍ،

= **اللغة**: الرَّوْضةُ: مُجْتَمِعُ الماءِ، دُعْمِيٌّ: لعله دُعْمِيُّ بْنُ جُدَيْلةَ أبو قبيلة، حائل: موضع بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ وموضع بنَجْدٍ.

التخريج: ديوانه ص ١٧٥، طبقات فحول الشـعراء ص ١٣٨، شـرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ١٣٢، إعراب القرآن ٤/ ٣٤٠، شرح القصائد المشهورات للنحاس ١/ ٥٣.

(١) ينظـر: الأضداد لقطـرب ص ١٤١، الأضداد لابن الأنبـاري ص ٦٥-٦٦، الأضداد لأبِي الطيب ٢/ ٥٤٥.

(٢) ينظر قولهما في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨٠، الوسيط ٤/ ٢٣٨.

(٣) حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٦/ ٢٦، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٣١/ أ، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٢١-٤٢٢.

(٤) قـرأ أبو بكر والمُفَضَّلُ كلاهما عن عاصمٍ، والأعمشُ والجحدريُّ وزِرُّ بنُ حُبَيْشٍ: ﴿أَإِنَّا﴾، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿إِنَّا﴾ بهمزة واحدة، ينظر: السبعة ص ٦٢٣-٦٢٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٩، البحر المحيط ٨/ ٢١١.

(٥) يعني أن القول مضمر قبل «إِنَّا» على القراءتين، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٠٥.

(٦) قاله الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢٩، مجاز القرآن ٢/ ٢٥١، غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٥٤، ولابن عباس وقتادة في تفسير القرطبي ١٧/ ٢١٩.

(٧) قاله الضحاك وابن كيسـان، ينظر: عين المعانِي ورقة ١٣١/ أ، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٠، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٢٣.

ومعناه: تقولون: إنا قد غَرِمْنا الحَبَّ الذي بَذَرْناهُ، فذهب من غير عِوَضٍ، وذلك قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾؛ أي: ممنوعون مُحارَفُونَ، فالمَحْرُومُ ضِدُّ المَرْزُوقِ، والمعنى: إنا حُرِمْنا ما كُنّا نطلبه من الرَّيْعِ[1] والزَّرْعِ.

فصل

عن أنس بن مالك قال: مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بأرض الأنصار، فقال: «ما يَمْنَعُكُمْ من الحَرْثِ»؟ قالوا: الجُدُوبةُ، قال: «فلا تفعلوا، فإن الله عزّ وجلّ يقول: أنا الزارع، إن شئتُ زَرَعْتُ بالماء، وإن شئت زَرَعْتُ بالرِّيح، وإن شِئْتُ زَرَعْتُ بالبَذْرِ»، ثم تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ يعني السحاب، واحدتها مُزْنةٌ، قال الشاعر:

٣٣٥ـ فَنَحْنُ كَماءِ المُزْنِ، ما فِي نِصابِنا كَهامٌ، وَلا فِينا يُعَدُّ بَخِيلُ[3]

---

(١) رَيْعُ البَذْرِ: فَضْلُ ما يَخْرُجُ من البَذْرِ على أصله، والرَّيْعُ فِي كل شيء: الزِّيادةُ والنَّماءُ.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢١٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٠.

(٣) البيت من الطويل، للسَّمَوْأَلِ بن عادِياءَ يفخر بقومه.

اللغة: ماءُ المُزْنِ: المَطَرُ، يريد أن نَسَبَهُمْ صافٍ كَصَفاءِ ماءِ المَطَرِ، النِّصابُ: الأَصْلُ والمَرْجِعُ، الكَهامُ والكَهِيمُ: من يُبْطِئُ عن النُّصْرةِ والحَرْبِ، والكَهامُ: الثقيل المُسِنُّ الذي لا غَناءَ عنده.

التخريج: ديوانه ص ٩١، أماليُّ القالِي ١/ ٢٧٠، العقد الفريد ١/ ٢٤٨، الكشف والبيان ٩/ ٢١٦، المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩، شرح الحماسة للتبريزي ١/ ٥٩، شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٢٠، المستطرف ١/ ٢٠٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٠، الحماسة البصرية ص ١٤٢، الدر المصون ٦/ ٢٦٤، المقاصد النحوية ١/ ٧٧

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ يعني: التي تُوقِدُونَ وتستخرجون من الحجارة والشجر، يقال: أَوْرَى القِدْحُ: إذا أَتَى بالنار من الزُّنُودِ[1] اسْتِخْراجًا، ويقال: / وَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي، فهو وارٍ: إذا انْقَدَحَتْ منه النارُ، وأَوْرَيْتُ النارَ: إذا قَدَحْتَها وأَظْهَرْتَها[2] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ يعني: خَلَقْتُمُوها ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ يعني: الخالقون لها ﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا﴾ يعني نار الدنيا ﴿تَذْكِرَةً﴾ عِظةً ليتعظ بها المؤمن، وقيل: تذكرة للنار الكبرى ـ أجارنا الله منها ـ ﴿وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: بُلْغةً للمسافرين الذين لا زادَ لهم ولا مالَ معهم، والمُقْوِي أيضًا: الكَثِيرُ المالِ، وهذا من الأضداد[3]، والمُقْوِي: المسافر الذي يَنْزِلُ بالأرض القِيِّ والقَواءِ[4]، وهي القَفْرُ الخالية البعيدة من العُمْرانِ والأَهْلِينَ، يقال: أَقْوَتِ الدارُ: إذا خَلَتْ من سُكّانِها، قال النابغة:

أَقْوَتْ، وَطالَ عَلَيْها سالِفُ الأَبَدِ[5]

وقال آخر:

٣٣٦ ـ حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... أَقْوَى، وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ[6]

---

(١) الزُّنُودُ: جمع زَنْدٍ، وهو العود الأعلى الذي يُقْتَدَحُ به النارُ، والسُّفْلَى: زَنْدةٌ، ويجمع أيضًا على أَزْنُدٍ وأَزْنادٍ وزِنادٍ، وأزانِدُ: جمع الجمع. اللسان: زند.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١١٥، وحكاه الأزهري عن ابن السِّكِّيتِ في التهذيب ١٥/ ٣٠٧، وفيه لغة أخرى، يقال: وَرِيَ يَوْرَى، ينظر: التهذيب ١٥/ ٣٠٧، الصحاح ٦/ ٢٥٢٢.

(٣) ينظر: الأضداد لقطرب ص ٩٢، الأضداد لابن الأنباري ص ١٢٢-١٢٣، الأضداد لأبي الطيب ٢/ ٥٦٩-٥٧١، التهذيب ٩/ ٢٦٨-٢٦٩.

(٤) قاله الفراء والزجاج، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٩، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١١٥، وينظر: التهذيب ٩/ ٣٦٩، شمس العلوم ٨/ ٥٦٧٩.

(٥) سبق تخريج البيت كاملًا برقم ٢٦٥، ٣/ ١١٨.

(٦) البيت من الكامل، لعنترة من معلقته. =

والمعنى: أنه يَنْتَفِعُ بها أَهْلُ البَوادِي والأسفار، ومنفعتهم بها من منفعة أهل الحَضَرِ؛ لأنهم يوقدونها ليلًا لتهرب منهم السباع، ويهتدي بهم الضّالُّ عن الطريق.

فصل

عن أَبِي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نارَكُمْ هذه التي يُوقِدُ بنو آدم جُزْءٌ من سبعين جُزْءًا من حَرِّ جَهَنَّمَ»، قالوا: واللهِ إنْ كانَتْ لَكافِيَتَنا يا رسول الله، قال: «فإنها فُضِّلَتْ عليها بِتِسْعةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّها مِثْلُ حَرِّها»[1].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ معناه: أُقْسِمُ، و﴿لَآ﴾ صلة زائدة، المعنى: فَأُقْسِمُ[2]، وتصديقه قراءة عيسى بن عمر: ﴿فَلَأُقْسِمُ﴾[3]

= اللغة: حُيِّيتَ: أَحْياكَ اللهُ، تَقادَمَ عَهْدُهُ: طالَ عَهْدُهُ بأهلِهِ وَقَدُمَ، فَتَغَيَّرَ لذلك، أَقْوَى: خَلا من أهلِهِ، أُمُّ الهَيْثَمِ: كُنْيةُ عَبْلَةَ محبوبتِهِ.

التخريج: ديوانه ص ١٨٩، الأغاني ٧/ ١٣٧، ٨/ ١٣٤، ١٥/ ١٣٢، ١٣٣، تهذيب اللغة ١/ ٤٢٤، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠، شمس العلوم ٨/ ٥٦٧٩، زاد المسير ١/ ٨١، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٢، اللسان: شرع، اللباب فِي علوم الكتاب ١٨/ ٤٢٦، التاج: شرع.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٤٤، ٣١٣، ٤٧٨، ومسلم في صحيحه ٨/ ١٤٩ كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب فِي شدة حَرِّ نار جهنم، والترمذي في سننه ٤/ ١١٠ أبواب صفة جهنم: باب ما جاء «إن ناركم هذه جزء... إلخ».

(٢) قاله سعيد بن جبير وأبو عبيدة والزجاج وكثير من العلماء، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٥٢، ٢٧٧، جامع البيان ٢٧/ ٢٦٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٥، وينظر أيضًا: المسائل الحلبيات ص ١٤٧، المسائل الشيرازيات ص ١٥٢، الكشاف ٤/ ٥٨ وغيرها.

(٣) وهي قراءة الحسن وحُمَيْدٍ أيضًا. ينظر: المحتسب ٢/ ٣٠٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٣، البحر المحيط ٨/ ٢١٢.

على التحقيق، وقال بعض أهل العربية[١]: معناه: فليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القَسَمَ فقال: «أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ».

وعَنَى بالنجوم نُجُومَ القرآن التي كانت تُنَزَّلُ على رسول الله ﷺ نُجُومًا متفرقةً، قال ابن عباس[٢]: نزل القرآن فِي ليلة القدر جُمْلةً من عند الله من اللَّوْحِ المحفوظ إلى السَّفَرةِ الكِرامِ الكاتبين فِي السماء الدنيا، فَنَجَّمَتْهُ السَّفَرةُ الكِرامُ على جبريل عليه السّلام عشرين ليلة، ونَجَّمَهُ جِبْرِيلُ على محمد ﷺ عشرين سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ يعني نجوم القرآن، وقيل: أراد مَشارِقَ النجوم ومَغارِبَها، وقيل: أراد منازلها، وقيل: أراد انْكِدارَها وانْتِثارَها يوم القيامة.

واختلف القراء فيه، فقرأ حمزة والكسائي وخلف: «بِمَوْقِعِ»[٣] ساكنة

---

(١) هذا قول الفراء، فقد قال فِي الآية الأولى من سورة القيامة: «وقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ كان كثير من النحويين يقولون: «لا» صلة. قال الفراء: ولا يُبْتَدَأُ بِجَحْدٍ ثم يُجْعَلُ صِلةً، يُرادُ به الطَّرْحُ؛ لأن هذا لو جاز لَمْ يُعْرَفْ خَبَرٌ فيه جَحْدٌ من خَبَرٍ لا جَحْدَ فيه، ولكن القرآن جاء بالرَّدِّ على الذين أنكروا البعثَ والجنةَ والنارَ، فجاء الإقْسامُ بالرَّدِّ عليهم في كثير من الكلام: المبتدأ منه وغير المبتدأ، كقولك في الكلام: لا واللهِ لا أَفْعَلُ ذاك، جعلوا «لا»، وإن رَأَيْتَها مبتدأةً، رَدًّا لكلام قد كان مَضَى، فلو أَلْقَيْتَ «لا» مما يُنْوَى به الجَوابُ لَمْ يكن بين اليمين التي تكون جوابًا واليمينِ التي تُسْتَأْنَفُ فَرْقٌ». معانِي القرآن ٣/ ٢٠٧، وينظر: جامع البيان ٢٧/ ٢٦٤، الكشف والبيان ٩/ ٢١٨، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠.

(٢) قول ابن عباس رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٠ كتاب التفسير: سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، وينظر: تفسير القرطبي ٢/ ٢٩٧، ١٧/ ٢٢٤، ٢٠/ ١٣٠، الدر المنثور ٤/ ٢٠٥.

(٣) وبها قرأ أيضًا: ابنُ مسعود وعُمَرُ بنُ الخطاب وابنُ عباس، رضي الله عنهم، والنَّخْعِيُّ والحسنُ وابنُ مُحَيْصِنٍ والأعمشُ ورُوَيْسٌ ويعقوبُ، ينظر: السبعة ص ٦٢٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٤، البحر المحيط ٨/ ٢١٣، النشر ٢/ ٣٨٣، الإتحاف ٢/ ٥١٧.

الـواو محذوفة الألف على الواحد، قال المبـرد[١]: «مَوْقِعٌ» هاهنا مصدر فهو يصلح للواحد والجمع، وقرأ الباقون: «بِمَوَاقِعِ» على الجمع، وهو الاختيار[٢].

[٢٠٧/ ب] قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ أَخْبَرَ عن عِظَمِ / القَسَمِ، قال الفَرّاءُ[٣] والزَّجّاجُ[٤]: وهذا يـدل على أن المراد بمواقع النجوم نُزُولُ القرآن، والضمير في «إِنَّهُ» يعود على القَسَمِ، ودَلَّ عليه «أُقْسِمُ»، والمعنى: وَإِنَّ القَسَمَ بمواقع النجوم لَقَسَمٌ عَظِيمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ.

ثم ذكر المُقْسَـمَ عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾ حَسَـنٌ عَزِيزٌ مُكَرَّمٌ، وقيـل: غير مَخْلُـوقٍ، وقيل: سُـمِّيَ كَرِيمًا لأنّ يُسْـرَهُ يَغْلِبُ عُسْـرَهُ[٥]، وقال مقاتـل[٦]: كَرَّمَهُ اللهُ وأَعَزَّهُ لأنه كلامه، وقال أهـل المعانِي[٧]: القرآن الكريم: الذي من شأنه أن يُعْطِيَ الخَيْرَ الكَثِيرَ بالدلائل التي تُؤَدِّي إلى الحَقِّ في الدِّينِ، قـال الأزهريُّ[٨]: الكَرِيمُ: اسْـمٌ جامِـعٌ لِما يُحْمَدُ، والقـرآن كَرِيمٌ لِما فيه من الهُدَى والبَيَانِ والعلم والحكمة.

---

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢٣٩.

(٢) قـال ابن خالويه: «وقرأ الباقون بالجمع، وهو الاختيـار؛ لأن مواقع النجوم هاهنا يعني بها نجوم القرآن ونُزُولَها من السماء الدنيا على محمد عليه السّلام، وكان يَنْزِلُ نجومًا». إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٤٧-٣٤٨.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ١٢٩.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٥.

(٥) تنظر هذه الأقوال في: الكشـف والبيان ٩/ ٢١٨، زاد المسـير ٨/ ١٥١، تفسـير القرطبي ١٧٢٢٤.

(٦) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢٣٩.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٣٩.

(٨) تهذيب اللغة ١٠/ ٢٣٤.

﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ ﴾ مَصُونٍ مَسْتُورٍ من خَلْقِهِ عند الله في اللَّوْحِ المحفوظ ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ قال أكثر المفسرين[1]: الكناية فِي قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ ﴾ تعود إلى الكتاب المكنون، والمُطَهَّرُونَ هم الملائكة الذين طُهِّرُوا من الذنوب، قال: لا يَمَسُّ ذلك اللَّوْحَ المحفوظَ إلا الملائكةُ الذين وُصِفُوا بالطهارة من الذنوب، وذهب قوم إلى أن الضمير يعود إلى القرآن، والمراد به المُصْحَفُ، سَمّاهُ قُرْآنًا على قُرْبِ الجِوارِ والاتِّساعِ[2]، كالخبر الصحيح: «أنّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أنْ يُسافَرَ بِالقُرْآنِ إلَى أرْضِ العَدُوِّ»[3]، يَعْنِي به المُصْحَفَ.

وأراد بقوله: «المُطَهَّرُونَ»، يعني: من الأحْداثِ والجَناباتِ والنَّجاساتِ، وقالوا: لا يجوز لِلْمُحْدِثِ والجُنُبِ والحائِضِ مَسُّ المُصْحَفِ. وبه قال مالك والشافعيُّ وطاوُوسُ[4] وغَيْرُهُمْ من أهل العلم[5]، بدليل ما رَوَى عَبْدُ اللهِ بن

(١) ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٢٩، ١٣٠، جامع البيان ٢٧/ ٢٦٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٦، الكشف والبيان ٩/ ٢١٩، الوسيط ٤/ ٢٣٩، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥١.

(٢) قاله الشريف المرتضى في أماليه ١/ ٤٢٧، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٢١٩، وينظر: الوسيط ٤/ ٢٣٩.

(٣) رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر في المسند ٢/ ٧، ٥٥، ١٢٨، والبخاري في صحيحه ٤/ ١٥ كتاب الجهاد: باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، ورواه مسلم في صحيحه ٦/ ٣٠ كتاب الإمارة: باب النهي أن يُسافَرَ بالمصحف إلى أرض الكفار.

(٤) هو طاوُوسُ بن كَيْسانَ، أبو عبد الله اليمانِيُّ الخَوْلَانِيُّ الهَمْدانِيُّ بالولاء، من أكابر التابعين تفقّهًا في الدين وروايةً للحديث، أصله من الفرس، ومولده ونشأته باليمن، وتوفِّي حاجًّا سنة (١٠٦هـ)، وكان يأبَى القُرْبَ من الملوك والأمراء. [تهذيب الكمال ١٣/ ٣٥٧-٣٧٤، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨-٤٩، الأعلام ٣/ ٢٢٤].

(٥) الموطأ ١/ ١٩٩، وينظر: المجموع للنووي ٢/ ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧٢.

أبـي بكر[١] عن أبيه قال: كان في كتاب النبي ﷺ لِعَمْرِو بن حَزْمٍ[٢]: «لَا يُمَسُّ القُرْآنُ إلّا عَلَى طُهْرٍ»[٣].

وأصل قوله: «لاَ يَمَسُّـهُ»: لا يَمْسَسُـهُ، فأُدْغِمَت السين بالسين، ونُقِلَت الحركة إلى الميم، فظاهر الآية خبر، ومعناها نَهْيٌ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾[٤] ونحوها، فاللفظ لفظ الخبر، والمراد به النَّهْيُ.

قولـه: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ يعنـي: القُـرْآنُ مُنَزَّلٌ مـن عند رَبِّ العالمين على رسـولِهِ سَيِّدِ المرسلين محمد ﷺ، فَسُـمِّيَ المُنَزَّلُ تَنْزِيلًا على اتساع اللغة، كما تقول للمقدور: قَدَرٌ، وللمخلوق: خَلْقٌ، و«تَنْزِيلٌ» رفع على

---

(١) عبـد الله بن أَبِي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، أبو محمد المديني، تابعي ثقة ثبـت صدوق، كان كثير الحديث، روى عن أنس بن مالك وعروة بن الزبير وغيرهم، توفِّي سـنة (١٣٥هـ)، وقيـل: (١٣٠هـ). [التاريخ الكبيـر ٥/ ٥٤، تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٩-٣٥١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٤-٣١٥].

(٢) عمـرو بن حزم بن زيـد بن لَوْذانَ، أبو الضحاك الأنصاري، والٍ من الصحابة، شـهد غزوة الأحزاب وما بعدها، اسـتعمله الرسول ﷺ على نَجْرانَ، وتوفِّي سنة (٥٣هـ). [أسد الغابة ٤/ ٩٨، الإصابة ٤/ ٥١١، الأعلام ٥/ ٧٦].

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١/ ٣٤١، ٣٤٢، وينظر: الكشـف والبيان ٩/ ٢٢٠، الوسـيط ٤/ ٢٤٠.

(٤) البقـرة ٢٢٨، وهذا وجه، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وأَبِي حنيفة، والوجه الثانِي: أن يكـون اللفظ والمعنى نَهْيًا، وهو مذهب ابن عمر ومالك والشـافعي وطاووس، وذلك بأن تكون «لا» ناهية، ويكون «يَمَسُّـهُ» مجزومًا بـ«لا»، قاله مَكِّيُّ بن أَبِي طالب في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٥٤، وينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، الفريد ٤/ ٤٢٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٥-٢٢٦.

خبر ابتداء محذوف تقديره: هو تَنْزِيلٌ، ويحتمل أن يكون رَفْعُهُ على البَدَلِ من قوله: ﴿لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾[١].

قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَنتُم﴾ يا أهل مكة/ ﴿مُّدۡهِنُونَ ٨١﴾ [٢٠٨/ أ] مُكَذِّبُونَ كافرون، والمُدْهِنُ والمُداهِنُ: الكَذّابُ المنافق[٢]، ومعنى المُدْهِنِ من الإدْهانِ وهو الجَرْيُ في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله.

قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ يعني حَظَّكُمْ ونَصِيبَكُمْ من القرآن ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ وقيل[٣]: هذا فِي الاستسقاء، كانوا يقولون: مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذا، ولا يَنْسُبُونَ ذلك إلى الله تعالى، فقيل لهم: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾؛ أي: شُكْرَكُمْ بما رُزِقْتُم التكذيبَ، والمعنى: شُكْرَ رِزْقِكُمْ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾[٤] ونحوها.

---

(١) لا وجه للبدل هنا، ولكن «تَنْزِيلٌ» إما أن يكون خَبَرًا لمبتدأ محذوف، وإما أن يكون صفة أخرى لـ«قُرْآنٌ»؛ أي: مُنَزَّلٌ من رَبِّ العالمين، من باب تسمية المفعول بالمصدر، كالخَلْقِ بمعنى المَخْلُوقِ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٦، الكشاف ٤/ ٥٩، الفريد للهمداني ٤/ ٤٢٣.

(٢) قاله الزجاج فِي معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٦، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٦/ ٢٠٧.

(٣) قاله ابن عباس وعطاء وابن قتيبة، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٢، الوسيط ٤/ ٢٤٠، زاد المسير ٨/ ١٥٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٨.

(٤) يوسف ٨٢، وهذا قول الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٦، إعراب القرآن ٤/ ٣٤٤، وقال الطبري: «وقد ذُكِرَ عن الهيثم بن عَدِيٍّ أن من لغة أَزْدِ شَنُوءةَ: ما رِزْقُ فُلانٍ؟ بمعنى: ما شُكْرُهُ». جامع البيان ٢٧/ ٢٧٠، وقال ابن دريد: «والرِّزق: الشكر، لغة سَرَوِيّة، قال الشاعر:

مَنَنْتُ عَلَى رُجّالِ عَمْرٍو ... بِرَزاقِيٍّ غَيْرِ مَرْزُوقِ

أي؛ غير مَشْكُورٍ، ومنه: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾؛ أي: شُكْرَكُمْ». جمهرة اللغة ٢/ ٧٠٧-٧٠٨، =

قولـه: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾؛ أي: فَهَلَّا إذا بلغت الرُّوحُ أو النَّفْسُ الحُلْقُومَ عند خروجها من الجَسَدِ، فحذف النفس لدلالة الكلام عليها، كقول الشاعر:

٣٣٧ـ لَعَمْرُكَ ما يُغْنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يَوْمًا، وَضاقَ بِها الصَّدْرُ[1]

قوله: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ يعني: إلى أمْرِي وسُـلْطانِي، قال ابن عباس[2]: يريد: مَنْ حَضَرَ المَيِّتَ مِنْ أَهْلِهِ، ينظرون إليه مَتَى تَخْرُجُ نَفْسُهُ؟ قال الفـراء[3]: وذلك معروف من كلام العرب أن يُخاطِبُوا الجماعةَ بالفعل كأنهم أَهْلُـهُ وأَصْحابُهُ والمراد بعضهم، غائبًا كان أو شـاهدًا، فتقـول: أَقَتَلْتُمْ فُلانًا، والقاتل منهم واحدٌ، ويقولون لأهل المسـجد إذا آذَوْا رَجُلاً بالازدحام: اتَّقُوا اللهَ! فَإِنَّكُمْ تُؤْذُونَ المُسْلِمِينَ.

قولـه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يعني: مَلَكَ الموت وَحْدَهُ، إذا أتى لِقَبْضِ

= وينظـر أيضًـا: تهذيب اللغـة ٨/ ٤٣٠، غريـب القرآن للسجسـتانِي ص ١٥٥، الوسـيط ٤/ ٢٤٠، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٢٨.

(١) البيـت من الطويـل، لحاتم الطائي، ورواية ديوانـه: «أما وَيَّ ما يُغْنِي»، والحَشْـرَجةُ: تَرَدُّدُ النَّفَسِ عند الموت.

التخريج: ديوانه ص٨٣، غريب الحديث للهروي ٣/ ٨٠، الشعر والشعراء ص ٢٥٢، جمهرة اللغـة ص ١٠٣٤-١١٣٣، العقـد الفريـد ٣/ ٢٣٢، الصاحبـي ص ٤٤١، الكشـف والبيان ٩/ ٢٢٣، أمالِيُّ المرتضى ٢/ ١٥٥، أسـاس البلاغة: حشر، أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ٩٠، ٣/ ١١٧، زاد المسـير ٨/ ١٥٥، عيـن المعانِي ورقة ١٣١/ أ، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٢، ٢٣٠، شـرح التسـهيل لابن مالك ١/ ١٥٧، اللسان: حشـرج، قرن، البحر المحيط ٨/ ٣٨٠، همع الهوامع ١/ ٢١٩، خزانة الأدب ٤/ ٢١٢.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٢٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣١.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ١٣٠ باختلاف في ألفاظه.

رُوحِهِ أَقْرَبُ إلى الميت من أهله، وقيل: أراد مَلَكَ الموت وأعْوانَهُ، والمعنى: وَرُسُلُنا القابِضُونَ لِرُوحِهِ أقْرَبُ إليه منكم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يعني: أولئك الحاضرين.

قوله: ﴿فَلَوْلَآ﴾؛ أي: فَهَلّا ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾؛ أي: غير مَمْلُوكِينَ أذِلّاءَ، من قولك: دِنْتُ له بالطاعة[1]، وقيل[2]: مُحاسَبِينَ ومَجْزِيِّينَ.

فإن قيل: أين جواب قولِهِ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ وقولِهِ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾؟ فالجواب عنه ما قاله الفراء[3]: أنهما أُجِيبا بجوابٍ واحدٍ، وهو قوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَآ ﴿٨٧﴾﴾، وربما أعادت العَرَبُ الحرفين ومعناهما واحد/ ، وهذا من ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4] أُجِيبا بجواب واحد وهما جزاءان، وقيل[5]: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، مَجازُها: فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها، أي: تَرُدُّونَ نَفْسَ المَيِّتِ إلى جَسَدِهِ إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ.

ثم ذكر طَبَقاتِ الخَلْقِ عند الموت بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ يعني هذا الميت ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ يريد: عند الله في الدرجات والفضل ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾

---

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٥٢، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٥٥.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٥٣، وحكاه عنه ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٥٢، وحكاه ابن الجوزي عن ابن عباس وابن جبير والحسن وعطاء وعكرمة في زاد المسير ٨/ ١٥٥، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستاني ص ١٥٥.

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٣٠.

(٤) البقرة ٣٨.

(٥) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٩/ ٢٢٤، وينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٢، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٤٥.

رفع لأنه خبر الصفة المحذوفة، تقديره: فَلَهُ رَوْحٌ وَرَيْحانٌ ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ٨٩﴾ قرأ العامة: ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب بضم الراء[١]، وَرُوِيَ أنّها قِراءةُ النَّبِيِّ ﷺ[٢]، فَمَنْ ضَمَّ الرّاءَ أراد: فَحَياةٌ لا مَوْتَ فيها[٣]، ومَنْ فَتَحَ الراء فمعناه: طِيبُ نَسِيمٍ، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رِزْقٌ فِي الجنة، وقيل[٤]: هو الرَّيْحانُ المعروف الذي يُشَمُّ، والمقربون هم السابقون.

قال أبو العالية[٥]: لا يُفارِقُ أَحَدٌ من المُقَرَّبِينَ الدنيا حتى يُؤْتَى بِغُصْنٍ من رَيْحانِ الجنة، فَيَشَمُّهُ ثم تُقْبَضُ رُوحُهُ[٦].

---

(١) وقرأ بِضَمِّ الرّاءِ أيضًا: ابنُ عباس والضحاكُ والأشهبُ ونُوحٌ القارئُ وبُدَيْلٌ وسليمانُ التَّيْمِيُّ وشعيبُ بنُ الحارث والرَّبِيعُ بن خُثَيْمٍ وأبو عمران الجَوْنِيُّ وأبو جعفر محمد بن عَلِيٍّ، وفَيّاضٌ وعبدُ الوارث كلاهما عن أبِي عمرو، ورُوَيْسٌ. ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٢، المحتسب ٢/ ٣١٠، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٢، البحر المحيط ٨/ ٢١٥.

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده عن السيدة عائشة في المسند ٦/ ٦٤، ٢١٣، وأبو داود في سننه ٢/ ٢٤٧، كتاب الحروف والقراءات، والترمذي في سننه ٤/ ٢٦١ أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ.

(٣) قاله الفراء والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٣١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٧.

(٤) قاله ابن عمر والحسن وقتادة وأبو العالية وأبو الجوزاء، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٣.

(٥) هو رُفَيْعُ بنُ مهران الرِّياحِيُّ البصري، الإمام المقرئ المفسر، أدرك زمان النبي ﷺ شابًّا، وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وسمع من عُمَرَ وعَلِيٍّ وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وقرأ القرآن على أُبَيِّ بنِ كعب وتصدر لإفادة العلم، توفِّي سنة (٩٠هـ). [تهذيب الكمال ٩/ ٢١٤: ٢١٨، غاية النهاية ١/ ٢٨٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧-٢١٣].

(٦) ينظر قوله في جامع البيان ٢٧/ ٢٧٦، الكشف والبيان ٩/ ٢٣٤، الوسيط ٤/ ٢٤٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣٣.

واختلف في ذلك أهلُ اللسان، فقال أبو بكر الوَرّاقُ: الرَّوْحُ: النجاة من النار والرَّيْحانُ: دخول دار القَرارِ، وقيل: الرَّوْحُ: السلامة، والرَّيْحانُ: الكرامة، وقيل: الـرَّوْحُ: مُعانَقةُ الأبكار، والرَّيْحانُ: مرافقة الأبرار، وقيل: الرَّوْحُ: الموت على الشهادة، والرَّيْحانُ: نداء السعادة، وقيل: الرَّوْحُ: كَشْفُ الكُرُوبِ، والرَّيْحانُ: غُفْرانُ الذُّنُوبِ، وقيل: الرَّوْحُ: تخفيف الحساب، والرَّيْحانُ: تضعيف الثواب، وقيل: الـرَّوْحُ: عَفْوٌ بلا عتاب، والرَّيْحانُ: رِزْقٌ بلا حساب، وقيل: الرَّوْحُ لأزواجهم، والرَّيْحانُ لِقُلُوبِهِمْ، والجنة لأبدانهم، وقيل: «فَرَوْحٌ» للسابقين، «وَرَيْحانٌ» لِلْمُقْتَصِدِينَ، «وَجَنّةُ نَعِيمٍ» للصائمين[1].

قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ يعني هذا الميت ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠﴾ وهم التابعون بإحسان ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾؛ أي: سَلامَةٌ لك يا محمد من أصحاب اليمين، يعني: أنك ترى فيهم ما تُحِبُّ من السلامة، وقيل: معناه: فَسَلامٌ عليك من أصحاب اليمين، وارتفع على معنى: فَلَكَ سَلامٌ، وَهُوَ سَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ اليَمِينِ[2].

قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ يعني هذا المَيِّتَ ﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ يعني: بالبعث ﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾ عن الهُدَى، قال الحسن: وهم أصحاب المشأمة ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾ أي: فَلَهُ نُزُلٌ من حميم/ وهو الحارُّ الشديد الذي قد انتهى حَرُّهُ [٢٠٩/ أ] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ وإدْخالُ نارٍ عَظِيمٍ[3]، والجَحِيمُ: ما عَظُمَ من النار.

(١) ينظر في هذه الأقوال: الكشف والبيان ٩/ ٢٢٤، ٢٢٥، عين المعاني ورقة ١٣١/ ب.

(٢) يعني بقوله: «فلك سلامٌ» أنه مبتدأ وخبر، وبقوله: «وهو سلام لك...» أن «سَلامٌ» خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هو»، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٥٥.

(٣) قوله: «وَإِدْخالُ نارٍ عَظِيمٍ» فيه تذكير لوصف النار، وهي مؤنثة، ولا تُذَكَّرُ بحالٍ، قال الفراء: «والنار: أُنْثَى، وتَحْقِيرُها: نُوَيْرةٌ، وتجمعها: أَنْوُرٌ ونِيرانٌ». المذكر والمؤنث

فصل

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ»، فاستثنى القَوْمُ يَبْكُونَ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يُبْكِيكُمْ»؟ قالوا: يا رسول الله! ليس مِنّا أَحَدٌ إلا وهو يَكْرَهُ المَوْتَ، فقال: «ليس كذلك، إن الله عزّ وجلّ قال: «فَأَمّا إنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ»، قال: عند الموت، فَيُحِبُّ لِقاءَ اللهِ، واللهُ لِلِقائِهِ أَحَبُّ، «وَأَمّا إنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ»، فَيَكْرَهُ لِقاءَ اللهِ، واللهُ لِلِقائِهِ أَكْرَهُ»[١].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: الذي ذُكِرَ من قصة المُحْتَضَرِينَ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾؛ أي الحَقُّ اليَقِينُ لا شَكَّ فيه، فأضافه إلى نفسه توكيدًا[٢]، وأصله: حَقُّ الشَّيْءِ، أو: حَقُّ الأَمْرِ اليَقِينِ، كقولك: عَيْنُ اليَقِينِ ومَحْضُ اليَقِينِ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ يعني: نَزِّهِ اللهَ عن السُّوءِ، والباء صلة زائدة، والاسم يكون بمعنى الذات والنفس، كأنه قيل: فَسَبِّحْ رَبَّكَ العَظِيمَ[٣].

= ص ٧٥، وقال أبو حاتم: «وكل نار مؤنثة». المذكر والمؤنث ص ١٣٩، وينظر أيضًا: المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٥٠، ٦٧، ١٠٦، المذكر والمؤنث لابن فارس ص ٥٧.

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس في المسند ٣/ ١٠٧، ٤/ ٢٥٩-٢٦٠، وينظر: الوسيط ٤/ ٢٤٣، مجمع الزوائد ٢/ ٣٢١ كتاب الجنائز: باب فيمن أَحَبَّ لقاءَ اللهِ تعالى.

(٢) المؤلف بهذه العبارة مُؤَيِّدٌ لمذهب الكوفيين في جواز إضافة الشيء لنفسه، والموصوفِ لصفته، ولكنه بما ذكره بعده من تأويله للمعنى بقوله: «وأصله: حَقُّ الشَّيْءِ اليَقِينِ أو حَقُّ الأَمْرِ اليَقِينِ» ذاهِبٌ مَذْهَبَ البصريين في أن الموصوف لا يُضافُ لصفته، وهم يُؤَوِّلونَ مثل هذا على حذف موصوف كما ذكر المؤلف هنا، وينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٩٣، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٨، إعراب القرآن ٤/ ٣٤٨.

(٣) قاله الواحدي والقرطبي، ينظر: الوسيط ٤/ ٢٤٣، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٣٤. =

فصل

عن عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنِيِّ قال: لَمّا نَزَلَتْ على رسـول الله ﷺ: «فَسَبِّحْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»، قال: «اجْعَلُوها فِي رُكُوعِكُمْ»، ولَمّا نزل: «سَـبِّحِ اسْـمَ رَبِّكَ الأعْلَى» قال النبِيُّ ﷺ: «اجْعَلُوها فِي سُجُودِكُمْ»[1]، والله أعلم.

* * *

= وقال السمين الحلبي: «قوله: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ يجوز أن تكون الباء للحال؛ أي: فَسَبِّحْ مُتَلَبِّسًا بِاسْـمِ رَبِّكَ، على سـبيل التَّبَرُّكِ كقوله: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ﴾، وأن تكون للتعدية، على أن «سَـبَّحَ» يتعدى بنفسه تارة كقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، وبحرف الجر تارة كهذه الآية، وادِّعـاءُ زيادتها خِلاَفُ الأصل». الدر المصون ٦/ ٢٧١، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٤٩.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٥٥، وأبو داود في سننه ١/ ١٩٩ كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسـجوده، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١٧/ ٣٢٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٢٥ كتاب الإمامة وصلاة الجماعة.

سورة الحديد

مدنية بالإجماع

وهي ألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفًا، وخمسمائة وأربع وأربعون كلمةً، وتسع وعشرون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الحَدِيدِ كُتِبَ مِنَ الذين آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ»[١].

ورُوِيَ عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «قارِئُ الحَدِيدِ و«إذا وَقَعَتِ الواقِعةُ» والرَّحْمَنِ، يُدْعَى فِي مَلَكُوتِ السماوات ساكِنَ الفِرْدَوْسِ»[٢].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الحَدِيدِ حُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ لا يَحْجُبُهُ أحَدٌ حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ»[٣]، وَرُوِيَ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «اسمُ اللهِ الأعْظَمُ فِي سِتِّ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سُورةِ الحَدِيدِ»[٤].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٢٧، الوسيط ٤/ ٢٤٥، الكشاف ٤/ ٦٩، عين المعانِي ١٣١/ ب.

(٢) ينظر: الدر المنثور ٦/ ١٤٠، الجامع الصغير ٢/ ٢٣٤، كنز العمال ١/ ٥٨٢.

(٣) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٤) رواه النقاش في شفاء الصدور ٩٩/ ب، وينظر: تفسير الثعالبي ٥/ ٣٧٦-٣٧٧.

وعـن يَزِيدَ بن عبـد الله بن أَبِي التَّيَّاحِ أنه قال: «مَـنْ أرادَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ وَصَفَ الجَبّارُ نَـفْسَهُ فَلْيَقْرَأْ سِتَّ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ الحَدِيدِ»[١].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[٢٠٩/ ب] قولـه عزّ وجـلّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ / وَالْأَرْضِ﴾ يعني كُلَّ شَـيْءٍ مِنْ ذِي الرُّوحِ وغَيْرِهِ وكُلَّ خَلْقٍ فيهما، ولَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْـبِيحَهُمْ، ومعنى قوله: ﴿سَبَّحَ﴾؛ أي: عَظَّمَ ورَفَعَ، مشـتق من السِّـباحةِ وهي الارتفاع[٢]، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ مبتدأ وخبر، والمعنى: وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه، الحكيم في تدبير خلقه، الذي لا يدخل في تدبيره خَلَلٌ[٣] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يَمْلِكُهُما أحَدٌ غَيْرُهُ ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يُحْيِي المَواتَ لِلْبَعْثِ، ويُمِيتُ الأحْياءَ فِي الدنيا، قال الزجاج[٤]: ويجوز أن يكون المعنى: يُحْيِي النُّطْفَةَ الَّتِي هي مَواتٌ، ويُمِيتُ الأحياءَ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾؛ أي: قادر على ما يشـاء من حياة وموت.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بلا حَدٍّ ولا ابْتِداءٍ، كان هو ولا شَيْءَ مَوْجُودٌ، فهـو الأول بلا ابتداء ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد فناء كل شـيء بلا انتهاء، يُفْنِي الأشْـياءَ ويَبْقَـى، آخِرٌ كمـا كان أَوَّلًا ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الغالب العالِي على كل شـيء، وكل

---

(١) رواه النقاش في شفاء الصدور ٩٩/ ب، وينظر: تاريخ دمشق ٦٥/ ٣١٥ عن يَزِيدَ بن عُبَيْدَةَ ابن أَبِي المُهاجِرِ.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٤٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٢١.

شـيء دونه، فهو الظاهر بالأدلة والشـواهد ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ العالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فلا أَحَدَ أَعْلَمُ منه، وهو المُحْتَجِبُ عن الأبصار.

وقيـل: هو الأول بالأَزَلِيّةِ، والآخِرُ بالأَبَدِيّـةِ، والظاهر بالأَحَدِيّةِ، والباطن بالصَّمَدِيّةِ، وقيل: هو الأول بِشَـرْحِ القُلُـوبِ، والآخِرُ بِغُفْرانِ الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بِعِلْمِ الغيوب، وقيل: هو الأول بالهِدايةِ، والآخِرُ بالكِفايةِ، والظاهر بالولاية، والباطن بالرعاية، وقيل: هو الأول بالإنعام، والآخر بالإتْمامِ، والظاهـر بالإكْرامِ، والباطن بالإلهام، وقيل: هـو الأول قبل كل معلوم، والآخِرُ بعد كل مَخْتُومٍ، والظاهر فوق كل مَرْسُـومٍ، والباطن مُحِيطٌ بكل مكتوم، وقيل: هو الأول بالتأليف، والآخر بالتكليف، والظاهر بالتصريف، والباطن بالتعريف، وقيل: هو الأول بالعطاء، والآخر بالجزاء، والظاهر بالثناء، والباطن بالوفاء، وقيل: هو الأول بالبِرِّ والكَرَمِ، والآخِرُ بِتَحِلّةِ القَسَـمِ، والظاهر بإسـباغ النِّعَمِ، والباطن بِدَفْـعِ النِّقَمِ، وقيل: هو الأول بالهَيْبَةِ والسـلطان، والآخِرُ بالرحمة والإحسـان، والظاهر بالحُجّةِ والبُرْهانِ، والباطن بالعصمة والامتنان، وقيل: هو الأول القديم، والآخِـرُ الرحيم، والظاهر الحكيم، والباطن العليم[1] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ يَعْلَمُ ما كانَ وما هو كائِنٌ، لا يَخْفَى عليه شيءٌ ـ تَعالَى وَتَقَدَّسَ ـ.

فصل

عـن أَبِـي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: دَخَلَتْ / فاطمةُ بنت رسـول الله ﷺ على النَّبِيِّ ﷺ تَسْـأَلُهُ خادِمًا، فقال لَها رسـولُ اللهِ ﷺ: «ألا أَدُلُّكِ عَلَى ما هو خَيْرٌ لَكِ مِنْ ذَلِكَ؟ أَنْ تَقُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ السـماوات السَّـبْعِ ورَبَّ العَرْشِ [٢١٠/ أ]

---

(١) ينظر في هذه الأقوال: الكشف والبيان ٩/ ٢٢٧-٢٢٩، عين المعاني ورقة ١٣١/ ب.

العَظِيمِ، رَبَّنا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْراةِ والإنْجِيلِ والزَّبُورِ والفُرْقانِ، فالِقَ الحَبِّ والنَّوى، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِهِ، أنْتَ الأوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وأنْتَ الظّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأنْتَ الباطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنّا الدَّيْنَ، وَأغْنِنا مِنَ الفَقْرِ»[1].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بلا كَيْفٍ قبل أن يَخْلُقَهُما ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ قَطْرِ المَطَرِ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الوَحْيِ الذي يُنْزِلُهُ إلَى رُسُلِهِ ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾؛ أي: وما يَصْعَدُ فيها من الملائكة وأعمال بني آدم ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يُخْبِرُهُم تعالى بقدرته عليهم وعِلْمِهِ بهم، فليس يَخْلُو أحَدٌ من تَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ وقُدْرَتِهِ بِهِ أيْنَما كانَ، من أرض وسماء وبَرٍّ وبَحْرٍ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ لا يَخْفَى عليه شيءٌ.

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ يعني أمور الخلائق في الآخرة ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ نَظِيرُهُ قولُهُ عزّ وجلّ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[2]، وقد ذَكَرْتُ تفسير الإيلاج في سورة آل عمران[3]، فَأغْنَى عن الإعادة هاهنا، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ يعني ما في القلوب مما لَمْ تَنْطِقْ به الألْسُنُ، نظيره قوله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[4]؛ أي: ما تُحَدِّثُ به نَفْسُهُ.

---

(١) رواه ابن ماجَهْ في سننه ٢/ ١٢٥٩ كتاب الدعاء: باب دعاء رسول الله ﷺ، والترمذي في سننه ٥/ ١٨١ أبواب الدعوات، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) الزمر ٥.

(٣) الآية ٢٧، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٤) ق ١٦.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هذا استفهامُ إنكار؛ أي: أيُّ شَيْءٍ لكم من الثواب في الآخرة إذا لَمْ تؤمنوا بالله؟ ثم قال: ﴿وَالرَّسُولُ﴾ رفع على الابتداء، والخبر ﴿يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يعني: حين أخْرَجَكُمْ[1] من صُلْبِ آدَمَ، فَأَقَرُّوا بِالمَعْرِفَةِ والرُّبُوبِيّةِ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑧﴾ يعني: إذْ كُنْتُمْ مؤمنين بالحُجَجِ والدليلِ والإعلام على حقيقة الإسلام وصحة نبوة المصطفى ـ عليه السلام ـ، فقد بانَ وظَهَرَ على يَدِ محمدٍ ﷺ بِبَعْثِهِ وإنْزالِ القرآن عليه، قرأ العامة: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ﴾ بفتح الهمزة والقاف، وقرأ أبو عمرو بضمهما[2] على وجه/ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ يعني فتح مكة؛ أي: لا يستوي فِي الفضل مَنْ أنْفَقَ مالَهُ وقاتَلَ العَدُوَّ مِنْ قبل فتح مكة، مع مَنْ أنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وقاتَلَ، قيل[3]: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، يَدُلُّ على هذا أنه أوَّلُ مَنْ أنْفَقَ المالَ على رسول الله ﷺ، وأوَّلُ مَنْ قاتَلَ على الإسلام.

ثم قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ قال عطاء[4]: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها، قال الزجاج[5]: لأن المتقدمين نالَهُمْ من المَشَقّةِ أكْثَرُ مِمّا نالَ مَنْ بَعْدَهُمْ، وكانت

---

(١) في الأصل: «أخركم»، وهو سهو.

(٢) هذه قراءة الحسن واليَزِيدِيِّ أيضًا، ينظر: السبعة ص٦٢٥، الإتحاف ٢/ ٥١٩.

(٣) قاله الكلبيُّ، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٣٢، أسباب النزول ص ٢٧١، الوسيط ٤/ ٢٤٥، زاد المسير ٨/ ١٦٣.

(٤) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢٤٦، زاد المسير ٨/ ١٦٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٢٣.

بصائرهم أيضًا أَنْفَذَ. ونصب ﴿دَرَجَةً﴾ على التمييز، ومَحَلُّ ﴿مَّنْ﴾ رفع؛ لأنه فاعل بـ﴿يَسْتَوِى﴾.

قولــه تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾ يعنــي الفريقيــن ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني الجنة، قــرأه العامة منصوبًــا على المفعول به، وقرأ ابن عامــر: «وَكُلٌّ»[١] بالرَّفع على الاستئناف، وقيل: على لغة من يقول: زَيْدٌ ضَرَبْتُ، ومعنى قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: وَعَدَهُ اللهُ[٢]، قال الشاعر:

٣٣٨ ـ قَـدْ أَصْبَحَـتْ أُمُّ الخِيارِ تَدَّعِي

---

(١) قــرأ ابن عامر، وعبد الوارث من طريق المادراي: «وَكُلٌّ» بالرفع، وكذلك هو في مصاحف أهل الشــام، ينظر: السبعة ص ٦٢٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤١، البحر المحيط ٨/ ٢١٨، الإتحاف ٢/ ٥٢٠.

(٢) جعل سيبويه الرَّفْعَ فِي مثل هذا ضعيفًا لا يجوز إلاّ في الشعر، فقال: «ولا يَحْسُنُ في الكلام أن يَجْعَلَ الفعلَ مَبْنِيًّا على الاســم، ولا يَذْكُرَ علامةَ إضمارِ الأولِ، حتى يخرج من لفظ الإعمال في الأول، ومِنْ حال بناء الاسم عليه، ويَشْغَلَهُ بغير الأول حتى يمتنع من أن يكون يَعْمَلُ فيه، ولكنه قد يجوز في الشعر، وهو ضعيف في الكلام، قال الشاعر، وهو أبو النجم العجلي:

قَدْ أَصْبَحَـتْ أُمُّ الخِيارِ تَدَّعِي
عَلَـيَّ ذَنْبًـا، كُلُّـهُ لَـمْ أَصْنَـعِ

... وكأنــه قال: كُلُّهُ غَيْرُ مصنوع....، فهذا ضعيــف، والوجه الأكثر الأعرف النصبُ». الكتاب ١/ ٨٥-٨٦، وشَبَّهَهُ سيبويه بحذف الهاء من جملة الصلة والصفة، ينظر: الكتاب ١/ ٨٦-٨٨. وقال الفارسي مُعَلِّقًا على قراءة الرَّفع: «وحجة ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعولُهُ لَمْ يَقْوَ عَمَلُهُ فيه قُوَّتَهُ إذا تأخر... فكذلك قوله: «وَكُلٌّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى» يكون على إرادة الهاء وحذفها». الحجة ٤/ ٢٦.

والمبرد لا يُجيزُ مِثْلَ هذا في شــعر ولا نثر، ويُخَرِّجُ قراءة الرفع على أن جملة ﴿وَعَدَ اللهُ﴾ نعت لـ«كُلٌّ»، قال النحاس: «وأبو العباس محمد بن يزيد لا يجيز هذا في منثور ولا منظوم، إلّا أن يكون يجوز فيه غَيْرُ ما قَدَّرَهُ سيبويه، وهو أن يكون الفعل نَعْتًا... فيكون «كُلٌّ» بمعنى: وأولئك وَعَدَ اللهُ، فيكون نعتًا». إعراب القرآن ٤/ ٣٥٤. =

عَـلَـيَّ ذَنْـبًـا، كُـلُّـهُ لَـمْ أَصْـنَـعِ[(١)]

فصل

عــن ابن عمر قال: بينما النَّبِــيُّ ﷺ جالِسٌ وعنده أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وعليـه عباءة قد خَلَّها على صَدْرِهِ بِخِلالٍ، إِذْ نَزَلَ عليه جِبْرِيلُ عليه الســلام، فَأَقْرَأَهُ من الله عزّ وجلّ السلامَ، ثم قال: «يا محمد ما لِي أرى أبا بكر عليه عَباءَةٌ وقــد خَلَّها على صدره بِخِلالٍ؟» فقال: «يا جبريل: أَنْفَقَ مالَهُ قَبْلَ الفَتْحِ عَلَيَّ»، قال: «فَأَقْرِئْهُ مِن اللهِ تعالى السلامَ، وقُلْ لَهُ: يقول لك رَبُّكَ: أراضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ أَمْ ساخِطٌ؟»، فالتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إلى أَبِي بكر فقال: «يا أبا بكر: هذا جبريل يُقْرِئُكَ من الله عزّ وجلّ السلامَ، ويقول لك رَبُّكَ: أراضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ أَمْ

= وقال مَكِّيٌّ: ولا يحسن أن يجعل ﴿وَعَدَ اللهُ﴾ نعتًا لـ﴿كُلٌّ﴾؛ لأن كُلًّا معرفة؛ إذِ التقديرُ فيها الإضافــة إلى المضمر، والتقدير: وكلهم وعد الله الحســنى، و أيضًا فإنه لو كان صفة لبقي المبتدأ بغير خبر». الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٠٨، وينظر أيضًا: الخصائص ٣/ ٦١، أمالِي ابن الحاجب ٢/ ٦٥٦.

(١) البيتان من الرجز المشطور لأبِي النَّجْمِ العِجْلِيِّ، وأُمُّ الخِيارِ: امرأته.

التخريج: ديوانه ص ١٥٠، الكتاب ١/ ٨٥، ١٢٧، ١٣٧، ١٤٦، معانِي القرآن للفراء ١/ ١٤٠، ٢٤٢، ٢/ ٩٥، مجاز القرآن ٢/ ٨٤، معانِي القرآن للأخفش ص ٢٥٣، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٧، شرح أبيات سيبويه ١/ ١٣، ٢٩٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٥٠، الحجة للفارسي ٤/ ٢٦، الخصائص ١/ ٢٩٢، ٣/ ٦١، ٣٠٣، المحتسب ١/ ٢١١، إصلاح الخلل ص ٤٠٦، المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٠، البيان للأنباري ١/ ٤١٤، التبيان للعكبري ص ٤٤٣، شرح المفصل ٢/ ٣٠، ٦/ ٩٠، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣١٢، ٣٧٠، شرح كافية ابن الحاجب للرضي ١/ ٢٠٩، ٤٠٢، ارتشاف الضرب ص ١٩٥٦، مغني اللبيب ص ٢٦٥، ٦٤٧، ٧٩٦، المقاصد النحوية ٤/ ٢٢٤، شــرح شــواهد المغنــي ص ٥٤٤، همع الهوامــع ١/ ١١٧، خزانة الأدب ١/ ٣٥٩، ٣/ ٢٠، ٦/ ٢٧٢، ٢٧٣.

ساخِطٌ؟»، قال: فَبَكَى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال: عَلَى رَبِّي أَغْضَبُ؟ أنا عن رَبِّي راضٍ، أنا عن رَبِّي راضٍ»[١].

قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ﴿مَّن﴾ في موضع رفع بالابتداء، و ﴿ذَا﴾ خبره، و ﴿ٱلَّذِى﴾ نعت لـ ﴿ذَا﴾، ومعنى القرض الحسن هاهنا الحلال وأن ينفق مُحْتَسِبًا لله عزّ وجلّ، مُبْتَغِيًا ما عنده، ونصب ﴿قَرْضًا﴾ على أنه اسم للمصدر، ويجوز أن يكون مفعولًا كما تقول: أَقْرَضْتُهُ مالًا[٢].

وقوله: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾[٣] قال الفراء[٤]: أن يكون جعله عطفًا على ﴿يُقْرِضُ﴾، كما تقول: مَنْ يَجِيءُ فَيُكْرِمُنِي ويُحْسِنُ إِلَيَّ، وقال الزَّجّاجُ[٥] / [٢١١/ أ] أيضًا: يجوز أن يكون مقطوعًا من الأول مستأنفًا، ومن قرأ: «فَيُضاعِفَهُ» بنصب

---

(١) رواه ابن حبان في كتاب المَجروحين ٢/ ١٨٥، وينظر: أسباب النزول ص ٢٧٢، الوسيط ٤/ ٢٤٦، تاريخ دمشق ٣٠/ ٧١، ٧٢، تاريخ بغداد ٢/ ١٠٥.

(٢) من أول قوله: «ومعنى القرض الحسن». قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٥٥.

(٣) بالرفع قرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي وخَلَفٌ، وقرأ عاصمٌ: «فَيُضاعِفَهُ» بالنصب، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر: «فَيُضَعِّفُهُ»، وقرأ ابن عامر: «فَيُضَعِّفَهُ»، ينظر: السبعة ص ٦٢٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٣، الإتحاف ٢/ ٥٢٠.

(٤) معاني القرآن ٣/ ١٣٣ باختلاف في ألفاظه.

(٥) في الأصل: «وقال الفراء». وهذا خطأ؛ لأن الكلام للزجاج، وهو بنصه في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٢٣، ونصب الفعل بالفاء في جواب الاستفهام هو مذهب الجرمي وبعض الكوفيين، وذهب جمهور الكوفيين إلى أنه منصوب بالخلاف أو الصرف. ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧٦، ٢/ ٧٩، ٣٨٧، الأصول لابن السراج ٢/ ١٧٩، إعراب القرآن ١/ ٢١٤، ٤/ ٣٥٥، إصلاح الخلل ص ٤٩، الإنصاف ص ٥٥٧-٥٥٩، ارتشاف الضرب ص ١٦٦٨، الجنى الداني ص ٧٤.

الفاء جعله جوابًا للاستفهام بالفاء، وقيل[١]: بإضمار «أن»، وقد مضى نظيرها في سورة البقرة[٢] وذِكْرُ الخلاف فيها، فأغنى عن الإعادة هاهنا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾؛ أي: نَسْتَضِئْ من نوركم، قرأه العامة: «انْظُرُونا» موصولًا؛ أي: انْتَظِرُونا، و«انْظُرْ» بمعنى «انْتَظِرْ» كثيرٌ في التَّنْزِيلِ، وقرأ يحيى والأعمش وحمزة: ﴿أَنْظِرُونا﴾[٣] بقطع الألف وكسر الظاء، من الإنْظارِ؛ أي: أَمْهِلُونا، قال الزَّجّاجُ[٤]: ومعناه: انْتَظِرُونا أيضًا، قال الفَرّاءُ[٥]: والعرب تقول: أَنْظِرْنِي؛ أي: انْتَظِرْنِي، وأنشد عمرو ابن كُلْثُومٍ:

٣٣٩ - أبا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنا وَأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينا[٦]

---

(١) هذا مذهب الخليل وسيبويه والمبرد وجمهور النحويين، ينظر: الكتاب ٣/ ٢٨، المقتضب ٢/ ١٣، إعراب القرآن ٤/ ٣٥٥، النكت للأعلم ص ٧٠٩.

(٢) الآية ٢٤٥، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٣) وهي أيضًا قراءة زيد بن عَلِيٍّ وطلحة والمُطَّوِّعِيِّ. ينظر: السبعة ص ٦٢٥، القرطبي ١٧/ ٢٤٥، البحر المحيط ٨/ ٢٢٠.

(٤) قال الزجاج: «ومن قال: «أَنْظِرُونا» بالكسر فمعناه: أَخِّرُونا، وقد قيل: إن معنى «أَنْظِرُونا»: انْتَظِرُونا أيضًا». معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٢٤.

(٥) معاني القرآن ٣/ ١٣٣.

(٦) البيت من الوافر، لعمرو بن كلثوم من معلقته، وأبو هند هو الملك عمرو بن هند.

التخريج: ديوانه ص ٥٦، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٢٤، شرح القصائد المشهورات ٢/ ٩٧، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٩، معاني القراءات ٣/ ٥٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٥٠، الحجة للفارسي ٤/ ٣٠، جمهرة أشعار العرب ص ٢٨٠، الكشف والبيان ٩/ ٢٣٧، الوسيط ٤/ ٢٤٨، أمالي ابن الشجري ١/ ٣٧١-٣٧٢، المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٢، عين المعاني ورقة ١٣١/ ب، تفسير القرطبي ٢/ ٦٠، ١٧/ ٢٤٥، شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٧١، اللسان: نظر، التاج: نظر، إلى.

يعني: انْتَظِرْنا، وقال آخر:

٣٤٠ ـ بِنَظْـرةِ ذِي شَـجَنٍ وامِقٍ إذا ما الرَّكائِبُ جـاوَزْنَ مِيلا[1]

ونصب يومًا على الظرف، ويجوز أن يكون بدلًا من اليوم الذي قبله[2].

وقولـه: ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ نصب على الظرف؛ أي: وَراءَ المكان الذي جاوَزْتُمُوهُ، استهزاءً بهم، أو رُجُوعَ القَهْقَرَى، فلا محلَّ له من الإعراب معناه: ارْجِعُوا ارْجِعُوا[3]، قال الشاعر:

---

(١) البيت من المتقارب، لبَشامةَ بنِ الغَدِيرِ المُرِّيِّ الذُّبْيانِيِّ، وقبله:

وَحُمِّلْـتَ مِنها عَلـى نَأْيِها خَيـالًا يُوافِـي وَنَيـلًا قَلِيلا

اللغة: الشَّـجَنُ: الهَـمُّ والحُزْنُ وهَوَى النفسِ، وامِقٌ: مُحِبٌّ مُتَـوَدِّدٌ، الرَّكائِبُ: جمع رِكابٍ وهي الإبِلُ.

التخريـج: المفضليـات ص ٥٦، الحجة للفارسـي ٤/ ٢٨، شـرح المفضليات للتبريزي ١/ ١٦٨، مختارات ابن الشجري ص ٥٦، منتهى الطلب ٢/ ٣٩٩.

(٢) يعني باليوم الذي قبله قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، قال النحاس: «نَصَبْتَ يومًا على الظرف؛ أي: وذلك الفوز العظيم في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون بدلًا من اليوم الذي قبله». إعراب القرآن ٤/ ٣٥٧، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٥٨ـ ٣٥٩.

(٣) المؤلـف هنـا ذكر وجهين فـي إعـراب ﴿وَرَآءَكُمۡ﴾، الأول: أن يكون ظرفًا، فيكـون العامل فيه ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾، والثاني: أن يكون اسـمَ فِعْلٍ مؤكدًا لـ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾، فيكون بِمَنْزِلةِ «إلَيْكَ» و«عَلَيْكَ» و«دُونَكَ»، وهذا قول الفارسيِّ في الشيرازيات ص ٢٧٢: ٢٧٤، واختار ابن عطية الوجه الأول، وهـو أن ﴿وَرَآءَكُمۡ﴾ ظرف والعامل فيـه ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾، فقال: «وقوله: «وَراءَكُـمْ» حكى المَهْدَوِيُّ وغيـرُه من المفسـرين أنه لا موضع له من الإعـراب، وأنه كما لو قال: ارْجِعُـوا ارْجِعُوا، وأنه على نحو قول أبِي الأسـود الدُّؤَلِيِّ للسائل: وَراءَكَ أوسعُ لك، ولستُ أعرف مانعًا يمنع من أن يكون العامل فيه ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾، والقول لهم: «فالتَمِسُـواْ نُورًا» هو على التوبيخ لهم؛ أي: إنكم لا تجدونه». المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٢، وينظر: أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ٢٥١، كشف المشكلات ٢/ ٣٥٣، الفريد للهمداني ٤/ ٤٣١، البحر المحيط ٨/ ٢٢٠، الدر المصون ٦/ ٢٧٦.

٣٤١ـ إذا جَشَأتْ نَفْسِي أقُولُ لَها: ارْجِعِي وَراءَكِ، واسْتَحْيِي بَياضَ اللَّهازِمِ[١]

وقوله: ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ يعني: مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ، فاطْلُبُوا هنالك لأنفسكم نورًا، فإنه لا سَبِيلَ لكم إلى الاقتباس من نورنا، فالتَمَسُوا نورًا من الظلمة، فَلَمْ يَجْدُوا شيئًا ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم﴾ يعني: بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ يَعْنِي بالسُّورِ حائِطًا بين أهل الجنة والنار، وقيل[٢]: هو السُّورُ الذي يُسَمَّى الأعرافَ، والسُّورُ في موضع رفع على أنه اسمُ ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، والباء فيه صلة زائدة، قاله الكسائي[٣]، والباب رفع على الخبر لِلّامِ الزائدة.

فصل

رُوِيَ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «تَغْشَى النّاسَ ظُلْمةٌ يومَ القيامة، فيبعث الله عزّ وجلّ نورًا يهتدي به المؤمنون إلى الجنة، فإذا اتَّبَعَهُ المؤمنون تَبِعَهُم المنافقون، فَيَضْرِبُ اللهُ عزّ وجلّ بينهم بسور له باب ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾، فَيُنادِي المنافقون المؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا

---

(١) البيت من الطويل، للفرزدق من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك.
اللغة: جَشَأَتْ نَفْسُهُ تَجْشَأ جُشُوءًا: ارْتَفَعَتْ ونَهضَتْ إليه وجاشَتْ من حُزْنٍ أو فَزَعٍ، بَياضُ اللَّهازِمِ: شَيْبُهُ، واللَّهازِمُ: أُصُولُ الحَنَكَيْنِ، واحدها لِهْزِمةٌ.
التخريج: ديوانه ٢/ ٣٠٧، شرح نقائض جرير والفرزدق ١/ ٥١٧، كتاب الشعر ص ٤، المسائل الشيرازيات ص ٢٧٣، أماليُّ ابن الشجري ١/ ٢٥١، منتهى الطلب ٥/ ٢٠٦.

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٣٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٣، جامع البيان ٢٧/ ٢٩٢-٢٩٣، زاد المسير ٨/ ١٦٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٦.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٣٨، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٦.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، فيقول المؤمنون: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ في الموضع الذي كُنّا فيه ـ وفيه الظُّلْمةُ ـ، فالتَمِسُوا منه النورَ[١].

[٢١١/ ب] والرحمة: الجنة، والعذاب: جهنم، وقيل:/ الرحمة: النور، والعذاب: الظلمة، والباطن والظاهر رفع على الابتداء، والعذاب رفع لأنه خبر «مِنْ»[٢].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾؛ أي: يَحِنْ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: تَرِقَّ وتَلِينَ قلوبُهُمْ ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقال: أَنَى لَكَ يَأْنِي إِنًى: إذا حانَ، ويقال: آنَ يَئِينُ، وأَنِىَ يَأْنِي وحانَ يَحِينُ بمعنًى واحدٍ[٣]، و ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن تَخْشَعَ﴾ في موضع رفع بـ ﴿يَأْنِ﴾.

قوله: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني القرآن، ومحل «ما» خفض بالعطف على ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، قرأ شيبة ونافع وعاصم برواية المُفَضَّلِ وحَفْصٍ: «نَزَلَ» خفيفة الزاي، وقرأ غيرهم بالتشديد[٤]، والمعنى فيهما واحد؛ لأنه لا يَنْزِلُ إلا بأن يُنَزِّلَهُ اللهُ.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٥٧، تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣١.

(٢) يعني قوله: «باطِنُهُ» و«ظاهِرُهُ»، فقوله: «لَهُ بابٌ» مبتدأ وخبر، والجملة صفة لقوله: «بِسُورٍ»، و«باطِنُهُ» مبتدأ و«الرَّحْمةُ» مبتدأ ثانٍ، و«فِيهِ» خبر الثانِي، والمبتدأ الثاني وخبره خَبَرُ المبتدأ الأول، والجملة في موضع رفع صفة لـ«بابٌ»، وكذلك قوله: «وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذابُ». ينظر: الفريد ٤/ ٤٣١.

(٣) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٢٥، إعراب القرآن ٤/ ٣٥٩، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٥/ ٥٥٣.

(٤) قرأ أبو عمرو وابنُ كثيرٍ، وأبو بكر عن عاصمٍ، وحَمْزةُ والكسائيُّ وابنُ عامر وخَلَفٌ ويعقوبُ وأبو جعفر، ورُوَيْسٌ في روايةٍ: «وَما نَزَّلَ» بالتشديد، وقرأ نافعٌ، وحَفْصٌ والمُفَضَّلُ كلاهما عن عاصم: «نَزَلَ» بالتخفيف، ورَوَى عباسٌ ويونسُ عن أبي عمرو: «نُزِّلَ» مشدَّدًا مبنيًّا للمفعول، وهي قراءة أَبِي جعفر والأعمش والجحدري. ينظر: السبعة ص ٦٢٦، معانِي =

قولـه: ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾؛ أي: وألَّا يَكُونُـوا، محلـه نصـب بالعطف على ﴿تَخْشَعَ﴾، قـال الأخفش[(١)]: وإن شِـئْتَ جَعَلْتَهُ نَهْيًا، ودليل هذا التأويل روايةُ رُوَيْسٍ عـن يعقوب: ﴿وَلاَ تَكُونُوا﴾ بالتاء[(٢)] ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ وهم اليهـود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ يعني الزمان والدهر والغاية بينهم وبيـن أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال ابن عباس[(٣)]: مالُـوا إلى الدنيا، وأعْرَضُوا عن مَواعِظِ اللهِ.

والمعنى أنه يَنْهَى المؤمنين أن يكونوا في صُحْبَةِ القُرْآنِ كاليهود والنصارى الذين قَسَـتْ قُلُوبُهُـمْ لَمّا طالَ عليهم الدهـرُ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ يعني الذيـن تركوا الإيمان بعيسـى ومحمدٍ ـ عليهما أفضل التحية والسـلام ـ، قال محمد بن كعـب القُرَظِيُّ[(٤)]: كانت الصحابة في مكـة مُجْدِبِينَ، فلما هاجَرُوا ـ يعنـي: إلى المدينة ـ أصابُوا الرِّيفَ والنِّعْمةَ، فَفَتَرُوا عَمّا كانوا عليه، فَقَسَـتْ قُلُوبُهُـمْ، فينبغي للمؤمـن أن يَزْدادَ إيمانًـا ويقينًا وإخلاصًا فِي طُـولِ صُحْبَةِ الكِتابِ.

= القـراءات ٣/ ٥٥، الحجة للفارسـي ٤/ ٣٠، البحر المحيط ٨/ ٢٢٢، النشـر ٢/ ٣٨٤، الإتحاف ٢/ ٥٢٢.

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٤٠. قال النحاس: «﴿يَكُونُواْ﴾ في موضع نصب معطوف على ﴿تَخْشَعَ﴾؛ أي: وَألّا يَكُونُوا، ويجوز أن تكون في موضع جزم، والأوَّلُ أوْلَى لأنها واو عطف، ولا يُقْطَعُ ما بعدها مِمّا قبلها إلّا بدليل». إعراب القرآن ٤/ ٣٦٠.

(٢) وقرأ بالتاء أيضًا: عيسى بنُ عمر وابنُ أَبِي إسحاق وأبو حَيْوةَ وابنُ أَبِي عَبْلَةَ، وإسماعيلُ عن أَبِي جعفرٍ، وسليمٌ عن حمزةَ، ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٩، البحر المحيط ٨/ ٢٢٢، النشر ٢/ ٣٨٤.

(٣) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٢٥٠، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٨٢.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٤١، الوسيط ٤/ ٢٥٠، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٠.

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قرأه العامة بتشـديد الصاد علـى معنى المتصدقيـن، فأدغمت التاء فِـي الصاد، وقرأ ابـنُ كثيرٍ وعاصمٌ بروايـة أبِي بكر والمفضـلِ بتخفيف الصاد[١] من التصديـق الذي هو بمعنى الإيمان، ومعناه: إن المؤمنين والمؤمنات ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالصَّدَقةِ والنَّفَقةِ في سـبيل الله، قال الحسـن[٢]: كل ما في القرآن من القَرْضِ الحَسَنِ فهو التَّطَوُّعُ.

[٢١٢/ أ] وإنما عطف بالفعل على الاسم؛ لأنه في تقدير الفعل/ مجازه: إن الذين صَدَّقُـوا، وأقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَـنًا[٣] ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ قـرأ العامة: ﴿يُضَٰعَفُ﴾ بالألف وفتـح العين، وقرأ الأعمـش: ﴿يُضاعِفُهُ﴾ بكسر العين وزيادة هاء، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر: ﴿يُضَعَّفُ لَهُمْ﴾ بالتشديد[٤]، ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: ثَوابٌ حَسَنٌ، وهو الجنة.

---

(١) وبهـا قـرأ أيضًا: أبو عمـرو في رواية هـارون عنه، وأبـانٌ وابـنُ مُحَيْصِنٍ، ينظر: السـبعة ص ٦٢٦، معانِي القراءات ٣/ ٥٦، الحجة للفارسي ٤/ ٣١، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٢، البحر المحيط ٨/ ٢٢٢، الإتحاف ٢/ ٥٢٢.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٤٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٢.

(٣) يعني أن قوله: ﴿وَأَقْرَضُوا۟﴾ معطوف في المعنى على ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾؛ لأن «أل» في ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ بِمَنْزِلةِ ﴿ٱلَّذِي﴾، واسم الفاعل بمعنى المضارع، وقد ذكر الفارسيُّ هذا الوجهَ، وذَكَرَ وَجْهًا آخَـرَ، وهو أن يكون قوله: ﴿وَأَقْرَضُوا۟﴾ اعتراضًا بين اسـم ﴿إِنَّ﴾ وهو ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾، وبين خبرها وهـو ﴿يُضاعَفُ لَهُمْ﴾، وجاز الاعتراض لأنه توكيد للأول، ينظر: الحجة ٤/ ٣١، وينظـر أيضًا: الأصول لابن السـراج ٢/ ٣١١، كشـف المشـكلات ٢/ ٣٥٤، أمالِي ابن الشجري ٢/ ٤٣٨، ٣/ ٢٠٤، البيان للأنباري ٢/ ٤٢٢، الفريد ٤/ ٤٣٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٢، خزانة الأدب ٥/ ١٤٤.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٢، النشر ٢/ ٢٢٨، الإتحاف ٢/ ٥٢٢.

قولـه تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ يعني: حياة الكفار باطل وغرور؛ لأنها في غير طاعة الله، وهي تنقضي عما قريب ﴿وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ لأنهم يُزَيِّنُـونَ في الدنيا دُونَ العَمَلِ للآخرة، ويُفاخِـرُ الرَّجُلُ قَرِيبَهُ وجارَهُ في مالِهِ وَوَلَدِهِ، والمعنى: أنه يُفْنِي عُمُرَهُ في هذه الأشياءِ.

ثم ضرب لهذه الحياة مثلًا، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ مفعول، يعني الـزُّرّاعَ[1] ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ رفعه بفعله ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: يَيْبَسُ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ بعد خُضْرَتِهِ وريِّهِ ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ بعد ذلك ﴿حُطَٰمٗا﴾ يَتَحَطَّمُ ويَتَكَسَّرُ بعد يُبْسِهِ ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾؛ أي: لهم عذاب شديد، وقيل: هو رفعٌ خَبَرٌ لـ«في»، و ﴿مُصۡفَرّٗا﴾ نصب على الحال؛ لأنه من رُؤْيةِ العَيْنِ، نظيره في سورة الروم[2].

ثـم قـال تعالى: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ يريد: لأوليـائه وأهل طاعته ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ لِمَن اغْتَرَّ بِها ولَمْ يَعْمَلْ لآخِرَتِهِ.

قوله تعالـى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾؛ أي تَحْـزَنُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ يعني: من الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ يعني: بمـا أعطاكم اللهُ منها، قرأ العامة: ﴿آتاكُـمْ﴾ بِمَدِّ الألِـفِ؛ أي: أعْطاكُمْ، واختـاره أبو حاتم[3]، وقـرأ أبو عمرو

---

(١) قـال ابن قتيبـة: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾؛ أي: الزُّرّاعَ، يقال لِلزّارِعِ: كافِرٌ لأنه إذا أَلْقَـى البَذْرَ في الأرض كَفَـرَهُ أي: غَطّاهُ». غريب القـرآن ٤٥٤، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٠٥، ٣٦٢، تهذيب اللغة ١٠/ ١٩٩.

(٢) الآية ٥١ ينظر ما تقدم ٢/ ٤٨.

(٣) اختيار أبي حاتم في الكشف والبيان ٩/ ٢٤٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٨.

بِقَصْرِ الألف[١] من الإتيان؛ أي: جاءَكُمْ، واختاره أبو عبيد[٢] لِلْمُعادَلةِ بينه وبين ﴿فَاتَكُمْ﴾ لِيُوافِقَ الكلامُ بَعْضُهُ بَعْضًا، ونَقِيضُ الفَوْتِ الإتْيانُ، قال ابن عباس[٣]: لَيْسَ أَحَدٌ إلّا وهو يَفْرَحُ ويَحْزَنُ، ولكن اجعلوا للمصيبة صَبْرًا وللخير شُكْرًا ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ مُتَكَبِّرٍ بما أُوتِيَ من الدنيا فَخُورٍ به على الناس.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ في محله من الإعراب وجهان، أحدهما: الخفض على نعت المختال، والثاني: الرفع بالابتداء، وخَبَرُهُ فيما بعده، ويجوز أن يكون في موضع نصب على البدل من ﴿كُلَّ﴾، أو على الذَّمِّ بمعنى: أعْنِي، والمَعْنِيُّ بالآية قيل[٤]: هم اليهود بَخِلُوا بِصِفةِ محمدٍ ﷺ، وكَتَمُوا أمْرَهُ لِيَأْخُذُوا الفَضْلَ من/ أتباعهم وسِفْلَتِهِمْ. [٢١٢/ ب]

قوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ يعني: بِكِتْمانِ أمْرِ محمدٍ ﷺ وصِفَتِهِ، والناس هاهنا هم اليهود وأتباعهم، وقرأ حمزة والكسائي: «بِالبَخَلِ»[٥] بفتح الباء والخاء ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعني: عن الإيمان بالله ورسوله فيما دَعاهُ إليه، وهو

---

(١) قرأ أبو عمرو والحسن وأبو العالية ونصر بن عاصم: ﴿أتاكُمْ﴾ بقصر الهمزة. ينظر: السبعة ص ٦٢٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٨، البحر المحيط ٨/ ٢٢٤، الإتحاف ٢/ ٥٢٣.

(٢) ينظر اختيار أبي عبيد في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٥، الكشف والبيان ٩/ ٢٤٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٨.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢٧/ ٣٠٥، شفاء الصدور ورقة ١٠٤/ ب، الوسيط ٤/ ٢٥٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٨.

(٤) ذكره النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٠٤/ ب.

(٥) وبها قرأ أيضًا: أنسٌ وخَلَفٌ وعُبَيدُ بنُ عُمَير وابنُ يَعمُرَ ومجاهدٌ وحُمَيدٌ وابنُ مُحَيصِن، ينظر: السبعة ص ٦٢٧، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٩، النشر ٢/ ٢٤٩، الإتحاف ٢/ ٥٢٣.

شرط وجزاء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خَلْقِهِ ﴿ٱلْحَمِيدُ ۝٢٤﴾ عند جميع خَلْقِهِ.

قرأ نافعٌ وابنُ عامر: ﴿فَـإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ﴾[1]، وقـرأ العامة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾، قال الواحِدِيُّ[2]: فمن أثبت ﴿هُوَ﴾ كان فَصْلًا، ولَمْ يكن مبتدأً، ومن حذف فلأن الفصلَ حَذْفُهُ سَـهْلٌ، ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب، فَحَذْفُـهُ لا يُخِلُّ بالمعنى، وقال صاحب «إنسـان العين»[3]: جَعْلُ هُوَ[4] فَصْلًا أَوْلَـى؛ لأنه لا حَظَّ لَهُ من الإعراب، فَحَذْفُهُ أسْـهَلُ، تقول في الفَصْلِ: ضَرَبْتُ زَيْدًا هُوَ قائِمًا، وفي الابتداء: هُوَ قائِمٌ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الحَوارِيِّينَ، اتَّبَعُوا عيسـى ـ عليه السـلام ـ ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ يعني المَوَدّةَ، ويقال: «رَآفةً»[5]، وقد رَؤُفَ وَرَأفَ رَأْفـةً وَرَحْمـةً، وذلك أنهـم كانوا مُتَوادِّينَ بَعْضُهُـمْ لِبَعْضٍ، كما وَصَفَ اللهُ تعالى أصحاب محمد ﷺ بقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[6].

---

(١) قـرأ نافـع وابن عامر وأبو جعفر: «فَـإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ»، وكذلك هو فـي مصاحف أهل المدينة والشـام، وقرأ الباقون: ﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾، وكذلك هو فـي مصاحف أهل مكة والعراق، ينظر: السبعة ص ٦٢٧، البحر المحيط ٨/ ٢٢٤، الإتحاف ٢/ ٥٢٣.

(٢) الوسيط ٤/ ٢٥٣.

(٣) السَّـجاوِنْدِيُّ ذَكَـرَ القِراءةَ، ولَـمْ يذكر عِلَّتَها في عيـن المعانِي ورقـة ١٣٢/ أ، وأما قوله: «ضَرَبْتُ زَيْدًا هُوَ قائِمًا» فلا يجوز عند البصريين؛ لأن من شروط ضمير الفصل أن يقع بين مبتدأ وخبر أو بين ما أصله المبتدأ والخبر، والمثال الذي ذكره وقع فيه الضمير بين المفعول به وبين الحال.

(٤) في الأصل: «جعل الغني».

(٥) وقد قرأ قُنْبُلٌ من طريق ابن شَنَبُوذٍ: «رَآفةً» بالمَدِّ، ينظر: الإتحاف ٢/ ٥٢٣.

(٦) الفتح ٢٩.

وقولُـهُ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾؛ أي: أَحْدَثُوها، مأخوذ من الرَّهْبةِ، وهي نصب بإضمار فعل؛ أي: وابْتَدَعُوا رَهْبانِيّةً، لَمْ نَكْتُبْها عليهم، وليس بعطف على ما قبله[١]، وقيل[٢]: هو معطوف على الأول، وقوله: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: مـا فَرَضْناها عليهم، وفي مصحف أُبَيٍّ: «ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ وَلَكِنِ ابْتَدَعُوها»[٣] يعنـي الرَّهْبانِيّةَ ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ نصب على الاسـتثناء الذي ليس من الأول، ويجوز أن يكون بدلًا من المضمر في ﴿كَتَبْنَٰهَا﴾[٤].

وقولـه: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ يريـد: حين ضَيَّعُوها، وكَفَـرُوا بِدِينِ عِيسَـى عليه السـلام، فَتَهَوَّدُوا وتَنَصَّـرُوا، ودخلوا في دِينِ مُلُوكِهِـمْ، وتَرَكُوا التَّرَهُّـبَ، وأقام منهم أُناسٌ على دين عيسـى حتى أدركوا محمدًا ﷺ، وذلك قوله تعالـى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يعني الذين تَهَوَّدُوا وتَنَصَّرُوا.

---

(١) هذا قول الزجاج وابن الأنباري والنحاس والفارسي، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٣٠، إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٢٦، إعراب القرآن ٤/ ٣٦٧، المسائل الشيرازيات ص ٣٠٥، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٦/ ٢٩١، التبيان للعكبري ص ١٢١١، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٣، مغني اللبيب ص ٧٥١-٧٥٢.

(٢) هذا القول ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٣٦٧، وجوزه الزمخشـريُّ فقال: «ويَجُوزُ أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها، و«ابْتَدَعُوها» صفة لها في محل النصب؛ أي: وجعلنا في قلوبهم رَأْفةً ورَحْمةً، ورَهْبانِيّةً مُبْتَدَعةً من عندهم، بمعنى: وَفَّقْناهُمْ لِلتَّراحُمِ بينهم ولابْتِداعِ الرَّهْبانِيّةِ واسْتِحْداثِها، ما كَتَبْناها عليهم إلّا لِيَبْتَغُوا بها رِضْوانَ اللهِ». الكشاف ٤/ ٦٨، وينظر: التبيان للعكبري ص ١٢١١، الفريد ٤/ ٤٣٦، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٣، البحر المحيط ٨/ ٢٢٦.

(٣) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٢٦، شواذ القراءة للكرماني ورقة ٢٣٥.

(٤) ينظر في هذين الوجهين: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٣٠، إعراب القرآن ٤/ ٣٦٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٦١، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٣.

فصل

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لِكُلِّ أُمّةٍ رَهْبانِيّةً، وَرَهْبانِيّةُ هَذِهِ الأُمّةِ الجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[(١)].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني بعيسى ـ عليه السلام ـ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ أي: وَحِّدُوا الله وصَدِّقُوا برسوله محمدٍ ﷺ / أنه رسول ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ جواب الأمر ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني: أجْرَيْنِ ونَصِيبَيْنِ وضِعْفَيْنِ من رحمته، والكِفْلُ: النَّصِيبُ، يَدُلُّ عليه قولُهُ تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[(٢)]؛ أي: نَصِيبٌ، والكِفْلُ أيضًا: الكِساءُ الذي يَجْعَلُهُ الرّاكِبُ إذا ارْتَدَفَ لِئَلّا يَسْقُطَ[(٣)]، فكأنه قال: يُحَصِّنْكُمْ هذا من عذاب الله كما يُحَصِّنُ الرّاكِبَ الكِفْلُ، وهو الكِساءُ وغَيْرُهُ مِمّا يَحْبِسُهُ من السُّقُوطِ.

قال ابن جَرِيرٍ[(٤)]: وأصله ما يَكْتَفِلُ به الرّاكِبُ من الثياب والمَتاع فَيَحْبِسُهُ ويَحْفَظُهُ من السَّقُوطِ. ومنه الكَفالةُ؛ لأنه تَحْصِينٌ لِلْحَقِّ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعني: على الصراط، كما قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[(٥)]، فهذا علامةُ المؤمنين في القيامة.

---

(١) ينظر: مسند أبي يعلى ٧/ ٢١٠، الكامل في الضعفاء ٣/ ١٩٩، ٤/ ٢٣٠، الوسيط ٤/ ٢٥٦.

(٢) النساء ٨٥.

(٣) من أول قوله: «والكفل: النصيب، يَدُلُّ عليه». قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٠٦/ أ.

(٤) يعني محمد بن جرير الطَّبَرِيُّ، وانظر: جامع البيان ٢٧/ ٣١٣.

(٥) التحريم ٨.

قال ابن عباس[١]: النور: القرآن، وقال مجاهد[٢]: هو الهدى والبيان ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

فصل

عن أبي موسى الأشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَ لَهُ جارِيةٌ فَأَدَّبَها فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَها، وَعَلَّمَها فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَها، ثُمَّ أَعْتَقَها فَتَزَوَّجَها فَلَهُ أَجْرانِ، وَأَيُّما مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوالِيهِ فَلَهُ أَجْرانِ»[٣].

قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: لِيَعْلَمَ، و«لا» صلة زائدة[٤]، قال الشاعر:

٣٤٢ ـ تَذَكَّرْتُ لَيْلَى، فاعْتَرَتْنِي صَبابةٌ ... وَكادَ ضَمِيرُ القَلْبِ لا يَتَقَطَّعُ[٥]

---

(١) ينظر قوله في زاد المسير ٨/ ١٧٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٧.

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٥٨، وينظر: الوسيط ٤/ ٢٥٦، زاد المسير ٨/ ١٧٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٧.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٩٨، ٤١٤، والبخاري في صحيحه ٣/ ١٢٣، ١٢٤ كتاب الرهن في الحضر: باب فضل من أدَّبَ جاريته وعَلَّمَها، وباب «العبد إذا أحْسَنَ عبادة ربه ونصح سيده»، ورواه ابن ماجَهْ في سننه ١/ ٦٢٩ كتاب النكاح: باب الرجُل يعتق أَمَتَهُ ثم يتزوجها.

(٤) قاله أكثر العلماء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٣٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٥٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٣١، إعراب القرآن ٤/ ٣٦٩، تهذيب اللغة ١٥/ ٤١٧.

(٥) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، وضمير القلب: سِرُّهُ وخاطِرُهُ.

التخريج: عين المعانِي ورقة ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٩١، ٢٠/ ٥٩، رصف المبانِي ص ٢٧٤، الجنى الداني ص ٣٠٢، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٣٨.

أيْ: يَتَقَطَّعُ، وقرأ سعيد بن جُبَيْرٍ: «لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ»[١] ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام إلّا برَحْمَتِهِ، ورفعت الفعل لأن المعنى: أَنَّهُم لا يقدرون، كقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[٢]، وأنشد الفراء[٣]:

٣٤٣ - إنِّي كَفِيلٌ يا نُوَيْـ ... ـقَةُ إنْ نَجَوْتِ إلى الصَّباحِ

وَسَلِمْتِ مِنْ عَرَضِ الحُتُو ... فِ مِنَ الغُدُوِّ إلى الرَّواحِ

أنْ تَهْبِطِينَ بِلادَ قَوْ ... مٍ يَرْتَعُونَ مِنَ الطِّلاحِ[٤]

أي: أنَّكِ لا تَهْبِطِينَ.

قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الإسلام بيَدِ الله ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ﴾ على خَلْقِهِ ﴿ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ بنعمته ومِنَّتِهِ عليهم، والله أعلم.

---

(١) وهي أيضًا قراءة ابن مسعود وابن عباس وعكرمة والجَحْدَرِيِّ وعبد الله بن سلمة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٣، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٨، البحر المحيط ٨/ ٢٢٧.

(٢) طه ٨٩، وهو يعني أن «أنْ» هنا هي المخففة من الثقيلة، وليست الناصبةَ للمضارع؛ لأن الناصبة للمضارع لا تقع بعد علم، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٣١، إعراب القرآن ٤/ ٣٦٩، الفريد للهمداني ٤/ ٤٣٧.

(٣) معانِي القرآن ١/ ١٣٦.

(٤) الأبيات من الكامل المَجزوء المُرَفَّلِ، للقاسم بن مَعْنٍ قاضي الكوفة، ويُرْوَى الأولُ: «**إنِّي زَعِيمٌ.... نَجَوْتِ مِنَ الزَّواحِ**».

اللغة: كفيل: ضامن، نُوَيْقة: تصغير ناقة، الزَّواح: التباعد والذهاب.

التخريج: سر صناعة الإعراب ص ٤٤٨، الأزهية ص ٦٤، ٦٥، الكشف والبيان ٩/ ٢٥١، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ١٥٦-١٥٧، شرح المفصل ٧/ ٩، عين المعانِي ورقة ١٣٢/ أ، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٤٤، ٣/ ١٣٣، ٤/ ١٠، رصف المبانِي ص ١١٣، اللسان: أنن، زوح، صلف، طلح، ارتشاف الضرب ص ٢٤٢٢-٢٤٢٣، المقاصد النحوية ٢/ ٢٩٧، خزانة الأدب ٨/ ٤٢١.

سورة المجادلة

مدنية

وهي ألف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفًا، وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمةً، واثنتان وعشرون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب / ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ المُجادَلةِ كُتِبَ مِنْ حِزْبِ اللهِ يَوْمَ القِيامةِ»[1].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ المُجادَلةِ أُجِيرَ مِنْ فَتّانِ القَبْرِ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾؛ أي: تُخاصِمُكَ وتُحاوِرُكَ وتُراجِعُكَ ﴿فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: تَتَضَرَّعُ إليه وتَشْكُو، يقال: اشْتَكَيْتُ ما بِي وشَكَوْتُ.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٥٢، الوسيط ٤/ ٢٥٨، الكشاف ٤/ ٧٩، مجمع البيان ٩/ ٤٠٧.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

تَنَزَّلَتْ هذه الآيةُ في شأن خَوْلةَ بنت مالك بن ثَعْلَبَة[١] وزَوْجِها أَوْسِ بن الصّامِتِ[٢]، وقصتها مع رسـول الله ﷺ مشـهورة[٣]، وذلك أَنَّ زَوْجَها ظاهَرَ مِنْهـا، فَأَتَـت النَّبِيَّ ﷺ، وقالت: يا رسـول الله: إِنَّ زَوْجِـي أَوْسَ بنَ الصّامِتِ ظاهَـرَ مِنِّي، بعد أن قَدُمَتْ معه صُحْبَتِي، ونَثَرْتُ لـه كِنانَتِي[٤]، ولِي مِنْهُ صِبْيةٌ صِغارٌ، إِنْ ضَمَّهُمْ إليه ضاعُوا، وإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جاعُوا، أَشْكُو إِلَى الله عُجَرِي وَبُجَرِي[٥]، تريد: جَمِيعَ أَمْرِي الظّاهِرَ والباطِنَ، فَنَزَلَتْ هذه الآياتُ فِي الظِّهارِ، وكان هذا أَوَّلَ ظِهارٍ فِي الإسلام.

---

(١) خَوْلةُ بنت مالك بن ثعلبة بن فِهْرٍ، وقيل: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خُوَيْلةُ، كانت زَوْجَ أَوْسِ ابنِ الصّامِتِ، رَوَى عنها يوسف بن عبد الله بن سلام. [أسد الغابة ٥/ ٤٤٢-٤٤٤، الإصابة ٨/ ١١٤-١١٦].

(٢) أوس بـن الصامت بن قيس بن أَصْرَمَ الأنصـاري الخزرجي، من أصحاب النبي ﷺ، آخَى النَّبِيُّ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، شَهِدَ بَدْرًا وأكثر المشاهد، وتوفِّيَ في خلافة عثمان رحمه الله. [أسد الغابة ١/ ١٤٦، الإصابة ١/ ٣٠٢].

(٣) رَوَى الحاكمُ هذه القصةَ عن السـيدة عائشـة في المستدرك ٢/ ٤٨١ كتاب التفسير: سورة المجادلة، وابنُ ماجَهْ في سننه ١/ ٦٦٦ كتاب النكاح: باب الظهار، وينظر: أسباب النزول ص ٢٧٣، لباب النقول ص ١٨٩.

(٤) نَثَرْتُ له كِنانَتِي: كناية عن إِنْجابِ الأولاد.

(٥) قال أبو عبيد: «أَخْبَرْتُهُ بِعُجَرِي وَبُجَرِي؛ أي: أظهرته من ثقتي به على معايبي». كتاب الأمثال لأبـي عبيد ص ٦٠، وقال المبرد: «قال الأصمعي: هو قول سـائرٌ فـي أمثال العرب: «لَقِيَ فُـلانٌ فُلانًا فَأَبَثَّهُ عُجَرَهُ وَبُجَـرَهُ». الكامل للمبرد ١/ ٢١٦، وينظر: جمهرة اللغة ١/ ٤٦١، جمهـرة الأمثال ١/ ٣٦٤، فصل المقال ص ٦٥، مجمع الأمثال ١/ ٢٣٧-٢٣٨، أسـاس البلاغة: بجر، عجر، المسـتفصى للزمخشري ١/ ٩٣، شـمس العلوم ٧/ ٤٣٧٩، النهاية لابن الأثير ١/ ٩٧.

وأصل العُجَرِ: العُقَدُ النّاتِئةُ فِي العَصَبِ، والبُجَرُ: العُقَدُ النّاتِئةُ فِي البَطْنِ.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ يعني خَوْلةَ والنَّبيَّ ﷺ، والتَّحاوُرُ: المُحاوَرةُ وهي المُخاطَبةُ، وأصله ما يُحِيرُ الإنسانُ؛ أي: يُدِيرُ من الكلام، يقال: كَلَّمْتُهُ فَما أحارَ جَوابًا[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لتحاوركما ﴿بَصِيرٌ ١﴾ به.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ الحسن وأبو عمرو ونافع وابن كثير: ﴿يَظَّهَّرُونَ مِنْكُمْ﴾ بتشديد الظاء والهاء من غير ألف، وقرأ أبو جعفر وشَيْبةُ ويَحْيَى بنُ وَثّابٍ والأعمشُ وابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ وأحمدُ بنُ مجاهد[2]: ﴿يَظّاهَرُونَ﴾ بفتح الياء والظاء والهاء مع التشديد فيها[3] والألِفِ، وقرأ أبو عبد الرحمن/ السُّلَمِيُّ وعاصمٌ: «يُظاهِرُونَ» بضم الياء وكسر الهاء وتخفيف الظاء[4]. [٢١٤/ أ]

والمعنى: تُحَرِّمُونَهُنَّ تَحْرِيمَ ظُهُورِ الأُمَّهاتِ، وكل ما كان من الأُمِّ مُحَرَّمًا على الابن أن يراه، كالفرج والبطن والفَخِذَيْنِ وأشباهِ ذلك، فهو بِمَنْزِلةِ الظَّهْرِ على الأصح.

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٠٦/ ب، ١٠٧/ أ.

(٢) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر التميمي البغدادي، مقرئ محدث نحوي، كان كبير العلماء بالقراءات في عصره، وكان حسن الأدب فَطِنًا جَوادًا، توفِّي سنة (٣٢٤هـ)، من كتبه: القراءات الكبير، قراءة النبي ﷺ قراءة ابن كثير. [غاية النهاية ١/ ١٣٩-١٤٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٢-٢٧٤، الأعلام ١/ ٢٦١].

(٣) يعني: في الظاء.

(٤) وقرأ أُبَيٌّ: ﴿يَتَظاهَرُونَ﴾، وقرأ قتادة والحسن: ﴿يُظَهِّرُونَ﴾، ينظر في هذه القراءات: السبعة ٦٢٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٥٤، مختصر ابن خالويه ص ١٥٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٧٣، البحر المحيط ٨/ ٢٣١، الإتحاف ٢/ ٥٢٥.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع بالابتداء، ويجوز على قول سيبويه أن يكون في موضع نصب بـ﴿بَصِيرٌ﴾[١].

وقولـه: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡ﴾ قرأه العامة بكسـر التـاء، وهي في موضع نصب على خبر ﴿مَّا﴾، كقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[٢]، وقيل: على معنى: ليس هن بأمهاتهم، وقرأ المفضلُ وعاصمٌ في بعض الروايات بضم التاء[٣] على المبتدأ والخبـرِ، على لغة بنـي تميم؛ لأنهم لا يُعْمِلُونَ «ما» عَمَـلَ «لَيْسَ» كَفِعْلِ أَهْلِ

---

(١) يعني أن سيبويه يُجيزُ إعْمالَ «فَعِيلٍ»، من صيغ المبالغة، عَمَلَ الفِعْلِ، فقد قال سيبويه: «وَأَجْرَوْا اسْـمَ الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مُجْراهُ إذا كان على بناء «فاعِلٍ»؛ لأنه يريد به ما أراد بـ«فاعِـلٍ» من إيقاع الفعـل إلا أنه يريد أن يُحَدِّثَ عن المبالغـة». الكتاب ١/ ١١٠، ثم استشهد سيبويه على إعمال «فَعِيلٍ» بقول ساعِدةَ بن جُؤَيّةَ:

حَتَّى شَـآها كَلِيـلٌ مَوْهِنًـا عَمِلٌ ... باتَـتْ طِرابًا، وَباتَ اللَّيْـلُ لَمْ يَنَمِ

الكتـاب ١/ ١١٤، ولـم يجز المُبَرِّدُ إعمالَ «فَعِيلٍ»، فقـال: «فأما ما كان على «فَعِيلٍ» نحو رَحِيمٍ وعَلِيمٍ، فقد أجاز سـيبويه النصب فيه، ولا أراه جائزًا، وذلك أن فَعِيلًا إنما هو اسـم الفاعل من الفعل الذي لا يتعدى، فما خَرَجَ إليه من غير ذلك الفعل فَمُضارِعٌ له مُلْحَقٌ به... واحْتَجَّ سيبويه بقول الشاعر:

حَتَّى شَـآها كَلِيـلٌ مَوْهِنًـا عَمِلٌ ... باتَـتْ طِرابًا، وَباتَ اللَّيْـلُ لَمْ يَنَمِ

والظرف إنما يعمل فيه معنى الفعل كَعَمَلِ الفعل، كان الفعل متعدِّيًا أو غَيْرَ مُتَعَدٍّ». المقتضب ٢/ ١١٣-١١٤، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣٧١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٦٢، النكت للأعلم ص ٢٤٦-٢٤٨، شـرح المفصل ٦/ ٧٢، ٧٣، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٨٠، شرح الكافية للرضي ٣/ ٤٩١، ارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٨١-٢٢٨٣، مغني اللبيب ص ٥٦٨، ٥٦٩، الدر المصون ٦/ ٢٨٤-٢٨٥، خزانة الأدب ٨/ ١٥٥-١٦٣ وغيرها.

(٢) يوسف ٣١.

(٣) وبها قرأ أيضًا السُّـلَمِيُّ وأبو مَعْمَرٍ، ينظر: السـبعة ص ٦٢٨، تفسـير القرطبي ١٧/ ٢٧٩، البحر المحيط ٨/ ٢٣١.

الحِجازِ[١]، ولكنهم يرفعون ما بعده على الابتداء والخبر، قال الفراء[٢]: وهي لغة أهل نَجْدٍ، وأنشدوا على لغتهم:

٣٤٤ ـ وَيَزْعُمُ حِسْـلٌ أَنَّهُ فَرْعُ قَوْمِهِ ... وَما أَنْتَ فَرْعٌ يا حُسَيْلُ وَلا أَصْلُ[٣]

وقوله: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ رفع بالابتداء؛ أي: ما أُمَّهاتُهُمْ ﴿إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ ﴿ٱلَّـٰٓـِٔي﴾ جَمْعُ «الَّتِي»، يقال: اللَّائِي واللَّاتِي، ومحله رفع خبر ابتداءٍ محققٍ.

قولــه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ المُنْكَـرُ: هــو الذي لا يُعْـرَفُ، والزُّورُ: الكَذِبُ، وهمــا نعتان لمصدر محذوف، وهو نصب بالقول؛ أي: لَيَقُولُــونَ قَوْلًا مُنْكَـرًا وَقَوْلًا زُورًا، يعني: كَذِبًـا وبُهْتانًا[٤]﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ عَفا عنهم وغَفَرَ لهم بإيجاب الكَفّارةِ عليهم.

قولــه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾؛ أي: يعــودون إلــى الجِماعِ الذي حَرَّمُوا على أنفسهم، فَنَهاهُم اللهُ عزّ وجلّ عن الجِماعِ حَتَّى يُكَفِّرُوا.

---

(١) قال سـيبويه: «هذا باب ما أُجْرِيَ مُجْرَى «لَيْسَ» في بعض المواضع بِلُغةِ أهل الحجاز، ثم يصير إلى أصله، وذلك الحرف «ما»، تقول: ما عَبْدُ اللهِ أخاكَ، وما زَيْدٌ مُنْطَلِقًا، وأما بنو تميم فَيُجْرُونَهــا مُجْرَى «أمّا» و«هَلْ»؛ أي: لا يُعْمِلُونَها في شــيءٍ، وهو القياس لأنه ليس بِفِعْلٍ، وليس «ما» كـ«لَيْسَ»، ولا يكون فيها إضمار». الكتاب ١/ ٥٧.

(٢) معانِي القرآن ٢/ ٤٢، ٤٣، ٣/ ١٣٩.

(٣) البيت من الطويل، لِعَمْرِو بن خُوَيْلِدٍ، ويُرْوَى: «وَيَزْعُمُ حِسْدٌ... يا حُسَيْدُ».

اللغة: حِسْـلٌ: اسم رجل، والحِسْلُ: ولد الضَّبِّ، وحُسَـيْلٌ: تصغيره، فَرْعُ القومِ: شَرِيفُهُمْ، وتَفَرَّعَ القَوْمَ: عَلاهُمْ وفاقَهُمْ.

التخريج: الحيوان ٦/ ٩٤، الجليس الصالح الكافِي ١/ ٢٦٥، الوسيط ٤/ ٢٦٠، الإنصاف ص ٦٩٤، زاد المسير ٨/ ١٨٣.

(٤) قاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٦٣.

وقوله: ﴿لِمَا﴾ بمعنى «إلى»، كقوله تعالـى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[١]؛ أي: إِلَيْهـا، وقولِـهِ: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[٢]؛ أي: إلـى ما نُهُـوا عنه، وقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾[٣]؛ أي: إلى آبائِهِمْ، قال الشاعر:

٣٤٥ ـ فَلَمّا التَقَى فُرْسانُنا وَرِجالُهُمْ ... دَعَـوْا يا لَكَعْبٍ! واعْتَزَيْنـا لِعامِرِ[٤]

أي: انْتَسَبْنا إلَى عامر.

ويجوز أن يكون ﴿لِمَا﴾ بمعنى: بِما قالوا، وهو قول الأخفش[٥]، ويجوز أن يكون بمعنى: فِيما قالُوا، وهو قول الفراء[٦]، وكُلٌّ في ذلك جائزٌ.

وفي الآية تقديم وتأخير، قال الأخفش[٧]: تقدير الآية: والذين يُظاهِرُونَ

---

(١) الزلزلة ٥.

(٢) المجادلة ٨.

(٣) الأحزاب ٥، وكون اللام بمعنى «إلى» هو قول الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٣٩، أدب الكاتب ص ٤١٠، وينظر: شـفاء الصدور ورقة ١٠٨-١٠٩، عين المعاني ورقة ١٣٢/ أ.

(٤) في الأصل: «لِعارِم»، وهو خطأ، والبيت من الطويل، للرّاعِي النُّمَيْرِيِّ، من قصيدة يُخاطِبُ بها ابن نَعّاجٍ الكلبيَّ، ورواية ديوانه: «**فَلَمّا التَقَت...... دعوا يا لَكَلبٍ**»، ويُرْوَى صدره:

فَلَمّـا لَحِقْنـا والجِيـادُ عَشِـيَّةً

التخريج: ديوانه ص ١٣٤، الكتاب ٢/ ٣٨٠، غريب الحديث للهروي ١/ ٣٠٢، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٤٩، شفاء الصدور ورقة ١٠٩/ أ، مقاييس اللغة ٤/ ٣٠٩، الفائق ٢/ ٤٢٥، ضرائر الشعر لابن عصفور ص ١٨١، اللسان: عزو، عمر، التاج: عمر.

(٥) لَمْ أقف على هذا القول.

(٦) قال الفراء: «يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلَى ما قالوا وفِيما قالوا، يريد: يرجعون عَمّا قالوا». معانِي القرآن ٣/ ١٣٩.

(٧) ينظـر قوله في إعراب القـرآن للنحاس ٤/ ٣٧٣، تهذيب اللغة ٣/ ١٢٧، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٦٣، الوسيط ٤/ ٢٦١، اللسان: عود.

مِنْ نِسائِهِمْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ لِما قالُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ إلى/ نسائهم؛ أي: فَعَلَيْهِمْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ لِما نَطَقُوا به مِنْ ذِكْرِ التحريم، والتقديم والتأخير كثيرٌ في التنزيل ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ قال الزَّجّاجُ[1]: ذلكم التغليظ في الكَفّارةِ تُوعَظُونَ به؛ أي: إنَّ غِلَظَ الكَفّارةِ وَعْظٌ لَكُمْ حَتَّى تَتْرُكُوا الظِّهارَ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: يُعادُونَهُما ويُخالِفُونَ أمْرَهُما ويُحارِبُونَهُما، وقيل: يُجانِبُونَهُما؛ أي: يَكُونُونَ في حَدٍّ، واللهُ ورَسُولُهُ في حَدٍّ، والأصل: يُحادِدُونَ، فأدغمت الدال في الدال.

وقوله: ﴿كُبِتُواْ﴾؛ أي: أُهْلِكُوا وأُذِلُّوا وأُخْزُوا، يقال: كَبَتَ اللهُ فُلانًا: إذا أذَلَّهُ وأخْزاهُ، والمَرْدُودُ بالذُّلِّ يقال له: مَكْبُوتٌ[2] ﴿كَمَا كُبِتَ﴾؛ أي: أُهْلِكَ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من أهل الشِّرك، والكاف في موضع نصب؛ لأنها نعت لمصدر محذوف[3] ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ من الهَوانِ.

ثم بَيَّنَ وَقْتَ ذلك العذابِ، فقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعني بذلك الخَلْقَ كُلَّهُمْ، يبعثهم من قبورهم أحياءً، والعامل في ﴿يَوْمَ﴾: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ قرأه العامة بالياء لأجل الحائل، وقرأ أبو جعفر بالتاء[4] لتأنيث النَّجْوَى، والأوَّلُ أصَحُّ وأفْصَحُ، قاله

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٣٥.

(٢) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٦٣.

(٣) أي: كَبْتًا مِثْلَ كَبْتِ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٧٤.

(٤) وهي أيضًا قراءة أَبِي حَيْوةَ وشَيْبةَ والأعرج وعيسى بن عمر، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٤، المحتسب ٢/ ٣١٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٨٩، البحر المحيط ٨/ ٢٣٣.

الثعلبي[١]، و﴿نَّجۡوَىٰ﴾ مصدر مضاف، قال الفراء[٢]: إن شئت خفضت الثلاثة على نعت النجوى، وإن شئت أضفت النجوى إليها.

ويَجُوزُ رفعه على موضع ﴿نَّجۡوَىٰ﴾، ويَجُوزُ نصبه على الحال من المضمر الذي فِـي ﴿نَّجۡوَىٰ﴾، و ﴿مِن﴾ زائدة، يقال: ما جاءَنِي مِنْ رَجُلٍ؛ أي: ما جاءَنِي رَجُلٌ[٣].

والنَّجْوَى: الحَدِيثُ سِـرًّا كان أو علانيةً[٤]، ومعنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: مِـنْ حديـثٍ يكون بين ثلاثـة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ يعني: بالإحاطة بِهِمْ والعِلْمِ لا فِي العَدَدِ، يسمع نَجْواهُمْ ويَعْلَمُ فَحْواهُمْ ﴿وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ قرأه العامة: «أَكْثَرَ» بالفتح، وهو في محل الخفض على العطف، وقرأ يعقوب وأبو حاتم بالرفع[٥]

(١) الكشف والبيان ٩/ ٢٥٦.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ١٤٠.

(٣) من أول قوله: «ويجوز رفعه على موضع نجوى» ليس من كلام الفراء، بل هما وجهان آخران فـي إعراب «ثَلاثـةٍ»، قالهما النحاس، فالرفع على أنه بَدَلٌ من موضـع «نَجْوَى»؛ لأنه فاعل بـ«كانَ» التامة، و«مِنْ» زائدة، والنصب على أنه حال من الضمير في «نَجْوَى» على أنه بمعنى مُتَناجِيـنَ. إعراب القـرآن ٤/ ٣٧٥، والوجه الثاني أجازه الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٤٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٦٤، الفريد للهمداني ٤/ ٤٤١.

(٤) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١١٠/ أ، وقال الزجاج: «النَّجْوَى في الكلام: ما تَنْفَرِدُ به الجماعةُ أو الاثنان، سِرًّا كان أو ظاهرًا». معانِي القرآن وإعرابه ٢/ ١٠٤، وحكاه عنه الأزهري في التهذيب ١١/ ١٩٨، والمشـهور أن النجوى هي الكلام المُسَـرُّ، قال الخليل: «والنَّجوُ: كَلامٌ بَيْنَ اثنين كالسِّرِّ والتَّسارّ، تقول: ناجَيْتُهُمْ وَتَناجَوْا فيما بينهم». العين ٦/ ١٨٧، وينظر: جمهرة اللغة: نجو، المحيط في اللغة ٧/ ١٨٨، المحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٣٨٦.

(٥) قـرأ يعقوب وأبو حاتم والحسـن وابن أبي إسـحاق والأعمش وأبو العاليـة وأبو حيوة =

علـى محل الكلام قبل دخول «مِنْ»، وقـرأ الزُّهْرِيُّ: «أَكْبَرَ»[١] بالباء المعجمة بنقطة من أسفل.

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: بمـا يُزَيِّنُ الشـيطانُ لليهود والمنافقين ذلك النجـوى[٢]؛ لِيَحْزُنَ المؤمنين، وذلك أن المؤمنيـن إذا رَأوا اليهود والمنافقين مُتَناجِينَ، قالوا: / لعلهم يَتَناجَوْنَ لَمّا [٢١٥/ أ] بَلَغَهُمْ عن إخواننا الذين خرجوا في السَّـرايا قَتْلٌ أو مَـوْتٌ أو هَزِيمةٌ، قال الله تعالـى: ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يريد: فِـي الضُّرِّ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ يَكِلُـونَ أُمُورَهُمْ إِلَى الله، ونصـب ﴿شَيْـًٔا﴾؛ لأنه مفعول ثانٍ، والمفعول الأول الهاء والميم.

قولـه تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾؛ أي: تَوَسَّـعُوا، ومنه قولهم: مَكانٌ فَسِيحٌ: إذا كان واسعًا، قرأ عاصم والسُّلَمِيُّ والحسـن: «فِي المَجالِسِ» بالألـف على الجمع، وقرأ قتادة: «تَفاسَـحُوا فِي المَجالِسِ» بالألف فيهما، وقرأ الآخرون: «فِي المَجْلِسِ»[٣] يعنون: فِي مَجْلِسِ

= وسـلّامٌ وعيسـى بن عمر ونصر بن عاصم: ﴿وَلا أَكْثَرُ﴾ بالرفع، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٠، البحر المحيط ٨/ ٢٣٣.

(١) وبها قرأ، أيضًا الحسـن ومجاهد والخليل بن أحمد ويعقوب وعكرمة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٤، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٠، البحر المحيط ٨/ ٢٣٤.

(٢) قولـه: «ذلـك النجوى» فيه تذكير للمشـار إليه وهو «النجوى» مـع أن النجوى مؤنثة؛ لأن آخرها أَلِفَ تأنيثٍ مقصورةً، ينظر: المفصل للزمخشري ص ٢٠١، إلا إن كان يراد بالنجوى التَّناجِي، وهو مذكر.

(٣) قرأ الحسـن بخلاف عنه، وعيسـى بنُ عمر وقتـادةُ وداودُ بنُ أَبِي هند: «تَفاسَـحُوا»، وقرأ عاصم وقتادة والحسن وعيسى بن عمر والسُّلَمِيُّ وزِرُّ بن حُبَيْشٍ: «فِي المَجالِسِ» جمعًا،=

رسول الله ﷺ[١]، وهو الاختيار؛ لأن المَجْلِسَ يُؤَدِّي معناه عن المَجالِسِ كُلِّها مَجْلِسُ النَّبِيِّ ﷺ وغَيْرِهِ.

وقوله: ﴿فَافْسَحُوا﴾؛ أي: أوْسِعُوا، يقال: فَسَحَ يَفْسَحُ فَسْحًا: إذا أوْسَعَ في المَجْلِسِ، وقوله: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني: يُوَسِّعِ اللهُ لكم الجنةَ والمجالس فيها، وهو جواب الأمر، وفيه معنى المجازاة.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين، وقرأ الآخرون بكسرها[٢]، وهما لغتان[٣]، والمعنى: قُومُوا وتَحَرَّكُوا وارْتَفِعُوا عن مواضعكم حتى تُوسِعُوا لغيركم، ومنه يقال: قَعَدَ على نَشَزٍ من الأرض؛ أي: على مكان مرتفع، وقيل: معناه: انْهَضُوا إلى الصلاة والجهاد والذِّكْرِ وعَمَلِ الخَيْرِ، ولا تُقَصِّرُوا ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وهذا أيضًا جواب الأمر، والعِلْمُ نصب على خَبَرِ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ،

= وقرأ الباقون بالإفراد، ينظر: السبعة ص ٦٢٨، ٦٢٩، المحتسب ٢/ ٣١٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٧، البحر المحيط ٨/ ٢٣٥، الإتحاف ٢/ ٥٢٧.

(١) قاله مجاهد وقتادة والزجاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٣٩، إعراب القرآن ٤/ ٣٧٨، الحجة للفارسي ٤/ ٣٥، الوسيط للواحدي ٤/ ٢٦٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٦.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي والأعمش والحسن وطلحة: «انْشِزُوا» بكسر الشين، ورُوِيَتْ عن أبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون وحَفْصٌ عن عاصم بضم الشين، ينظر: السبعة ص ٦٢٩، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٩٩، البحر المحيط ٨/ ٢٣٥، الإتحاف ٢/ ٥٢٧.

(٣) قال الفراء: «وهما لغتان، كقولك: «يَعْكِفُونَ» و«يَعْكُفُونَ»، و«يَعْرِشُونَ» و«يَعْرُشُونَ». معاني القرآن ٣/ ١٤١، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٣٧٩، تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٤، معاني القراءات ٣/ ٦١، الحجة للفارسي ٤/ ٣٥-٣٦.

و﴿دَرَجَٰتٍ﴾ فِـي موضع نصب مفعولٌ ثانٍ حذفت منـه «إلى»، قال ابن عباس ـ رضـي الله عنه ـ: يرفع الله الذين أُوتُوا العِلْمَ درجات من المؤمنين على الذين لَمْ يُؤْتَوُا العِلْمَ دَرَجاتٍ.

فصل

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «فَضْلُ العالِمِ على الشَّهِيدِ دَرَجةٌ، وفَضْلُ الشَّهِيدِ على العابِدِ دَرَجةٌ، وفَضْلُ النَّبِيِّ على العالِمِ دَرَجةٌ، وفَضْلُ القُرْآنِ عَلَى سـائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وفَضْلُ العالِمِ عَلَى سائِرِ النّاسِ كَفَضْلِي عَلَى أدْناهُمْ»(١).

وقال رسـول الله ﷺ: «مَـنْ جاءَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُـوَ يَطْلُبُ العِلْـمَ فَبَيْنَهُ وبَيْنَ الأنْبِياءِ دَرَجةٌ واحِدةٌ»(٢).

وعـن عبد الله بـن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن فِي القيامة أهْوالًا وأفْزاعًا وحَسْـرةً ونَدامةً، حَتَّى يَغْرقَ الرَّجُلُ في عَرَقِهِ إلى شَـحْمةِ أُذُنَيْهِ، حَتَّى لو أن سبعين بَعِيرًا شَرِبَ مِنْ عَرَقِ أحَدِهِمْ لَرَوَوْا، وما نَقَصَ منه شَيْءٌ»، قيل: يا رسول: فما يُنْجِينا من تلك الأهوال/ والأفزاع؟ قال: «جاثُوا بِرُكَبِكُمْ بَيْنَ يَدَي العالِمِ؛ فإنِّي أفْتَخِرُ بهم يوم القيامة، فأقول: عُلَماءُ أُمَّتِي كَسائِرِ الأنْبِياءِ».

---

(١) ينظر: الكشـف والبيان ٩/ ٢٦٠، مجمع البيـان ٩/ ٤١٨، وروى ابن عَدِيٍّ عن أبي هريرة بلفظ: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». الكامل في الضعفاء ٥/ ٤٨، وينظر: علل الدارقطـني ١١/ ٢٨.

(٢) ينظر: الكشـف والبيان ٩/ ٢٦٠، ورواه الطبرسـي في مجمع البيان ٩/ ٤١٩ على أنه من أقـوال عليٍّ بن أبِي طالب، ورواه ابن النجار عن أنس في ذيل تاريخ بغداد ٣/ ٩٥، وينظر: كنز العمال ١٠/ ١٦٠.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «يا ابن مسعود: جُلُوسُكَ فِي حَلْقَةِ العالِمِ لا تَمَسُّ قَلَمًا، ولا تكتب حرفًا، خَيْرٌ لك مِنْ أَلْفِ فَرَسٍ تُوَجِّهُهُ فِي سبيل الله، وسَلاَمُكَ عليه خَيْرٌ لك من أَلْفِ فَرَسٍ تُوَجِّهُهُ فِي سبيل الله، وسَلاَمُكَ عليه خَيْرٌ لك مِنْ عِبادَتِكَ أَلْفَ سَنةٍ»[1].

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني: على المنافقين، وقيل: على القَدَرِيّةِ؛ أي: غَلَبَ واسْتَوْلَى، قال المبرد[2]: اسْتَحْوَذَ على الشيء: إذا حَواهُ وأحاطَ بِهِ، وجاء بالواو على أصله، ولَمْ يُعَلَّ، كما جاء: اسْتَرْوَحَ واسْتَصْوَبَ، والقياس: اسْتَحاذَ[3]، ومعناه: اسْتَدارَ عليهم الشيطان، فأحاط بهم ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: جُنْدُهُ ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

فصل

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنادِي مُنادٍ يَوْمَ القِيامةِ: أَيْنَ خُصَماءُ اللهِ؟ فتقوم القَدَرِيّةُ مُسْوَدّةً وُجُوهُهُمْ، مُزْرَقّةً أَعْيُنُهُمْ، مائِلًا شِقُّهُمْ، يَسِيلُ لُعابُهُمْ، فيقولون: واللهِ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِكَ شَمْسًا وَلاَ قَمَرًا،

---

(١) رَوَى ابنُ الجَوْزِيِّ حديثًا موضوعًا في هذا المعنى عن عمر بن الخطاب في كتاب الموضوعات ١/ ٢٢٣.

(٢) تكلم المبرد عن شذوذ «اسْتَحْوَذَ» ومجيئِهِ على الأصل في المقتضب ٢/ ٩٦، ولكنه لَمْ يتعرض لِمَعْناهُ، أما هذا النص الذي أورده المؤلف هنا للمبرد فقد حكاه عنه الواحدي فِي الوسيط ٤/ ٢٦٧.

(٣) هذا شاذٌّ في القياس، فَصِيحٌ في الاستعمال، ولَمْ يُعَلَّ لِيَدُلَّ على أصله كما قال العلماء، ينظر: الكتاب ٤/ ٣٥٠، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٤٠، الأصول ١/ ٥٧، إعراب القرآن ١/ ٤٩٧، ٣/ ٤٧، ٤/ ٣٨١، وغيرها.

وَلا صَنَمًا وَلاَ وَثَنًا، وَلاَ اتَّخَذْنا مِنْ دُونِكَ إلَهًا»، قال ابن عباس: صَدَقُوا واللهِ، أتاهُم الشِّـرْكُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تَلا ابن عباس: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، هُـمْ ـ واللهِ ـ القَدَرِيُّونَ، هُـمْ ـ واللهِ ـ القَدَرِيُّونَ، هُمْ ـ واللهِ ـ القَدَرِيُّونَ»[(١)].

ورُوِيَ عـن داوُدَ ـ عليـه السـلام ـ أنه قـال: «إلَهِي: مَنْ حِزْبُـكَ وَحَوْلَ عَرْشِكَ؟ »، فأوحى الله تعالى إليه: «يا داوُدُ: الغاضّةُ أبْصارُهُمْ، النَّقِيّةُ قُلُوبُهُمْ، السَّلِيمةُ أكُفُّهُمْ، أولئك حِزْبِي وَحَوْلَ عَرْشِي»[(٢)]، والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٦٣، عين المعانِي ورقة ١٣٢/ ب، تفسير القرطبي ١٧/ ٣٠٥، الدر المنثور ٦/ ١٣٨.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٦٥، تفسير القرطبي ١٧/ ٣٠٩.

سورة الحشر

مدنية

وهي ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعون حرفًا، وأربعمائة وخمس وأربعون كلمةً، وأربع وعشرون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ:/ [٢١٦/ أ] «مَنْ قَرَأَ سورة الحَشْرِ لَمْ تَبْقَ جَنَّةٌ ولا نارٌ ولا عَرْشٌ ولا كُرْسِيٌّ ولا حِجابٌ ولا السَّماواتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ والهَوامُّ والرِّيحُ والطَّيْرُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ والجِبالُ والشَّمْسُ والقَمَرُ والملائكةُ، إلّا صَلَّوْا عليه واسْتَغْفَرُوا لَهُ، فَإنْ ماتَ مِنْ يَوْمِهِ أو لَيْلَتِهِ ماتَ شَهِيدًا»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سورة الحَشْرِ أَخَذَ بِيَدِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، يقول: ما مِنْ أَحَدٍ أَفْضَلَ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ لَمُخْلَصًا»(٢).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٦٩، الوسيط ٤/ ٢٦٩، مجمع البيان ٩/ ٤٢٣، عين المعانِي ورقة ١٣٢/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أَخْبَرَ اللهُ تعالى أنه يُسَبِّحُ له مَنْ فِي السماوات ومَنْ فِي الأرض، نظيرها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[1]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فِي انتقامه مِمَّنْ عَصاهُ ﴿ٱلْحَكِيمُ ①﴾ فِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، والذي لا يَدْخُلُ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَلٌ، وهو مبتدأ، و ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ خبره، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ نعت لـ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾، ويجوز أن يكون خبرًا ثانيًا[2].

قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ يعني بَنِي النَّضِيرِ لَمّا أجْلاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَدُوا المُسْلِمِينَ أنْ يَسْكُنُوا مَنازِلَهُمْ، فَجَعَلُوا يُخْرِبُونَها مِنْ داخِلٍ، والمسلمون مِنْ خارِجٍ، قرأ العامة: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتخفيف من الإخْرابِ، وقرأ أبو عمرو بالتشديد[3] من التَّخْرِيبِ، والمعنى واحد مثل فَرَّحْتُهُ وأفْرَحْتُهُ ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ②﴾ معنى الاعتبار: النَّظَرُ فِي الأُمُورِ لِيُعْرَفَ بها شَيْءٌ آخَرُ مِنْ جِنْسِها، والمعنى: تَدَبَّرُوا وانْظُرُوا واتَّعِظُوا فيما نَزَلَ بِهِمْ يا أهْلَ اللُّبِّ والعَقْلِ والبَصائِرِ.

---

(١) النور ٤١.

(٢) قاله النحاس فِي إعراب القرآن ٤/ ٣٨٥.

(٣) هذه قراءة أبي عمرو واليَزِيدِيِّ والحَسَنِ وقَتادةَ والجَحْدَرِيِّ ومجاهد وأبي حَيْوةَ وعيسى بن عمر والسُّلَمِيِّ ونصر بن عاصم وأبي العالية، ينظر: السبعة ص ٦٣٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٤، البحر المحيط ٨/ ٢٤٢، الإتحاف ٢/ ٥٢٩.

قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾؛ أي: قَضَى عليهم أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ عن أوطانهم إلى الشام ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسَّبْيِ كما فعل ببَنِي قُرَيْظةَ، يقال: جَلا قَوْمٌ عَنْ دِيارِهِمْ جَلاءً: إذا هَرَبُوا، وأجْلاهُمْ غَيْرُهُمْ إجْلاءً[1]، والجَلَاءُ: الهَرَبُ والخُرُوجُ عن الأوطان، تقول: إمّا حَرْبٌ مُجْلِيةٌ أوْ سِلْمٌ مُخْزِيةٌ[2]، المعنى: إمّا حَرْبٌ ودَمارٌ وخُرُوجٌ عن الديار، وإمّا صُلْحٌ وقَرارٌ على صَغارٍ ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ اللِّينةُ: النَّخْلُ كُلُّهُ ما خَلا العَجْوةَ / والبَرْنِيَّ[3]، وقيل[4]: هي ألوان النخل كُلُّها من غير استثناء، وقيل[5]: هي النخلة القريبة من الأرض، واحدها: لِوْنٌ، وجمعها: لِوانٌ، ذَهَبَت الواوُ لكسرة اللام[6]،

---

(١) قاله النقاش فِي شفاء الصدور ورقة ١١٥/ أ.

(٢) قال ابن قتيبة: «والعرب تقول: إمّا سِلْمٌ مُخْزِيةٌ، وإمّا حَرْبٌ مُجْلِيةٌ». أدب الكاتب ص ٤٢٤، وأورد البيهقيُّ هذا القول فِي كلام لأبِي بكر الصديق، رحمه الله، فِي السنن الكبرى ٨/ ١٨٣/ كتاب قتال أهل البغي: باب من قال: يُتْبَعُونَ بالدَّمِ، وينظر: الفائق للزمخشري ١/ ١٩٦، النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٨١، اللسان: جلا.

(٣) قاله ابن عباس وعكرمة وابن جبير والزهري ويزيد بن رومان وأبو عبيدة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٤٤، مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦، جامع البيان ٢٨/ ٤٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٤٤، إعراب القرآن ٤/ ٣٩١، الكشف والبيان ٩/ ٢٧٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٨.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد وعمرو بن ميمون، ينظر: جامع البيان ٢٨/ ٤٢-٤٣، إعراب القرآن ٤/ ٣٩١، الكشف والبيان ٩/ ٢٧١، تفسير القرطبي ١٨/ ٨-٩.

(٥) ذكره الثعلبي بغير عزو فِي الكشف والبيان ٩/ ٢٧١، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٣/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٩.

(٦) هذا الكلام معناه أن اللينة مشتقة من اللَّوْنِ، فتكون الياء فيها منقلبة عن واو، وأصلها لِوْنةٌ، وهذا قول أبِي عبيدة والأخفش والزجاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٩٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٤٤، وقال النحاس رَدًّا على هذا الرأي: =

وقيل: واحدها: لِينةٌ، وجمعها: لِينٌ وأَلْيانٌ ولِيانٌ[1]، وأصلها: لِوْنةٌ، فقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها، والعرب تسمي ألوان النخل كُلَّها لِينةً، قال الأخفش[2]:

٣٤٦ـ قَدْ شَجانِي الحَمامُ حِينَ تَغَنَّى ... بِفِـراقِ الأَحْبابِ مِـنْ فَـوْقِ لِينَهْ[3]

وقوله: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ يعني سُـوقَها، فَلَمْ تَقْطَعُوها ولَـمْ تُحْرِقُوها ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾؛ أي: لِيُـذِلَّ اليهودَ ويُهِينَهُمْ ويُحْزِنَهُـمْ ويَغِيظَهُمْ، والواو بمعنى التكـرار، ونصب ﴿قَآئِمَةً﴾ على الحال، وقرأ عبد الله بن مسعود: ﴿قُوَّمًا﴾[4].

قوله تعالـى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ يعني من أمـوال بني النَّضِيرِ، يقال: فاءَ يَفِيءُ: إذا رَجَعَ، وأفاءَهُ اللهُ: إذا رَدَّهُ[5] ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على

= «ولو كانت من اللَّوْنِ قيل فِي الجمع: لِوانٌ». إعراب القرآن ٤/ ٣٩٢، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١١٥/ أ.

(١) أَلْيانٌ عند أبِي العباس ثعلب جَمْعُ لِينٍ، ذكره النقاش فِي شفاء الصدور ورقة ١١٥/ أ، وينظر: إعـراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٩٢، الصحـاح ٦/ ٢١٩٧، الفريد للهمداني ٤/ ٤٤٦، عين المعانِي ورقة ١٣٣/ أ، اللسان: لون، البحر المحيط ٨/ ٢٤٣، الدر المصون ٦/ ٢٩٤.

(٢) البيت أنشـده الأخفش كما ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٢٧١ والقرطبي في تفسيره ١٨/ ٩.

(٣) البيت من الخفيف، لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى:

قَدْ جَفانِي الأَحْبابُ حِينَ تَغَنَّوْا

التخريج: الكشـف والبيان ٩/ ٢٧١، تفسـير القرطبـي ١٨/ ٩، البحر المحيط ٨/ ٢٤٠، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٥٧٠.

(٤) وهـي أيضًا قـراءة زَيْدِ بن عَلِيٍّ والأعمش وطلحـة، وقرأ ابن مسـعود أيضًا: «ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينةٍ وَلاَ تَرَكْتُمْ قَوْماءَ عَلَى أُصُولِها»، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٤، تفسـير القرطبي ١٨/ ١٠، البحر المحيط ٨/ ٢٤٣-٢٤٤.

(٥) قاله الأخفش في معانِي القرآن ص ٤٩٧، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١١٥/ ب.

مـا أفاء الله ﴿مِنْ خَيْلٍ﴾ يعني الفَرَسَ ﴿وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني الإبِلَ خاصّةً، ومعنى ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾؛ أي: أَسْـرَعْتُمْ على الفَيْءِ، والإيجافُ: إسْراعُ الدّابّةِ، والوَجِيفُ: السَّـيْرُ السَّـرِيعُ، يقال: وَجَفَ الرَّجُلُ وَأَوْجَفْتُهُ، وَوَجَفَ الفَرَسُ والبَعِيرُ يَجِفُ وَجِيفًا، وهو سُرْعةُ السَّيْرِ، وأَوْجَفَهُ صاحِبُهُ: إذا حَمَلَهُ على السَّيْرِ السَّرِيعِ[1].

وقال عبد الملك بن هشـام[2]: ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾ حَرَّكْتُمْ وأَتْعَبْتُمْ فِي السَّـيْرِ، قال تَمِيمُ بنُ أُبَيٍّ بنِ مُقْبِلٍ:

٣٤٧ـ مَذاوِيدُ بِالبِيضِ الحَدِيثِ صِقالُها عَنِ الرَّكْبِ أَحْيانًا إذا الرَّكْبُ أَوْجَفُوا[3]

والوَجِيـفُ أيضًا: وَجِيفُ القَلْبِ والكَبِـدِ، وهو الضَّرَباتُ، قال قيس بن الخطيم:

٣٤٨ـ إنّا وَإنْ قَدَّمُوا الَّتِي عَلِمُوا أَكْبادُنـا مِـنْ وَرائِهِـمْ تَجِفُ[4]

وهذا البيت في قصيدة له.

قولـه: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ قـرأ العامـة باليـاء، و ﴿دُولَةً﴾ بالنصب على معنى: كَيْ لا يكون الفيء دولةً، وقرأ أبو جعفر وهشام ويزيد بن القَعْقاعِ بالتاء

---

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٦٠، وينظر: التهذيب ١١/ ٢١٣، الصحاح ٤/ ١٤٣٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٨٥.

(٣) البيت من الطويل، لِتَمِيمِ بن أُبَيٍّ بنِ مُقْبِلٍ.

اللغة: مَذاوِيدُ: جمع مِذْوَدٍ وهو المِطْرَدُ، والذَّوْد: الطَّرْدُ والدَّفْعُ، ومَذاوِيدُ هنا من المجاز.

التخريج: ملحق ديوان ابن مقبل ص ٢٦٢، أساس البلاغة: ذود، تفسير القرطبي ١٨/ ١٠.

(٤) البيت من المنسرح لِقَيْسِ بن الخَطِيمِ، ورواية ديوانه: «**وَلَوْ قَدَّمُوا التِي**».

التخريج: ديوانه ص ١١٦، السـيرة النبوية لابن هشـام ٣/ ٦٨٥، الأغاني ٢/ ١٦٩، البحر المحيط ٨/ ٤١٢، فتح القدير ٥/ ٣٧٤.

والرفعِ[(١)]؛ أي: لا تكون الغنيمةُ والأموالُ، ورفع «دُولةٌ» على اسم «كانَ»، وجعل الكَيْنُونةِ بمعنى الوقوع، وحينئذ لا خَبَرَ لَها.

وأجمع القُرّاءُ على ضَمِّ الدّالِ إلا ما حُكِيَ عن أبِي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ، فإنه فَتَحَ الدّالَ، قال عيسى بن عُمَرَ[(٢)]: وهما لغتان بمعنًى واحدٍ، وفَرَّقَ الآخرون بينهما[(٣)]، فقالوا: الدَّوْلةُ ـ بالفتح ـ: القَهْرُ والغَلَبةُ/ [٢١٧/ أ] فِي الحَرْبِ وغَيْرِها، وهو مصدر، والدُّولةُ بالضَّمِّ: اسْمٌ للشيءِ الذي يَتَداوَلُونَهُ النّاسُ بينهم، مثل العارية تكون لِهَذا مَرّةً ولِهَذا مَرّةً، فالدَّوْلةُ ـ بالفتح ـ فِي الأيام، وبالضَّمِّ فِي الأموال.

ومعنى الآية: كَيْ لا يَكُونَ الفَيْءُ دُولةً ﴿بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ والرؤساء والأقوياء، فَيَغْلِبُوا عليه الفُقَراءَ والضُّعَفاءَ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غَنِمُوا غَنِيمةً أَخَذَ الرَّئِيسُ رُبُعَها، وهو المِرْباعُ، ثم يَصْطَفِي منها أيضًا بعد

---

(١) قرأ ابن مسعود وأبو جعفر وأبو حَيْوةَ والأعرجُ وابن عامر، فِي رواية هشام عنه: «كَيْ لا تَكُونَ دُوْلةٌ» بالتاء والرفع، ورُوِيَ عن هشامٍ التذكيرُ والنصبُ كقراءة الجمهور، وقرأ عَلِيُّ ابنُ أبِي طالب والسُّلَمِيُّ وأبو حَيْوةَ وابن عامر وأبو جعفر: «دَوْلةً» بفتح الدال والنصب، ينظر: السبعة ص ٦٣٢، مختصر ابن خالويه ص ١٥٤، تفسير القرطبي ١٨/ ١٦، البحر المحيط ٨/ ٢٤٤، النشر ٢/ ٣٨٦، الإتحاف ٢/ ٥٣٠.

(٢) ينظر قوله في إصلاح المنطق ص ١١٥، شفاء الصدور ورقة ١١٦/ أ، تهذيب اللغة ١٤/ ١٧٥، الصحاح ٤/ ١٧٠٠، الكشف والبيان ٩/ ٢٧٦، المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦، تفسير القرطبي ١٨/ ١٦، البحر المحيط ٨/ ٢٤٤.

(٣) مِمَّنْ فَرَّقَ بينهما: أبو عمرو بن العلاء والكسائي والفراء والأخفش وأبو عبيد والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٤٥، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٩٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٤٦، وينظر قول أبِي عمرو فِي إصلاح المنطق ص ١١٥، شفاء الصدور ورقة ١١٦/ أ، تهذيب اللغة ١٤/ ١٧٥، وقول أبِي عبيد في الصحاح ٤/ ١٧٠٠، وينظر أيضًا: الوسيط ٤/ ٢٧٢، المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦، البحر المحيط ٨/ ٢٤٤.

المِرْباعِ ما شاء، ومنه قَوْلُ شاعرهم فِي عَدِيِّ بن حاتم الطّائِيِّ[١]:

٣٤٩ـلَكَ المِرْباعُ مِنْها والصَّفايا وَحُكْمُكَ والنَّشِيطةُ والفُضُولُ[٢]

فالمِرْباعُ: ما ذكرناه، والصَّفايا: ما يَصْطَفِيهِ لِنَفْسِهِ قبل القِسْمةِ، والنَّشِيطةُ: ما انْتَشَطَهُ أيضًا قَبْل القِسْمةِ، والانْتِشاطُ: الانْتِزاعُ، وحُكْمُهُ: ما أَحْكَمَهُ فِي المَغْنَمِ، والفُضُولُ: ما فَضَلَ بعد القِسْمةِ، هكذا قاله صاحب نظام الغريب[٣].

فَجَعَلَ اللهُ تعالى هذا لرسوله ﷺ يُقَسِّمُهُ في المواضع التي أُمِرَ بها.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ قيل: هو بَدَلٌ مما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بإعادة الحرف كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾[٤]، وقيل: التقدير: كَيْ لا يَكُونَ دُولةً بَيْنَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ، ولَكِنْ يَكُونُ لِلْفُقَراءِ المُهاجِرِينَ[٥] ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟

---

(١) عَدِيُّ بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَجِ، أبو وهب الطائيُّ، أَمِيرٌ صَحابِيٌّ من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة (٩هـ)، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد الفتنة مع عَلِيٍّ، وفُقِئَتْ عَيْنُهُ فيها، تُوُفِّيَ سنة (٦٨ هـ). [الإصابة ٤/ ٣٨٨-٣٩٠، تهذيب الكمال ١٩/ ٥٢٤-٥٣١، الأعلام ٤/ ٢٢٠].

(٢) البيت من الوافر، لعبد الله بن عَنَمةَ الضَّبِّيِّ يخاطب بِسْطامَ بن قَيْسٍ.

التخريج: العين ٢/ ١٣٣، الأصمعيات ص ٣٧، الحيوان ١/ ٣٣٠، جمهرة اللغة ص ٨٦٧، ١٢٤١، الجليس الصالح ٢/ ٤٠٩، تهذيب اللغة ٢/ ٣٦٩، ١١/ ٣١٤، ١٢/ ٤١، ٢٤٩، مقاييس اللغة ٢/ ٤٧٩، ٣/ ٢٩٢، ٥/ ٤٢٧، المخصص ١٢/ ٢٧٤، ديوان الأدب ١/ ٣١١، ٤٣٢، عين المعاني ورقة ١٣٣/ أ، اللسان: ربع، صفا، فضل، نشط، تاج العروس: ربع، صفا، فضل، نشط.

(٣) هو عيسى بن إبراهيم الرَّبَعِيُّ، ينظر: نظام الغريب ص ٢٣٧.

(٤) الأعراف ٧٥.

(٥) هذان الوجهان ذكرهما النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٣٩٦.

مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾؛ أي: أَخْرَجَهُم المشركون، نظيرها قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١]، وقد ذُكِرَ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: تَوَطَّنُوا المدينةَ دارَ الإيمان والهجرة، تَبَوَّأَها الأنصارُ قَبْلَ المهاجرين.

وتقديـر الآية: والذين تَبَوَّءُوا الدّارَ مِـن قبلهم والإيمانَ؛ لأن الأنصار لَمْ يؤمنوا قبل المهاجرين، وعطف الإيمان على الدار فِي الظاهر لا فِي المعنى؛ لأن الإيمان لَيْسَ بِمَكانٍ يُتَبَوَّأُ، والتقدير: وَآثَرُوا الإيمانَ أو اعْتَقَدُوا الإيمانَ[٢] ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾؛ لأن الأنصار أَحْسَنُوا إلى المهاجرين، وأَشْرَكُوهُمْ في أموالهم ومساكنهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً﴾؛ أي حَسَـدًا وَحَـزازةً وغَيْظًـا ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ يعنـي: مِمّا أُعْطِيَ المهاجرون من الفَـيْءِ دُونَهُمْ ﴿وَيُؤۡثِرُونَ﴾ المهاجرين ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بأموالهـم ومنازلهم ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ﴾ حاجةٌ وفَقْرٌ وفاقةٌ، وأصل الخَصاصةِ الخِلَلُ والفُرَجُ، ومنه: خَصاصُ الأصابعِ، وهي الفُرَجُ التِي بينها[٣].

فصل

[٢١٧/ ب] عـن أبِي هريرة ـ رضي الله عنـه ـ قال: جاء / رَجُـلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وقد أصابه الجَهْدُ، فقال: يا رسـول الله: إنِّي جائـع فَأَطْعِمْنِي، فَبَعَثَ النبيُّ ﷺ إلَى

(١) البقرة ٢٧٣، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٢) قاله الواحدي والزمخشري، ينظر: الوسيط ٤/ ٢٧٣، الكشاف ٤/ ٨٣، وفيه أوجه أخرى تنظر فِي أمالِيِّ ابن الشجري ٣/ ٨٣، الفريد للهمداني ٤/ ٤٥٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١، البحر المحيط ٨/ ٢٤٥، الدر المصون ٦/ ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) قاله السجستانِيُّ فِي غريب القرآن ص ١٥٧، وينظر: التهذيب ٦/ ٥٥١.

أزواجه: «هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ؟ »، فَكُلُّهُنَّ قالت: والذي بَعَثَكَ بالحق نَبِيًّا ما عندنا إلا الماء، فقال عليه السلام: «ما عند رسول الله ما يُطْعِمُكَ هذه الليلةَ»، ثم قال: «مَنْ يُضِيفُ هذا هَذِهِ الليلةَ رَحِمَهُ اللهُ؟ »، قال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فَأَتَى مَنْزِلَهُ، فقال لأهله: هذا ضَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فأكرميه ولا تَدَّخِرِي عنه شيئًا، فقالت: ما عندنا إلّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، فقال: قُومِي فَعَلِّلِيهِمْ[1] عن قُوتِهِمْ حتى يناموا ولا يَطْعَمُوا، ثم أَسْرِجِي واتَّزِرِي، فإذا أَخَذَ الضَّيْفُ لِيَأْكُلَ فَقُومِي كأنك تُصْلِحِينَ السِّراجَ فَأَطْفِئِيهِ، وتَعالَيْ نَمْضُغْ أَلْسِنَتَنا لِضَيْفِ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَشْبَعَ، قال: فقامت إِلَى الصِّبْيَةِ فَعَلَّلَتْهُمْ حتى ناموا عن قُوتِهِمْ، ولَمْ يَطْعَمُوا شيئًا، ثم قامت فَأَسْرَجَتْ واتَّزَرَتْ، فلما أَخَذَ الضيفُ يَأْكُلُ قامت كأنها تُصْلِحُ السِّراجَ فَأَطْفَأَتْهُ، وجَعَلا يَمْضُغانِ أَلْسِنَتَهُما لضيف رسول الله ﷺ، فَظَنَّ الضيف أنهما يأكلان معه، حتى شَبِعَ ضَيْفُ رسول الله ﷺ، وباتا طاوِيَيْنِ، فَلَمّا أَصْبَحا غَدَوا إِلَى رسول الله ﷺ، فلما نَظَرَ إليهما تَبَسَّمَ، ثم قال: «لقد عَجِبَ الله من فلان وفلانة هذه الليلة»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][2].

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ عند الله الفائزون الرابحون الظافرون بكل خير، و ﴿يُوقَ﴾ مجزوم بالشرط، فلذلك حذفت الألف، ولا يجوز إثباتها إذا كانت شرطًا عند البصريين، ويجوز عند

---

(١) عَلِّلِيهِمْ: اشْغَلِيهِمْ عن طعامهم. اللسان: علل.

(٢) رواه البخاري فِي صحيحه ٤/ ٢٢٦ كتاب المناقب: مناقب الأنصار: باب «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ»، ٦/ ٥٩ كتاب تفسير القرآن: سورة الحشر، ورواه مسلم فِي صحيحه ٦/ ١٢٧ كتاب الأشربة: باب إكرام الضيف.

الكوفيين[١]، وشَبَّهُوهُ بقول الشاعر:

٣٥٠ ـ أَلَمْ يَأْتِيكَ والأَنْباءُ تَنْمِي بِمـا لاَقَتْ لَبُـونُ بَنِـي زِيادِ؟[٢]

---

(١) قالـه النحاس فِي إعراب القـرآن ٤/ ٣٩٦-٣٩٧. وبعد أن ذكر النحـاس هذا البيتَ قال: «والفـرق بيـن ذا [يعني البيـت] والأولِ [يعني الآية] أن الألف لا تتحـرك في حالٍ، والياء والـواو قد يتحركان، وهذا فرق بَيِّـنٌ، ولكن الكوفيين خلطوا حروف المَدِّ واللِّينِ، فجعلوا حُكْمَهُـا حُكْمًا واحدًا، وتجاوزوا ذلك من ضرورة الشـعر إلى أن أجازوه فِي كتاب الله عز وجـل، وحملوا قراءة حمزة: «لاَ تَخَفْ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَـى» عليه فِي أحد أقوالهم». إعراب القرآن ٤/ ٣٩٧.

يشير النحاس بذلك إلى قول الفراء: «وقد قرأ يحيى بن وَثّابٍ وحمزة: ﴿فاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا لا تَخَفْ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾ بالجزاء المَحْضِ»، ثم ذكر الفراءُ ثلاثة أوجه فيها، ومنهـا قوله: «وإن شـئت جعلت «تَخْشَـى» في موضع جزم وإن كانت فيهـا الياء؛ لأن من العرب من يفعل ذلك، قال بعض بني عبس:

أَلَـمْ يَـأْتِيـكَ والأَنْبـاءُ تَـنْمِـي بِمـا لاَقَـتْ لَبُـونُ بَنِـي زِيـادِ؟

فَأُثْبِتَت الياءُ في «يأتيك»، وهي فِي موضع جزم؛ لأنه رآها ساكنة، فتركها على سكونها، كما تفعل بسائر الحروف». معانِي القرآن ١/ ١٦١، وقال مثله في المعاني ٢/ ١٨٧-١٨٨.

(٢) البيت من الوافر، لقيس بن زُهَيْرٍ العَبْسِـيِّ، وَيُـرْوَى: «**أَلَا هَلَ اتاكَ**»، وعليها فلا ضرورة فِي البيت.

اللغة: تَنْمِي: تبلغ، اللَّبُونُ من الشّاءِ والإبِلِ: ذات اللبن، والجمع لِبانٌ ولِبْنٌ.

التخريـج: الكتاب ٣/ ٣١٦، معانِي القرآن للفراء ١/ ١٦١، ٢/ ١٨٨، ٢٢٣، شـرح أبيات سـيبويه ١/ ٢٢٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥١، ٤/ ٣٩٧، المسـائل الحلبيات ص ٨٥، المنصـف ٢/ ٨١، ١١٤، ١١٥، الخصائـص ١/ ٣٣٣، ٣٣٦، المحتسـب ١/ ٦٧، ١٩٦، ٢١٥، سـر صناعة الإعـراب ص ٧٨، ٦٣١، مشـكل إعراب القـرآن ١/ ٣٩١، الاقتضاب ٢/ ٢٩٨، إصـلاح الخلل ص ٤١٣، الحلل ص ٤١١، أسـرار العربية ص ١٠٣، الإنصاف ص ٣٠، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٢١، ٢/ ٣١٣، شرح المفصل ٨/ ٢٤، ١٠/ ١٠٤، شرح الكافية للرضي ٤/ ٢٢، رصف المباني ص ١٤٩، اللسان: أتي، رضي، شظي، قدر، يا، ارتشاف الضرب ص ١٧٠٢، ٢٣٨٧، الجنى الدانِي ص ٥٠، مغني اللبيب ص ١٤٦، ٥٠٦، =

والشُّحُّ في كلام العرب: البُخْلُ ومَنْعُ الفَضْلِ، يقال: فُلاَنٌ شَحِيحٌ بَيِّنُ الشُّحِّ والشِّحّةِ والشَّحاحةِ، وفَرَّقَ العلماء بَيْنَ الشُّحِّ والبُخْلِ فقالوا: الشُّحُّ: أن يَبْخَلَ الإنسان بِما فِي أيدي الناس، والبُخْلُ: أن يَبْخَلَ الإنسان بِما في يَدَيْهِ[1]، والمعروف في كلام العرب أن الشُّحَّ أَزْيَدُ من البخل، يقال: شَحَّ فُلاَنٌ يَشُحُّ: إذا اشْتَدَّ بُخْلُهُ ومَنَعَ فَضْلَ المالِ[2]، كما قال عمرو بن كلثوم:

٣٥١- تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ -إذا أُمِرَّتْ عَلَيْهِ- لِمالِهِ فِيها مُهِينا[3]

فصل

عن عبد الله بن عمرو قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «إيّاكُمْ/ والظُّلْمَ، فإن الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يوم القيامة، وإيّاكُمْ والفُحْشَ، فإن الله يُبْغِضُ الفاحِشَ،

= المقاصد النحوية ١/ ٢٣٠، شرح شواهد المغني ص ٣٢٨، ٨٠٨، همع الهوامع ١/ ١٧٥، شرح شواهد شرح الشافية ص ٤٠٧-٤٠٨، خزانة الأدب ٨/ ٣٥٩، ٣٦١-٣٦٢، ٩/ ٥٢٤.

(١) قاله طاووس، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١١٧/ أ، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠.

(٢) قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٤/ ٣٩٧.

(٣) البيت من الوافر لعمرو بن كلثوم من معلقته.

اللغة: اللَّحْزُ: الضَّيِّقُ الشَّحِيحُ النَّفْسِ الذي لا يكاد يُعْطِي شَيْئًا، فإن أعْطَى فقليلٌ، أُمِرَّتْ: الضمير للخمر؛ أي: إذا أُدِيرَتْ عليه، والمعنى أنك تَرَى الشَّحِيحَ الحَرِيصَ مُهِينًا مالَه فِي سبيل شرب هذه الخمر.

التخريج: ديوانه ص ٥٢، شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٧٣، شرح القصائد المشهورات ٢/ ٩١، مقاييس اللغة ٥/ ٢٣٧، جمهرة أشعار العرب ص ٢٧٤، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٠، محاضرات الأدباء ٢/ ٦٨٩، شرح المعلقات السبع ص ١٦٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩، اللسان: لحز، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٥٩٣، التاج: لحز، سخن.

وإيّاكُـمْ والشُّـحَّ، فإنما هَلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ بالشُّـحِّ، أمَرَهُـمْ بِالبُخْلِ فَبَخِلُوا، وأمَرَهُمْ بِالقَطِيعةِ فَقَطَعُوا، وأمَرَهُمْ بِالفُجُورِ فَفَجَرُوا»[١].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ والإيمانُ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، ولا يَجْتَمِعُ غُبارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ودُخانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[٢].

ورَوَى ابنُ ربيعة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فِي الجَنّةِ شَجرةً تُسَمَّى السَّخاءَ، منها يَخْرُجُ السَّخاءُ، و [فِي النار شَجَرةٌ تُسَمَّى][٤] الشُّحَّ، منها يَخْرُجُ الشُّحُّ، ولَنْ يَلِجَ الجَنّةَ شَحِيحٌ، فإذا ابْتَغَيْتُم المعروفَ فَفِي حُسّانِ الوُجُوهِ من الرِّجالِ فابْتَغُوهُ».

قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ﴾ يعني المؤمنين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ يعني: خوفًا ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ يعنـي اليهود والمنافقين ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ﴾ يريد الخوف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

(١) هـذا الحديث رُوِيَ عن ابن عمـر وأبِي هريرة وجابر رضي الله عنهم، رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٥٩، ١٩١، ١٩٥، ٤٣١، ٣/ ٣٢٣، ومسلم في صحيحه ٨/ ١٨ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم، والطبرانِيُّ فِي المعجم الأوسط ٣/ ٣٤٠، ٧/ ٢٧، ٨/ ٢٥٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٤١، والنسائي في سننه ٦/ ١٣ كتاب الجهاد: باب فضل من يجاهد فِي سبيل الله، وابنُ أبِي شيبة في مصنفه ٤/ ٥٨٨ كتاب الجهاد: باب ما ذكر في فضل الجهاد.

(٣) هو زيادة بن ربيعة كما ذكر العجلوني في كشف الخفاء.

(٤) ما بَيْنَ المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق؛ فقد جاء النص في الأصل: «وفيها شجرة الشح»، والضمير فِي هذه الحال يعود على الجنة، والشح إنما هو شجرة فِي النار، والحديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٤١، وينظر: الدر المنثور ٦/ ١٩٧، كنز العمال ٣/ ٤٥٢، ٦/ ٥٧٨، كشف الخفاء ١/ ١٧٧.

﴿لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣﴾؛ أي: لا يعلمون عَظَمةَ اللهِ، ومحل «أَنْتُمْ» رفع بالابتداء، و﴿أَشَدُّ﴾ خبره، و﴿رَهۡبَةٗ﴾ نصب على التفسير.

قوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا﴾ يعني اليهود من بني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ﴿إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ﴾؛ أي: لا يَبْرُزُونَ لِحَرْبِكُمْ، إنما يقاتلونكم مُتَحَصِّنِينَ بالقرى والجدران.

قرأ ابن عباس ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: «جِدارٍ» بالألف على الواحد، والمراد به الجمع؛ لأن جِدارًا يصلح جمعًا في المعنى حَمْلًا على الجنس؛ لأنه يُعْلَمُ أَنَّهُمْ لا يقاتلونهم من وراء جِدارٍ واحِدٍ، وقد جاء: ناقةٌ هِجانٌ ونُوقٌ هِجانٌ[1]، وقرأه أبو عمرو بالإمالة، ورُوِيَ عن بعض أهل مكة: ﴿جَدْرٍ﴾ بفتح الجيم وجزم الدال، وهي لغة في الجِدارِ[2]، وقرأ يَحْيَى بن وَثّابٍ بِضَمِّ الجيم وجَزْمِ الدال، وقرأ الباقون: ﴿جُدُرٍ﴾[3] بضم الجيم والدال على الجمع.

﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ﴾ يعني: بَعْضُهُمْ فَظٌّ على بعض، وبينهم مخالفة وعداوة، وهو قوله تعالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ يعني اليهود والمنافقين ﴿وَقُلُوبُهُمۡ

---

(١) قاله الفارسي في الحجة ٤/ ٣٧، وينظر: المحتسب لابن جني ٢/ ٣١٦.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٣٩٩، وقال الجوهري: «الجَدْرُ والجِدارُ: الحائط، وجمع الجِدارِ جُدُرٌ، وجمع الجَدْرِ جُدْرانٌ مثل بَطْنٍ وبُطْنانٍ». الصحاح ٢/ ٦٠٩، وهي لغة يمنية كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٢٤٧.

(٣) قرأ بالإفراد أيضًا ابنُ محيصن بخلاف عنه، واليزيديُّ، وقرأ ابنُ كثير في روايةِ هارونَ عنه، وابنُ محيصن: «جَدْرٍ»، وقرأ ابنُ وَثّابٍ والحسنُ وأبو رجاء، وابنُ كثير في روايةٍ أخرى عنه، وعاصمٌ والأعمشُ: «جُدْرٍ» بضم الجيم وإسكان الدال تخفيفًا، ينظر: السبعة ص ٦٣٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٥، البحر المحيط ٨/ ٢٤٧، الإتحاف ٢/ ٥٣١.

شَتَّىٰ﴾ يعني: مُتَفَرِّقةٌ مُخْتَلِفةٌ أهْواؤُهُمْ مُخْتَلِفةٌ أعْمالُهُمْ، وهم مجتمعون على مُعاداةِ أهلِ الحَقِّ، قال مجاهد[١]: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ لأن بني النضير يهودٌ، والمنافقين ليسوا بيَهُودٍ، ونصب ﴿جَمِيعًا﴾ لأنه مفعول ثانٍ لـ«تَحْسَبُ»، وليس على الحال[٢]، ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الاختلاف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ثم ضَرَبَ لَهُمْ مثلًا، فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني مُشْرِكِي مَكّةَ ﴿قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يعني يَوْمَ بَدْرٍ/ [٢١٨/ ب] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ في الآخرة، ونصب ﴿قَرِيبًا﴾ على الظرف، وقيل: هو نعت لظرف محذوف، قاله الصَّفّارُ[٣].

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الآية، يعنِي الشيطان وبَرْصِيصا العابدَ، وقصتهما مشهورة[٤]، ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾؛ أي: مُقِيمَيْنِ في النار، و﴿أَنَّهُمَا﴾ في موضع رفع؛ لأنه اسم «كانَ»، والعاقبة الخَبَرُ، و﴿خَٰلِدَيْنِ﴾ نصب على الحال والقطع من النار، وهذه قراءة العامة إلّا الحَسَنَ،

---

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٦٦٥، وينظر أيضًا: جامع البيان ٢٨/ ٦١-٦٢، إعراب القرآن ٤/ ٤٠٠، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٤.

(٢) «جَمِيعًا» مفعول ثانٍ لـ«تَحْسَبُهُمْ»؛ أي: تحسبهم مجتمعين، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٠٠.

(٣) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٠٠.

(٤) خلاصة هذه القصة: أنه كان عابدًا مجتهدًا من بني إسرائيل، وكان يُؤْتَى بالمجانين فَيُداوِيهِمْ، فَأُتِيَ بامرأة مجنونة ذاتِ شَرَفٍ، فلم يَزَلْ به الشيطانُ حتى زَنَى بها، ثم قتلها، وكان لها إخوةٌ، فأتاهم الشيطان واحدًا واحدًا، وأخبرهم بما فعل بَرْصِيصا، فسار الناس إلى صومعته، فَأَقَرَّ لهم برصيصا بما فَعَلَ، فلما رُفِعَ على الخشبة لِيُصْلَبَ أغراه الشيطان بالكفر ليخلصه، فَكَفَرَ ثم قُتِلَ. [الكشف والبيان ٩/ ٢٨٤-٢٨٦، الوسيط ٤/ ٢٧٦-٢٧٧، زاد المسير ٨/ ٢١٩-٢٢٢، عين المعانِي ورقة ١٣٣/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٧-٤١، البداية والنهاية ٢/ ١٣٦، ١٣٧].

فإنه كان يقرأ: «خالِـدانِ فِيها»[١] فيرفعهما على خبر «أنَّ»[٢]، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني الخلود في النار ﴿جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾.

قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ فرَكَّبنا فيه العَقْلَ ﴿لَّرَأَيۡتَهُۥ﴾ يـا محمد ﴿خَٰشِعٗا﴾ ذليـلًا خاضعًا ﴿مُّتَصَدِّعٗا﴾ مُتَشَـقِّقًا ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ وهذا وصف للكافر بالقسـوة، حيث لَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ يَخْشَعُ لِمَواعِظِ القُرْآنِ الذي لو نَزَلَ على جَبَلٍ لَخَشَـعَ، ونصب ﴿خَٰشِعٗا﴾ و ﴿مُّتَصَدِّعٗا﴾ على الحال من الهـاء في «رَأَيْتَهُ»، و«رَأَيْتَ» من رؤيـة العين، وقيل: مفعولٌ ثانٍ[٣]﴿وَتِلۡكَ﴾ ابتداء ﴿ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ نعته[٤]﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾.

ثـم أخبر الله عزّ وجلّ بربوبيته وعظمته فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ وهو ما غاب عن العباد مما لَمْ يُعايِنُوهُ ولَمْ يَعْلَمُوهُ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو ما عَلِمُوهُ وشـاهَدُوهُ، وقال الحسن[٥]: يعني السر والعلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ﴾ وهـو ذُو المُلْـكِ القـادر علـى اختـراع الأعيـان ﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾ الطاهر من كل نقـص وعيب، المُنَـزَّهُ عَمّا لا

(١) قرأ ابن مسـعود وزيد بن عَلِيٍّ والأعمش وابن أَبِي عَبْلَةَ والمُطَّوِّعِيُّ: «خالِدانِ» بالرفع، ولَمْ أقف على أنها قراءة للحَسَنِ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٤٢، البحر المحيط ٨/ ٢٤٨، الإتحاف ٢/ ٥٣١.

(٢) الرفع جائز، والنصب أحسن كما قال العلماء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٤٦، المقتضب ٤/ ٣١٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٤٩، إعراب القرآن ٤/ ٤٠١-٤٠٢، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٦٧-٣٦٨، الإنصاف ص ٢٥٨-٢٥٩، التبيان للعكبري ص ١٢١٦ وغيرها.

(٣) هذا إذا كانت «رأى» عِلْمِيّةً، ينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٣٠، الفريد للهمداني ٤/ ٤٥٢.

(٤) في الأصل: «مفعول ثانٍ ابتداء وتلك الأمثال نعته».

(٥) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٢٨٦، مجمع البيان ٩/ ٤٤٠.

يَلِيقُ به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ الذي سَلِمَ عن الآفات ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ المُصَدِّقُ لِرُسُلِهِ بإظهار معجزاته، الذي أَمِنَ أَوْلِياؤُهُ عَذابَهُ ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ فِي انتقامه مِمَّنْ عَصاهُ ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ هو العظيم، وجَبَرُوتُ اللهِ عَظَمَتُهُ، والعرب تسمي المَلِكَ: الجَبّارَ[١]، وهو على هذا القول صِفةُ ذاتٍ، ويجوز أن يكون «فَعّالًا» من: جَبَرَ: إذا أَغْنَى الفقير وأَصْلَحَ الكَسِيرَ[٢]، يقال: جَبَرْتُ العَظْمَ: إذا / أَصْلَحْتَهُ بعد الكَسْرِ، وجَبَرْتُ الأَمْرَ فانْجَبَرَ، وجَبَرْتُهُ فَجَبَرَ[٣]، يكون لازمًا ومتعدِّيًا، قال العَجّاجُ: [٢١٩/ أ]

٣٥٢ - قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإلَٰهُ فَجَبَرْ[٤]

وقيل[٥]: الجَبّارُ هو الذي لا تَنالُهُ كَثْرةُ الأَيْدِي، مأخوذ من قول العرب:

---

(١) قاله ابن عباس، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٨٧، الوسيط ٤/ ٢٧٩، البحر المحيط ٨/ ٢٤٩.

(٢) قاله الزجاجي فِي اشتقاق أسماء الله ص ٢٤١، وينظر: الوسيط ٤/ ٢٧٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٤٧.

(٣) هذا القول حكاه الأزهري عن اللِّحْيانِيِّ فِي التهذيب ١١/ ٦٠، وحكاه الجوهري عن أَبِي عمرو فِي الصحاح ٢/ ٦٠٧.

(٤) الرجز للعَجّاج.

التخريج: ديوانه ص ٣٣، العين ٦/ ١١٦، أدب الكاتب ص ٣٤٩، جمهرة اللغة ص ٢٦٥، الزاهر ١/ ٨١، تهذيب اللغة ١١/ ٦٠، إعراب القراءات السبع ١/ ٢٩٣، مقاييس اللغة ١/ ٥٠١، ٤/ ١٨٦، ديوان الأدب ٢/ ١٠٧، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٧، تصحيح الفصيح ص ١٥٠، الحلل ص ٣٦٣، الاقتضاب ٣/ ٢٨٦، أساس البلاغة: جبر، اللسان: جبر، وجه، وصل، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٦١٣، التاج: جبر، وصل.

(٥) هذا القول حكاه النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٤٠٦، وحكاه الأزهري عن ابن الأنباري في التهذيب ١١/ ٥٨، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٨٨، عين المعانِي ورقة ١٣٣/ ب.

نَخْلةٌ جَبّارةٌ: إذا طالَتْ وفاتَتْ الأيْدِيَ، قال الشاعر:

٣٥٣ - بَواسِقَ جَبّارٍ أثِيثٍ فُرُوعُهُ ... وَعالَيْنَ قُنْوانًا مِنَ البُسْرِ أحْمَرا[1]

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تَكَبَّرَ عن كل سُوءٍ، وقال أهل المعانِي[2]: المُتَكَبِّرُ في صفة الله: الكبير، والعرب تضع «تَفَعَّلَ» في موضع «فَعَلَ»، مثل: تَظَلَّمَ بمعنى: ظَلَمَ، وتَشَتَّمَ بِمَعْنَى: شَتَمَ، وأصل الكِبْرِ والكِبْرِياءِ: الامتناعُ وقِلّةُ الانْقِيادِ، قال حُمَيْدٌ:

٣٥٤ - عَفَتْ قَبْلَ ما يَعْفُو الفَصِيلُ فَأصْبَحَتْ ... بِها كِبْرِياءُ الصَّعْبِ وَهْوَ رَكُوبُ[3]

---

(١) البيت من الطويل، لامرئ القيس يصف نَخْلًا، ورواية ديوانه: «سَوامِقَ جَبّارَ».
اللغة: بَواسِقُ: جمع باسق وهو المرتفع جِدًّا، الأثِيثُ: الكثير المُلْتَفُّ، فَرْعُ كُلِّ شيءٍ: أعلاه، القُنْوانُ: جمع قِنْوٍ وهو العِذْقُ بما فيه من الرُّطَبِ، البُسْرُ: التمر قبل أن يُرْطِبَ، واحدته بُسْرةٍ.
التخريج: ديوانه ص ٥٧، تهذيب اللغة ٩/ ٣١٥، ١٤/ ٢٢٩، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٨، إصلاح الخلل ص ١١١، أساس البلاغة: أيد، شمس العلوم ١/ ١٤١، ٣٧١، ٨/ ٥٦٤٣، زاد المسير ٣/ ٩٣، عين المعانِي ورقة ١٣٣/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٤٧، اللسان: أيد، قنا، البحر المحيط ٨/ ٢٤٩، الدر المصون ٦/ ٣٠٠، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٦١٣، التاج: أيد، قنا.

(٢) قاله الزجاجي في اشتقاق أسماء الله ص ١٥٦، وذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٧٩، وينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ٤٧، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٦١٤.

(٣) البيت من الطويل، لِحُمَيْدِ بن ثَوْرٍ الهلالِيِّ، وهذا البيت فِي وصف إبل، ورواية ديوانه:
عَفَت مِثلَ ما يَعفو الطَّليحُ وأصبَحَت ... بِها كِبرياءُ الصَّعبِ وَهي رَكوبُ
اللغة: عَفا البَعِيرُ: سَمِنَ بعد هُزالِهِ وكَثُرَ شَعْرُ ظَهْرِهِ حَتَّى غَطَّى دُبُرَهُ، الطليح: البعير المهزول المُعْيَى، وقوله: «وأصبحت... إلخ» معناه أنها سمنت بعد الهزال، فاشتدت وصلحت للركوب.
التخريج: ديوانه ص ٥٨، غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٨، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٨، عين المعانِي ورقة ١٣٣/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٤٧، منتهى الطلب ٧/ ٣٩٦، اللسان: عفا، عهم، التاج: عهم، فتح القدير ٥/ ٢٠٨.

وقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ ابتداء وخبر، و ﴿ٱلَّذِى﴾ رفع لأنه صفة ﴿ٱللَّهُ﴾، و ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ نعت على التَّنْزِيهِ والنَّفْيِ، وموضعه رفع بالابتداء، و ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ رفع خبر ابتداء محقق، و ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ رفعٌ خَبَرٌ ثانٍ، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ إلى آخِرِهِ، كُلُّها أخبار لابتداء محذوف، تقديره: هو الملك، وذلك ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾، ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وما بعد هذا إلى آخر السورة ظاهر التفسير.

فصل

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آخِرَ سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ إلى آخرها، فَماتَ مِنْ لَيْلَتِهِ ماتَ شَهِيدًا»[١].

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آخر سورة الحشر غَفَرَ اللهُ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ»[٢].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَرَأْتُ عَلَى جِبْرِيلَ، فلما بَلَغْتُ إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ قال: ضَعْ يَدَكَ على رَأْسِكَ فَإِنَّها رُقْيَةٌ مِن الصُّداعِ»[٣].

وعن مَعْقِلِ بن يَسارٍ[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حين يُصْبِحُ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٨٩، مجمع البيان ٩/ ٤٢٣، تفسير القرطبي ١٨/ ١، كنز العمال ١/ ٥٩٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٨٩، الكشاف ٤/ ٨٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٤٩.

(٣) ينظر: الدر المنثور ٦/ ٢٠١، فتح القدير ٥/ ٢٠٨.

(٤) مَعْقِلُ بن يَسارِ بن عبد الله، أبو عَلِيٍّ أو أبو يَسارٍ المُزَنِيُّ، أسلم قبل الحُدَيْبِيةِ، وشَهِدَ بَيْعَةَ =

ثَلَاثَ مَرّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ من/ الشيطان الرجيم، وقرأ الثلاثَ [٢١٩/ ب] الآياتِ مِنْ آخِرِ سورة الحشر وَكَّلَ اللهُ به سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليه حَتَّى يُمْسِيَ، فإذا مات من ذلك اليَوْمِ ماتَ شَهِيدًا، ومَنْ قالَها حِينَ يُمْسِي كان بِتِلْكَ المَنْزِلَةِ»[١].

وعن أَبِي أُمامةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ خَواتِيمَ الحَشْرِ مِنْ لَيْلٍ أو نَهارٍ، فَقُبِضَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ أو اللَّيْلَةِ، فَقَدْ أُوجِبَ الجَنَّةُ»[٢].

وعن أَبِي هريرة قال: سَأَلْتُ حبيبي محمَّدًا ﷺ عن اسم الله الأعظم، فقال: «عَلَيْكَ بِآخِرِ سُورةِ الحَشْرِ، فَأَكْثِرْ قِراءَتَها»، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَعادَ عَلَيَّ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَعادَ عَلَيَّ»[٣].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي سِتِّ آياتٍ مِنْ آخِرِ سورة الحشر»[٤].

= الرضوان، سكن البصرة، وتوفِّي بها سنة (٦٥هـ)، ونهر معقل بالبصرة منسوب له. [الإصابة ٦/ ١٤٦، الأعلام ٧/ ٢٧١].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٦، والدارمي في سننه ٢/ ٤٥٨ كتاب فضائل القرآن: باب في فضل «حم» الدخان والحواميم والمسبحات، وينظر: المعجم الكبير للطبرانِيِّ ٢٠/ ٢٢٩، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٩، كنز العمال ٢/ ١٣٧-١٣٨.

(٢) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٣/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٤٩، الدر المنثور ٦/ ٢٠٢، كنز العمال ١/ ٥٨٣.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٨٩، مجمع البيان ٩/ ٤٤٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٤٨.

(٤) ينظر: الوسيط ٤/ ٢٨٠، مجمع البيان ٩/ ٤٤٢، الدر المنثور ٦/ ٢٠٢، كنز العمال ١/ ٤٥٢.

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «خاتِمةُ سورة الحشر تُدْعَى فِي مَلَكُوتِ السماوات الهادِياتِ لِكُلِّ خَيْرٍ، والمُنْقِذاتِ من كُلِّ شَرٍّ، والدّافِعاتِ لِسُخْطِ الله تعالى عن العباد»[1].

وعن عبد الله بن عُمَرَ ﷺ قال: رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ قائما على هذا المنبر ـ يعني منبر رسول الله ﷺ، وهو يحكي عن ربه عزّ وجلّ، فقال: «إن الله عزّ وجلّ إذا كان يَوْمُ القيامة جَمَعَ السماوات السَّبْعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي قبضته ـ تبارك وتعالى ـ »، ثم قال: «هكذا» ـ وشَدَّ قَبْضَتَهُ، ثم بَسَطَها ـ، ثم يقول: «أنا الله، أنا الرحمن، أنا الرحيم، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بَدَأْتُ الدنيا ولَمْ تَكُ شيئًا، أنا الذي أعَدْتُها، أين الملوك؟ أين الجبابرة؟ أين المتكبرون؟ »، قال: فَرَجَفَ المِنْبَرُ حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ به[2]، والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٢) رواه ابن أبِي عاصم في كتاب السنة ص ٢٤٠-٢٤١، والنسائيُّ في السنن الكبرى ٤/ ٤٠٢، كتاب النعوت: ذِكْرُ أسماء الله تعالى، وينظر: الشفا للقاضي عياض ١/ ٣٠٨، الكشف والبيان ٩/ ٢٨٨، ٢٨٩.

سورة الامتحان

مدنية

وهي ألف وخمسمائة وعشرةُ أحْرُفٍ، وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمةً، وثلاث عشرة آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ المُمْتَحَنةِ كان المؤمنون والمؤمنات لَهُ شُفَعاءَ يَوْمَ القِيامةِ، ولا يكون من المنافقين»(١).

ورُوِيَ عنـه ﷺ أنـه قال: «مَنْ قَرَأ سُـورةَ الامْتِحـانِ / امْتَحَـنَ اللهُ قَلْبَهُ [٢٢٠/ أ] بالإيمان وَهَداهُ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عـزّ وجـلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٢٩٠، الوسيط ٤/ ٢٨١، الكشاف ٤/ ٩٦، مجمع البيان ٩/ ٤٤٣.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ ﴿تُلۡقُونَ﴾ في موضع نصب على الحال[١]، و﴿عَدُوِّي﴾ بمعنى أعدائـي، وُحِّدَ ـ وهو يَقَعُ للجميع والواحـد والمؤنث على لَفْظٍ واحِدٍ ـ؛ لأنه غَيْرُ جارٍ على الفعل.

والمَوَدّةُ: النَّصِيحةُ، والمعنى: تُلْقُونَ إلَى المشركين النصيحةَ وتُسِرُّونَها إليهم، يقال: أَلْقَيْتُ إلَيْكَ سِـرِّي وما عِنْدِي؛ أي: بَذَلْتُهُ لَكَ، وأَطْلَعْتُكَ عليه[٢]، والبـاء صلة زائدة؛ أي: المَوَدّةَ، كقول القائل: أُرِيدُ أنْ أَذْهَبَ وبِأَنْ أَذْهَبَ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٍ﴾[٣]؛ أي: إلْحادًا فيه.

نَزَلَـتْ هـذه الآيةُ في حاطِبِ بـن أبِي بَلْتَعةَ[٤] حين كَتَـبَ إلى أهل مكة يُخْبِرُهُمْ بِمَسِـيرِ رَسُـولِ الله ﷺ إليهم لَمّـا قَصَدَ فَتْحَ مَكّـةَ، فكتب إليهم: إن

---

(١) وصاحب الحال هو واو الجماعة في «تَتَّخِذُوا»؛ أي: لا تتخذوهم أولياءَ حالَ كَوْنِكُمْ مُلْقِينَ، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤١٠، وذهب الفراء إلى أن جملة «تُلْقُونَ» صفة لـ«أوْلِياءَ». معاني القرآن ٣/ ١٤٩، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٠، الكشـاف ٤/ ٨٩، البيان للأنباري ٢/ ٤٣٢، التبيان للعكبري ص ١٢١٧، الفريد للهمداني ٤/ ٤٥٥.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٢٠/ أ.

(٣) الحـج ٢٥، وينظـر ما تقدم ص ٧٠، وزيـادة الباء هنا قال بها الفراء وأبـو عبيدة وابن قتيبة وغيرهم، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٤٧، مجاز القرآن ٢/ ٢٥٧، تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٦١، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠٩، وأجاز المنتجب الهمدانِيُّ أن تكون الباء للسببية، فيكون المفعول محذوفًا، والمعنى: تُلْقُونَ إليهم أَخْبارَ النبي ﷺ بِسَبَبِ المَوَدّةِ بينكم وبينهم. الفريد للهمداني ٤/ ٤٥٦، وينظر أيضًا: البحر المحيط ٨/ ٢٥١، الدر المصون ٦/ ٣٠١.

(٤) حاطب بن عَمْرِو بن عُمَيْرِ بن سَـلَمةَ بن سَـهْلٍ اللَّخْمِيُّ، شـهد الوقائع كلها مع النبي ﷺ، وكـان من أشـد الرُّماةِ، بَعَثَهُ الرسـول ﷺ بكتابه إلى المُقَوْقَسِ بِمِصْرَ، توفِّيَ سنة (٣٠هـ). [الإصابة ٢/ ٤، ٥، الأعلام ٢/ ١٥٩].

رسول الله ﷺ يريدكم، فَخُذُوا حِذْرَكُمْ، فَنَهاهُ اللهُ عزّ وجلّ عن مُوالاةِ الكُفّارِ؛ لأنه قد كان أَسْلَمَ، وشَهِدَ بَدْرًا[١].

قولـه: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ يعني أهـل مكّـة ﴿بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني الوَحْيَ والدِّيـنَ والهُدَى الذي جاء به محمَّد ﷺ، والواو في قوله: ﴿وَقَدْ﴾ واو الحال، والمعنى: وَحالُهُمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بما جاءكم من الحق ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ يريد: من مكة ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: لِأَنْ تُؤْمِنُوا بالله رَبِّكُمْ، أَخْرَجُوكُم لإيمانكم بـالله[٢] ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ ﴿إِن﴾ شـرط، وجـواب الشـرط متقدم وهو قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، ونصب ﴿جِهَـٰدًا﴾ على المصدر، وهو في موضع الحال، تقديره: مُجاهِدِينَ[٣]، وقيل[٤]: هو مفعول من أجله، وكذلك قولـه: ﴿وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ مثله، ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يريد: بالنصيحة، قال الخليل[٥]: «معناه: وَإِيّاكُمْ ـ إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهادًا فِي سَـبِيلِي ـ أَنْ تُسِرُّوا إِلَيْهِمْ بِالمَوَدّةِ، فلما أَسْقَطَ الحَرْفُ النّاصِبُ رَفَعَهُ على الصَّرْفِ».

---

(١) رَوَى البخـاريُّ هـذه القصة بسـنده عـن عَلِيٍّ بن أَبِـي طالب في صحيحـه ٥/ ٨٩ كتاب المغازي: باب غزوة الفتح، ٦/ ٦٠، ٦١ كتاب تفسير القرآن: سورة الممتحنة، ورواه مسلم فـي صحيحه ٧/ ١٦٨ كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر، وينظر: أسـباب النزول ص ٢٨١.

(٢) قـال المبرد: «وَفـي القـرآن: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ فالوقف: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: وَيُخْرِجُونكُمْ لِأَنْ تُؤْمِنُوا بالله رَبِّكُمْ». الكامل ٤/ ١٢٨.

(٣) أجـاز النحاس هذا الوجه في إعراب القـرآن ٤/ ٤١٠، وبه قال الباقولي والعكبري، ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٣٦١، التبيان للعكبري ص ١٢١٧

(٤) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٥٦، إعراب القرآن ٤/ ٤١٠.

(٥) الجمل المنسـوب للخليـل ص ٢١١، يعنـي أن «إِيّاكُمْ» منصوب علـى التحذير، لا على العطف على «الرَّسُولَ».

ثم ذكر أنه لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، فقال تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ يريد: من / المَوَدّةِ للكفار ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ أي: ما أظهرتم بألسنتكم ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ﴾ يعني: من الإسْرارِ والإلْقاءِ إلَى الكفار، وهو شرط ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾؛ أي: أخطأ طَرِيقَ الهُدَى، وهو جواب الشرط. [٢٢٠/ ب]

ثم أخبر الله تعالى بعداوة الكفار، فقال: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾؛ أي: يَظْفَرُوا بكم، وهو شرط ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ جواب الشرط ﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالضرب ﴿وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ يعني: بالشتم، ونُصِبَ ﴿يَبْسُطُوا﴾ عَطْفًا على الجواب، ثم قال تعالى: ﴿وَوَدُّواْ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾ كما كفروا، ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ﴾ يعني: قَراباتُكُمْ ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ التي بمكة بِالتَّقَرُّبِ إليهم بِنَقْلِ أخبار رسول الله ﷺ، ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡ﴾ فَيُدْخِلُ اللهُ أهْلَ طاعَتِهِ والإيمانِ به الجنةَ، ويُدْخِلُ أهْلَ معصيته والكفرِ به النارَ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٣﴾ يعني: بِما عَمِلَ حاطِبٌ من مُكاتَبَةِ أهْلِ مكة حين أخْبَرَ نَبِيَّهُ بذلك.

قرأ عاصم: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففةً، وقرأ ابن عامر: ﴿يُفَصَّلُ بَيْنَكُمْ﴾ بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددةً، وقرأ حمزة والكسائي كذلك، إلّا أنهما كَسَرا الصّادَ، وقرأ الباقون بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففةً(١).

---

(١) قرأ عاصم ويعقوب والحسن والأعمش: ﴿يَفْصِلُ﴾، وقرأ ابن عامر وعيسى بن عمر والأعرج وهشام وابن ذكوان: ﴿يُفَصَّلُ﴾، مشددًا مبنيًّا للمفعول، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وطلحة والأعمش وابن وثاب والنخعي: ﴿يُفَصِّلُ﴾ مُشَدَّدًا مَبْنِيًّا للفاعل، وقرأ المُفَضَّلُ عن عاصم، وأبو عمرو وابن كثير ونافع وأبو جعفر، وهشامٌ في روايةٍ عنه، وابنُ محيصن واليزيديُّ ويعقوبُ: «يُفْصَلُ» مخفّفًا مبنيًّا للمفعول، ينظر: السبعة ص ٦٣٣، تفسير القرطبي ١٨/ ٥٥، البحر المحيط ٨/ ٢٥٢، النشر ٢/ ٣٨٧، الإتحاف ٢/ ٥٣٣، ٥٣٤.

فصل

عن تَمِيمٍ الدّارِيِّ[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الدِّينُ النَّصِيحةُ»، قالوا: لِمَنْ يا رسول اللهِ؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتِهِمْ»[٢].

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: مُشارَكةٌ في الأمْرِ، ومُتابَعةٌ وقُدْوةٌ في إبراهيم خَلِيلِ الرحمن ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من أهل الإيمان ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ﴾ من أهل الطغيان ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾.

قرأ عاصم: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الألف، وقرأه الباقون بالكسر[٣]، وكذلك ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ قرأه العامة على وزن «فُعَلاءَ» غَيْرَ مُجْرًى، وهو جمع بَرِيءٍ مثل كَرِيمٍ وكُرَماءَ، وقرأ عيسى بن عمر: ﴿إنّا بِراءٌ مِنْكُمْ﴾[٤] بالإجراء وكسر الباء على

---

(١) تَمِيمُ بن أوْسِ بن خارِجةَ، أبو رُقَيّةَ الدّارِيُّ، أسلم سنة (٩هـ)، نزل بيت المقدس بعد مقتل عثمان، وهو أول من أسْرَجَ السِّراجَ بالمسجد، كان أعْبَدَ أهْلِ فلسطين، توفِّي سنة (٤٠هـ). [أسد الغابة ١/ ٢١٥، الأعلام ٢/ ٨٧].

(٢) رُوِيَ هذا الحديث عن ابن عباس وأبِي هريرة وابن عمر أيضًا، رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٥١، ٢/ ٢٩٧، ٤/ ١٠٢، والدارمي في سننه ٢/ ٣١١ كتاب الرقاق: باب «الدين النصيحة»، وأبو داود في سننه ٢/ ٤٦٥ كتاب الأدب: باب في النصيحة.

(٣) ينظر: السبعة لابن مجاهد ص ٦٣٣، البحر المحيط ٨/ ٢٥٢، وكذلك الآية ٢١ من سورة الأحزاب ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وأُسْوةٌ وإسْوةٌ لغتان، قال الفراء: «وهما لغتان، الضَّمُّ في قَيْسٍ، والحَسَنُ وأهْلُ الحجاز يَقْرَءُونَ: ﴿إسْوةٌ﴾ بالكسر في كل القرآن». معانِي القرآن ٣/ ٣٣٩، وينظر: إصلاح المنطق ص ١١٥، معانِي القراءات ٢/ ٢٨٠، ٣/ ٦١، الحجة للفارسي ٣/ ٢٨٣، ٤/ ٣٩.

(٤) وهي قراءة ابن أبِي إسحاق أيضًا، وقرأ عيسى أيضًا وأبو جعفر المدنِي: «بُراءٌ» بضم الباء، ينظر في هذه القراءات: مختصر ابن خالويه ص ١٥٥-١٥٦، معانِي القراءات ٣/ ٦٧، =

[٢٢١/ أ] وزن كَرِيمٍ وكِرامٍ/ ، وأجاز الفراء: «بَراءٌ»[١] بفتح الباء بلفظ الواحد يدل على الجمع كقوله: «إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ»[٢]، و«بَرَآءٌ» في الأصل مصدر، فهو يقع للواحد والجمع بلفظٍ واحدٍ، وتحقيقه: إِنَّنِي ذُو بَراءٍ أو ذُو تَبَرُّؤٍ منكم[٣].

قوله: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۝٨﴾؛ أي: تَعْدِلُوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد، يقال: أَقْسَطْتُ إِلَى الرَّجُلِ: إذا عامَلْتَهُ بالعَدْلِ[٤]، ومحل ﴿أَن﴾ خفض لأنه بَدَلٌ من قوله: ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ﴾، وكذلك محل ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ في الآية بعدها مثله[٥].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾؛ أي: اخْتَبِرُوهُنَّ، والامتحان: الاختبار، وهو أن تَحْلِفَ المرأةُ أنها ما هاجرت

= الحجة للفارسي ٤/ ٣٩، المحتسب ٢/ ٣١٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٥٦، البحر المحيط ٨/ ٢٥٢.

(١) قال الفراء: «ومن العرب من يقول: «إِنّا بَراءٌ مِنْكُمْ» فَيُجْرَى، ولو قُرِئَتْ كذلك كان وجهًا». معاني القرآن ٣/ ١٥٠، وقال مثله في المقصور والممدود ص ٤٥، وقد قرأ «بَراءٌ» بفتح الباء عيسى الهمدانيُّ، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤١٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٥٦، البحر المحيط ٨/ ٢٥٢.

(٢) الزخرف ٢٦.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤١٢.

(٤) وَقَسَطَ فهو قاسِطٌ: إذا جارَ عليه، قاله المبرد والزجاج وغيرهما، ينظر: الكامل للمبرد ٣/ ٣٨٨، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٥٨، وينظر أيضًا: التهذيب ٨/ ٣٨٨، الصحاح ٣/ ١١٥٢.

(٥) وهو بدل اشتمال؛ أي: لا ينهاكم الله عن بِرِّ الذين لَمْ يُقاتِلُوكُمْ، قاله الزجاج والنحاس، وأجاز النحاس وجهًا آخرَ، وهو أن يكون مفعولًا من أجله؛ أي: لا ينهاكم الله كَراهةَ هذا، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٥٧، إعراب القرآن ٤/ ٤١٤، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧١.

لِبُغْضِ زَوْجِها، ولا خَرَجَتْ عِشْقًا لِرَجُلٍ من المسلمين، وما خَرَجَتْ إلا رَغْبَةً في الإسـلام، وهذا معنى الامتحان المأمورِ بـه(١)، و ﴿مُهَـٰجِرَٰتٍ﴾ في موضع نصب على الحال.

نزلـت هذه الآية في سُـبَيْعةَ بنـت الحارثِ الأسْـلَمِيّةِ(٢)، لَمّا أسْـلَمَتْ هاجَـرَتْ إلَى النبي ﷺ، فجـاء زَوْجُها يطلبها، وكان كافرًا، فَسَـألَ النبيَّ ﷺ أنْ يَرُدَّهـا عليه، وقد كان عليه السـلام صالَحَ أهلَ مَكّـةَ يوم الحديبية على أن يَـرُدَّ عليهـم مَنْ جاء منهم، فَنَهاهُ اللهُ عزّ وجلّ عـن ذلك، وأنزل هذه الآية إلى قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ فَأعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ زَوْجَها مَهْرَها وما أنْفَقَ عليها، ولَمْ يَرُدَّها عليه، فَتَزَوَّجَها عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ بعد ذلك(٣).

ومحل ﴿هُنَّ﴾ رفع بالابتداء(٤)، وكذلك قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، وقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ﴾ هـو في موضع نصب أعني: ﴿مُؤْمِنَـٰتٍ﴾؛ لأنه مفعول ثان لـ«عَلِمَ».

---

(١) قاله ابن عباس، ينظر: جامع البيان ٢٨/ ٨٦، الكشف والبيان ٩/ ٢٩٥، زاد المسير ٨/ ٢٤١، تفسير القرطبي ١٨/ ٦٢.

(٢) صحابيـة رَوَى عنهـا فُقَهاءُ المدينة والكوفة من التابعين. [أسـد الغابـة ٥/ ٤٧٢، الإصابة ٨/ ١٧١-١٧٢].

(٣) هذا قول الفراء والثعلبي، ينظر: معانِي القرآن ٣/ ١٥٠، ١٥١، الكشـف والبيان ٩/ ٢٩٤، وقيـل: إنها نزلـت في أم كلثوم بنت عقبة بن أَبِي مُعَيْطٍ، ينظـر: صحيح البخاري ٣/ ١٧٢ كتاب الشـروط: باب ما يجوز من الشـروط في الإسلام، وينظر: أسباب النزول ص ٢٨٤، تفسير القرطبي ١٨/ ٦١.

(٤) يعني «هُنَّ» في قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني المؤمنين ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني مُهُورَهُنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴿١٠﴾﴾ أي: بِحِبالِهِنَّ، قرأه العامة بالتخفيف من الإمْساكِ، ويكون الباءُ صلةً، مجازه: ولا تُمْسِكُوا عِصَمَ الكَوافِرِ، وقرأ الحسن وأبو عمرو ويعقوب وأبو حاتِمٍ: ﴿وَلَا تَمَسَّكُوا﴾[1] [٢٢١/ ب] / بالتشديد من التَّمَسُّكِ، يقال: مَسَّكْتُ بِالشَّيْءِ وَتَمَسَّكْتُ بِهِ[2].

والعِصَمُ حمع العِصْمةِ، وهي ما اعْتُصِمَ به من العَهْدِ والسَّبَبِ، وأصل العِصْمةِ الحَبْلُ، وكُلُّ ما أمْسَكَ شيئًا فقد عَصَمَهُ[3]، قال عبد الملك بن هشام[4]: وواحد العِصَمِ عِصْمةٌ، وهي الحَبْلُ والسَّبَبُ كما تقدم، قال أعْشَى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ:

٣٥٥ - إلى المَرْءِ قَيْسٍ نُطِيلُ السُّرَى   وَنَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ عِصَمْ[5]

---

(١) قرأ الحسن وأبو العالية وابن أبي ليلى، وابن عامر وأبو عمرو في رواية عنهما: ﴿تَمَسَّكُوا﴾، وقرأ الحسن وأبو عَمْرٍو في رواية أخرى عنهما، ومجاهدٌ وابنُ جبير والأعرج ويعقوب واليزيديُّ: «تُمَسِّكُوا»، وقرأ الحسن أيضًا: «تَمْسِكُوا»، ينظر: السبعة ص ٦٣٤، مختصر ابن خالويه ص ١٥٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٦٥، البحر المحيط ٨/ ٢٥٤، الإتحاف ٢/ ٥٣٥.

(٢) قال الأزهري: «يقال: مَسَّكْتُ بِالحَبْلِ تَمْسِيكًا، وأمْسَكْتُ به إمْساكًا: إذا تَمَسَّكْتَ به ولَمْ تَحُلَّهُ مِنْ يَدِكَ». معاني القراءات ٣/ ٦٦، وينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٨٧، الحجة للفارسي ٤/ ٣٨، الصحاح ٤/ ١٦٠٨.

(٣) قاله الزجاج والنقاش، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٥٩، شفاء الصدور ورقة ١٢٢/ أ، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٥٧.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٩٠.

(٥) البيت من المتقارب، للأعشى، من قصيدة له في مدح قَيْسِ بن مَعْدِي كَرِبٍ، ورواية البيت في ديوانه:

إلى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى   وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ =

والكَوافِرُ جمع كافِرةٍ، نَهَى اللهُ عزّ وجلّ المؤمنين عن المُقامِ على نكاح المشركات، وأمَرَهُمْ بِفِراقِهِنَّ؛ لأنَّهُنَّ إذا كَفَرْنَ فقد زالت العِصْمةُ بينهم، وقال صاحب «إنسان العين»[1]: الكَوافِرُ يَحْتَمِلُ الرجالَ أيضًا، قال الشاعر:

٣٥٦ـ وَإذا الرِّجالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقابِ نَواكِسَ الأبْصارِ[2]

قولـه تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾؛ أي: فَغَنِمْتُمْ، قرأه العامة بالألف، وهو الاختيار، وقرأ إبراهيمُ وحُمَيْدٌ والأعرجُ: ﴿فَعَقَّبْتُمْ﴾ مُشَدَّدًا، وقرأ مجاهد: ﴿فَأعْقَبْتُمْ﴾ على وزن «أفْعَلْتُمْ»،

= **اللغـة**: العُصُمُ: العهود والمواثيق، وقوله: «عُصُمْ»مفعول لـ«نَأْخُذُ»، ولكنه جاء به على لغة من يقف على المنصوب بلا ألف، وهي لغة ربيعة.

التخريج: ديوانه ص ٧٨، الخصائص ٢/ ٩٩، سر صناعة الإعراب ص ٤٧٧، ٦٧٦، شرح المفصل ٩/ ٧٠، شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢/ ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٩، رصف المباني ص ٣٥، اللسان: رأف، شرح شواهد شرح الشافية ص ١٩١.

(١) عين المعانِي ورقة ١٣٣/ ب.

(٢) البيت من الكامل للفرزدق، يمدح يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ، ويُرْوَى: «نَواكِسِي» بالياء.

اللغة: خُضُعٌ: جمع خَضُوعٍ وهو المنقاد المطاوِع، نواكس الأبصار: منقلبة أبصارهم مرتدة إليهم.

التخريـج: ديوانه ١/ ٣٠٤، الكتاب ٣/ ٦٣٣، معاني القرآن للأخفش ص٤١١، المقتضب ١/ ٢٥٩، ٢/ ٢١٧، جمهـرة اللغـة ص ٦٠٧، الجمـل للزجاجي ص ٣٧٧، شـرح أبيات سيبويه ٢/ ٣١٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٥٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٥٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧، الاقتضاب ٢/ ١٠، الحلل ص ٤٠٣، شرح الجمل لطاهر ابن أحمد ٢/ ٢١٦، شرح المفصل ٥/ ٥٦، شرح الكافية للرضي ١/ ١٢٦، شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢/ ١٥٣، اللسـان: خضع، نكس، شرح شواهد شرح الشافية ص ١٤٢، خزانة الأدب ١/ ٢٠٤، ٢٠٨.

وقرأ الزُّهْرِيُّ: «فَعَقَبْتُمْ» مخففًا من غير ألف، وقرأ مسروق: «فَعَقِبْتُمْ»[1] بكسر القاف خفيفةً، وكلها لغات بمعنًى واحدٍ، يقال: عاقَبَ وعَقَّبَ واعْتَقَبَ وأَعْقَبَ وتَعاقَبَ: إذا غَنِمَ[2].

ومعنى الآيـة: فَغَزَوْتُمْ وأَصَبْتُمْ من الكفار عُقْبى، وهي الغنيمة، فَظَفِرْتُمْ وكانـت العاقبةُ لكم ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ يريد: إلى الكفار ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾؛ أي: فَأَعْطُـوا الأزواجَ مـن رأس الغنيمة ما أنفقـوا عليهن من المَهْرِ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ⑪﴾.

قولـه تعالـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية، وذلك أنه لَمّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكّةَ، جاءَتْهُ النِّساءُ يُبايِعْنَهُ، فأنزل الله تعالـى هذه الآيةَ[3]، ونصـب ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ﴾ بـ﴿أَن﴾، وما بعده من قوله: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ﴾ عطف عليه، إلا أن فِعْلَ جماعة النسـاء لا يَتَغَيَّرُ لفظه[4]/ . [٢٢٢/ أ]

---

(١) ينظر في هذه القراءات: مختصر ابن خالويه ص ١٥٦، المحتسب ٢/ ٣١٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٦٩، البحر المحيط ٨/ ٢٥٥.

(٢) قالـه الفراء في معاني القـرآن ٣/ ١٥٢، وقال الأزهري: «مَنْ قَـرَأَ: «فَعاقَبْتُمْ» أو «عَقَّبْتُمْ»، فالمعنـى: إذا غَزَوْتُمْ فصارت العقبة لكم؛ أي: الدَّوْلَةُ حتـى تَغْلِبُوهُمْ، وتَغْنَمُوا أموالَهُمْ... ومـن قرأ: «فَعَقَبْتُمْ» أو «أَعْقَبْتُمْ» فمعناه غَنِمْتُـمْ». معاني القراءات ٣/ ٦٦، وينظر: تهذيب اللغة ١/ ٣٧٥، الكشف والبيان ٩/ ٢٩٦، المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨.

(٣) ينظر في سبب نزولها: الكشف والبيان ٩/ ٢٩٧، الوسيط ٤/ ٢٨٦، زاد المسير ٨/ ٢٤٤.

(٤) يعني: لأنه مبني على السـكون لأجل نون النسـوة، وأجاز النحـاس أن تكون «أَنْ» مخففةً من الثقيلة، واسـمها ضمير الشأن، و ﴿يُشْـرِكْنَ﴾ في موضع رفع خبر «أَنْ»، قال النحاس: «و«يُشْـرِكْنَ» في موضع نصب بـ«أَنْ»، ويجوز أن يكون في موضع رفع بمعنى: عَلَى أَنَّهُنَّ، وكـذا ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ =

وقولــه: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ في أول الآيــة؛ أي: إذا بايعنك على هذه الشرائط ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾.

قولــه تعالــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهــم اليهــود، وذلك أن ناسًــا من فقراء المســلمين كانــوا يُخْبِرُونَ اليهــودَ بأخبار المسلين، يَتَواصَلُونَ إليهم بذلك، فَيُصِيبُونَ من ثمارهم، فَنَهاهُم اللهُ تعالى عن ذلك[1].

ثم قــال: ﴿قَدْ يَئِسُوا۟﴾ يعني: هؤلاء اليهود يئســوا ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: أن يكون لهم فيها ثــوابٌ ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ۝١٣﴾ من ثواب الآخرة، حيــن تَبَيَّنَ لهم عَمَلُهُم القبيحُ فِي الدنيا يَئِسُــوا فِــي الآخرة من رحمة الله، والله أعلم.

* * *

= ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، وهــذا الفعل كُلُّــهُ مَبْنِيٌّ، فلذلك كان رَفْعُهُ ونَصْبُــهُ وجَزْمُهُ كُلُّهُ واحدًا». إعراب القرآن ٤/ ٤١٦-٤١٧.

(١) ينظر: الكشــف والبيان ٩/ ٢٩٩، أســباب النزول ص ٢٨٥، الوســيط ٤/ ٢٨٩، تفســير القرطبي ١٨/ ٧٦.

سورة الصف

مدنية

وهي تسعمائة وستة وعشرون حرفًا، ومائتان وإحدى وعشرون كلمةً، وأربع عشرة آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ عِيسَى، كانَ عِيسَى مُصَلِّيًا عَلَيْهِ مُسْتَغْفِرًا لَهُ ما دامَ فِي الدُّنْيا، وَيَوْمَ القِيامةِ هُوَ رَفِيقُهُ وَيَشْفَعُ لَهُ»(١).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الحَوارِيِّينَ صارَتْ لَهُ خَلَفًا فِي الجَنّةِ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أذْعَنَ له

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٠١، الوسيط ٤/ ٢٩٠، الكشاف٤/ ١٠١، مجمع البيان ٩/ ٤٥٩.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

وانْقادَ عَلَى ما أرادَ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ، وهذا داخِلٌ في كُلِّ شَيْءٍ؛ لأن ﴿مَا﴾ عامّةٌ في كَلَامِ العَرَبِ، والتَّسْبِيحُ هو التَّنْزِيهُ لله تعالى، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه مِمَّنْ عَصاهُ ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ في تَدْبِيرِهِ[1].

فصل

رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ لله تعالى مَلائِكَةً في السماء الدنيا قِيامًا مُنْذُ خَلَقَهُم اللهُ تعالى إلَى أنْ تَقُومَ الساعةُ، ولِله مَلائِكَةً في السماء الثانية/ [٢٢٢/ ب] رُكَّعًا مُنْذُ خَلَقَهُم اللهُ إلَى أنْ تَقُومَ الساعةُ، ولِلهِ مَلائِكَةً في السماء الثالثة سُجَّدًا مُنْذُ خَلَقَهُم اللهُ إلَى أنْ تَقُومَ الساعةُ، يُسَبِّحُونَ اللهَ تعالى»، فقال عُمَرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: يا نَبِيَّ الله: ما يَقُولُونَ؟ فَإذا الرُّوحُ الأَمِينُ جِبْرِيلُ ـ عليه السلام ـ قد نَزَلَ فقال: «إنَّ اللهَ تعالى يُقْرِئُ عُمَرَ بن الخطاب السلامَ، ويَقُولُ: إنَّ أهْلَ السَّماءِ الدُّنْيا يَقُولُونَ: سُبْحانَ ذِي العِزَّةِ والجَبَرُوتِ، وأهْلُ السَّماءِ الثانية يقولون: سُبْحانَ ذِي المُلْكِ والمَلَكُوتِ، وأهْلَ السماء الثالثة يقولون: سُبْحانَ الحَيِّ الذي لا يَمُوتُ»[2].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ الأصل «لِما»، حُذِفَتِ الألِفُ لاتِّصالِ الكلمة بما قَبْلَها، وهو استفهامُ إنكارٍ، قيل[3]:

---

(١) من أول قوله: «وهذا داخل في كل شيء». قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤١٩.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الحاكم عن ابن عمر في المستدرك ٣/ ٨٧، ٨٨ كتاب معرفة الصحابة: باب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وينظر: جامع البيان ١/ ٣٠٢، ٣٠٣، شفاء الصدور ورقة ١٢٦/ أ، الدر المنثور ١/ ٤٦.

(٣) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٢٦/ ب، الكشف والبيان ٩/ ٣٠٢، أسباب النزول ص ٢٨٥، عين المعاني ورقة ١٣٤/ أ.

كان السبب لِنُـزُولِ هذه الآية أن أصحاب النبي ﷺ كانـوا يَتَمَنَّوْنَ القتالَ قَبْلَ أنْ يُؤْمَـرُوا به، فلما رَأوْهُ كَرِهُـوهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عَظُمَ بُغْضًا عند الله، نصب على التمييز ﴿أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ قال الكِسـائِيُّ[1]: ﴿أَن﴾ في موضع رفع بالابتداء، أو على إضمار مبتدأ؛ لأن ﴿كَبُرَ﴾ بِمَنْزِلَةِ قولك: بِئْسَ رَجُلًا أخُوكَ، وأضْمَرَ الفَـرّاءُ فيه اسـمًا مرفوعًـا[2]، وقيـل[3]: مَحَلُّهُ رفع؛ لأنـه فاعل بـ﴿كَبُرَ﴾، تقـديره: كَبُرَ قَوْلُكُمْ، والمَقْتُ والمَقاتةُ مصدران، يقال: رَجُلٌ مَمْقُوتٌ ومَقِيتٌ: إذا لَمْ يُحِبَّهُ الناسُ[4].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾

---

(١) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٤/ ٤١٩، وصرح الثعلبيُّ بنسـبته للكسـائيِّ في الكشف والبيان ٩/ ٣٠٣، وكذا القرطبي في تفسيره ١٨/ ٨١، وإذا كان «أنْ تَقُولُواْ» مبتدأً، فالخبـر إمـا أن يكون جملة ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾، والمعنى: قَوْلُكُمْ مـا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا، وإما أن يكـون خَبَـرَ ابْتِداءٍ محذوف؛ أي: هُـوَ قَوْلُكُمْ ما لا تَفْعَلُونَ، وعلـى هذين الوجهين فَفاعِلُ ﴿كَبُرَ﴾ ضمير مستتر، والتقدير: كَبُرَ المَقْتُ مَقْتًا، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٣، الفريد للهمداني ٤/ ٤٦١.

(٢) قال الفراء: «وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ﴾، أضمر في ﴿كَبُرَ﴾ اسمًا يكون مرفوعًا، وأما قوله: «كَبُـرَتْ كَلِمةً»، فإن الحسـن قرأها رفعًا؛ لأنه لَمْ يُضْمِرْ شـيئًا، وجعل الفعل للكلمة، ومن نصب أضمر في «كَبُرَتْ» اسمًا يُنْوَى به الرفعُ». معانِي القرآن ٣/ ١٥٣.

(٣) قالـه الزجاج في معانِـي القرآن وإعرابـه ٥/ ١٦٣، وأجازه ابن عطية فـي المحرر الوجيز ٥/ ٣٠١.

(٤) هذا القول حكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ٩/ ٦٦، ونسـبه أبو حيان للمبرد في البحر المحيط ٨/ ٢٥٩.

﴿٤﴾ يعني: مُلْزَقًا بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ في الصَّفِّ، كقوله ﷺ: «تَراصُّوا بَيْنَكُمْ في الصُّفُوفِ، لا يَتَخَلَّلْكُمُ الشَّيْطانُ»[1]، ويقال: رَصَصْتُ البِناءَ أَرُصُّهُ: إذا ضَمَمْتَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، وأصله من الرَّصاصِ[2].

أَعْلَمَ اللهُ تعالى أَنَّهُ يُحِبُّ مَنْ يَثْبُتُ فِي القِتالِ، ويَلْزَمُ مَكانَهُ كَثُبُوتِ البِناءِ المَرْصُوصِ، ونصب ﴿صَفًّا﴾ على المصدر؛ أي: يَصُفُّونَ أَنْفُسَهُمْ في القتال صَفًّا، وهو مصدر فِي موضع الحال تقديره: يُقاتِلُونَ في سَبِيلِهِ مُصْطَفِّينَ.

[٢٢٣/ أ] قال المفسرون: إن المؤمنين / قالوا: وَدِدْنا أَنَّ اللهَ يُخْبِرُنا بِأَحَبِّ الأعمال إليه حَتَّى نَعْمَلَهُ، ولو ذَهَبَتْ فيه أَمْوالُنا وَأَنْفُسُنا، فَأَنْزَلَ اللهُ هذه الآيَةَ، فَكَرِهُوا المَوْتَ، وأَحَبُّوا الحَياةَ، وتَوَلَّوْا يَوْمَ أُحُدٍ عن رسول الله ﷺ، حَتَّى شُجَّ وَجْهُهُ، وكُسِرَتْ رُباعِيَّتُهُ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾... الآيات[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴿٦﴾﴾ الآية، قرأ أَهْلُ المدينة وابنُ كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم: ﴿مِنْ بَعْدِيَ﴾ بياءٍ مُحَرَّكَةٍ، وقرأ حمزة

(١) رواه الطَّبَرانِيُّ عن البَراءِ بن عازِبٍ في المعجم الصغير ١/ ١١٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٢١٧ كتاب الإمامة وصلاة الجماعة: باب «مِنْ حُسْنِ الصَّلاةِ إقامةُ الصَّفِّ»، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٠١ باب إتمام الصفوف المقدمة.

(٢) هذا القول حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ١٢/ ١١١، وينظر: اللسان: رصص.

(٣) رَواه الحاكم عن عبد الله بن سلام في المستدرك ٢/ ٢٢٩ كتاب التفسير: باب شأن نزول سورة الصف، وينظر: جامع البيان ٢٨/ ١٠٩، الكشف والبيان ٩/ ٣٠٢، أسباب النزول ص ٢٨٥، الدر المنثور ٦/ ٢١٣.

والكسائي وابن عامر وابن مُحَيْصِنٍ: ﴿مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[(١)] بحذف الياء في الوصل لسكونها وسكون السين بعدها، وهي اختيار أَبِي عُبَيْدٍ[(٢)].

ونصب ﴿مُّصَدِّقًا﴾ و ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ على الحال، قال صاحب «إنسان العين»[(٣)]: وهي حال مُؤَكِّدةٌ من معنى الفعل الذي دَلَّتْ عليه الجملةُ، أو من الضمير الذي في ﴿إِلَيْكُم﴾، والعامل معنى الفعل فيه.

ومعنى قوله: ﴿أَحْمَدُ﴾ يحتمل مَعْنَيَيْنِ، أحدهما: أن يجعل ﴿أَحْمَدُ﴾ مبالغةً من الفاعل، فيكون معناه: أنه أَكْثَرُ حَمْدًا من غيره، والآخر: أن تجعله مبالغةً من المفعول، فيكون معناه: أنه يُحْمَدُ لِما فيه من الأخلاق والمحاسن أَكْثَرَ مِمّا يُحْمَدُ غَيْرُهُ؛ لأن نَبِيَّنا مُحَمَّدًا ﷺ أَكْثَرُ مَناقِبَ وأَجْمَعُ فَضائِلَ[(٤)].

فصل

عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ[(٥)] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ

---

(١) ينظر: السبعة ص ٦٣٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٦٣، تفسير القرطبي ١٨/ ٨٣، الإتحاف ٢/ ٥٣٦.

(٢) ينظر اختياره في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢١، وقال النحاس: «وهو اختيار أَبِي عُبَيْدٍ، واحْتَجَّ في حذفها بأنك إذا ابتدأت قلت: «اِسْمُهُ» فكسرتَ الهمزةَ. وهذا من الاحتجاج الذي لا يحصل منه معنى، والقول في هذا عند أهل العربية أن هذه ياءُ النَّفْسِ، فَمِنَ العربِ مَنْ يفتحها، ومنهم مَنْ يُسَكِّنُها». إعراب القرآن ٤/ ٤٢١.

(٣) لَمْ يذكره في عين المعاني.

(٤) الوجهان قالهما الثعلبي والواحدي، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٠٣، ٣٠٤، الوسيط ٤/ ٢٩٢، وينظر: تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧، عين المعاني ورقة ١٣٤/ أ، روح المعاني ٢٨/ ٨٦.

(٥) جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ بن نوفل بن عبد مناف، أبو عَدِيٍّ القرشيُّ، كان من علماء قريش وسادتهم وأعرفهم بالنسب، أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة، توفِّي سنة (٥٩هـ). [أسد الغابة ١/ ٢٧١، الإصابة ١/ ٥٧٠].

لِـي أسْـماءً، أنا أحْمَدُ، وأنا مُحَمَّـدٌ، وأنا الماحِي الذي يَمْحُـو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشِـرُ الذي يُحْشَـرُ الناسُ على قَدَمِي، وأنـا العاقِبُ الذي ليس بَعْدِي نَبِيٌّ»[١]، رواه البخاري في تفسـير هذه الآية عن أَبِي اليَمانِ عن شُعَيْبٍ[٢] عن الزُّهْرِيِّ.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعني: بألسـنتهم، وهم اليهود والنصارى حين كَتَمُوا أمْرَ محمدٍ ﷺ، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾؛ أي: مُكْمِلُ الإسـلامِ ومُعْلِيهِ حَتَّى يكون هو الظاهـرَ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨﴾ قرأ نافعٌ وأبو عمرو وابـنُ عامر وعاصـمٌ برواية / أَبِي بكر: ﴿مُتِمٌّ نُـورَهُ﴾ بالتنوين، وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسـائيُّ وحفـصٌ والأعمـشُ: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾[٣] بالإضافة، والأصل التنويـن، والحـذف على التخفيـف نحـو: ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾[٤] و﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[٥].

[٢٢٣/ ب]

قولـه تعالـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ ثُمَّ

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٦٢ كتاب المناقب: باب ما جاء في أسـماء رسول الله ﷺ، ٦/ ٦٢ كتاب تفسير القرآن: سورة الصف، ورواه مسلم في صحيحه ٧/ ٨٩ كتاب الفضائل: باب في أسمائه ﷺ.

(٢) هو شـعيب بن دينـار الحِمْصِيُّ، أبو بشـر الأموي بالولاء، حافظ للحديـث ثقة ثبت، وَلِيَ الكتابةَ لِهِشـامِ بن عبد الملك، وكتب له كثيرًا من الحديث، توفِّي سنة (١٦٢هـ). [تهذيب الكمال ١٢/ ٥١٦-٥٢٠، الأعلام ٣/ ١٦٦].

(٣) ينظـر: السـبعة ص ٦٣٥، تفسـير القرطبـي ١٨/ ٨٥، البحـر المحيط ٨/ ٢٦٠، النشـر ٢/ ٣٨٧.

(٤) الأحقاف ٢٤.

(٥) يعنـي أن الإضافـة فيه في تقدير الانفصـال؛ لأنها لفظية، ينظر: الحجة للفارسـي ٤/ ٤١، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٢٠.

دَلَّهُمْ عليهـا، فقـال: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴿١١﴾ ﴾ هذا عند المبـرد لَفْظُهُ لَفْظُ الخَبَرِ، ومعناه الأمْرُ[1]، كأنه قـال: آمِنُوا وجاهِدُوا، ولذلك قـال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ بالجزم لأنه جـواب الأمر، فهو محمول على المعنى، ودَلَّ على ذلك أنَّ في حرف عبد الله: «آمِنُوا»[2] على الأمْرِ.

---

(١) كلام المبرد في المقتضب موافقٌ لسـيبويه في أن ﴿تُؤْمِنُـونَ﴾ و﴿تُجاهِدُونَ﴾ عَطْفُ بَيانٍ للتجـارة، وليس كما نُقِلَ عنه أنه يجعل ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ أمْرًا في المعنى، قال المبرد: «هذا باب الأفعـال التي تَنْجَزِمُ لدخـول معنى الجزاء فيها، وتلك الأفعال جوابُ مـا كان أمْرًا أو نَهْيًا أو اسْـتِخْبارًا، وذلك قولك: اِئْتِ زَيْـدًا يُكْرِمْكَ، ولا تَأْتِ زَيْدًا يَكُنْ خَيْـرًا لَكَ، وأيْنَ بَيْتُكَ أزُرْكَ؟...، وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، ثم ذَكَرَها فقال: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾، فلما انقضى ذِكْرُها قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾؛ لأنه جواب «هَلْ». المقتضب ٢/ ٨٠، وذكـر مثـل ذلك في المقتضـب ٢/ ١٣٣، ١٣٤، فكلامه صريح فـي أن «يَغْفِرْ» جواب للاستفهام بـ«هَلْ».

وقـد ذكر الدكتور محمد عبد الخالق عُضَيْمة أن الذي نَسَـبَ الـرأيَ الأولَ للمبرد هو ابن الشجري وأبو حيان، ينظر: أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ٣٩٥، البحر المحيط ٨/ ٢٦٠.

وقد رَجَعْتُ إلى غيرهما من الكتب، فوجدتُ أن النَّحّاسَ ومَكِّيًّا قد نَسَـباهُ للمبرد من قبلُ، وقـد ذكره النحاس بقولـه: «وقد حُكِيَ لنا عن محمد بن يزيد». إعـراب القرآن ٤/ ٤٢٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٤.

وذكر الدكتور عضيمة أن الذي يجعل ﴿يَغْفِرْ﴾ جوابًا لـ﴿ تُؤْمِنُونَ﴾ هو الزَّجّاجُ، وقد رجعت إلـى معانِي القرآن وإعرابـه ٥/ ١٦٦ فوجـدتُ أن الزَّجّاجَ بالفعل يجعـل ﴿يَغْفِرْ﴾ جوابًا لـ﴿ تُؤْمِنُونَ﴾، وقد تابعه على ذلك كل من الفارسيِّ في الإغفال ١/ ٣٦٢، ٣٦٣، والمسائل المنثورة ص ١٥٤، ١٥٥، والزمخشريِّ في الكشاف ٤/ ٩٩، ١٠٠، وأبي البركات الأنباريِّ في البيان ٢/ ٤٣٦.

(٢) قرأ ابن مسعود: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَجاهِدُوا﴾، وقرأ زيد بن عَلِيٍّ: ﴿تُومِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِـدُوا﴾، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٦٦، شـواذ القراءة للكرماني ورقة ٢٣٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٨٧، البحر المحيط ٨/ ٢٦٠.

وقال غيره[1]: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ و ﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾ عطف بيان على ما قبله وتفسيرٌ للتجارة، ما هي؟ كأنه قال: هل أدُلُّكُمْ على تجارة؟ لَمْ يُدْرَ ما التجارة، فَبَيَّنَها بالإيمان والجهاد، فَعُلِمَ أن التجارةَ الإيمانُ والجهادُ، فيكون على هذا ﴿يَغۡفِرۡ﴾ جواب الاستفهام، محمول على المعنى؛ لأن المعنى: هَلْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وتُجاهِدُونَ في سبيل الله يَغْفِرْ لكم؟

قوله تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾؛ أي: نِعْمةٌ أُخْرَى تُحِبُّونَها ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ قال الكلبي: يعني النَّصر على قريش وفتح مكة، وقال عطاء: أراد فتح فارس والروم ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ بالنصر في الدنيا وبالجنة في العُقْبَى.

وفي محل ﴿أُخْرَى﴾ من الإعراب وجهان، أحدهما: الخفض عطفًا على ﴿تِجَٰرَةٖ﴾؛ أي: وهل أدُلُّكُمْ على خُلّةٍ أُخْرَى تُحِبُّونَها؟، هذا مذهب الأخفش[2]، ويرفع ﴿نَصۡرٞ﴾ على إضمار مبتدأ؛ أي: ذَلِكَ نَصْرٌ أو هِيَ نَصْرٌ، والثاني ـ وهو

---

(١) سبق قبل قليل بيانُ أن هذا في الأصل قول سيبويه والمبرد، ينظر: الكتاب ٣/ ٩٤، المقتضب ٢/ ٨٠، ١٣٣، ١٣٤، وهو أيضًا قول الفراء وابن السراج وابن خالويه، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٥٤، الأصول ٢/ ١٧٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٦٤، ٣٦٥، وللأخفش في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٤، ٣٧٥، التبيان للعكبري ص ١٢٢١، شرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٤٧، شرح الكافية للرضي ٤/ ١٢٣، ارتشاف الضرب ٣/ ١٦١٧، مغني اللبيب ص ٥٢٢، ٦٢٩، وغيرها.

(٢) قال الأخفش: «قال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَها﴾ يقول: وَتِجارةٍ أُخْرَى». معانِي القرآن ص ٤٩٩، وقد ضبطها محقق الكتاب: «وتجارة» بالرفع، وقال النحاس: «وعلى قول الأخفش الرفع بإضمار مبتدأ». إعراب القرآن ٤/ ٤٢٣، ومثله قال مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٥.

قول الفراء[(١)] ـ: أن محلها رفع على الابتداء، والتقدير عنده: وَلَكُمْ خُلَّةٌ أُخْرَى، وهو اختيار الطبري[(٢)]، واستدل على هذا بقوله: ﴿نَصۡرٞ﴾ و﴿فَتۡحٞ﴾ بالرفع على البدل من ﴿أُخۡرَىٰ﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعوانًا بالسيف على أعدائه، حَثَّ اللهُ المؤمنين على نُصْرةِ الجِهادِ والدِّينِ، والمعنى: دُومُوا على ما أنتم عليه من النُّصْرةِ، قرأ أبو عمرو وأهل الحجاز: ﴿أَنْصارًا للهِ﴾[(٣)] بالتنوين، وهو اختيار أيوب، / وقرأ الباقون بالإضافة، وهي اختيار أبي عُبَيْدٍ وأبي حاتم[(٤)] [٢٢٤/ أ] كقوله: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾[(٥)] ولَمْ يَقُلْ: أنصارٌ لله ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قرأ نافع وحده بفتح الياء[(٦)]، وأسكنها الباقون، والمعنى: مَنْ يَنْصُرُني مَعَ اللهِ[(٧)].

﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞ﴾ وهم الذين قالوا: المسيح ابن الله ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: قَوَّيْنا الذين آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ

---

(١) معانِي القرآن ٣/ ١٥٤.

(٢) جامع البيان ٢٨/ ١١٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع والأعرج وأبو جعفر وعيسى بن عمر: ﴿أَنْصارًا للهِ﴾ بالتنوين، ينظر: السبعة ص ٦٣٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٨٩، البحر المحيط ٨/ ٢٦١، النشر ٢/ ٣٨٧.

(٤) ينظر اختيارهما في إعراب القرآن ٤/ ٤٢٣، الكشف والبيان ٩/ ٣٠٤.

(٥) آل عمران ٥٢، والصف ١٤.

(٦) قرأ بفتح الياء نافعٌ وأبو جعفر، ينظر: السبعة ص ٦٣٥، النشر ٢/ ٣٨٧.

(٧) يعني أن «إلى» بمعنى «مَعَ»، وهو قول الكوفيين وبعض البصريين، يجيزون نيابة حروف الخفض بعضها عن بعض، وقد سبق مثل ذلك في مواضع عديدة، وينظر أيضًا: معانِي القرآن للأخفش ص ٤٦، ١٣٣، أدب الكاتب ص ٤٠٩-٤١٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٦٤.

ﷺ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ يعني: عالِينَ عليهم، من قولك: ظَهَرْتُ عَلَى فُلانٍ: إذا عَلَوْتَهُ، وظَهَرْتُ عَلَى السَّطْحِ: إذا صِرْتَ فَوْقَهُ، ونصب ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ على خبر «أَصْبَحَ»، والضمير فيه اسْمُها، والله أعلم.

* * *

سورة الجمعة

مدنية

وهي سبعمائة وثمانية وأربعون حرفًا، ومائة وثمانون كلمةً، وإحدى عشرة آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الجُمُعةِ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَناتٍ، بِعَدَدِ مَنْ ذَهَبَ الجُمُعةَ مِنْ مِصْرٍ مِنْ أمْصارِ المُسْلِمِينَ، وَبِعَدَدِ مَنْ لَمْ يَذْهَبْ»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الجُمُعةِ جَمَعَ اللهُ لَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ مَنافِعَ الدُّنْيا والآخِرةِ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من كل شيء غَيْرَ كُفّارِ الجِنِّ والإنْسِ، ثم نعت الرَّبُّ نَفْسَهُ، فقال: ﴿ٱلْمَلِكِ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٠٥، الوسيط ٤/ ٢٩٤، الكشاف ٤/ ١٠٧، مجمع البيان ١٠/ ٥.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

ٱلْقُدُّوسِ﴾ قال أهل اللغة[١]: كل اسم على «فَعُّولٍ» بتشديد العين فالفاء فيه منصوبة نحو سَفُّودٍ وكَلُّوبٍ وسَمُّورٍ وشَبُّوطٍ[٢]، وهو ضَرْبٌ من السَّمَكِ، إلا ثلاثةَ أَحْرُفٍ: سُبُّوحٌ وقُدُّوسٌ وذُرُّوحٌ لواحد الذَّرارِيحِ[٣].

وحَكَى الفَرّاءُ[٤] عن الكسائي أنه قال: سمعت أبا الدِّينارِ ـ وكان أعرابيًّا فصيحًا ـ يقرأ: «القَدُّوسِ» بفتح القاف[٥]، ولَعَلَّهُ لُغةٌ.

وقرأ أبو وائل: «المَلِكُ القُدُّوسُ»[٦] بالرَّفع على معنى: هُوَ المَلِكُ

---

(١) قاله الكسائي وابن السكيت وثعلب وغيرهم، ينظر: ما تلحن فيه العامة للكسائي ص ١١٢-١١٣، إصلاح المنطق ص ١٣٢، ٢١٨، الفصيح ص ٢٩٢، وينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٠٥، اشتقاق أسماء الله ص ٢١٤، تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٠، ليس في كلام العرب ص ٢٥٠، الصحاح ١/ ٣٧٢، ٣/ ٩٦١، ٤/ ١٤٩٤.

(٢) السَّفُّودُ: حديدة ذات شُعَبٍ مُعَقَّفةٍ يُشْوَى بها اللَّحْمُ، والكَلُّوبُ والكُلاَّبُ: حديدة معطوفة كالخُطّافِ، وهي أيضًا السَّفُّودُ، والجمع: كَلاليبُ، والسَّمُّورُ: دابّةٌ تُشْبِهُ النِّمْسَ في بلاد التُّرْكِ والرُّوسِ، تُسَوَّى من جلودها فِراءٌ غالِيةُ الأثمان، والجمع: سَمامِيرُ، والشَّبُّوطُ: نوع من السمك دَقِيقُ الذَّنَبِ، عَرِيضُ الوَسَطِ، صَغِيرُ الرَّأْسِ، لَيِّنُ المَمَسِّ، وهو لفظ أعجمي، انظر: اللسان: سفد، كلب، سمر، شبط.

(٣) الذُّرُّوحُ: دُوَيْبةٌ أكبر من الذُّبابِ شَيْئًا، مُجَزَّعٌ مُبَرْقَشٌ بِحُمْرةٍ وسَوادٍ وصُفْرةٍ، له جناحان، وهو سَمٌّ قاتل. اللسان: ذرح.

(٤) لَمْ أقف على هذا القول في معاني القرآن، وإنما ذكره ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٥٣، وقال الكسائي: «وبعضهم يقول: السَّبُّوحُ والقَدُّوسُ بالفتح». ما تلحن فيه العامة ص ١١٢، ١١٣، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٠٥.

(٥) قرأ أبو الدينار الأعرابِيُّ وزيدُ بن عَلِيٍّ وشِبلٌ وقَعْنَبٌ: «القَدُّوس» بفتح القاف، ورُوِيَ عنه أيضًا: ﴿القَدُوسِ﴾ بالتخفيف، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٦، شواذ القراءة ورقة ٢٣٩، البحر المحيط ٨/ ٢٦٣.

(٦) قرأ أبو وائل ورُؤْبةُ وأبو الدينار ومَسْلَمةُ بن مُحارِبٍ ويعقوب وأبو العالية ونصر بن عاصم: =

القُدُّوسُ ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ وقرأ الباقون بالخفض/ على النعت لله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعنِـي العربَ، وكانت أُمّةً أُمِّيّةً لا تكتـب ولا تقـرأ ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ يعني محمَّدًا ﷺ، نَسَـبُهُ نَسَـبُهُمْ، وهو من جنسهم، نظيرها قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾[1].

وقولـه: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنـي القـرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾؛ أي: وما كانوا قبل بَعْثِهِ فيهم إلّا في ضلال مبين[2]، وهو الشرك بالله تعالى.

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ في محله من الإعراب وجهان، أحدهما: الخفض عطفًـا على ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾، تقديره: في الأُمِّيين وفـي آخَرِينَ منهم، وقيل: على الهـاء والميم في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾، والآخَر: النصـب عطفًا على المضمر المنصوب فـي قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾؛ أي: وَيُعَلِّمُ آخَرِينَ منهـم[3]؛ أي: من المؤمنين الذين يَدِينُونَ بِدِينِ محمدٍ ﷺ.

وقيـل: معناه: وبَعَـثَ في آخَرِينَ، يعنـي الأعاجم ومَـنْ لا يتكلم بلغة العـرب، والنبي ﷺ مبعوث إلى العرب والعَجَـمِ، وقوله: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ لأنهم إذا

= ﴿المَلِـكُ القُدُّوسُ العَزِيـزُ الحَكِيمُ﴾ بالرفع، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٦، تفسـير القرطبي ١٨/ ٩١، البحر المحيط ٨/ ٢٦٣.

(١) التوبة ١٢٨.

(٢) تأويله لهذه لآية يدل على أنه يأخذ برأي الكوفيين الذين يجعلون «إن» المخففة من الثقيلة نافية بمعنى «ما»، واللام الفارقة بمعنى «إلّا»، وقد تقدم مثل ذلك.

(٣) الوجهان: الخفض والنصب قالهما الفـراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٥٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٦٩-١٧٠، إعراب القرآن ٤/ ٤٢٥-٤٢٦.

أسْـلَمُوا صاروا منهم، والمسلمون كُلُّهُمْ يَدٌ واحِدةٌ وأُمَّةٌ واحِدةٌ، وإن اخْتَلَفَتْ أجْناسُـهُمْ، كما قال الله تعالـى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(١)، ومَـنْ لَـمْ يؤمن بـالله ورسـولِهِ محمدٍ ﷺ، فليسـوا مِمَّـنْ عَناهُـم اللهُ بقوله: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾، وإن كان عليه السلام مبعوثًا إليهم بالدعوة؛ لأنه قال تعالى: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾، ومـن لَـمْ يُؤْمِنْ فليس مِمَّـنْ زَكّاهُ وعَلَّمَهُ القرآنَ والسنةَ.

وقولـه: ﴿ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۝٣ ﴾؛ أي: لَـمْ يُدْرِكُوهُمْ، ولكنهم بَعْدَهُمْ؛ لأن التابعين لا يدركون شيئًا، والصحابة في الفضل والسابقة.

وأصـل ﴿ لَمَّا ﴾ «لَمْ»، زِيدَتْ عليها «ما» لِيُنْفَى بهـا ما قَرُبَ من الحال، ولـو لَمْ يكن معها «ما» لكانت نَفْيَ ماضٍ لا غَيْرُ، فإذا قلت: لَمْ يَقُمْ زَيْدٌ، فهو نَفْـيٌ لِمَنْ قال: قامَ زَيْـدٌ، وإذا قلت: لَمّا يَقُمْ زَيْدٌ، فهو نَفْـيٌ لِمَنْ قال: قَدْ قامَ زَيْدٌ(٢).

واختلفوا فيهم، فقيل: هم العَجَمُ ـ كما تقدَّم ـ، وقيل: هم التابعون، وقيل: هم جميع مَنْ دَخَلَ فِي الإسلام بعد النبي / ﷺ إلى يوم القيامة، والله أعلم. [٢٢٥/ أ]

(١) التوبة ٧١.

(٢) من أول قوله: «وأصل لَمّا» قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٦، وهذا الكلام بيان لقول سيبويه: «و«لَمْ» وهي نَفْيٌ لقوله: فَعَلَ». الكتاب ٤/ ٢٢٠، ولقول سيبويه أيضًا: «وأما «قَدْ» فجواب لقوله: لَمّا يَفْعَلْ، فتقول: قَدْ فَعَلَ، وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر، و«ما» في «لَمّا» مُغَيِّرةٌ لَها عن حال «لَمْ». الكتاب ٤/ ٢٢٣. وينظر: حروف المعاني ص ٨، ١١ معانِي الحروف للرمانِي ص ١٣٢، الجنى الدانِي ص ٢٦٨، ٢٦٩، ٥٩٢، مغني اللبيب ص ٢٢٨، ٣٦٨.

فصل

عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السّاعِدِيِّ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ فِي أصْلابِ أصْلابِ أصْلابِ رِجالِ أُمَّتِي رِجالًا ونِساءً يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بغَيْرِ حِسابٍ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يعني الإسلام والهداية إلى دِينِه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾؛ أي: ذُو المَنِّ العظيم على خَلْقِهِ بِبَعْثِ محمدٍ ﷺ.

ثم ضَرَبَ الله تعالى مَثَلًا لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؛ أي: كُلِّفُوا القِيامَ بِها والعَمَلَ بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لَمْ يُؤَدُّوا حَقَّها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴿٥﴾﴾ يعني كُتُبًا من العلم والحكمة، قال الفَرّاءُ[2]: هي الكُتُبُ العِظامُ، واحدها سِفْرٌ.

ونظيرها فِي الكلام: شِبْرٌ وأشْبارٌ وجِلْدٌ وأجْلادٌ، فكما أن الحِمارَ يحملها وهو لا يَدْرِي ما فيها ولا يَنْتَفِعُ بها، كذلك اليهودُ يقرؤون التوراةَ، ولا ينتفعون بها؛ لأنهم خالَفُوا ما فيها[3]، وأنشد أبو سعيد الضَّرِيرُ[4] في المعنى:

---

(١) رواه ابن أبِي عاصم في كتاب السنة ص ١٣٤، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٦/ ٢٠١، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٠٦-٣٠٧، عين المعانِي ورقة ١٣٤/ أ، مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠٨ كتاب أهل الجنة: باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ١٥٥ باختلاف في ألفاظه.

(٣) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٣٠٧.

(٤) هو أحمد بن خالد اللغوي، استقدمه ابن طاهر من بغداد إلى خُراسانَ، فأقام بِنَيْسابُورَ، وكان قد لَقِيَ أبا عمرو الشـيبانِيَّ وابنَ الأعرابِيِّ وغيرهما، كان قَيِّمًا باللغة، وأملى كتاب المعانِي والنوادر، توفِّيَ بعد سنة (٢١٧هـ). [معجم الأدباء ٣/ ١٥-٢٦، لسان الميزان ١/ ١٦٦، بغية الوعاة ١/ ٣٠٥، معجم المؤلفين ١/ ٢١٤].

٣٥٧- نَواقِلُ لِلأَسْفارِ، لاَ عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِها إلَّا كَعِلْمِ الأَباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي المَطِيُّ إذا غَدا بِأَسْفارِهِ أَوْ راحَ ما فِي الغَرائِرِ[١]

قرأ أبو عمرو وابن ذَكْوانَ، والدُّورِيُّ عن الكسائي: ﴿الحِمارِ﴾ بالإمالة، وقرأ نافع وحمزة وأبو الحارث[٢] بين اللفظين، وفَتَحَهُ الباقون[٣].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: لِوَقْتِ الصلاةِ ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾؛ أي: فِي يَوْمِ الجُمُعةِ، كقوله: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[٤]؛ أي:

---

(١) البيتان من الطويل، لِمَرْوانَ بن أَبِي حَفْصةَ، يهجو قومًا من رواة الشعر، ورواية الأول في ديوانه: **زَوامِلُ لِلأَشْعارِ**»، ورواية الثاني فيه: «**ما يَدْرِي البَعِيرُ.. بِأَوْساقِهِ**».
اللغة: زَوامِلُ: جمع زاملة، وهو بعير يَحْمِلُ عليه الرَّجُلُ مَتاعَه وطَعامَهُ، الأباعِرُ: جمع بعير، وهو الجمل البازل، المَطِيُّ: جمع مطية وهي الناقة التي يُرْكَبُ مَطاها أي: ظهرها، الأوساق: جمع وَسْقٍ وهو حِمْلُ بعيرٍ، وهو ستون صاعًا، الغَرائِرُ: جمع غِرارةٍ وهي جُوالِقُ التِّبْنِ.
التخريج: ديوانه ص ٥٨، عيون الأخبار ٢/ ١٣٠، الكامل للمبرد ٣/ ١٣٢، العقد الفريد ٢/ ٤٨٤، الاقتباس من القرآن ٢/ ١٦٩، ١٧٠، الكشف والبيان ٩/ ٣٠٧، أسرار البلاغة ص ١٢٢، عين المعاني ورقة ١٣٤/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٩٥، اللسان: زمل، البحر المحيط ٨/ ٢٦٣، التاج: زمل.

(٢) هو الليث بن خالد البغدادي، قارئ ثقة معروف حاذق ضابط، عرض القراءة على الكسائي، ورَوَى الحروف عن حَمْزةَ الأحولِ واليزيديِّ، روى القراءة عنه سَلَمةُ بنُ عاصم ومحمدُ بن يحيى الكسائيُّ الصغيرُ والفضلُ بن شاذانَ، توفِّي سنة (٢٤٠هـ). [غاية النهاية ٢/ ٣٤].

(٣) اخْتُلِفَ فيه عن ابن ذَكْوانَ، فرُوِيَ عنه بالإمالة وبالفتح، وقرأ الأَزْرَقُ ووَرْشٌ بين الإمالة والفتح، ولَمْ أقف على أنه قراءة لنافع وحمزة وأبي الحارث، ينظر: التيسير ص٥١، النشر ٢/ ٥٥-٥٦، الإتحاف ٢/ ٥٣٨.

(٤) فاطر ٤٠، والأحقاف ٤، وكون «مِنْ» هنا بمعنى «في» هو مذهب الكوفيين وبعضِ البصريين، وهو جواز نيابة حروف الخفض بعضها عن بعض، وقد سبق ذلك كثيرًا، وقال بها هنا الأنباريُّ في البيان ٢/ ٤٣٨، والعكبري في التبيان =

في الأرض، وأراد بهذا النداء الأذانَ عند قُعُودِ الإمام على المنبر للخطبة.

قرأ العامة: ﴿ٱلْجُمُعَةِ﴾ بضم الميم، وقرأها الأعمش مُخَفَّفًا بِجَزْمِ الميم، وهما لغتان[1]، وجمعها: جُمَعٌ وجُمُعاتٌ، قال ابن عباس[2]: نزل القرآن بالتثقيل والتخفيف، قال الفَرّاءُ وأبو عُبَيْدٍ[3]: التخفيف أحسن، وهو أَقْيَسُ في مذهب العربية مثل غُرْفةٍ وغُرَفٍ وطُرْفةٍ وطُرَفٍ وحُجْرةٍ / وحُجَرٍ. [٢٢٥/ ب]

قال الفراء[4]: ولُغَةٌ أُخْرَى ثالِثةٌ، يقال: جُمَعةٌ بفتح الميم كقولك: رَجُلٌ ضُحَكةٌ وهُمَزةٌ ولُمَزةٌ ولُحَنةٌ: إذا كان يُلَحِّنُ الناسَ، وقُرَأَةٌ: إذا كان يُقْرِئُ الناسَ، وهي لغة بني عُقَيْلٍ، وقيل[5]: هي لغة النبي ﷺ.

= ص ١٢٢٣، وذهب الزمخشري وأبو حيان إلى أن «مِنْ» هنا بَيانٌ لـ«إذا» وتفسيرٌ له، ينظر: الكشاف ٤/ ١٠٤، البحر المحيط ٨/ ٢٦٤، وذكر المنتجب الهمدانِيُّ وجهين آخَرَيْنِ في «مِنْ»، أحدهما: أنَّها صِلةٌ؛ أي: إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ يَوْمَ الجمعة، والثانِي: أنَّها للتبعيض، ينظر: الفريد ٤/ ٤٦٩.

(١) قرأ الأعمش وابن الزبير وأبو حَيْوةَ وابنُ أَبِي عَبْلةَ، وأبو عمرو في روايةٍ عنه، وزيدُ بنُ عَلِيٍّ والمُطَّوِّعِيُّ: «الجُمْعةِ» بإسكان الميم، وقرأ الباقون بضمها، والجُمُعةُ بالضم لغة أهل الحجاز، وبالإسكان لغة تميم وبني عقيل، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٥٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٨، مختصر ابن خالويه ص ١٥٧، تهذيب اللغة ١/ ٣٩٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٩٧، البحر المحيط ٨/ ٢٦٤، الإتحاف ٢/ ٥٣٨.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٣٠٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٩٧.

(٣) هذا القول لَمْ أقف عليه في كتب الفراء وأبِي عبيد، وإنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٣٠٨، والقرطبي في تفسيره ١٨/ ٩٧.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ١٥٦ باختلاف في ألفاظه، وقد قرأ اليَمانِيُّ: ﴿الجُمَعَةِ﴾ بفتح الميم والعين، ينظر: شواذ القراءة ورقة ٢٤٣، بينما قال ابن خالويه: «ولَمْ يقرأ بها أحدٌ». المختصر ص ١٥٧.

(٥) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ٩/ ٣٠٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ٩٧.

[وعن سلمان الفارسي][1] أنه قال: «إنما سُمِّيَت الجمعةَ لأن الله تعالى جَمَعَ فيها خَلْقَ آدَمَ ـ عليه السلام ـ»[2]، وقيل: لأن الله تعالى فَرَغَ مِنْ خَلْقِ الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقاتُ، وقيل: لِجَمْعِ الجَماعاتِ، وقيل: لاجْتِماعِ الناس فيها للصلاة.

قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بادِرُوا بالنِّيَّةِ والجِدِّ، ولَمْ يُرِدِ العَدْوَ والإسْراعَ في المَشْيِ، والمعنى: فامْضُوا إلى الصلاة، وقيل: إلى موعظة الإمام، وهو قول سعيد بن المسيب[3]، قال الفراء[4]: المُضِيُّ والسَّعْيُ والذَّهابُ فِي معنًى واحدٍ. يَدُلُّ عليه قراءةُ ابن مسعود: «فامْضُوا إلَى ذِكْرِ اللهِ»[5] ـ ورُوِيَ عن ابن عمر أنه كان يقرؤها: «فامْضُوا إلَى ذِكْرِ اللهِ»، ويقول[6]: «لو قَرَأْتُها: «فاسْعَوْا» لَسَعَيْتُ حَتَّى يَسْقُطَ رِدائِي. وهي قراءة أَبِي العالية أيضًا.

قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ يعني البيع والشراء؛ لأن البَيْعَ يتناول المعنيين

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٠٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٩٧، الجامع الصغير ١/ ٣٩٧.

(٣) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٨، زاد المسير ٨/ ٢٦٥، تفسير القرطبي ١٨/ ١٠٧، البحر المحيط ٨/ ٢٦٥.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ١٥٦.

(٥) هذه قراءة ابن مسعود وعُمَرَ وعَلِيٍّ وابنِ عباس وأُبَيٍّ وابن عُمَرَ وابن الزبير وأَبِي العالية والسُّلَمِيِّ ومسروق وطاووس وسالِم بن عبد الله بن عمر وطلحة بن مُصَرِّفٍ، ينظر: المحتسب ٢/ ٣٢١، ٣٢٢، شواذ القراءة للكرماني الورقة ٢٣٩، تفسير القرطبي ١٨/ ١٠٢.

(٦) الضمير في «يقول» لابن مسعود، وليس لابن عمر، ينظر: جامع البيان ٢٨/ ١٢٨، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٧١، مصنف عبد الرزاق ٣/ ٢٠٧ كتاب الجمعة/ باب السعي إلى الصلاة، المعجم الكبير للطبرانِي ٩/ ٣٠٧، الكشف والبيان ٩/ ٣١١، مجمع الزائد ٢/ ١٢٤ كتاب التفسير: سورة الجمعة.

جميعًا[١]، ومنه قول النبي ﷺ: «البَيِّعانِ بالخِيارِ ما لَـمْ يَتفرَّقا أوْ يَتخايَرا»[٢]، وأراد البائع والمشتري، وهذا نَهْيُ تَنْزِيهٍ يَدُلُّ على الترغيب في تَرْكِ البَيْعِ تلك الساعةَ، فمن لَمْ يفعل ذلك فقد خالَفَ الأمْرَ، وبَيْعُهُ مُنْعَقِدٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني: استماع الخطبة وأداء الفريضة خير لكم من المبايعة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ يعني مصالح أنفسكم ومَضارَّها.

قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾؛ أي: فُرِغَ منها؛ لأن الجمعة لا تُقْضَى إجْماعًا، وإنما سُمِّيَ الأداءُ هاهنا قَضاءً مَجازًا وهو حقيقة، ومثله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: للتجارة والتصرف في حوائجكم، ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعني الرزق، وقيل: لِعِيادةِ مَرِيضٍ، أو لِحُضُورِ جِنازةٍ، أو لزيارة أخٍ في الله.

وظاهِرُ الآيةِ / يَدُلُّ على إباحة الانتشار في الأرض لطلب رزقٍ في الدنيا، أو ثَوابٍ في الآخرة، وهما أمْرُ إباحةٍ وتَخْيِيرٍ، فإن شاؤوا خرجوا، وإن شاؤوا قَعَدُوا، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾[٤]. [٢٢٦/ أ]

---

(١) لفظ البيع من الأضداد، فهو يطلق على البيع وعلى الشراء، قال قطرب: «والبَيِّعُ: لِلْمُشْتَرِي، والبَيِّعُ: لِلبائِعِ، وقالوا: بِعْتَ بِدِرْهَمٍ لَحْمًا: إذا اشْتَرَيْتَ، وبِعْتُ: إذا بِعْتَ أنت». الأضداد ص ٩٧، وينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٥، الأضداد للسجستانِي ص ١٧٨-١٨٠، الأضداد لابن الأنباري ص ٧٣-٧٥، الأضداد لأبِي الطيب اللغوي ص ٤٠-٥١.

(٢) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عُمَرَ وحكيمِ بنِ حِزامٍ في المسند ١/ ٥٦، ٢/ ٩، ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) البقرة ٢٠٠.

(٤) المائدة ٢، وكون الأمْرَ للإباحةِ قاله الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٥٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٧٢، إعراب القرآن ٤/ ٤٢٩.

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ يعني: باللسان والقلب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ رَدَّ الكناية إلى التجارة؛ لأنها أعَمُّ وأفْضَلُ، قال المبرد[(١)]: الضمير للتجارة، وخُصَّتْ بِرَدِّ الضمير إليها لأنها كانت أهَمَّ إليهم. وقد تقدم نظير هذه المسألة فِي سورة التوبة[(٢)].

واللَّهْـوُ هاهنا قيـل[(٣)]: هو الطَّبْلُ، كانوا إذا وافَتْ تِجـارةٌ ضَرَبُوا الطَّبْلَ لِيَعْلَـمَ النـاسُ بها، وقيـل[(٤)]: كانت المـرأة إذا نُكِحَتْ حُرِّكَتْ لهـا المَزامِيرُ والطُّبُولُ وابْتَدَرَ الناسُ إليها، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي: ذهبوا ومالوا إليها، وعَدَلُوا نحوها ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ يعني النبي ﷺ.

وقال الحسـن[(٥)]: أصـابَ أهْلَ المدينة جُوعٌ وغَلَاءُ سِـعْرٍ، فَقَدِمَتْ عِيرٌ من الشـام تحمل تِجـارةً لِدِحْيَةَ بن خليفة الكلبـي[(٦)]، والنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يوم

---

(١) قـال النحاس: «فتقديره على قول محمد بن يزيـد: وإذا رأوا تجارةً انْفَضُّوا إليها، ثم عُطِفَ الثانِـي على الأول، فدخل فيما دخل فيه». إعراب القرآن ٤/ ٤٢٩، وينظر أيضًا: الوسـيط ٤/ ٣٠١، زاد المسير ٨/ ٢٦٩.

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿واللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ التوبة ٦٢، وهذا من الجزء المفقود من هذا الكتاب.

(٣) قاله مجاهد والفراء وابن قتيبة، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٦٧٥، معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٥٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٦٦، وينظر: جامع البيان ٢٨/ ١٣٤، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٩.

(٤) قالـه جابـر بن عبد الله، ينظـر: جامع البيـان ٢٨/ ١٣٤، إعراب القرآن ٤/ ٤٢٩، تفسـير القرطبي ١٨/ ٣٥٩.

(٥) ينظر قوله في جامع البيان ٢٨/ ١٣٢-١٣٣، الكشف والبيان ٩/ ٣١٧، الوسيط ٤/ ٣٠٠، الدر المنثور ٦/ ٢٢١.

(٦) صحابِيٌّ بَعَثَهُ الرسول ﷺ برسالته إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وحضر كثيرًا من الوقائع، =

الجمعة، فَسَمِعُوا بها، فَتَفَرَّقُوا عنه، وخرجوا إليها، والنَّبِيُّ ﷺ قائمٌ كما هو على المنبر، ولَمْ يَبْقَ معه في المسجد إلّا اثْنا عَشَرَ رَجُلًا وامرأةً، وقيل: لَمْ يَبْقَ معه إلا رَهْطٌ، فيهم أبو بكر وعُمَرُ ـ رضي الله عنهما، فقال النبي ﷺ: «لو اتبع آخِرُهُمْ أوَّلَهُمْ لأَلْتَهَبَ عليهم الوادي نارًا»، فَنَزَلَتْ هذه الآيةُ، ونصب ﴿قَآئِمًا﴾ على الحال ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من ثواب الصلاة والثبات مع النبي ﷺ ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ لأنه مُوجِدُ الأرزاق، فَإيّاهُ فاسْأَلُوا، ومنه فاطلبوا، إنه كريم وَهّابٌ.

فصل في ذِكر بعض ما ورد من الأخبار في فَضْلِ هذا اليومِ وسُنَتِهِ

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إلى السَّماءِ رأيتُ تحت العرش سبعين مدينةً، كلُّ مدينةٍ مثل دنياكم هذه سبعين مرّةً، مملوءةً من الملائكة، يسبِّحون الله ويُقَدِّسُونَهُ، ويقولون في تسبيحهم:/ [٢٢٦/ ب] اللهم اغْفِرْ لِمَنْ شَهِدَ الجُمُعَةَ، اللهم اغْفِرْ لِمَن اغتسل فِي يوم الجمعة»[١].

وقال ﷺ: «إذا جاءَ أَحَدُكُم الجمعةَ فَلْيَغْتَسِلْ»[٢]، وقال عليه السلام:

= وكان يُضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام يَنْزِلُ على صورته، شهد اليرموك، ثم نزل دمشق، وتُوُفِّيَ سنة (٤٥هـ) تقريبًا. [تهذيب الكمال ٨/ ٤٧٣-٤٧٥، الإصابة ٢/ ٣٢١-٣٢٣، الأعلام ٢/ ٣٣٧].

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣١٥، تفسير القرطبي ١٨/ ١١٩.

(٢) رواه البخاري عن ابن عمر في صحيحه ١/ ٢١٢، ٢١٦ كتاب الجمعة: باب فضل الغسل يوم الجمعة، وباب «هل على مَنْ لَمْ يَشْهَد الجمعةَ غُسْلٌ من النساء والصبيان؟» ورواه مسلم في صحيحه ٣/ ٣ كتاب الجمعة: باب وجوب غُسْلِ الجمعة على كل بالغ من الرجال.

«غُسْلُ يَوْمِ الجمعةِ واجِبٌ على كل مُحْتَلِمٍ»[١]، وقال عليه السلام: «حَقٌّ على كل مسلم أن يغتسل فِي كل سبعةِ أيّامٍ يَوْمًا، يغسل فيها رأسه وجسده»[٢].

وعــن مَعْقِلِ بن يَســارٍ عن النبي ﷺ قال: «ليس مِنْ يَــوْمِ جُمُعةٍ إلّا واللهِ فيه عُتَقاءُ من النار، سِــتُّمِائةِ أَلْفٍ ونَيِّفٌ على عشــرين أَلْفًا، كُلُّهُمْ قد اسْتَوْجَبُوا النارَ»[٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ أعْيادِ أُمَّتِي عِيدٌ أفْضَلُ من يوم الجمعــة، وركعتان فِي يوم الجمعة أفضل من ألف ركعة فِي غَيْرِ يوم الجمعة، وتَسْبِيحةٌ فِي يوم الجمعة أفضل من ألف تَسْبِيحةٍ فِي غير يوم الجمعة»[٤].

وعــن عائشــة ـ رضي الله عنهــا ـ قالت: قال رســول الله ﷺ: «مَنْ قَصَّ أظْفارَهُ يوم الجمعة حُفِظَ من الجمعة إلى الجمعة»[٥].

---

(١) رواه البخاري عن أبي سـعيد الخدري في صحيحه ١/ ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٦ كتاب الجمعة: باب وضوء الصبيان، وباب فضل الغُسْلِ يوم الجمعة، وباب «هل على من لم يشهد الجمعة غُسْلٌ من النساء والصبيان»، ورواه مسلم في صحيحه ٣/ ٣، ٤ كتاب الجمعة: باب وجوب غُسْلِ الجمعة على كل بالغ.

(٢) رواه البخـاري عن أبِي هريرة في صحيحـه ١/ ٢١٦ كتاب الجمعة: باب «هل على مَنْ لَمْ يشهد الجمعة غُسْلٌ من النساء والصبيان»، ورواه مسلم في صحيحه ٣/ ٤ كتاب الجمعة: باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ.

(٣) رواه أبــو يعلــى عن أنس في مســنده ٦/ ١٥٦، ٢٠٢، وينظر: الوسـيط ٤/ ٢٩٨، الجامع الصغير ١/ ٣٦٠، كنز العمال ٧/ ٧٠٧، ٧٠٩، ٧١٩.

(٤) ينظر: كنز العمال ٧/ ٧١٩.

(٥) رواه الطبرانِــيُّ باختــلاف في ألفاظه في المعجم الأوســط ٥/ ٨٥، وابــنُ حبان في كتاب المجروحيــن ٢/ ١٨٥، وذكــره الهيثمي في مجمع الزوائــد ٢/ ١٧١ كتاب الصلاة: باب الأخـذ مـن الشعر والظفر يوم الجمعة.

وعــن أَبِي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غُسِلَتْ ذُنُوبُهُ وخَطاياهُ، فإذا راحَ ـ يريد إلى الصلاة ـ كَتَبَ اللهُ له بكل قَدَمٍ عَمَلَ عشرين سنةً، فإذا قُضِيَت الصلاة أُجِيزَ بِعَمَلِ مائة سنة»[١].

وعن سلمان الفارسي[٢] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة، فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ، ولَبِسَ مِنْ صالِحِ ثِيابِهِ، ومَسَّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ أو دُهْنِــهِ، ثم لَمْ يُفَرِّقْ بَيْـنَ اثنين، غُفِرَ له ما بينه وبيــن الجمعة الأخرى وزيادةَ ثلاثــةِ أيــام بعدها»[٣]، رواه البخــاري عن آدم عن ابن أَبِي ذِئْبٍ[٤] عن ســعيد المَقْبُرِيِّ[٥].

وعن أَبِي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «من اغتســل يوم الجمعــة غُسْلَ الجَنابةِ، ثم راحَ فِي الساعة الأولى فكأنما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومن

---

(١) رُوِيَ هذا الحديث عن عِمْرانَ بن الحُصَيْنِ أيضًا، رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٣٥٧، ٤/ ٣٥٣، والمعجم الكبيـر ١٨/ ١٣٩-١٤٠، ورواه ابن عدي في الكامل فِي الضعفاء ٤/ ٩٩، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢٩٧.

(٢) في الأصل: «وعن أبي ذر»، والتصويب من حاشية الأصل.

(٣) صحيــح البخــاري ١/ ٢١٨ كتاب الجمعة: باب «لا يفرق بين اثنيــن يوم الجمعة»، ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٨١، ورواه الحاكم عن أَبِي ذر في المستدرك ١/ ٢٩٠ كتاب الجمعة، والطبرانِيُّ عن ابن عمر في المعجم الأوسط ٧/ ٢٤٥، والكبير ٦/ ٢٧١.

(٤) في الأصل: «ابن ذؤيب»، وهو خطأ. وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أَبِي ذئب، أبو الحارث القرشي، تابعي من رواة الحديث، من أهل المدينة، يُشَبَّهُ بابن المسيب، كان من أورع الناس وأفضلهم، توفِّي سنة (١٥٨هـ). [تهذيب الكمال ٢٥/ ٦٣٠-٦٤٤، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٣٩-١٤٩، الأعلام ٦/ ١٨٩].

(٥) هو سعيد بن جَلْسٍ، وقيل: ابن كيسان، المَقْبُرِيُّ أبو سعد المَدَنِيُّ، ثقة صدوق، روى عن أَبِي هريرة، وروايته عن الســيدة عائشة والسيدة أم سلمة مرسلة، توفِّي سنة (١٢٥هـ). [تهذيب الكمال ١٠/ ٤٦٦-٤٧٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٦].

راح فِي الساعة الثانية فكأنما قَرَّبَ بَقَرةً، ومن راح فِي الساعة الثالثة فكأنما قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، ومن راح فِي الساعة الرابعة فكأنما قَرَّبَ دجاجةً، ومن راح فِي الساعة الخامسة فكأنما قَرَّبَ بيضةً، فإذا خرج الإمام حَضَرَت الملائكةُ يستمعون الذِّكْرَ»[1]، رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف[2]، ورواه مسلم عن قتيبة[3] / كلاهما عن مالك. [٢٢٧/ أ]

وعن أبِي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طلعت فيه الشمس يَوْمُ الجمعة، فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه أُهْبِطَ، وفيه تِيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلّا وهي مُسَبِّحةٌ يَوْمَ الجمعة من حين تصبح حتى تغرب الشمس شَفَقًا من الساعة إلّا الجِنَّ والإِنْسَ، وفيها ساعة لا يصادفها عَبْدٌ مسلمٌ فَيَسْأَلُ اللهَ تعالى فيها شيئًا إلّا أعطاه إيّاهُ»[4]، قيل: هي آخِرُ ساعة في يوم الجمعة.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢١٢ كتاب الجمعة: باب فضل يوم الجمعة، ورواه مسلم في صحيحه ٣/ ٤ كتاب الجمعة: باب الطيب والسواك يوم الجمعة، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٦٠.

(٢) أبو محمد الكَلَاعِيُّ الدمشقي التِّنِّيسِيُّ، حَدَّثَ عن مالك والليث بن سعد، وروى عنه البخاري وأبو حاتم، كان ورعًا فاضلًا خَيِّرًا، توفي سنة (٢١٨هـ). [تهذيب الكمال ١٦/ ٣٣٣-٣٣٦، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٥٧].

(٣) هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي بالولاء، أبو رجاء البَغْلَانِيُّ، من أكابر رجال الحديث، رَوَى عن مالك والليث، وروى عنه الستة، توفِّي سنة (٢٤٠هـ). [تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٢٣، سير أعلام النبلاء ١١/ ١٣].

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٨٦، وأبو داود في سننه ١/ ٢٣٦ كتاب الصلاة: باب فضل يوم الجمعة، والنسائي في سننه ٣/ ١١٤، ١١٥ كتاب الجمعة: باب الساعة التي يُستجاب فيها الدعاءُ يوم الجمعة، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣١٥.

وَرُوِيَ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة فقال: «يا أيها الناس تُوبُوا إلى رَبِّكُم من قبل أن تَمُوتُوا، وبادِرُوا بالأعمال الزّاكِيةِ من قبل أن تُشْغَلُوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بِكَثْرةِ ذِكْرِكُمْ له والصدقةِ فِي السِّرِّ والعلانية، تُنْصَرُوا وتُجْبَرُوا وتُرْزَقُوا، واعلموا أن الله قد فَرَضَ عليكم يومَ الجمعة فِي مَقامِي هذا فِي يومي هذا فِي شَهْرِي هذا فِي عامِي هذا إلى يوم القيامة، فَمَنْ تَرَكَها فِي حَياتِي أو بعد مَوْتِي، وله إمامٌ عادِلٌ أو جائِرٌ اسْتِخْفافًا بِها أو جُحُودًا لَها، فَلا جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، ولا بارَكَ له فِي أمْرِهِ، ألا لا صَلاةَ له، ألا لا زَكاةَ له، ألاَ لاَ صِيامَ له، ألا لا حَجَّ له، إلَّا أنْ يَتُوبَ، فإن تابَ تابَ اللهُ عليه»[1]، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) رواه ابن ماجَهْ في سننه ١/ ٣٤٣ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فرض الجمعة، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٧١ كتاب الجمعة، باب ذِكْرِ فريضة الجمعة، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢٩٩.

سورة المنافقين

مدنية

وهي سبعمائة وستة وسبعون حرفًا، وثَمانٍ وثَمانُونَ كلمةً، وإحدى عشرة آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ المُنافِقِينَ بَرِئَ مِنَ النِّفاقِ»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ المُنافِقِينَ بُنِيَ لَهُ فِي قَبْرِهِ بَيْتٌ أَلْفَ باعٍ فِي أَلْفِ باعٍ، كُلُّهُ نُور»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يعني عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابَهُ،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣١٩، الوسيط ٤/ ٣٠٢، الكشاف ٤/ ١١٢، مجمع البيان ١٠/ ١٦.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

و﴿إِذَا﴾ في موضع نصب بـ﴿جَآءَكَ﴾، إلّا أنها غير معربة لِتَنَقُّلِها، وفي آخرها أَلِفٌ، والألِفُ لا تُحَرَّكُ(١).

قوله: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وتَمَّ الخَبَرُ عنهم، وهو جواب ﴿إِذَا﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾؛ أي: أَنَّهُ أَرْسَلَكَ، وكُسِرَتْ «إِنَّ» / [٢٢٧/ ب] لدخول اللّامِ فِي خَبَرِها.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ جَعَلَهُمْ كاذبين؛ لأنهم أَضْمَرُوا غَيْرَ ما أَظْهَرُوا، فَدَلَّ هذا على أن حقيقة الإيمان بالقلب، ومن قال شيئًا واعْتَقَدَ بخلافه فهو كاذب، وإنما كُسِرَت الألف من ﴿إِنَّ﴾ لأجل لام الخبر، ولولا ذلك لكانت مفتوحةً؛ لتوسطها الكلام، قال الشاعر:

٣٥٨- وَأَعْلَمُ عِلْمًا -لَيْسَ بِالظَّنِّ- أَنَّهُ ... إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ
وَإِنَّ لِسانَ المَرْءِ -ما لَمْ تَكُنْ لَهُ ... حَصاةٌ- عَلَى عَوْراتِهِ لَدَلِيلُ(٢)

---

(١) قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٤/ ٤٣١، ومذهب الجمهور أن العامل في «إذا» هو جوابها، وهو هنا قوله: «قالُوا»، ينظر: شرح الكافية للرضي ٣/ ٢٧٤: ٢٧٧، ارتشاف الضرب ص ١٤١١، مغني اللبيب ص ١٣٠، ١٣١، همع الهوامع ٢/ ١٣٣-١٣٤.

(٢) البيتان من الطويل، لطرفة بن العبد يهجو ابن عمه الذي كان خادما للملك عمرو بن هند، وَوَشَى بِطَرَفَةَ عِنْدَهُ، ويُنْسَبُ البيتان لكعب بن سعد الغَنَوِيِّ، وهما في ديوانه، ونُسِبا للهيثم ابن الأسود النخعي.

اللغة: مَوْلَى المَرْءِ: يريد به هنا ابنَ عمه المَهْجُوَّ، حَصاةٌ: عَقْلٌ ورَزانةٌ، العَوْراتُ: جَمْعُ عَوْرةٍ وهي كل أَمْرٍ يُسْتَحْيا منه.

التخريج: ديوان طرفة ص ١٢٠، ديوان كعب الغنوي ص ١٣٠، العين ٣/ ٢٦٨، ٧/ ١٧٧، معاني القرآن للأخفش ص ٣٢٠، الصاحبي ص ١٤٧، مقاييس اللغة ٢/ ٧٠، الصمت وآداب اللسان ص ٢٢٩، المخصص ٣/ ١٩، شرح الحماسة للتبريزي ٤/ ٨، البصائر والذخائر ٥/ ٩٦، بهجة المجالس ١/ ٨٠، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص ٣٤٥، =

ففتح الألف في البيت الأول في قوله: «أَنَّهُ» لَمّا لَمْ يُدْخِلِ اللامَ على الخَبَرِ، وكَسَرَ الألِفَ في البيت الثاني: «وَإِنَّ لِسانَ المَرْءِ» لدخول اللام على الخبر في قوله: «لَدَلِيلُ»[1].

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ يعني: سِتْرًا من القتل ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَنَعُوا الناسَ عن دين الله الإسلامِ ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا﴾ بِئْسَ ما ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾ من النفاق، و﴿مَا﴾ في موضع رفع بـ﴿سَآءَ﴾ عند سيبويه[2]،

= التذكرة الحمدونية ٧/ ٤٤، ٦٢، الحماسة البصرية ص ١٣٤، أساس البلاغة: حصي، اللسان: أجا، حصي، حظرب، التاج: حصو، حصي.

(١) من أول قوله: «وإنما كسرت الألف من إن» قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٣٢٠، وورد أيضًا في الجمل المنسوب للخليل ص ٢٥٢. وقال سيبويه: «هذا باب آخر من أبواب «إنَّ»، تقول: أَشْهَدُ إِنَّهُ لَمُنْطَلِقٌ، فـ«أَشْهَدُ» بِمَنْزِلةِ قوله: واللهِ إِنَّهُ لَذاهِبٌ، و«إنَّ» غير عاملة فيها «أَشْهَدُ»؛ لأن هذه اللام لا تلحق أبدًا إلا في الابتداء... فإذا ذكرت اللام هاهنا لَمْ تكن إلا مكسورةً... ونظير ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾. الكتاب ٣/ ١٤٦-١٤٧.

وينظر في هذه المسألة أيضًا: الأصول لابن السراج ١/ ١٨٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٩، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٨٨-٨٩، ارتشاف الضرب ص ٢١١٤.

(٢) «ساءَ» مُلْحَقٌ بـ«بِئْسَ»، ولهذا فإنه يأخذ أحكامه، وجاءت «ما» هنا بعد«ساءَ»، ومذهب سيبويه أن «ما» إذا جاءت بعد «نِعْمَ» أو «بِئْسَ» فإنها تعرب فاعلًا بهما؛ لأنها عنده معرفة تامة فلا تحتاج إلى صِلةٍ، والجملة بعد «ما» صفة للمخصوص المحذوف، فالتقدير على مذهب سيبويه: ساءَ الشَّيْءُ شَيْءٌ كانوا يَعْمَلُونَهُ، وقد أشار سيبويه إلى ذلك إشارة سريعة في كتابه، فقال: «وتقول: إِنِّي مِمّا أَنْ أَفْعَلَ ذاكَ، كأنه قال: إنِّي من الأمر أو من الشأن أَنْ أَفْعَلَ ذاك، فوقعت «ما» هذا الموقع، كما تقول العرب: بِئْسَما لَهُ، يريدون: بِئْسَ الشَّيْءُ ما لَهُ». الكتاب ٣/ ١٥٦.

وينظر أيضًا: إعراب القرآن ١/ ٢٤٧، ٤/ ٤٣٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٧٩، الفريد ٤/ ٤٧٢، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٩، ارتشاف الضرب ص ٢٠٤٤-٢٠٤٥، همع الهوامع ٣/ ٢٥. =

و﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ صفةُ ﴿مَا﴾، والهاء محذوفة؛ أي: يَعْمَلُونَهُ، وقال الأخفش[١]: ﴿مَا﴾ نكرة في موضع نصب، و﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ نَعْتُهُ، والهاء محذوفة أيضًا من الصفة، وحَذْفُها من الصِّلةِ أَحْسَنُ، وهو جائز من الصِّفةِ.

وقال ابن كيسان[٢]: ﴿مَا﴾ والفعل مصدر في موضع رفع بـ﴿سَآءَ﴾. فلا يُحْتاجُ إلَى هاءٍ محذوفة على قوله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء؛ أي: ذلك الكَذِبُ ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بالسِّرِّ ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③﴾ الإيمان والقرآن.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ يا محمد، يعني المنافقين ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ في المَنْطِقِ والصُّورةِ والحُسْنِ، قيل: إنهم كانوا أحسن الناس وُجُوهًا، وقال

= وأما ما ذكره المؤلف هنا من أن التقدير على مذهب سيبويه: ساءَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَهُ، فمعناه أن «ما» موصولة، وهو مذهب الفارسي، وليس مذهب سيبويه، فقد قال الفارسي: «فقوله: «بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» يجوز عندي أن تكون «ما» موصولة، وموضعها رفع بكونها فاعلة لـ«بِئْسَ». الإغفال ١/ ٣٥٠، وقاله أيضًا في المسائل المشكلة ص ٢٥١ وما بعدها، والمسائل الشيرازيات ص ٤٨٧-٤٩٠.

(١) قال الأخفش: «وقال: «إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ»، فـ«ما» هاهنا اسم وليست له صِلةٌ؛ لأنك إن جَعَلْتَ «يَعِظُكُمْ بِهِ» صلةً لـ«ما» صار كقولك: إنَّ اللهَ نِعْمَ الشَّيْءُ أو نِعْمَ شَيْئًا، فهذا ليس بكلام، ولكن تجعل «ما» اسما وحدها كما تقول: غَسَلْتُهُ غَسْلًا نِعِمّا، تريد به: نِعْمَ غَسْلًا، فإن قيل: كيف تكون «ما» اسمًا وَحْدَها وهي لا يُتَكَلَّمُ بها وحدها؟ قلت: هي بمنزلة: يا أيها الرجلُ؛ لأن «أيًّا» هاهنا اسم، ولا يُتَكَلَّمُ به وحده حتى يوصف، فصار «ما» مثل الموصوف هاهنا». معاني القرآن ص ٣٧، ٣٨، وقال مثله في ص ١٣٩.

(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٠، البيان للأنباري ٢/ ٤٤٠-٤٤١، والتقدير على قول ابن كيسان: ساءَ العَمَلُ عَمَلُهُم.

ابن عباس[1]: كان عبد الله بن أُبَيٍّ جَسِيمًا صَحِيحًا فَصِيحًا ذَلِقَ اللسانِ، فإذا قالَ يَسْمَعُ النبيُّ ﷺ لقوله.

وأجاز النحويون الجزم بـ«إذا»، وأن يُجْعَلَ بِمَنْزِلةِ حَرْفِ المُجازاةِ، قال الشاعر/ :

٣٥٩ ـ واسْتَغْنِ ما أغْناكَ رَبُّكَ بالغِنَى وَإذا تُصِبْكَ خَصاصةٌ فَتَجَمَّلِ[2]

والاختيار عند الخليل وسيبويه[3] والفراء[4] ألا يُجْزَمَ بـ«إذا»؛ لأن ما بعدها مُؤَقَّتٌ، فخالفت المجازاةَ في هذا كما قال الشاعر:

٣٦٠ ـ وَإذا تكُونُ كَرِيهةٌ أُدْعَى لَها وَإذا يُحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ[5]

---

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٣١/ ب، الكشف والبيان ٩/ ٣٢٠، زاد المسير ٨/ ٢٧٤، ٢٧٥، تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٤.

(٢) البيت من الكامل، لعَبْدِ قَيْسِ بن خُفافِ البُرْجُمِيِّ، ونُسِبَ لحارثةَ بنِ بَدْرٍ الغُدانِيِّ، ولأبانَ ابنِ عبد الحميد البُرْجُمِيِّ، ولعبد الله بن قيسٍ الحنظليِّ.
التخريج: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٨، المفضليات ص ٣٨٥، الأضداد لابن الأنباري ص ١٢٠، إعراب القرآن ٤/ ٤٣٢، أمالي المرتضى ١/ ٣٨٣، شرح المفضليات للتبريزي ص ١٢٩١، تفسير القرطبي ٥/ ٣٣٨، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢١١، ٤/ ٨٢، اللسان: كرب، حماسة الظرفاء ١/ ٢٦٩، مغني اللبيب ص ١٢٨، ١٣١، ٩١٦، المقاصد النحوية ٢/ ٢٠٣، شرح شواهد المغني ص ٢٧١، همع الهوامع ٢/ ١٣٢.

(٣) الكتاب ٣/ ٦٠-٦٢.

(٤) معاني القرآن ٣/ ١٥٨.

(٥) البيت من الكامل، لِهُنَيِّ بنِ أحْمَرَ الكِنانِيِّ، ونُسِبَ لجَسّاسِ بنِ مُرّةَ، ولرجل من مَذْحِجَ، ولزُرافةَ الباهليِّ، ولأحمر بن الحارث بن عبد مَناةَ، وذَكَرَ المُفَضَّلُ أن هذا القول لبعض ولد طيء، وكان يفضل أبوه واحدًا من ولدِ وَلَدِهِ، واسمه جُنْدُبٌ، على وَلَدِهِ، ويقدمه عليهم، فقال أحدهم هذا البيت. =

قوله: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾ لأن مَنْطِقَهُمْ كَمَنْطِقِ أهل الإيمان، وهو شرط وجزاء، ثم قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾؛ أي: أشْباحٌ بلا أرْواحٍ، وأجْسامٌ بلا أحْلامٍ، قرأ الأعمش وأبو عمرو والكسائي: «خُشْبٌ» بجزم الشين، ورُوِيَ ذلك عن ابن كثير، واختاره أبو عبيد، قال[(١)]: لِمَذْهَبِها في العربية، وذلك أن واحِدَتَها خَشَبةٌ، ولَمْ نَجِدْ فِي كلامهم اسْمًا على وزن «فَعَلةٍ» يُجْمَعُ على «فُعُلٍ» بضم الفاء والعين، ويَلْزَمُ مَنْ ثَقَّلَها أن يُثَقِّلَ البُدْنَ أيضًا فيقول: «والبُدُنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللهِ»[(٢)]؛ لأن واحدتها بَدَنةٌ أيضًا.

وقرأ الآخرون بالتثقيل، وهي اختيار أَبِي حاتم[(٣)]، واختلف فيه عن ابن كثير وعاصم[(٤)]، ومعنى قوله: «مُسَنَّدةٌ»؛ أي: مُمالةٌ إلى الجِدارِ، من قولهم:

= **اللغة**: الكَرِيهةُ: النازلة والشدة فِي الحرب، الحَيْسُ: الأَقِطُ يُخْلَطُ بالتمر والسمن، يُحاسُ: يُخْلَطُ.

التخريج: شعر هُنَيِّ بن أحمر ص ٤٦٨ وتخريجه ص ٤٧٢-٤٧٤ ضمن (الشعراء الجاهليون الأوائل)، ديوان الحارث بن حلزة ص ٨٨، معانِي القرآن للفراء ١/ ١٢٢، ٣/ ١٥٨، البخلاء للجاحظ ص ٢٣٠، الأضداد لابن الأنباري ص ١٢٠، الزاهر ١/ ١٣، إعراب القرآن ٤/ ٤٣٣، اللامات للزجاجي ص ١٠٧، معجم الشعراء ص ٢٦، الجليس الصالح الكافي ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥، الأزهية ص ١٨٥، شرح المفصل ٢/ ١١٠، اللسان: حيس، خزانة الأدب ٢/ ٣٨، التاج: حيس.

(١) ينظر قول أَبِي عبيدٍ في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٣، الكشف والبيان ٩/ ٣٢٠، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٣١٢، تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٥، وقد رد عليه النحاس بقوله: «وهذا غَلَطٌ وطَعْنٌ على ما رَوَتْهُ الجماعةُ». إعراب القرآن ٤/ ٤٣٣.

(٢) الحج ٣٦، وينظر ما تقدم فيها ١/ ٢٥١.

(٣) ينظر اختيار أَبِي حاتم في الكشف والبيان ٩/ ٣٢٠، تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٥.

(٤) قرأ البَراءُ بن عازب، وابنُ كثير في رواية قُنْبُلٍ عنه، وعاصمٌ في رواية المفضل عنه، وأبو عمرو في رواية اليزيدي وعبدِ الوارث عنه، والكسائيُّ والأعمش: «خُشْبٌ»، وقرأ الباقون، =

أسْنَدْتُ الشَّيْءَ؛ أي: أَمَلْتُهُ، والتفعيل للتكثير لأنه صفة ﴿خُشُبٌ﴾، وهي جَمْعٌ، وأراد أنها ليست بأشجارٍ تُثمِرُ وتَنْمُو ويَحْسُنُ مَنْظَرُها، بل هي خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ إلَى حائطٍ[1].

ثم عابَهُمْ بالجُبْنِ، فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لا يسمعون صوتًا إلّا ظَنُّوا أنهم قد أُتُوا، أو نادَى مُنادٍ في العَسْكَرِ، أو انْفَلَتَتْ دابّةٌ، أو أُنْشِدَتْ ضالّةٌ، ظَنُّوا أنهم يُرادُونَ بذلك، مِمّا في قلوبهم من الرعب أن يَكْشِفَ اللهُ أسْرارَهُمْ.

ثم أخْبَرَ بعداوتهم، فقال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ يا محمد أن تَأْمَنَهُمْ على سِرِّكَ؛ لأنهم عُيُونٌ لأعدائك من الكفار، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾؛ أي: لا تَشْغَلْكُمْ ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني: عن طاعة الله وعن الصلاة وعن القرآن ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: مَنْ شَغَلَهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ عن ذكر الله، شرط وجزاء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾؛ أي: المَغْبُونُونَ، ومحل «مَنْ» رفع بالابتداء، و«أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ» ابتداء وخبر، وهو جواب الشرط، والجملة خَبَرُ ابتداءِ الأوَّلِ، وهو قوله: ﴿وَمَن﴾.

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ يريد زكاة الأموال ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾/ فَيَسْأَلَ الرَّجْعةَ إلَى الدنيا، وهو قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾؛ أي: أجَّلْتَنِي وأمْهَلْتَنِي ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: مِثْلَما أجَّلْتَ لِي فِي الدنيا.

= وحفصٌ عن عاصم، وأبو ربيعة عن أصحابه عن ابن كثير، وعُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ وعَبّاسُ بنُ مَنْصُورٍ والخَفّافُ وأبو زيد كلهم عن أبي عمرو: «خُشُبٌ». ينظر: السبعة ص ٦٣٦، جامع البيان ٢٨/ ١٣٧، تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٥، البحر ٨/ ٢٦٨، النشر ٢/ ٢١٦.

(١) قاله الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٠٣.

يجوز أن تكـون «لا» صلةً، فيكـون الكلام بمعنى التمني[١]، ويجوز أن تكون بمعنى «هَـلَّا»، وهو قول الزَّجّاجِ[٢]، فيكون اسـتفهامًا، فإن قيل: كيف يَصِحُّ معنى التوبيخ والإنكار في قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، وهو بمعنى: هَلّا أَخَّرْتَنِي؟ قيل: فيه جوابان:

أحدهما: أن هذا يجري مَجْرَى مخاطبة الإنسـان لنفسه مُوَبِّخًا لَها، وإن كان في الظاهر خطابًا لإلَهِنا ـ تبارك وتعالى ـ.

والآخـر: أن هـذا دعاء؛ لأن كل مـا كان من هذا النوع لِمَـنْ هُوَ دُونَكَ فهـو بمعنى الأمْـرِ، وما كان لِمَنْ هو فَوْقَكَ فهو بمعنـى الدعاء، وما كان لمن هو مِثْلُكَ فهو بمعنى السـؤال، وإن اشْـتَرَكَ اللفـظُ فالمعنى مختلف، ونصب ﴿فَيَقُولَ﴾ لأنه عطف على قوله: ﴿أَن يَأْتِيَ﴾.

وقوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ أُؤَدِّي الفرائضَ، وأَجْتَنِبُ المَحارِمَ، والتقدير: وَأَكُنْ صالِحًا من الصالحين.

واختلف القُرّاءُ فيه[٣]، فقرأ أبو عمرو والحسن وابن مُحَيْصِنٍ: ﴿وَأَكُونَ﴾ بالـواو ونصب النـون، وقرأ الباقـون: ﴿وَأَكُن﴾ بغير واو، فمـن حذف الواو عطفها على موضع الفاء قبل دخول الفاء؛ لأن موضعها جَزْمٌ على التَّمَنِّي؛ أي:

---

(١) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٣٢٣، وينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ١٣١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٧٨.

(٣) قرأ ابن مسـعود وأُبَيُّ بن كعب وأبو عمرو والحسن وابن جبير وأبو رجاء وابن أبي إسحاق ومالك بن دينار والأعمش وابن محيصن ومجاهد وعبد الله بن الحسن العنبري: «وَأَكُونَ» بالنصب، وقرأ عبيد بن عمير: «وَأَكُونُ» بالرفع، وقرأ الباقون: «وَأَكُنْ» بالجزم، ينظر: السبعة ص٦٣٧، تفسير القرطبي ١٨/ ١٣١، البحر المحيط ٨/ ٢٧١.

إنْ تُؤَخِّرْنِي أصَّدَّقْ وأكُنْ من الصالحين، قال الشاعر:

٣٦١ ـ فَأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُمْ لَعَلِّي أُصالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجْ نَوَيّا[1]

فجزم «أَسْتَدْرِجْ» على محل «أُصالِحُكُمْ» قبل دخول «لَعَلِّي».

ومن أثبت الواوَ عَطَفَهُ على لفظ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾، والنصب في قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ على إضمار «أنْ»، وفي «وَأَكُونَ» عطف على ما بعد الفاء.

قال الخليل[2]: نصب ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ على جواب الاستفهام بالفاء، ثم

---

(١) البيت من الوافر، لأبي دُؤادٍ الإيادِيِّ.

اللغة: قال الأزهري: «قوله: «نَوَيّا»؛ أي: نَوايَ، وهذه لغة طيئ، مثل: قَفَيَّ؛ أي: قَفايَ، وهُدَيَّ؛ أي: هُدايَ، وبُشْرَيَّ؛ أي: بُشْرايَ». معانِي القراءات ٣/ ٧٢، وقد شرحه الشيخ محمد الأمير، فقال: «فَأَبْلُونِي: فَأَعْطُونِي، البَلِيَّةُ: النّاقةُ تُتْرَكُ عند قَبْرِ صاحبها بلا طعام ولا شراب حتى تَمُوتَ، نَوَيّا: أصله: نَوايَ فقُلِبَتْ الألِفُ ياءً على لغة هذيل، والنَّوَيُّ: الجهة التي ينويها المسافر. حاشية الأمير على مغنى اللبيب ٢/ ٦٩.

التخريج: ديوان أبِي دؤاد ص ٣٥٠، معانِي القرآن للفراء ١/ ٨٨، شرح نقائض جرير والفرزدق ١/ ٥٩٩، تأويل مشكل القرآن ص ٥٦، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٨٨، إعراب القرآن ٤/ ٤٣٧، معانِي القراءات ٣/ ٧٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٦٩، الحجة للفارسي ٤/ ٤٤، الخصائص ١/ ١٧٦، ٢/ ٣٤١، سر صناعة الإعراب ص ٧٠١، الكشف والبيان ٩/ ٣٢٤، أمالِيُّ ابن الشجري١/ ٤٢٨، عين المعانِي ورقة ١٣٤/ ب، اللسان: علل، مغني اللبيب ص ٥٥٣، ٦٢٠، شرح شواهد المغني ص ٨٣٩.

(٢) قال سيبويه: «وسألتُ الخليلَ عن قوله عز وجل: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فقال: هذا كقول زهير:

بَدا لِيَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى وَلاَ سابِقٍ شَيْئًا إذا كانَ جائِيا

فإنما جَرُّوا هذا لأن الأول قد يدخله الباءُ، فجاءوا بالثانِي وكأنهم قد أثبتوا في الأوَّلِ الباءَ، فكذلك هذا، لَمّا كان الفعل الذي قبله قد يكون جَزْمًا ولا فاءَ فيه، تكلموا بالثانِي وكأنهم قد جَزَمُوا قَبْلَهُ، فعلى هذا تَوَهَّمُوا هذا». الكتاب ٣/ ١٠٠-١٠١.

قال: ﴿وَأَكُن﴾، فجزم على معنى: هَلّا أَخَّرْتَنِي وَأَكُنْ، كأنه جعله نسقًا بالواو على جواب الاستفهام ولَمْ تُعْمَلِ الفاءُ، قال الشاعر:

٣٦٢ـ إنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبُ الخَيْلِ عادَتُنا أَوْ تَـنْزِلُـونَ فَـإِنّـا مَعْشَـرٌ نُـزُلُ[1]

[٢٢٩/ أ] / فرفع على معنى: وَأَنْتُمْ تَنْزِلُونَ.

وأصل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: فَأَتَصَدَّقَ، فأدغمت التاء في الصاد، وحَسُنَ ذلك لأنهما في كلمة واحدة، ولتقاربهما[2].

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان عنده مالٌ تَجِبُ فيه الزكاةُ فَلَمْ يُزَكِّ، سَأَلَ اللهَ الرَّجْعةَ عند الموت»، فقالوا: يا ابن عباس: إنما كُنّا نَرَى هذا لِلْكافِرِ، فقال: أَقْرَأُ عليكم بِها قُرْآنًا إِلَى قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ أخْبَرَ اللهُ تعالى أنه لا

---

(١) البيت من البسيط، للأعشى يهجو يَزِيدَ بن مُسْهِرٍ الشيبانِيَّ، ورواية ديوانه:

قالُوا الرُّكُوبَ، فَقُلْنا تِلْكَ عادَتُنا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

التخريج: ديوانه ص ١١٣، الكتاب ٣/ ٥١، عيون الأخبار ١/ ١٧٩، المحتسب ١/ ١٩٥، الصاحبي ص ٤٧٠، أماليّ ابن الشجري ٢/ ٢١٩، البيان للأنباري ١/ ٣٧٠، التبيان للعكبري ص ٣٢٤، شرح الكافية للرضي ٤/ ٧٣، مغني اللبيب ص ٩٠٩، شرح شواهد المغني ص ٩٦٥، ٩٦٨، همع الهوامع ٢/ ٤٥٧، خزانة الأدب ٨/ ٣٩٤، ٥٥٢-٥٥٣.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٣٩.

(٣) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٩١ أبواب تفسير القرآن: سورة المنافقين، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١٢/ ٩٠، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٢٣، الدر المنثور ٦/ ٢٢٦.

يُؤَخِّرُ عن الموت مَن انقضت مُدَّتُهُ وحَضَرَ أَجَلُهُ، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿بِما يَعْمَلُونَ﴾ بالياء[1]، وقرأ الباقون بالتاء، والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

(١) وهي أيضًا قراءة السُّلَمِيِّ وحَمّادِ بن سَلَمَةَ، ينظر: السبعة ص ٦٣٧، تفسير القرطبي ١٨/ ١٣١، البحر المحيط ٨/ ٢٧١.

سورة التغابن

مدنية

وهي ألف وسبعون حرفًا، ومائتان وإحدى وأربعون كلمةً، وثماني عشرة آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ التَّغابُنِ دُفِعَ عنه مَوْتُ الفُجاءةِ»، ورُوِيَ: «أمِنَ مِنْ مَوْتِ الفَجْأةِ»[1]، ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ التَّغابُنِ أدْخَلَهُ اللهُ الجَنّةَ»[2].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلّا مَكْتُوبٌ في تَشْبِيكِ رَأْسِهِ خَمْسُ آياتٍ مِنْ سُورةِ التَّغابُنِ»[3].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يُخْبِرُ عِبادَهُ أنَّ كل

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٢٥، الوسيط ٤/ ٣٠٦، الكشاف ٤/ ١١٦، عين المعاني ورقة ١٣٤/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) رواه الطبرانيُّ في مسند الشاميين ١/ ٧٣، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٢٥، تاريخ دمشق ٦٣/ ١٥٠.

شيء يسبِّح لله، ويكون هذا تَمامَ الكلام، وقد يكون متَّصلًا، ويكون قوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ في موضع الحال، ومعناه: أنَّ سلطانه وأمره وقضاءه نافذٌ فيهما ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾؛ أي: ذُو قُدْرةٍ على ما يشاء، يخلق ما يشاء، ويحيي/ ويميت، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ؛ لأنه ذو القدرة التامة[1]. [٢٢٩/ ب]

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ يعني: من آدمَ وحَوّاءَ، وكان بَدْءُ خَلْقِهِما من تراب، ويجوز إدغام القاف في الكاف في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾[2]، ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ خبر «مِنْ»؛ أي: جاحِدٌ بأن الله خَلَقَهُ ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ خبر «مِنْ»؛ أي: مُصَدِّقٌ أَنَّهُ خالِقُهُ وإلَهُهُ، لا إلَهَ لَهُ غَيْرُهُ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾؛ أي: عالِمٌ بأعمالكم، لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ من أعمالكم، فلا تُخالِفُوا أَمْرَهُ ونَهْيَهُ، فَيَنْتَقِمَ منكم.

فصل

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كافِرًا، وخَلَقَ يَحْيَى بن زَكَرِيّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِنًا»[3].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني العذاب ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ﴾ يعني الأمم الخالية ﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾؛ أي: آدَمِيٌّ مِثْلُنا يَهْدُونَنا؟، ولَمْ يقل: يَهْدِينا؛ لأن البشر، وإن كان لفظه واحدًا، فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس، وواحده إنسان لا واحد له من لفظه، وقد أجاز النحويون: رَأَيْتُ

---

(١) من أول قوله: «ويكون هذا تمام الكلام»، قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٤١.

(٢) وذلك بالإدغام الكبير، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٤١، غيث النفع ص ٢٨٦.

(٣) رواه الطبرانيُّ في المعجم الكبير ١٠/ ٢٢٤، والنقاشُ في شفاء الصدور ورقة ١٣٣/ ب، والثعلبيُّ في الكشف والبيان ٩/ ٣٢٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٩٣ كتاب القَدَرِ: باب ما يُكْتَبُ على العبد في بطن أمه.

ثَلاثَـةَ نَفَرٍ وثَلاَثَةَ رَهْطٍ حملًا على المعنى، ولَمْ يجيـزوا: رَأيْتُ ثَلاثَةَ قَوْمٍ ولا ثَلاثَةَ بَشَـرٍ، والفَرْقُ بينهما أن نَفَرًا ورَهْطًا لِما دُونَ العَشَرةِ من العدد، فأُضيف ما دون العشـرة من العدد إليه، إذْ هو نظيره، و«قَوْمٌ» قد يقع لِما فَوْقَ العشـرة، فلم يَحْسُنْ إضافةُ ما دون العشرة إلى ما فوقها، فأما ﴿بَشَرٌ﴾ فيقع للواحد فلم يمكن إضافة عدد إلى واحد[1].

و﴿بَشَـرٌ﴾ رفع بالابتداء، و ﴿يَهْدُونَنَا﴾ خبـر، وقيل: بإضمار فعل؛ أي: أَيَهْدِينا بَشَـرٌ يَهْدُونَنا، ﴿فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ⁽٦⁾﴾ فِي أفعاله.

قولـه تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ﴾ يعني يوم القيامـة، يُجْمَعُ فيه أَهْلُ السـماوات وأَهْلُ الأرض، قرأه العامة بالياء، وقرأ رُوَيْسٌ وسلام ويعقوبُ في بعـض رواياته: ﴿نَجْمَعُكُـمْ﴾[2] بالنون، و﴿يَوۡمَ﴾ ظرف زمـان، والعامل فيه ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ﴾[3].

---

(١) مـن أول قوله: «وقد أجـاز النحويون: رأيت ثلاثة نفر» قاله مَكِّيٌّ بنصه في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٢.
وقد ذكر النحاس أن هذا قول المازني، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٤٣، وينظر أيضًا: الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) وهـي أيضًا قراءة زيد بن عَلِيٍّ والشَّـعْبِيِّ ونصر بن عاصم وابن أَبِي إسـحاق والجَحْدَرِيِّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٨، تفسير القرطبي ١٨/ ١٣٦، البحر المحيط ٨/ ٢٧٤.

(٣) التغابـن ٧، وهذا قول الزجـاج والنحاس، ينظر: معانِي القـرآن وإعرابه ٥/ ١٨٠، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٤٤. وقد أجازه الزمخشـري مع وجهين آخرين، فقال: «أو بـ«خَبِيرٌ»؛ لِما فيه من معنى الوعيد، كأنه قيل: واللهُ مُعاقِبُكُمْ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ، أو بإضمار اذْكُرْ». الكشاف ٤/ ١١٥، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١٢٢٦، الفريد للمنتجب الهمدانِي ٤/ ٤٧٨، البحر المحيط ٨/ ٢٧٤.

[٢٣٠/ أ] وقولـه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ⁽٩⁾﴾ مبتـدأ / وخبر، ويجـوز في غير القرآن نصب ﴿يَوْمُ﴾ على الظرف[١].

والتَّغابُنُ: التفاعل من الغَبْنِ، وهو اسم للقيامة، سميت بذلك لأنه غَبَنَ فيه أَهْلُ الحَقِّ أَهْلَ الباطل، وأَهْلُ الإيمان أَهْلَ الكُفْرِ، وأَهْلُ الجَنَّةِ أَهْلَ النار، وأصل الغَبْنِ النَّقْصُ في المعاملة والمُبايَعةِ والمُقاسَمةِ[٢]، قال الشاعر:

٣٦٣ـ لَعَمْرُكَ ما شَـيْءٌ يَفُوتُكَ نَيْلُهُ بِغَبْنٍ، وَلَكِنْ فِـي العُقُولِ التَّغابُنُ[٣]

وقيل: يَغْبِنُ فيه المَظْلُومُ الظّالِمَ، وقيل[٤]: لأنه يخفى عن الخلق، والغَبْنُ: الاخْتِفاءُ، ومنه: مَغابِنُ الجَسَـدِ[٥]، وغَبْنُ البَيْعِ لاستخفائه، وفي الحديث: «ما مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَدْخُلُ الجَنّةَ إلا أُرِيَ مَكانَهُ في النارِ لو أسـاءَ لِيَزْدادَ شُـكْرًا، وما مِنْ عَبْدٍ كافرٍ يَدْخُلُ النارَ إلّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ في الجنة لو أحْسَنَ لِيَزْدادَ حَسْرةً»[٦]، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ.

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٤٤.

(٢) ذكر العلماء أن الغَبْنَ بالتسكين يكون في البيع، وأن الغَبَنَ بالتحريك يكون في الرَّأْيِ، قال ابن السـكيت: «والغَبْنُ في الشراء والبيع، يقال: غَبَنَهُ يَغْبُنُهُ غَبْنًا، والغَبَنُ: ضَعْفُ الرَّأْيِ، يقال: في رَأْيِهِ غَبَنٌ، وقد غَبِنَ رَأْيُهُ». إصلاح المنطق ص ٥٤، ٩٧، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٨/ ١٤٨، الصحاح ٦/ ٢١٧٢، ٢١٧٣، تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى: «لَعَمْرِيَ».

التخريج: أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي ص ١٦، المناقب والمثالب للخوارزمي ص ٢٨، عين المعاني للسجاوندي ورقة ١٣٤/ ب.

(٤) هذا القول والذي قبله حكاهما السجاوندي بغير عزو في عين المعاني ورقة ١٣٤/ ب.

(٥) مَغابِنُ الجَسَـدِ: جمع مَغْبِنٍ وهي الإِبِطُ والرُّفْغُ، وقيل: كل ما ثنيت عليه فخذك فهو مغبن، ينظر: تهذيب اللغة ٨/ ١٤٨، اللسان: غبن.

(٦) رواه الإمام أحمد في المسـند ٢/ ٥٤١، والبخاريُّ فـي صحيحه ٧/ ٢٠٤ كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار، والطبرانِيُّ في مسند الشاميين ٤/ ٢٨٥.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ يعني: ما أطَقْتُمْ، وهذه الآية ناسخةٌ لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[1]، ومحل ﴿مَا﴾ نصب في موضع ظرف تقديره: ما دُمْتُمْ مُسْتَطِيعِينَ؛ أي: وَقْتَ استطاعتكم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ فيما دعاكم إليه ﴿وَأَطِيعُوا﴾؛ أي: أَطِيعُوهُ فيما أمَرَكُمْ به ﴿وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ في الوجوه التي أمَرَكُمْ بالنفقة فيها.

وانتصب ﴿خَيْرًا﴾ عند سيبويه على إضمار فعل دَلَّ عليه الكلامُ[2]؛ لأنه لَمّا قال: ﴿وَأَنفِقُوا﴾ دَلَّ على أنه أمرهم أن يأتوا فِعْلَ خَيْرٍ، فكأنه قال: وَأْتُوا خَيْرًا، وقال الفراء[3] والكسائي[4]: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: وأنفقوا

---

(١) آل عمران ١٠٢، وينظر: نواسخ القرآن ص ١٠٧، ١٠٨، الناسخ والمنسوخ ص ٣١، ٦١، وقال النحاس: «وقولُ قتادة: إن هذه الآية ناسخة لقوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، قَوْلٌ لا يَصِحُّ، ولا يَقَعُ الناسخُ والمنسوخ إلّا بالتوقيف أو إقامة الحجة القاطعة، والآيتان متفقتان؛ لأن الله، عز وجل، لا يُكَلِّفُ ما لا يُسْتَطاعُ، فمعنى قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هو: فيما استطعتم». إعراب القرآن ٤/ ٤٤٦، وينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٧٠، ٢٨٤، الناسخ والمنسوخ لقتادة ص ٣٨.

(٢) قال سيبويه: «ومما ينتصب في هذا الباب على إضمار الفعل المتروكِ إظهارُهُ: «انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ»، وَوَراءَكَ أَوْسَعَ لَكَ، وحَسْبُكَ خَيْرًا لَكَ، إذا كُنْتَ تَأْمُرُ...، وإنما نَصَبْتَ خَيْرًا لك وأوْسَعَ لك؛ لأنك حين قلتَ: انْتَهِ فأنت تُرِيُد أن تُخْرِجَهُ من أمْرٍ وتُدْخِلَهُ في آخَرَ... وحذفوا الفعلَ لكثرة استعمالهم إيّاهُ في الكلام، ولِعِلْمِ المُخاطَبِ أنه محمول على أمْرٍ حين قال له: انْتَهِ، فصار بدلا من قوله: ائْتِ خَيْرًا لَكَ». الكتاب ١/ ٢٨٢: ٢٨٤.

(٣) معاني القرآن ١/ ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٣.

(٤) ينظر قول الكسائي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٣، تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٦. وقال الزجاج: «قال الكسائي: انْتَصَبَ لِخروجه من الكلام». معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٣٤.
والنصب على الخروج من الجملة مصطلح كوفِيٌّ معناه: أنه مصدر مؤكد للجملة قبله، ينظر: مصطلحات النحو الكوفي ص ١٥٨.

إنْفاقًا خَيْرًا لكم، وقد تقدم نظيرها في آخر سورة النساء[١].

قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ يعني بُخْلَها ومَنْعَها عن الحق، ويجعل النفقة في طاعة الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ عند الله، وقد مضى تفسير هذه الآية وإعرابُها في سورة الحشر[٢]، فأغنى عن الإعادة هاهنا؛ إذ المعنى واحد، وما بعدها إلى آخر السورة ظاهر التفسير.

فصل

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قيل له: يا رسول الله: ما يُدْخِلُ العَبْدَ النّارَ من الأعمال؟ فقال: «شُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعْجابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ»[٣]، والله أعلم.

* * *

(١) وهو قوله تعالى: «انْتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ». النساء الآية ١٧١، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٢) الآية ٩، وراجع ١/ ٢٢٩.

(٣) رواه ابن أبي شيبة برواية: «إنَّ أَخْوَفَ ما أَتَخَوَّفُ عليكم شُحٌّ مُطاعٌ وهَوًى مُتَّبَعٌ وإعْجابُ المَرْءِ بِرَأْيِهِ، وهي أَشَدُّهُنَّ». المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ٦٦٦.

سورة الطلاق

مدنية

وهي ألف وستون حرفًا، ومائتان وتسع وأربعون كلمةً، واثنتا عشرة آيةً.

باب/ ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ مات فِي سُنّةِ رسول الله ﷺ»(١).

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الطلاق حُجِزَتْ عنه الضَّلاَلَةُ والرَّدَى، ووُفِّقَ لِلصَّلاحِ والهُدَى»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ نادَى النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ خاطَبَ أُمَّتَهُ؛ لأنه السَّيِّدُ المُقَدَّمُ، فإذا نُودِيَ وخُوطِبَ خِطابَ الجَمْعِ كانت أُمَّتُهُ داخلةً

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٣١، الوسيط ٤/ ٣١٠، الكشاف ٤/ ١٢٤، مجمع البيان ١٠/ ٣٦، عين المعانِي ورقة ١٣٥/ أ.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

في ذلك الخطاب كدخول الرعايا في خطاب الرئيس، وهذه السورة تسمى سورة النساء القُصْرَى، ومعنى الآية: إذا أَرَدْتُمْ تَطْلِيقَهُنَّ، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[(١)]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ۝١﴾؛ أي: في عِدَّتِهِنَّ، اللام هاهنا في موضع «في»، وتُسَمَّى لامَ التوقيت[(٣)]، والمعنى: فَطَلِّقُوهُنَّ في حالِ وَقْتِ العِدّةِ، وهو زمان الطهر، وتقول: آتِيكَ لِشَهْرِ رَمَضانَ أي: في شهر رمضان أَوَّلَهُ أو أَوْسَطَهُ أو آخِرَهُ، وإذا لَمْ يكن الوقت فَسِيحًا كان اللام بمعنى «عِنْدَ» نحو: آتِيكَ لِغُرُوبِ الشمس[(٤)].

نزلت هذه الآية في عبد الله بن عُمَرَ[(٥)] لَمّا طَلَّقَ امرأته حائِضًا، فَأَمَرَ اللهُ تعالى الزَّوْجَ أن يطلق امرأَتَهُ ـ إذا شاءَ الطلاقَ ـ في طُهْرِها، وهو قوله: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: لِزَمانِ عِدَّتِهِنَّ، وهو أن يطلقها طاهرا من غير جماع.

---

(١) المائدة ٦.

(٢) النحل ٩٨، وهذا قول الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٨٣.

(٣) قاله الجرجانِي كما ذكر القرطبي في تفسيره ١٨/ ١٥٢، وهذه هي اللام المسماة باللام الظرفية، وينظر: الفريد ٤/ ٤٨٢، الجنى الدانِي ص ٩٩، مغني اللبيب ص ١٤١، ٢٨٠، ٢٨١، ٣٤٢.

(٤) يرى ابن جني أن اللام هنا بمعنى «عِنْدَ»، فقد قال: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: عند عِدَّتِهِنَّ، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾. المحتسب ٢/ ٣٢٣، وبه قال العكبريُّ في التبيان ص ١٢٢٧، وينظر: الفريد للمنتجب الهمدانِي ٤/ ٤٨١، ٤٨٢، البحر المحيط ٨/ ٢٧٧.

(٥) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٣٣، أسباب النزول ص ٢٨٩، الوسيط ٤/ ٣١٠، لباب النقول ص ١٩٨.

فصل

عن عبد الله بن عمر قال: طَلَّقْتُ امرأتِي على عهد رسول الله ﷺ، وهي حائضٌ، فذَكَرَ ذلك عُمَرُ لرسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مُرْهُ فَلْيُراجِعْها، ثُمْ يُمْسِكْها حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ عنده حَيْضةً أُخْرَى، ثُمَّ يُمْهِلَها حَتَّى تَطْهُرَ مِنْ حَيْضَتِها، فإذا طَهُرَتْ فَلْيُطَلِّقْها - إن شاء - قبل أن يُجامِعَها أو يُمْسِكْها، فتلك العِدَّةُ التِي أمَرَ اللهُ أن تُطَلَّقَ لَها النساءُ»[1]، رواه البخاري ومسلم/ عن قتيبة عن الليث.

وهذا هو طلاق السُّنّةِ، وأما طلاق البِدْعةِ فهو أن يقع في حال الحيض أو في طُهْرٍ جامَعَها فيه، فهو واقعٌ، وصاحِبُهُ آثِمٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ يَكْفِيهِ هَمَّ الدنيا وغَمَّها وكَرْبَ الموت وأهوالَ يوم القيامة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾؛ أي: من حيث لا يأمل ولا يرجو ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يَثِقُ بالله فيما أخْبَرَهُ به، ويَكِلُ أمْرَهُ إلَى الله فيما أمره به، وفيما نَهاهُ عنه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ أي: كافِيهِ، يقال: أحْسَبَنِي الشَّيْءُ أي: كَفانِي، وهو شرط وجزاء، وبه تَمامُ الكلام، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ يعني: القضاءُ جارٍ على مَنْ يَتَوَكَّلُ وعلى مَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ.

قرأه العامة: ﴿بالِغٌ﴾ بالتنوين ﴿أمْرَهُ﴾ بالنصب؛ أي: مُنْفِذٌ أمْرَهُ، مُمْضٍ في خَلْقِهِ قَضاءَهُ، ونصب «أمْرَهُ» بـ«بالِغٌ»؛ لأنه بمعنى الاستقبال؛ أي: سَيَبْلُغُ أمْرَهُ

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٦٧ كتاب تفسير القرآن: سورة الطلاق، ٦/ ١٨٤ كتاب الطلاق: باب العدة، ٨/ ١٠٩ كتاب الأحكام: باب «هل يَقْضِي الحاكمُ وهو غضبان»، وصحيح مسلم ٤/ ١٧٩-١٨١ كتاب الطلاق: باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها.

فيما يريد منكم، وقرأ طلحة بن مُصَرِّفٍ: ﴿بَالِغُ أَمْرِهِۦ﴾ على الإضافة وحَذْفِ التنوين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾[1]، و﴿هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[2]، ومِثْلَهُ رَوَى حَفْصٌ والمُفَضَّلُ عن عاصم، وقرأ داودُ بنُ أبي هند[3]: ﴿بالِغٌ أمْرُهُ﴾[4] بالتنوين ورفع الأمر، قال الفراء[5]: أي: أمْرُهُ بالِغٌ، فرفعه على الابتداء، و﴿بالِغٌ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾.

فصل

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اتَّخِذُوا تَقْوَى الله عزّ وجلّ تِجارةً، يَأْتِكُم الرزقُ بلا بضاعة»، ثم قرأ ـ عليه السلام ـ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»[6].

---

(١) القمر ٢٧.

(٢) المائدة ٩٥.

(٣) هو داود بن دينار بن عُذافِرَ، أبو محمد أو أبو بكر الخُراسانِيُّ البصريُّ، من موالِي بني قُشَيْرٍ، ثقة حافظ صالح، حَدَّثَ عن ابن المُسَيَّبِ والشَّعْبِيِّ وابن سِيرِينَ، ورَأى أَنَسَ بن مالك، حَدَّثَ عنه سفيانُ وشُعْبةُ وحَمّادُ بن سلمة، توفِّي سنة (١٣٩هـ). [تهذيب الكمال ٨/ ٤٦١-٤٦٦، حلية الأولياء ٣/ ٩٢-٩٧].

(٤) قرأ بالإضافة أيضًا: أبو عمرو في روايةٍ عنه، ويعقوبُ وطلحة وزيد بن عَلِيٍّ، وقرأ داود بن أبِي هند وابن أبِي عبلة، وعُصْمةُ عن أبِي عمرو: ﴿بالِغٌ﴾ بالتنوين ﴿أمْرُهُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالتنوين ونصب الأمر، ينظر: السبعة ص ٦٣٩، الحجة للفارسي ٤/ ٤٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٤، تفسير القرطبي ١٨/ ١٦١، البحر المحيط ٨/ ٢٧٩، النشر ٢/ ٣٨٨.

(٥) قال الفراء: «ولو قُرِئَ: ﴿بالِغٌ أمْرُهُ﴾ بالرفع لجاز». معانِي القرآن ٣/ ١٦٣، أما النص الذي جاء به المؤلف هنا فقد نقله من مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٤.

(٦) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢٠/ ٩٧، ومسند الشاميين ١/ ٢٣٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢٥ كتاب التفسير: سورة الطلاق.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ﷺ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» قال: «مِنْ شُبُهاتِ الدنيا، ومن غَمَراتِ الموت، ومن شدائد يوم القيامة»(١).

وعن ابن عباس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكْثَرَ الاستغفارَ جَعَلَ اللهُ له من كل هَمٍّ فَرَجًا، ومِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا»(٢).

قال أكثر المفسرين: «نزلت هذه الآية في عَوْفِ بن مالك الأشْجَعِيِّ(٣)، أَسَرَ العَدُوُّ ابنًا له،/ فأتى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلك له، وَشَكا إليه الفاقةَ أيضًا، فقال له: «اتَّقِ اللهَ واصْبِرْ، وأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لا حَوْلَ وَلاَ قُوّةَ إلّا باللهِ»، فَفَعَلَ ذلك، فَبَيْنَما هو فِي بَيْتِهِ إِذْ أتاهُ ابْنُهُ، وَقَدْ غَفَلَ عَنْهُ العَدُوُّ، فَأصابَ إبِلًا، وَجاءَ بِها إلى أبيهِ، فَنَزَلَ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٤).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٣٦، الوسيط ٤/ ٣١٣، تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٠، الدر المنثور ٦/ ٢٣٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٤٨، وأبو داود في سننه ١/ ٣٣٩ كتاب الصلاة: باب في الاستغفار، وابن ماجَهْ في سننه ٢/ ١٢٥٤ كتاب الأدب: باب الاستغفار، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١/ ٢٨٢.

(٣) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، أبو عبد الرحمن أو أبو محمد الغطفانِيُّ، صحابِيٌّ من الشجعان الرؤساء، أَوَّلُ مَشاهِدِهِ خَيْبَرُ، وكانت معه رايةُ أَشْجَعَ يوم الفتح، نزل حِمْصَ وسَكَنَ دمشق، وتوفِّي سنة (٧٣هـ). [أسد الغابة ٤/ ١٥٦، الإصابة ٤/ ٦١٧، الأعلام ٥/ ٩٦].

(٤) ينظر في سبب نزولها: المستدرك ٢/ ٤٩٢ كتاب التفسير: سورة الطلاق، الكشف والبيان ٩/ ٣٣٦، أسباب النزول ص ٢٨٩، الوسيط ٤/ ٣١٣، تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٠، لباب النقول ص ١٩٨، الدر المنثور ٦/ ٢٣٣.

وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ يعني حَدًّا وَوَقْتًا وأجَلًا يَنْتَهِي إليه، قال الحسن: خَلَقَ اللهُ السماء بِقَدْرٍ، وخَلَقَ الأرضَ بِقَدْرٍ، وَخَلَقَ الأشياء كُلَّها بِقَدْرٍ، وقرأ بعضُ القُرّاءِ: «قَدَرًا»[1] بفتح الدال على معنى القضاء.

قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ ﴿اللَّائِي﴾ ابتداء، و﴿يَئِسْنَ﴾ وما بعده صلته إلى ﴿نِّسَآئِكُمْ﴾، والشرط وجوابه وما تعلق به خَبَرٌ عن ﴿اللَّائِي﴾[2]، وواحد «اللَّائِي»: «الَّتِي» و«الذي» جميعًا، و«اللَّاتِي» جمع «الَّتِي»[3].

وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: شَكَكْتُم، فَلَمْ تَدْرُوا ما عِدَّتُهُنَّ؟ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني الصِّغارَ؛ أي: هُنَّ بِمَنْزِلةِ الكبيرة التي قد يَئِسَتْ، عِدَّتُها ثلاثةُ أشْهُرٍ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾؛ أي: عِدَّتُهُنَّ ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وأجَلُ كُلِّ حامِلٍ أن تَضَعَ ما فِي بطنها، مطلقةً كانت أو مُتَوَفًّى عنها زَوْجُها.

---

(١) هذه قراءة جَناحِ بن حُبَيْشٍ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٩، البحر المحيط ٨/ ٢٧٩.

(٢) قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٥، ٣٨٦، وأجاز النحاس فيه وجها آخر، فقال: «اللَّائِي: في موضع رفع بالابتداء، فمن جعل «إِنِ ارْتَبْتُمْ» متعلقًا بقوله: «لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ»، فخبر الابتداء عنده «فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ». إعراب القرآن ٤/ ٤٥٢، وعلى هذا فالشرط معترض بين المبتدأ والخبر، وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٤٨٣، الدر المصون ٦/ ٣٣٠.

(٣) قال الرضي: «وجمع «التي»: اللاتي على وزن فاعِلٍ من «التي»، وهو اسم جَمْعٍ كالجامل والباقر، و«اللَّائِي» بالهمزة مكان التاء، وهو كثير في جمع «التي» دون جمع «الذي». شرح الكافية للرضي ٣/ ١٠٥، وقال أيضًا: «فـ«الذي» و«التي» يشتركان في «الأُلَى» و«اللَّائِي»، إلّا أن «الأُلَى» في جمع المذكر أكثر، و«اللائي «بالعكس». شرح الكافية ٣/ ١٠٥، وينظر أيضًا: شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٩٣-١٩٤.

و ﴿أُوْلَاتُ الأَحْمالِ﴾ رفع بالابتداء، و ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ مبتدأ ثانٍ، ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خبَر الثاني، والجملة خبر الأول، ويجوز أن يكون ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ بدلًا من ﴿أُوْلَاتُ﴾، والخبر ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[(١)]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في جميع ما أمَرَهُ بِطاعَتِهِ فيه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ يُسَهِّلْ عليه أمْرَ الدنيا والآخرةِ.

وقولُه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني ما ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعته، شَرْطٌ ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ جواب الشرط، وأراد بالتكفير عنه: من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلَى الجمعة ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ﴾ فِي الآخرة ﴿أَجْرًا ﴿٥﴾﴾.

وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ يعني: على قَدْرِ مَيْسَرَتِهِ / ، وجاءت لام الأمر مكسورةً على بابها، وسكنت في قوله [٢٣٢/ أ] تعالى: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ لاتصالها بالفاء، ويجوز كَسْرُها[(٢)]؛ لأن أصل لام الأمر الكَسْرُ، وإنما تُسَكَّنُ تخفيفًا إذا تقدمها حرفُ عطفٍ، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ ... وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾[(٣)]، تُقْرأُ بكسر اللام وبالإسكان لَمّا تَقَدَّمَ حرفُ عطفٍ، بخلاف قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ﴾، فإنه بِكَسْرِ لامِهِ لا غَيْرُ؛ لأنه لَمْ يَتَقَدَّمْهُ حرف[(٤)] عطف.

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٥٣، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٥.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٥٤.

(٣) الحج ٢٩، وينظر ما سبق في قراءة هذين اللفظين ١/ ٢٤٥.

(٤) في الأصل: «لام عطف»، وهو سهو، وينظر في إسكان هذه اللام وكسرها: الكتاب ٤/ ١٥١، ١٥٢، معانِي القرآن للفراء ١/ ٢٨٥، اللامات للزجاجي ص ٨٨، معانِي الحروف للرمانِي ص ٥٧، ٥٨، شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ٥٨-٥٩، ارتشاف الضرب ص ١٨٥٥، الجنى الدانِي ص ١١١-١١٢، مغني اللبيب ص ٢٩٤-٢٩٥ وغيرها.

وقولـه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أي: أعطاها من الرزق ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ يريد: بعد ضِيقٍ وشِدّةٍ غِنًى وسَعةً.

قولـه تعالـى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ۝٨﴾... «أيٍّ» مخفوض بالكاف، وصارت ﴿كَأَيِّنْ﴾ بمعنى «كَمْ» للتكثير، والمعنى: وكم من أهل قرية عَتَـوْا عن أمر ربهم، ثم أُقِيـمَ المضاف إليه مُقامَ المضـاف[1]، ومعنى «عَتَوْا» هاهنا: عَصَوْا وكفروا، والعُتُوُّ في اللغة: التجاوز في المخالفة والعصيان.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ يعني العقول والبصائر، وهو نداء مضـاف، ثم وَصَفَهُمْ فقـال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هو في موضـع نصب على النعت لـ﴿أُولِي الألْبابِ﴾، وقوله: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾ يعني القرآن ﴿رَّسُولًا﴾ يعني النبي ﷺ.

وانتصب ﴿ذِكْرًا﴾ بـ﴿أَنزَلَ﴾، وفي انتصاب الرسول وُجُوهٌ، أحدها: على النعـت لذِكْر، تقديره: ذِكْرًا ذا رَسُـولٍ، ثم حذف المضـاف[2]، وقيل[3]: على البدل من ذِكْر، ورَسُول بمعنى رسالة، وقيل[4]: / معناه: وأرْسَلَ رَسُولاً، وقيل: [٢٣٢/ ب]

(١) قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٤/ ٤٥٤-٤٥٥.

(٢) قاله مكي في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٥، وينظر: تفسـير القرطبي ١٨/ ١٧٣، البحر المحيط ٨/ ٢٨٢.

(٣) قالـه الزجاج والنحـاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابـه ٥/ ١٨٨، إعراب القرآن ٤/ ٤٥٥، ٤٥٦، وينظـر أيضًا: مشـكل إعراب القـرآن ٢/ ٣٨٥، البيان للأنباري ٢/ ٤٤٥، تفسـير القرطبي ١٨/ ١٧٣.

(٤) قالـه الزجـاج والنحـاس أيضًا، ينظـر: معانِي القـرآن وإعرابـه ٥/ ١٨٨، إعـراب القرآن ٤/ ٤٥٦، وحكاه السجاوندي عن الكسائي في عين الـمعاني ورقة ١٣٥/ أ.

مع الرسـول، وقيل[١]: انتصب على إضمار أعْنِي، وقيـل[٢]: هو نصب على الإغراء؛ أي: اتَّبِعُوا رسـولًا، وقال ابن الأنبـاري[٣]: هو منصوب على الإتْباعِ لِلذِّكْرِ، ولا يحسن الوقف على متبوع دون تابع، ولو رَفَعَ رافِعٌ الرسول[٤] على معنى: هو رَسُولٌ، لَحَسُنَ الوقفُ على الذِّكْرِ.

فإن قال قائل: كيف يكون الرسـول تابعًا للذِّكر والرسول لا يُنْزَلُ وإنما يُنْـزَلُ القرآنُ؟ قيل له: ﴿أَنزَلَ﴾ محمول على معنى «أَظْهَرَ» ومعنى «بَيَّنَ»، كما قال الشاعر:

٣٦٤ـ إذا تَغَنَّى الحَمامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي ـ وَلَـوْ تَعَزَّيْـتُ عَنْهـا ـ أُمَّ عَمّـارِ[٥]

فنصب «أُمَّ عَمّـارٍ» بـ«هَيَّجَنِي» من أجل أنه بمعنى: ذَكَّرَنِي، وقيل[٦]: هو

(١) ذكره مكي بغير عزو في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٦، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٤٥.

(٢) ذكره ابن الأنباري ومكيٌّ بغير عزو، ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٤٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٦، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٤٥، تفسير القرطبي ١٨/ ١٧٣.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٣٩.

(٤) وقد قرأ ابن أَبِي عبلة: ﴿رَسُـولٌ﴾ بالرفع، ينظر: شـواذ القراءة للكرمانِي ورقة ٢٤٥، البحر المحيـط ٨/ ٢٨٣.

(٥) البيت من البسيط، للنابغة الذبيانِي، ورواية ديوانه: «**الحَمامُ الوُرْقُ ذَكَّرَنِي**».

اللغـة: الوُرْقُ: جمع وَرْقاءَ وهي الحمامة التي لونها بين السَّـوادِ والغَبَرةِ، هَيَّجَنِي: ذَكَّرَنِي، تَعَزَّيْتُ: تَصَبَّرْتُ.

التخريـج: ديوانـه ص ٢٠٣، الكتاب ١/ ٢٨٦، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٤١، شـرح كتاب سيبويه للسيرافِيِّ ٢/ ١٤٠، الخصائص ٢/ ٤٢٥-٤٢٨، شرح الحماسة للمرزوقي ص ٣١٥، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٥٦، اللسان: هيج، ارتشاف الضرب ص ١٤٧٣.

(٦) قالـه الزجاج والفارسـي، ينظر: معانِي القـرآن وإعرابـه ٥/ ١٨٨، الإيضاح العضدي ص ١٨٢، وينظـر أيضًا: مشـكل إعراب القـرآن ٢/ ٣٨٦، البيان للأنباري ٢/ ٤٤٤، تفسـير القرطبي ١٨/ ١٧٣، البحر المحيط ٨/ ٢٨٢.

نصب بِذِكْر؛ لأنه مصدر يعمل عمل الفعل تقديره: قد أَنْزَلَ اللهُ إليكم أَنْ تَذْكُرُوا رَسُولًا.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: واضحات، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر: ﴿مُبَيَّناتٍ﴾[1] بفتح الياء، وقرأ الباقون بالكسر، وهي في موضع نصب على الحال.

وقوله: ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني: من ظلمات الكفر إلَى نور الهدى ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ شرط وجزاء ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ جواب الشرط، قرأ نافع وابن عامر: ﴿نُدْخِلْهُ﴾[2] بالنون، وقرأ الباقون بالياء ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ أي: مُقِيمًا في الجنات، نصب على الحال ﴿أَبَدًا﴾ نصب على الظرف ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها في الآخرة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يريد: في العَدَدِ، و ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ نصب بالعطف على ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، تقديره: وَخَلَقَ مِثْلَهُنَّ من الأرض ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السابعة السفلى، قال قتادة[3]: في كل أرضٍ من أرضه، وسماءٍ من سمائه خَلْقٌ من خَلْقِهِ، وأَمْرٌ من أَمْرِهِ، وقَضاءٌ من قَضائِهِ.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر ويعقوب أيضًا، ينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ١٧٤، النشر ٢/ ٢٤٨، الإتحاف ٢/ ٥٤٦.

(٢) وبها قرأ أيضًا: أبو جعفر، وعاصمٌ في رواية المفضل عنه، ينظر: السبعة ص ٦٣٩، حجة القراءات ص ٧١٢، النشر ٢/ ٢٤٨.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢٨/ ١٩٦، الكشف والبيان ٩/ ٣٤٢، الوسيط ٤/ ٣١٦، زاد المسير ٨/ ٣٠١، عين المعاني ورقة ١٣٥/ أ.

وليس في القرآن آيةٌ تَدُلُّ على أن الأرض هي سَبْعٌ إلا هذه الآيةُ وَحْدَها، ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ طَلَبَهُ، ولا يَمْتَنِعُ منه/ شيءٌ [٢٣٣/ أ] أراده ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ فلا يخفى عليه شيء، ولا يَخْرُجُ شيءٌ من علمه، وهو منصوب على التفسير[1]، وقيل[2]: على المصدر؛ أي: عَلِمَهُ عِلْمًا، والله أعلم.

* * *

(١) ذكره المنتجب الهمدانِيُّ في الفريد ٤/ ٤٨٦.

(٢) هذا قول الزجاج، فقد قال: «عِلْمًا: منصوب على المصدر المُؤَكِّدِ؛ لأن معنى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ أي: قد عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٨٩، وينظر: الفريد ٤/ ٤٨٦، تفسير القرطبي ١٨/ ١٧٦.

سورة التحريم

مدنية

نزلت في مارِيةَ القِبْطِيّةِ[١]، وهي ألف ومائة وستون حرفًا، ومائتان وسبع وأربعون كلمةً، واثنتا عشرة آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ التَّحْرِيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾، أعْطاهُ اللهُ تَوْبةً نَصُوحًا»[٢].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ التَّحْرِيمِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النّارَ، وَجَعَلَ مَأْواهُ الجَنّةَ، واللهُ وَلِيُّهُ وَحافِظُهُ»[٣].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ يعني: لِمَ تُحَرِّمُ على

---

(١) ينظر: أسباب النزول ص ٢٩١، لباب النقول ص ١٩٩.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٤٣، الوسيط ٤/ ٣١٧، الكشاف ٤/ ١٣٣، مجمع البيان ١٠/ ٥٢، عين المعانِي ورقة ١٣٥/ أ.

(٣) لَمْ أعثر له على تخريج.

نفسك ما أحَلَّ اللهُ مِنْ مِلْكِ اليَمِينِ؟، وقوله: ﴿يا﴾ نداء، «أيُّ» إشارة[١]، والهاء تنبيه، و﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ نعت لـ«أيّ»؛ لأن المبهمات تُنْعَتُ بالمعارف التي هي الأجناس بالألف واللام[٢]، وضَمَمْتَ أيًّا لأنه نداء مفرد، وقوله: ﴿لِمَ﴾ هي «ما» دخلت عليها اللام، فحذفت الألِفُ فَرْقًا بين الاستفهام والخبر، وأنها قد اتصلت باللام، والوقوف عليها في غير القرآن: لِمَهْ، ويؤتى بالهاء لبيان الحركة، وفي القرآن لا يُوقَفُ عليها[٣].

وقوله: ﴿تَبْتَغِي﴾ في موضع نصب على الحال ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ هذه هاء التأنيث، ولو كانت هاءَ الجَمْعِ لَكُسِرَتْ، ومعنى قوله: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾؛

---

(١) ربما يعني المؤلف بالإشارة هنا الإشارةَ بمعناها اللغوي، لا بمعناها الاصطلاحي، فقد قال سيبويه: «وزعم الخليل، رحمه الله، أن الألف واللام إنما مَنَعَهُما أن يدخلا في النداء مِنْ قِبَلِ أن كل اسم في النداء مرفوعٌ معرفةٌ، وذلك أنه إذا قال: يا رَجُلُ ويا فاسِقُ، فمعناه كمعنى: يا أيُّها الفاسقُ ويا أيُّها الرَّجُلُ، وصار معرفةً لأنك أشَرْتَ إليه، وقَصَدْتَ قَصْدَهُ، واكتفيتَ بهذا عن الألف واللام، وصار كالأسماء التي هي للإشارة نحو هذا وما أشبه ذلك». الكتاب ٢/ ١٩٧.

وقال المبرد: «ألا ترى أنك تقول، إذا أردتَ المعرفةَ، يا رَجُلُ أقْبِلْ، فإنما تقديره: يا أيُّها الرَّجُلُ أقْبِلْ، وليس على معنى معهود، ولكن حدثت فيه إشارةُ النداء، فلذلك لَمْ تدخل فيه الألف واللام، وصار معرفةً بما صارت به المبهمةُ معارفَ». المقتضب ٤/ ٢٠٥.

(٢) يعني المؤلف أن أيًّا تُنْعَتُ بما فيه الألف واللام، ولَمْ يذكر أنها تنعت بمضاف إلى ما فيه الألف واللام، أو باسم موصول، أو باسم إشارة، ينظر في نعت «أيٍّ» في النداء: الكتاب ٢/ ١٠٦، ١٨٨-١٨٩، المقتضب ٤/ ٢١٦، مجالس ثعلب ص ٤٢، ٥٨٦، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٩٩، إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٩٧، النكت للأعلم ص ٥٤٢، أسرار العربية ص ١٩٧، ارتشاف الضرب ص ٢١٩٣-٢١٩٥ وغيرها.

(٣) من أول قوله: «هي ما دخلت عليها اللام» قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٥٩. وقد وقف عليها البَزِّيُّ بالهاء، ينظر: الإتحاف ٢/ ٥٤٧.

أي: تَطْلُبُ رِضا عائشة وحفصة بتحريم ماريةَ على نفسك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِهَذِهِ اليمينِ التي حَلَفْتَ عليها ﴿رَّحِيمٌ ①﴾ بِكُمْ لا يُعَذِّبُ مَنْ تاب إليه.

قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: بَيَّنَ وأَوْجَبَ لكم ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ يعني تَحْلِيلَها بالكَفّارةِ. وأصل تَحِلَّةٍ / : تَحْلِلةٌ على وزن «تَفْعِلة»، ثم ألقيت حركة اللام الأولَى على الحاء، وأدغمت في الثانية[1]، وتَفْعِلةٌ من مصادر التَّفْعِيل كالتوصية والتسمية، والتَّحِلّةُ مصدر حَلَّلْتُ ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ وَلِيُّكُمْ وَناصِرُكُمْ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿ٱلْحَكِيمُ ②﴾ فيما فَرَضَ من حُكْمِهِ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني عائشة وحفصة، يريد: مِنْ أذَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؛ أي: عَدَلَتْ ومالَتْ إلى الحق، قال الشاعر:

٣٦٥ـ تُصْغِي القُلُوبُ إلى أعَزِّ مَنازِلٍ ... مِنْ آلِ عَبّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبْ[2]

أي: إلَى الحق، وإنما جمع القَلْبَ ـ وهما اثنان ـ لأن كل شيء ليس في الإنسان منه غَيْرُ واحدٍ إذا قُرِنَ به مِثْلُهُ فهو جَمْعٌ[3]، وقيل[4]: لأن معنى الجمع

(١) قاله مَكِّيٌّ بنصه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٧.

(٢) البيت من الكامل، لم أقف على قائله.
التخريج: عين المعانِي ورقة ١٣٥/ أ.

(٣) قاله الخليل وسيبويه والفراء والأخفش، ينظر: الكتاب ٣/ ٦٢١-٦٢٢، معانِي القرآن للفراء ١/ ٣٠٦: ٣٠٨، معانِي القرآن للأخفش ص ٢٢٩، ٥٠٣، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩، الإغفال ١/ ٢٦٨، المسائل الشيرازيات ص ٤٦٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٧.

(٤) قاله الزَّجّاجُ والزَّجّاجِيُّ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٧٣، الجمل للزجاجي ص ٣١٢، وحكاه النحاس عن بعضهم في إعراب القرآن ٤/ ٢/ ٢٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٧، كشف المشكلات ٢/ ٣٧٢، الفريد للهمداني ٤/ ٤٨٨.

ضَمُّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، فهو يقع على القليل والكثير، قال الفرزدق:

٣٦٦ـ بِما فِي فُؤادَيْنا مِنَ الهَمِّ والهَوَى فَيَبْرَأُ مُنْهاضُ الفُؤادِ المُشَعَّفُ(١)

فجاء به مُثَنًّى كما ترى.

وقيل(٢): إنما جَمَعَهُ لأنه استثقل الجمع بين تَثْنِيَتَيْنِ، ولا تجوز الكناية عن الاثنين بلفظ الجمع، ولكن الخلاف: هل هو حقيقة في الاثنين أو مَجازٌ؟ فيه وجهان، أحدهما: أنه حقيقة، وإليه ذهب مالك وأبو بكر بن داود(٣)، والثانِي:

---

(١) البيت من الطويل، للفرزدق، ورواية ديوانه:

بِما فِي فُؤادَينا مِنَ الشَّوْقِ والهَوى فَيُجْبَرُ مُنْهاضُ الفُؤادِ المُسَقَّفُ

ويروى: «المُشَعَّفِ» بالخفض و«المُشَغَّفُ» بالغَيْنِ، والجار والمجرور في قوله: «بِما» متعلق بقوله: «فَنُسْعَفُ» في البيت السابق، وهو قوله:

لِيَشْغَلَ عَنّي بَعلَها بِزَمانةٍ تُدَلِّهُهُ عَنّي وَعَنها فَنُسعَفُ

اللغة: رَجُلٌ مُنْهاضُ الفؤادِ: عاوَدَهُ الحُبُّ بعد ذَهابه عنه، والأصل في الانْهِياضِ أن يُجْبَرَ العَظْمُ، ثم يَنْكَسِرَ، المُشَعَّفُ: الذي أحْرَقَهُ الحُبُّ، وقيل: الذي بَلَغَ الحُبُّ شَعْفَتَهُ؛ أي: أعلاه.

التخريج: ديوانه ٢/ ٢٥، الكتاب ٣/ ٦٢٣، شرح نقائض جرير والفرزدق ٢/ ١٩٦، معانِي القرآن للأخفش ص ٢٣٠، الجمل للزجاجي ص ٣١٢، جمهرة أشعار العرب ص ٦٩٧، الحلل ص ٣٦٢، أمالِي ابن الشجري ١/ ١٦، ٢/ ٤٩٦، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ١٣٦، منتهى الطلب ٥/ ٢٥٣، شرح المفصل ٤/ ١٥٥، همع الهوامع ١/ ١٦٨، خزانة الأدب ٧/ ٥٣٨.

(٢) هذا قول الزجاجي، فقد قال: «وقد يَجُوزُ أن تقول: ضَرَبْتُ رَأْسَيْهِما، وقَطَعْتُ رِجْلَيْهِما، والأول [يعنِي الجمع] أكثرُ في كلام العرب، كرهوا أن يجمعوا بين تَثْنِيَتَيْنِ في كلمة واحدة، فصرفوا الكلمة الأولى إلَى لفظ الجمع». الجمل ص ٣١٢، وبه قال أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٢٦٨، وينظر: الدر المصون ٦/ ٣٣٥.

(٣) هو محمد بن داود بن عَلِيٍّ الظاهريُّ العلامة البارع ذو الفنون، كان ممن يضرب المثل بذكائه، وله بَصَرٌ تامٌّ بالحديثِ وأقوالِ الصحابة، وكان يجتهد ولا يُقَلِّدُ أحَدًا، وتَصَدَّرَ =

أنه مَجازٌ، وهو الصحيح، وإليه ذهب الشافعي[١] وأبو حنيفة[٢].

قال صاحب «إنسان العين»[٣]: وفي التثنية معنى الجمع، والإضافة بلفظ الجمع أخَفُّ وأمْكَنُ وألْيَقُ وأشْبَهُ بإعراب الواحد، قال الشاعر:

٣٦٧ ـ ظَهْراهُما مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنْ[٤]

فَجَمَعَ بَيْنَ المَذْهَبَيْنِ.

= للفتوى بعد أبيه وهو صغير، توفِّي سنة (٢٩٧هـ) عن ثلاث وأربعين سنة، من كتبه: الزهرة، المناسك. [تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦-٢٦٣، الأعلام ٦/ ١٢٠].

(١) كتاب الأم للشافعي ٥/ ٢٩، ٦/ ١٤٠، ٧/ ١٨، ٢٣، ٩٢، ٣٠٤.

(٢) ينظر هذا الخلاف في المستصفى في علم الأصول للغزالِيِّ ٢/ ٢٤٣-٢٤٤، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢٢٢-٢٢٦، أصول السرخسي ١/ ١٥١وما بعدها، المحصول للرازي ٢/ ٣٧١-٣٧٥.

(٣) هذا القول ليس في عين المعانِي.

(٤) البيت من مشطور السريع، وعَدَّهُ بعضهم من مشطور الرَّجَزِ، وهو لِخِطامٍ المُجاشِعِيِّ، ونسب لِهِمْيانَ بن قُحافةَ، وقبله:

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْـنِ مَرْتَيْنْ

اللغـة: المَهْمَهُ: القَفْرُ المَخُوفُ، القَذَفُ: ما ارتفع من الأرض، المَرْتُ: التي لا ماء فيها ولا نبات، الظَّهْرُ: ما ارتفع من الأرض يُشَبَّهُ بظهر التُّرْسِ في ارتفاعه وتَعَرِّيهِ من النبات، التُّرْسُ من السلاح: المُتَوَقَّى بها.

التخريـج: شـعر خِطـامِ المُجاشِـعِيِّ ص ٢٦٩-٢٧٠ (ضمن أراجيز المقليـن)، الكتاب ٢/ ٤٨، ٦٢٢، معانِي القرآن للفراء ٣/ ١١٨، معانِي القرآن وإعرابه ٢/ ١٧٣، المخصص ٩/ ٧، الحلـل ص ٣٦٤، البيان للأنباري ٢/ ٤٤٦، شـرح شـواهد الإيضاح ص ٣٨٧، ٣٨٨، ٥٦٠، شـرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ١٣٧، شـرح المفصل ٤/ ١٥٦، التبيان للعكبري ص ٤٣٦، شرح الشافية للرضي ١/ ١٩٤، همع الهوامع ١/ ١٦٩، خزانة الأدب ٢/ ٣١٤، ٤/ ٣٠٢، ٧/ ٥٣٩، ٥٧٢، شرح شواهد شرح الشافية ص ٩٤.

قولـه: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾؛ أي: تَعاوَنـا على أذى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، قرأ أهـل الكوفة: ﴿تَظاهَرا﴾ بتخفيف الظاء على الحذف، واختاره أبو عبيد، وقرأ الباقون بالتشـديد على الإدغام[1]، واختاره أبو حاتم؛ لأن الأصل «تَتَظاهَرا»، فأدغمت التاء في الظاء.

[٢٣٤/ أ] وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾؛ أي: وَلِيُّـهُ وناصِرُهُ وحافِظُهُ ﴿وَجِبۡرِيلُ﴾ / وَلِيُّـهُ ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أبـو بكر وعُمَرُ ـ رضي الله عنهمـا ـ، وقيل: عَلِيُّ بن أَبِـي طالب ـ كَـرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ، وقيل: هم المخلصون الذين ليسـوا بِمُنافِقِينَ، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾؛ أي: أَعْـوانٌ لـه بعـد الله وجبريل وصالحُ المؤمنين، قال الشاعر:

٣٦٨ ـ يا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ للدِّيـ ـنِ قِـوامًـا وَلِـلإمـامِ ظَـهِـيـرا[2]

يعني: عَوْنًا، وجمع صالِحٍ صالحون، وجمع ظَهْيرٍ ظُهَراءُ وظُهُرٌ.

وإنمـا قـال: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولَـمْ يقـل: صالِحُـو ولا ظُهَـراءُ؛ لأن لفظهـم ـ وإن كان واحـدًا ـ، فهـو فـي معنـى الجمع، وهذا مـن الواحد الـذي يـؤدي عـن الجمـع، كقولـه: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[3]. وارتفع

(١) قـرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير وأبـو جعفر ويعقوب: ﴿تَظَّاهَرا﴾، وقرأ عكرمة: ﴿تَتَظاهَرا﴾، وقرأ عبد الوارث عن أَبِي عمرو: ﴿تَظَّهَّرا﴾، وقرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسـائيُّ، ونافعٌ في روايةٍ عنه، والحسـنُ وأبو رجـاء وطلحةُ وخلـفٌ: ﴿تَظاهَرا﴾ بالتخفيف، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٩، البحر المحيط ٨/ ٢٨٦، الإتحاف ٢/ ٥٤٨.

(٢) البيت من الخفيف، لَمْ أقف على قائله.
اللغة: قِوامُ الأمر: نظامه وعِماده، وقِوامُ الأمر أيضًا: مِلاكُهُ الذي يقوم به.
التخريج: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤١٠.

(٣) النسـاء ٦٩، وهذا قول الفراء والأخفش وغيرهما، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٧، =

«جِبْرِيلُ» وما بعده عطفًا على محل قوله: ﴿ٱللَّهَ﴾ قبل دخول «إنَّ»، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[1]، وقد مضت هذه المسألة.

قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ ﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجِبٌ ويَقِينٌ، ومن الناس شَكٌّ ووَهْمٌ[2]؛ أي: واجِبٌ من الله إن طَلَّقَكُنَّ رسولُ اللهِ عليه السلام ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ ﴿أَن﴾ في موضع نصب بـ﴿عَسَىٰ﴾، والشرط

= معانِي القرآن للأخفش ص ٢٣٨-٢٣٩، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٩٣، تهذيب اللغة ٦/ ٢٤٦، وأجاز الزمخشري أن يكون المراد به «صالِحُو» بالواو على الجمع، ولكنه كُتِبَ بِغَيْرِ واوٍ إتْباعًا لِلَّفْظِ كما في قوله تعالى: «سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ». الكشاف ٤/ ١٢٧، وبه قال السجاوندي في عين المعانِي ١٣٥/ أ، وينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٤٨٩، البحر المحيط ٨/ ٢٨٧.

(١) المائدة ٦٩، على أن تنظير المؤلف بآية المائدة هنا لا معنى له؛ لأن آية المائدة استشهد بها الكوفيون على أن هذا الاسم معطوف على محل اسم «إنَّ» قبل دخول ﴿إنَّ﴾، وأما البصريون فإنهم لا يجيزون هذا، ويُخَرِّجُونَهُ على التقديم والتأخير، وأما آية التحريم التي معنا فقد جاء فيها العطف على اسم ﴿إنَّ﴾ بعد مجيء الخبر، فـ«جِبْرِيلُ» مبتدأ، و«صالِحُ المُؤْمِنِينَ» و«المَلائِكَةُ» معطوفان عليه، والخبر قوله: «ظَهِيرٌ».
وفيها أوجه أخرى تنظر في: الكتاب ١/ ٢/ ١٥٥-١٥٦، معانِي القرآن للفراء ١/ ٣١٠-٣١٢، مجالس ثعلب ص ٢٦٢، الأصول ١/ ٣٢٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩، أسرار العربية ص ١٥١: ١٥٥، الإنصاف ص ١٨٥: ١٩٥، التبيان للعكبري ص ١٢٣٠، الفريد للهمدانِي ٤/ ٤٨٩، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٤٧: ٥٢، همع الهوامع ٣/ ٢٠٥، ٢٠٦، وغيرها.

(٢) ولهذا جعلها بعضهم من الأضداد، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٣٩٢، الأضداد لقطرب ص ٧٠، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٢، ٢٣، الأضداد لأبي الطيب ص ٤٨٦-٤٨٨، شفاء الصدور ورقة ١٤٤/ أ.

معترض[١]، قرأ نافع وأبو عمرو: «يُبَدِّلَهُ»[٢] بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.

ثم نعت تلك الأزواج التي كان يُبْدِلُهُ بِهِنَّ لو طَلَّقَ نِساءَهُ، فقال: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ أي: خاضعات لله بالطاعة ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: مُصَدِّقاتٍ بِتَوْحِيدِ اللهِ ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾؛ أي: طائعاتٍ داعياتٍ مُصَلِّياتٍ ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾؛ أي: عائدات ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾؛ أي: يَسِحْنَ مَعَهُ حيث ساحَ، وقيل: صائِماتٍ ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ جمع ثَيِّبٍ وهي المرأة التي قد تَزَوَّجَتْ ثم ثابَتْ عن زوجها، فعادت كما كانت غَيْرَ ذاتِ زَوْجٍ ﴿وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ يريد: عَذارَى / وهو جمع بِكْرٍ. [٢٣٤/ ب]

قال ابن عباس[٣]: وَعَدَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أن يُزَوِّجَهُ بِالثَّيِّبِ آسِيةَ بنت مُزاحِمٍ امرأةَ فرعون، وبِالبِكْرِ مَرْيَمَ ابنة عمران، قال الثعلبي ـ رحمه الله ـ[٤]: وهذه الآية واردة في الإخبار عن القدرة لا عن الكَوْنِ في الوقت؛ لأنه عزّ وجلّ قال: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾، وقد عَلِمَ أنه لا يُطَلِّقُهُنَّ، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[٥]، فهذا إخْبارٌ عن القدرة، وتَخْوِيفٌ لهم؛ لأنه ما فِي الوجود مَنْ هُوَ خَيْرٌ من أُمَّةِ محمد ﷺ.

ومحل الهاء والأزواج نصب بوقوع التبديل عليه[٦]، ونصب ﴿خَيْرًا﴾

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٦٢.

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر: ﴿يُبَدِّلَهُ﴾ بالتشديد، ورَواهُ اليَزِيدِيُّ عن أبِي عمرو، ورَوَى عَبّاسٌ عن أبِي عمرو: «يُبْدِلَهُ» بالتخفيف كقراءة الباقين، ينظر: السبعة ص ٦٤٠-٦٤١.

(٣) ينظر قوله في عين المعانِي ورقة ١٣٥/ ب، ونسبه القرطبي للكلبي في تفسيره ١٨/ ١٩٤.

(٤) الكشف والبيان ٩/ ٣٤٩.

(٥) محمد ٣٨.

(٦) يعني في قوله تعالى: ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾، فالهاء مفعول أول، و﴿أَزْوَٰجًا﴾ مفعول ثانٍ، ينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٤٩٠.

و﴿مُسۡلِمَٰتٖ﴾ وما بعدها إلى آخر الآية كُلِّها على النعت للأزواج.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يعني: مُرُوهُمْ بالخَيْرِ، وانْهَوْهُمْ عن الشَّرِّ، وعَلِّمُوهُمْ وأَدِّبُوهُمْ، تَقُوهُمْ بذلك نارًا، وأصله: اِوْقِيُوا، فحذفت الواو لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ في قولك: يَقِي[1]، واستغني عن ألف الوصل، ثم ألقيت حركة الياء على القاف، وحُذِفَتْ لسكونها وسكون الواو بعدها فصارت: قُوا.

وقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [٦] قال ابن السِّكِّيتِ[2]: الوُقُودُ - بالضم - المصدر، يقال: وَقَدَتِ النّارُ تَقِدُ وُقُودًا، والوَقُودُ - بالفتح - اسم لِما تُوقَدُ به النارُ، يقال: ما أَجْوَدَ هذا الوَقُودَ لِلْحَطَبِ.

والحِجارةُ جمع حَجَرٍ، وليس بقياس، ولكنهم قالوه كما قالوا: جَمَلٌ وجِمالةٌ، وذَكَرٌ وذِكارةٌ، والقياس أَحْجارٌ[3]، وجاء في التفسير عن ابن عُمَرَ وغيرِهِ أن الحجارة هاهنا حجارة الكِبْرِيتِ، وهي أَشَدُّ لإيقادِ النار.

---

(١) في الأصل: «تقي» بالتاء، وهو تصحيف، وهذا مذهب البصريين، وأما الكوفيون فيقولون: إنما حُذِفَت الواو في مثل هذا من المتعدي، وأُثْبِتَتْ في اللازم فَرْقًا بين المتعدي واللازم، فقالوا في المتعدي: وَعَدَ يَعِدُ وَوَقَى يَقِي، وقالوا في اللازم: وَجِلَ يَوْجَلُ ونحوه، ينظر: الكتاب ٤/ ٥٢، ٥٣، المقتضب ١/ ٨٨، ٢/ ٩٧، الأصول لابن السراج ٣/ ١٠٨، ٣/ ٢٧٦، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٩٧، ٤/ ٤٦٢، ٤٦٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٩، الإنصاف ص٧٨٢-٧٨٧، البيان للأنباري٢/ ٤٤٨، الفريد للهمداني ٤/ ٤٩٠.

(٢) إصلاح المنطق ص ٣٣٢ باختلاف في ألفاظه.

(٣) قال سيبويه: «وما كان على ثلاثة أحرف، وكان «فَعَلاً» فإنك إذا كَسَّرْتَهُ لأدْنَى العدد بَنَيْتَهُ على «أفعِالٍ»، وذلك قولك: جَمَلٌ وأَجْمالٌ وجَبَلٌ وأَجْبالٌ وأَسَدٌ وآسادٌ، فإذا جاوزوا به أدْنَى العدد فإنه يجيء على «فِعالٍ» وفُعُولٍ»، فأما الفعال فنحو جِمالٍ وجِبالٍ، وأما الفُعُولُ فنحو أُسُودٍ وذُكُورٍ، والفِعالُ في هذا أكثر... وقد يُلْحِقُونَ الفِعالَ الهاءَ كما ألحقوا الفِعالَ =

فصل

رُوِيَ عن منصورِ بنِ عَمّارٍ[1] واعظِ أَهْلِ العراق أنه قال: دخلتُ خَرِبةً، فرأيتُ شابًّا يصلي صلاة الخائفين، فقلتُ في نفسي: إن لهذا الفتى شأنًا، لعله وَلِيٌّ من أولياء الله، فوقفتُ حتى فَرَغَ من صلاته، فلما سَلَّمْتُ عليه وَرَدَّ عَلَيَّ/ [٢٣٥/ أ] السلامَ قلتُ له: إن في جهنم وادِيًا يقال له: ﴿لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[2]، قال: فَشَهَقَ شَهْقةً، وخَرَّ مَغْشِيًّا عليه، فَلَمّا أفاقَ قال: زِدْني، فقلتُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[3]، فَخَرَّ مَيْتًا، فلما كشفتُ ثيابه عن صَدْرِهِ رأيتُ على صدره مكتوبًا: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[4]، فلما كان الليل نِمْتُ فرأيتُهُ في المنام جالسًا على سرير وعلى رَأْسِهِ تاجٌ، فقلتُ له: ما فَعَلَ اللهُ بِكَ؟، فقال: آتاني ثواب أَهْلِ بَدْرٍ وزادَني، فقلتُ: لِمَ؟ قال: لأنهم قُتِلُوا بِسَيْفِ الكُفّارِ، وأنا قُتِلْتُ بسيف الجبار.

= التي في الفعل، وذلك قولهم في جَمَلٍ: جِمالةٌ، وحَجَرٍ: حِجارةٌ، وذَكَرٍ: ذِكارةٌ، وذلك قليل، والقياس على ما ذكرنا». الكتاب ٣/ ٥٧٠-٥٧١.

(١) منصور بن عمار بن كثير السلمي الخراساني، أبو السَّرِيِّ البصري البليغ الصالح الرباني، لم يكن له نظير في الموعظة والتذكير، وعظ بالعراق والشام ومصر، تزاحم عليه الناس، وكان منكر الحديث، ليس بالقوي، توفِّي سنة (٢٠٠هـ). [حلية الأولياء ٩/ ٣٢٥:٣٣١، تاريخ بغداد ١٣/ ٧١: ٧٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣-٩٨].

(٢) المعارج ١٥-١٨.

(٣) التحريم ٦.

(٤) الحاقة ٢١-٢٣.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧)﴾ فِي الدنيا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾؛ أي: خالصةً، قرأ العامة بفتح النون على نعت التوبة، وَرَوَى أبو بكر عن عاصم بِضَمِّهِ على المصدر[1]، وهي قراءة الحَسَنِ.

قال المُبَرِّدُ[2]: أراد: توبةً ذاتَ نُصْحٍ، وهو نعت كقولك: ناقةٌ رَكُوبٌ وناقةٌ حَلُوبٌ؛ أي: ذاتُ رُكُوبٍ وذاتُ حَلَبٍ، وَماءٌ شَرُوبٌ.

والتوبة النَّصُوحُ: أن يتوب ثم لا يعود إلى الذَّنْبِ، كما لا يعود اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ، رَوَى ذلك مُعاذُ بن جبل عن رسول الله ﷺ[3]، والمعنى: أنها تَنْصَحُ صاحِبَها بِتَرْكِ العَوْدِ إِلَى ما تاب منه، وأصله من النُّصْحِ، يقال: نَصَحْتُ له نُصْحًا ونُصُوحًا، ويقال أيضًا: نَصَحْتُ الثَّوْبَ: إذا خِطْتَهُ، والناصح: الخَيّاطُ، والنِّصاحُ: الخَيْطُ[4].

---

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم، وخارجةُ عن نافع، والحسنُ والأعرجُ وعيسى بنُ عمر: ﴿نُصُوحًا﴾ بضم النون، وقرأ الباقون وحفص ونافع بفتح النون، ينظر: السبعة ص ٦٤١، تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٩، البحر المحيط ٨/ ٢٨٨، الإتحاف ٢/ ٥٤٨.

(٢) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٤٤/ ب، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٠، شمس العلوم ١٠/ ٦٦٢٤، عين المعانِي ورقة ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٥ كتاب التفسير: سورة التحريم، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٥٤ كتاب الشهادات: باب شهادة القاذف، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٥٠، الوسيط ٤/ ٣٢٢، الدر المنثور ٣/ ٦١، ٦/ ٢٤٥.

(٤) قاله الأصمعي وأبو زيد وابن السكيت، ينظر: إصلاح المنطق ص ١٧٤، ١٧٥، تهذيب اللغة ٤/ ٢٤٩، وينظر أيضًا: شمس العلوم ١٠/ ٦٦٢٤، اللسان: نصح.

قال صاحب «إنسان العين»[1]: فالخَيّاطُ يَضُمُّ أجزاء الثوب بِحُسْنِ التناسب، والناصح يَضُمُّ أجزاء الثَّوابِ بِحُسْنِ النِّيّاتِ، قال الحسن[2]: التوبة النصوح: أن تُبْغِضَ الذَّنْبَ كما أحْبَبْتَهُ، وتَسْتَغْفِرَ منه إذا ذَكَرْتَهُ، وقال أيضًا[3]: هي نَدَمٌ بالقلب، واستغفارٌ باللسان،/ وتَرْكٌ بالجوارح، وإضمارُ ألَّا يَعُودَ. [٢٣٥/ ب]

وقيل: التوبة النصوح: هي المُبالِغةُ في النصح، التي لا يَنْوِي التائبُ معها مُعاوَدةً لِلْمَعْصِيةِ. وقال ذو النون[4]: علامتها ثلاثٌ: قِلّةُ الكلام وقِلّةُ الطعام وقِلّةُ المنام. وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ[5]: التوبة النَّصُوحُ تجمعها أربعةُ أشياءَ: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمارُ تَرْكُ العَوْدِ بالجَنانِ، ومُهاجَرةُ سَيِّئِ الخِلّانِ، وقال فَتْحُ المَوْصِلِيُّ[6]: علامتها ثلاثٌ: مخالفة الهوى وكثرة البُكا ومكابدة الجوع والظَّما[7].

قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ يعني: إذا تُبْتُمْ، و﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبٌ، وقد تقدم نظيره[8] ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: يُغَطِّيها ويَسْتُرُها عنكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ

(١) قال نحوه في عين المعانِي ورقة ١٣٥/ ب.
(٢) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٤٤/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٧.
(٣) ينظر قوله في غريب القرآن للسجستاني ص ١٥٩، زاد المسير ٨/ ٣١٤.
(٤) ينظر قوله في عين المعانِي ورقة ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٨.
(٥) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٣٥٠، عين المعانِي ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٨.
(٦) هو فتح بن سعيد، أبو نصر الموصلي الزاهد الولِيُّ العابد، كان شريفًا من العرب، رَوَى عن عيسى بن يونس وغيره، توفِّي سنة (٢٢٠هـ). [حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨٣-٤٨٤].
(٧) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٣٥١، عين المعانِي ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٩.
(٨) في الآية ٥ من هذه السورة، وانظر ٣/ ٤٥٧.

جَنَّٰتٍ﴾ يعني بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يعني: من تحت البساتين، ثم أخبر مَتَى ذلك فقال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ يعني: يومَ لا يُعَذِّبُ اللهُ النبيَّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ ولا يُخْزَى يومئذٍ إلا مَنْ دَخَلَ النارَ، والعامل في ﴿يَوۡمَ﴾ ما قبله[1].

وقوله: ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني المؤمنين، وذلك حين يُعْطَوْنَ النُّورَ فَيَسْعَى بين أيديهم على الصراط، فَيُورِدُهُمْ إلى الجنة ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ يعني: يُعْطَوْنَ كُتُبَهُم التي فيها أعمالهم الطيبة، فهي نُورٌ لهم أيضًا ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ﴾؛ أي: يقولون إذا طُفِئَ نُورُ المنافقين: ﴿رَبَّنَآ﴾ نداء مضاف؛ أي: يا ربنا ﴿أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ من إثبات النور والمغفرة للمؤمنين، وإطفاء نور المنافقين.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ﴾ واسمها واغِلةُ ﴿وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ﴾ واسمها واهِلةُ، وقال مقاتل[2]: اسمهما والِغةُ / ووالِهةُ [٢٣٦/ أ] ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ يعني: في الدِّينِ، قال الحسن[3]: في فُرُوجِهِما، وقال ابن عباس[4]: ما بَغَت امرأةُ نَبِيٍّ قَطُّ، إنما كانت

(١) يعني أن العامل فيه قوله: ﴿وَيُدۡخِلَكُمۡ﴾، قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٩٥، ويجوز أن يكون مفعولًا به على إضمار: اذْكُرْ، ينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٤٩٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٠.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٣٥١، عين المعاني ورقة ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠١، البحر المحيط ٨/ ٢٨٩.

(٣) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٤٥/ أ، المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥، البحر المحيط ٨/ ٢٨٩.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٢٨/ ٢١٦، ٢١٧، شفاء الصدور ورقة ١٤٥/ ب، الكشف =

خِيانَتُهما في الدِّينِ، كانت امرأة نوح تُخْبِرُ الناسَ أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تَـدُلُّ قَوْمَهُ على الأضياف، إذا نَـزَلَ بِلُوطٍ ضَيْفٌ بالليل أَوْقَدَتِ النارُ، وإذا نَزَلَ بالنهار دَخنَتْ لِيَعْلَمَ قَوْمُهُ أنه قد نَزَلَ به ضَيْفٌ، وقال الكلبي[١]: أَسَـرَّتا النِّفاقَ وأَظْهَرَتـا الإيمانَ ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا﴾ يعني نُوحًا ولُوطًا، لَمْ يُغْنِيا مع نُبُوَّتِهِما عن امرأتيهما ﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ وإنما لَمْ يَقُلْ: مـع الداخـلات؛ لأن المعنى: مع القـوم الداخلين[٢]، أَعْلَـمَ اللهُ أن الأنبياء لا يُغْنُونَ عَنْ مَنْ عَمِلَ بالمعاصي شيئًا.

ونصب ﴿مَثَلًا﴾ و ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ لأنهمـا مفعولان لـ﴿ ضَرَبَ ﴾[٣]، وقيل[٤]: نصب ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ على البدل من ﴿مَثَلًا﴾، تقديره: مَثَلاً مَثَلَ امْرَأَةِ نُـوحٍ، ثم حذف مَثَلًا الثاني؛ لدلالة الأول عليه / ، وكذلك إعراب الآية بعدها مثله، وهـو قوله تعالـى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسِيةُ بنت مُزاحِمٍ، كانت قد آمنتْ بِمُوسَى عليه السلام، وسألت الله تعالى بَيْتًا في الجنة، فقالت: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ

[٢٣٦/ ب]

= والبيان ٩/ ٣٥١، الوسيط ٤/ ٣٢٢، زاد المسير ٨/ ٣١٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٢، البحر المحيط ٨/ ٢٨٩.

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٣٢٢، زاد المسير ٨/ ٣١٥.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٦٥.

(٣) هـذا على أن «ضَرَبَ» بمعنى جَعَلَ، ولهذا تعدى إلى مفعولين، قاله النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٦٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٠، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٤٩، الفريد للهمداني ٤/ ٤٩٢.

(٤) هـذا على أن «ضَرَبَ» بمعنى ذَكَرَ أو وَصَفَ، وهذا الرأي ذكره مَكِّيٌّ بغير عزو في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٠، وبه قال الباقُولِيُّ في كشـف المشكلات ٢/ ٣٧٣، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٤٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٢.

وَعَمَلِهِۦ﴾ قيل: شِـرْكُهُ، وقيل: جِماعُـهُ ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ الكافرين أَهْلِ دِينِ فرعون اللعين.

وفي هذين المَثَلَيْنِ اللذين ضربهما الله تعالى تخويفٌ لعائشـة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ، وزَجْرٌ لَهُما عن أذى رسولِ الله ﷺ، يقول: لا تكونا بِمَنْزِلةِ امـرأة نوح وامرأة لوط في المعصية، وكُونا بِمَنْزِلـةِ امرأة فرعون ومريم، وهو قولـه: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾؛ أي: حَفِظَتْهُ من الفواحش، فَلَمْ يَمَسَّها بَشَرٌ قَطُّ.

ونصـب «مَرْيَـمَ» عطفًا علـى مَثَـلٍ، و﴿ٱبْنَتَ﴾ نعت لهـا، وقيل: على البدل[1]، ولَمْ ينصرف مَرْيَمُ للتأنيث والتعريف، وقيل: إنه اسم أعجمي، وقيل: عربي[2].

وقولـه: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ يعني: في جَيْـبِ دِرْعِها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ مِنْ أَمْرِنـا، يقـال: إن جبريل ـ عليه السـلام ـ مَدَّ جَيْبَ مِدْرَعَتِهـا بِإِصْبَعِهِ، ثم نفخ في جيبها فحملـت، والكناية عن غير مذكور، وقيل:/ إن الرُّوحَ عيسـى عليه [٢٣٧/ أ] السلام؛ أي: جعله الله تعالى في بطن أمه.

---

(١) هـذا الوجه والذي قبله قالهمـا النَّحّاسُ ومَكِّـيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٦٥، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٠.

(٢) قاله مَكِّيٌّ بنصه في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٠. قال ابن دريد: «ومَريمُ: اسمٌ أعجميٌّ، وليـسَ في كلام العرب فَعْيَلٌ». الاشـتقاق ص ٣٤٧، وقال الصاحب بن عبـاد: «والمَرْيَمُ مـن النِّسـاءِ: التي تُحِبُّ حَدِيْثَ الرِّجـالِ ولا تَفْجُرُ». المحيط في اللغـة ١٠/ ٢٨٩، وقال الجوهـري: «أبو عمرو: مَرْيَم مَفْعَل من رام يَرِيم». الصحاح ٥/ ١٩٤٠، وقال الجواليقي: «ومريم: اسم أعجمي». المعرب ص ٣١٧، وينظر: اللسان: ريم، التاج: ريم.

قوله: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ يعني الشرائع التي شرعها الله تعالى للعباد بكلماته المُنْزَلةِ في كتبه، وقيل: الكلمات هي البشارات، نحو قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾[١].

وقوله: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ يعني كتب الله تعالى كُلَّها، قرأ العامة: ﴿وَصَدَّقَتْ﴾ بالتشديد، وقرأ لاحِقُ بن حُمَيْدٍ بالتخفيف[٢]، وقرأ أيضًا العامةُ: ﴿بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ على الجَمْعِ، وقرأ الحسنُ وعيسى بن عُمَرَ والجَحْدَرِيُّ: «بكَلِمةِ»[٣] على التوحيد، يَعْنُونَ عيسى عليه السلام، وقرأ أبو عمرو ويعقوب: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ على الجمع، وهي روايةُ حَفْصٍ عن عاصم، واختيارُ أبِي حاتم، قال[٤]: لأنَّها أعَمُّ، وقرأ الباقون: ﴿وَكِتابِهِ﴾[٥] على الواحد، وهي اختيار أبِي عبيد، وأرادوا به الإنجيلَ، ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ يعني العابدين الراكعين الساجدين، وقال قتادة[٦]: أراد: من القوم المُطِيعِينَ لِرَبِّها، ولذلك لَمْ يَقُلْ: من القانتات.

---

(١) مريم ١٩.

(٢) قرأ عُصْمةُ عن عاصمٍ، وأبو مِجْلَزٍ وقتادة ويعقوب وحُمَيْدٌ والأمويُّ: «وَصَدَقَتْ» بالتخفيف، ينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٤، مفاتيح الغيب ٣٠/ ٥٠، البحر المحيط ٨/ ٢٩٠.

(٣) وهي أيضًا قراءة مجاهد وأبِي العالية، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٥٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٤، البحر المحيط ٨/ ٢٩٠.

(٤) اختيار أبِي حاتم وقوله في المحتسب ٢/ ٣٤٢، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٢.

(٥) قرأ أبو عمرو، وحفصٌ عن عاصم، وخارجةُ عن نافع، ويعقوبُ: ﴿وَكُتُبِهِ﴾، وقرأ ابنُ كثير وابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزةُ والكسائيُّ، وغيرُ خارِجةَ عن نافعٍ، وأبو العالية والحسنُ وأبو رجاء وخلفٌ وأبو جعفر: ﴿وَكِتابِهِ﴾ بالإفراد، ينظر: السبعة ص ٦٤١، المحتسب ٢/ ٣٢٤، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٤، البحر المحيط ٨/ ٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٤٩.

(٦) ينظر قوله في جامع البيان ٢٨/ ٢١٩، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٢، الوسيط ٤/ ٣٢٤.

فصل

عن أَبِي موسى الأَشْعَرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كَثِيرٌ، ولَمْ يَكْمُلْ من النساء إلّا أَرْبَعٌ: آسِيةُ بنت مُزاحِمٍ امرأةُ فرعون، ومَرْيَمُ ابنةُ عِمْرانَ، وخَدِيجةُ بنت خُوَيْلِدٍ، وفاطِمةُ بنت محمد، وفَضْلُ عائِشةَ على النساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سائِرِ الطَّعامِ»[1]، وبالله التوفيق/ .

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٩٤، ٤٠٩، والبخاري في صحيحه ٤/ ١٣١، ١٣٩ كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾، وباب قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾، ٤/ ٢٢٠ كتاب المناقب: باب مناقب المهاجرين، ٦/ ٢٠٥ كتاب الأطعمة: باب الثريد.

سورة الملك
مكِّية

وهي ألــف وثلاثمائة وثلاثة عشــر حرفًا، وثلاثمائــة وخمس وثلاثون كلمةً، وثلاثون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أبِي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «إِنَّ سُورةً مِنْ كِتابِ اللهِ هِيَ ثَلاَثُونَ آيةً شَفَعتْ لِرَجُلٍ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النّارِ يَوْمَ القِيامةِ، وَأَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ، وهِيَ سُورةُ ﴿تَبَٰرَكَ﴾ المُلْكِ»(١).

وعــن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «وَدِدْتُ أَنَّ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ»(٢).

وعن حُمَيْدِ بن عبد الرحمن(٣) أن رســول الله ﷺ قال: «إِنَّ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى

---

(١) رواه الحاكم في المســتدرك ٢/ ٤٩٧ كتاب التفسير: سورة الملك، وينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٥٤، مجمع البيان ١٠/ ٦٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٥، بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٧٤.

(٢) رواه الحاكم في المســتدرك ١/ ٥٦٥ كتاب فضائل القرآن: ســورة الملك، وينظر: مجمع البيان ١٠/ ٦٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٥.

(٣) هــو حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أبو عبد الرحمن الزُّهْرِيُّ، تابِعِيٌّ مَدَنِيٌّ ثقة، روى عن أبيــه وأبِي هريرة ومعاوية وتوفِّيَ قبل عمر بن عبد العزيز، وقيل: ســنة (١٠٥هـ). [تهذيب الكمال ٧/ ٣٨٧-٣٨١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٣].

بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ تُجادِلُ عَنْ صاحِبِها يَوْمَ القِيامةِ»[١].

وعن أُبَيِّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿تَبَٰرَكَ﴾ فكَأَنَّما أحيا لَيْلةَ القَدْرِ»[٢].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿تَبَٰرَكَ﴾ خَرَّ إسْرافِيلُ لِرُكْبَتَيْهِ، وقال: نَعَمْ! تَبارَكَ اللهُ كيف يصنع ما يشاء، وكيف يَصْنَعُ كاتِباكَ؟ فَيُنادِي مُنادٍ: قد[٣]، كاتباه أَحْصِيا أَجْرَ جَزائِهِ».

و ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تسمى المانعة، تَمْنَعُ قارِئَها مِنْ شَرِّ الشياطين والإنس والجنِّ، وتمنعه في الآخرة من عذاب القبر.

وعن عَلِيِّ بن أبي طالب ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ أنه قال: «مَنْ قَرَأها يَجِيءُ يَوْمَ القِيامةِ عَلَى أَجْنِحةِ المَلائِكةِ، وَلَهُ وَجْهٌ فِي الحُسْنِ كَوَجْهِ يُوسُفَ عليه السلام»[٤].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «إذا وُضِعَ المَيِّتُ فِي قَبْرِهِ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيُقالُ: لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ سَبِيلٌ؛ لأنه قد كان يقوم بِسُورةِ المُلْكِ، ثم يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ لِسانُهُ: لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ سَبِيلٌ؛ لأنه قد كان يَقْرَأُ بِـسُورةَ المُلْكِ»، ثم قال: هي المانعة من عذاب القبر، وهي فِي التَّوْراةِ سُورةُ المُلْكِ، مَنْ قَرَأها فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ»[٥].

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ١/ ٢٠٩ كتاب القرآن: باب ما جاء في قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وينظر: الوسيط ٤/ ٣٢٥، الدر المنثور ٦/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: الوسيط ٤/ ٣٢٥، الكشاف ٤/ ١٤٠، مجمع البيان ١٠/ ٦٦، تفسير البيضاوي ٥/ ٣٤٢.

(٣) يبدو أن هنا سقطًا، وهذا الحديث لَمْ أعثر له على تخريج.

(٤) ينظر: عين المعاني ورقة ١٣٥/ ب، بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٧٥.

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٣٧٩، ٣٨٠ كتاب فضائل القرآن، وينظر: شفاء الصدور =

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: تَعَظَّمَ وَتَمَجَّدَ وثَبَتَ ودامَ، وهو «تَفاعَلَ» من البَرَكةِ، وأصل البَرَكةَ النَّماءُ والزِّيادةُ، وقد مضى نظيره في سورة الفرقان[1].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ يعني: الذي له ملك الدنيا والآخرة / [٢٣٨/ أ] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾؛ أي: قادر لا يمتنع عليه شيءٌ أرادَهُ، إنما يقول له: كُنْ فَيَكُونُ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ يريد: خَلَقَ المَوْتَ في دارِ الدنيا؛ لأنها دار فناء، وخَلَقَ الحَياةَ في الآخرة؛ لأنها دار بقاء، وإنما قَدَّمَ الموت على الحياة لأنه إلى الفَناءِ أقْرَبُ، كما قَدَّمَ البَناتِ على البَنِينَ فِي قوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[2].

وقيل[3]: قَدَّمَهُ لأنه أقْدَمُ، وذلك أن الأشياء فِي الابتداء كانت فِي حُكْمِ المَواتِ كالنُّطْفةِ والتراب ونحوهما، ثم اعترضت الحياةُ.

ومحل ﴿ٱلَّذِى﴾ رفع على خبر ابتداء محذوف، تقديره: هو الذي، ويجوز أن يكون رفعًا على البدل من ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى﴾.

= ورقة ١٤٦/ ب، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٤، مجمع البيان ١٠/ ٦٦، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٥، الدر المنثور ٦/ ٢٤٧.

(١) الفرقان ١، وانظر ما تقدم ١/ ٣٦٤.

(٢) الشورى ٤٩، وهذا الكلام قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٣٥٥، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٦.

(٣) قاله قتادة، ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٥٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٦.

فصل

قال ابن عباس[١]: «خُلِقَ المَوْت على صُورةِ كَبْشٍ أمْلَحَ، لا يَمُرُّ بِشَيْءٍ، ولا يَجِدُ رِيحَهُ شَـيْءٌ إلّا مـاتَ، وَخُلِقَ الحَياة على صُورةِ فَـرَسٍ بَلْقاءَ، وهي التي كان جبريل والأنبياء ـ عليهم السـلام ـ يركبونها، خَطْوُها مَدُّ البَصَرِ، فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ، لا تَمُرُّ بِشَـيْءٍ، ولا تَطَأُ شـيئًا، ولا يَجِدُ رِيحَها شَـيْءٌ إلا حَيِيَ، وهي التي أخَذَ السّامِرِيُّ مِنْ أثَرِها، فَألْقاها على العِجْلِ».

وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ يتعلق بِخَلْقِ الحَياةِ؛ لأن الابتلاء بالحياة دون الممات، والمعنى: «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلًا، وَأَوْرَعُ في الدنيا عن مَحارِمِ الله، وَأَسْرَعُكُمْ فِي طاعة الله»، رَوَى ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[٢].

قال النحاس[٣]: و ﴿أَيُّكُمْ﴾ رفع على الابتداء وهو اسم تام، و ﴿أَحْسَنُ﴾ خبره. و﴿عَمَلًا﴾ نصب على التفسير ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ ونِقْمَتِهِ مِمَّنْ عَصاهُ، فلا أعَزَّ منه ﴿الْغَفُورُ ۝٢﴾ لذنوب عباده المؤمنين، والمغفرة: الستر والتجاوز عنهـم، ثم أخبر عن صنيعه الذي يَدُلُّ علـى توحيده، فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ طَبَقًا فوق طَبَقٍ، بعضها فوق بعض، بين كل سَماءَيْنِ مسيرة خمسمائة عام.

---

(١) ذكره الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٩٧، ١٩٨، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٤٧/ أ، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٦، فتح الباري ١١/ ٣٦٢.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٢/ ٩، شفاء الصدور ورقة ١٤٧/ أ، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٥، الوسيط ٤/ ٣٢٦، تفسير القرطبي ٩/ ٩.

(٣) فـي الأصل: «الفراء»، وهو خطأ، فالقول للنحـاس، وهذه العبارة بنصها في إعراب القرآن ٤/ ٤٦٧.

و﴿طِبَاقًا﴾ جمع طَبَقةٍ كَرَحَبةٍ ورِحابٍ[١]، وقيل[٢]: هو جمع طَبَقٍ كجَمَلٍ وجِمالٍ، و﴿ٱلَّذِى﴾ في موضع رفع على النعت لـ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، ونصب ﴿طِبَاقًا﴾ نعتًا لـ ﴿سَبْعَ﴾[٣]، وقال سيبويه[٤]: نصبه لأنه مفعول ثانٍ. ويجوز أن يكون حالًا أو مصدرًا[٥].

وقوله: ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ يعني: أيُّها الكافر ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ هذه قراءة العامة واختيار أبِي حاتم[٦]، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: ﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾[٧] بتشديد الواو، وهو اختيار أبِي عبيد[٨]، وهما بِمَنْزِلةٍ واحدةٍ / ، مثل: [٢٣٨/ ب]

---

(١) قاله النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٦٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩١.

(٢) قاله الأخفش والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٥٠٢، إعراب القرآن ٤/ ٤٦٧.
وقال الأزهري: «وقال الليث: السماوات طباق بعضها على بعض، وكل واحد من الطِّباقِ طَبَقةٌ، ويُذَكَّرُ فَيُقالُ: طبق». تهذيب اللغة ٩/ ١٠.

(٣) قاله النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٦٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩١، وحكاه الأزهري عن الزجاج في تهذيب اللغة ٩/ ١٠.

(٤) لَمْ أقف على هذا القول أو ما يشبهه في الكتاب، وإنما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٣٥٦، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٨.

(٥) إذا جعل مصدرا فهو مصدر مؤكد لـ«خَلَقَ» حَمْلًا على المعنى، وهذا قول الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١٩٨، وينظر: تهذيب اللغة ٩/ ١٠، تفسير الفريد ٤/ ٤٩٥، اللسان: طبق، الدر المصون ٦/ ٣٤١.

(٦) اختيار أبِي حاتم في الكشف والبيان ٩/ ٣٥٦.

(٧) قرأ ابن مسعود وحمزة والكسائي ويعقوب والأعمش وابن وَثّابٍ وعَلْقَمةُ وعاصمٌ والأسود وابن جبير وطلحة: «تَفَوُّتٍ»، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٠، السبعة ص ٦٤٤، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٨، البحر المحيط ٨/ ٢٩٢.

(٨) ينظر اختيار أبِي عبيد في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦٨، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٨.

تَصَعَّدَ وتَصاعَدَ، وتَعَهَّدْتُهُ وتَعاهَدْتُهُ، فالتَّفاوُتُ والتَّفَوُّتُ كالتَّعاهُدِ والتَّعَهُّدِ[١]، ويقال: ما في صَنْعةِ فُلاَنٍ من تَفاوُتٍ؛ أي: كُلُّها حَسَنةٌ، وأصلها من الفَوْتِ وهو أن يَفُوتَ شَيْءٌ شيئًا فَيَقَعَ الخَلَلُ[٢].

والمعنى: هل ترى يا ابن آدم في خَلْقِ السماء من اختلاف أو خَلَلٍ أو عيب ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾؛ أي: فارْدُدِ البَصَرَ ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾ يعني: من شُقُوقٍ وخِلَلٍ وصُدُوعٍ وخُرُوقٍ، ومنه يقال: فَطَرَ نابُ البَعِيرِ: إذا انْشَقَّ اللَّحْمُ فَظَهَرَ[٣]، قال الشاعر:

٣٦٩- بَنَى لَكُمُ بِلاَ عَمَدٍ سَماءً وَزَيَّنَها، فَما فِيها فُطُورُ[٤]

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾؛ أي: كَرِّرِ النَّظَرَ مَرَّتَيْنِ ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ﴾ جواب الأمر؛ أي: يرجع إليك البَصَرُ ﴿خَاسِئٗا﴾ خاشِعًا ذَلِيلًا مُبْعَدًا صاغِرًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾؛ أي: كَلِيلٌ مُنْقَطِعٌ لَمْ يُدْرِكْ ما طَلَبَ، قال الشاعر:

٣٧٠- نَظَرْتُ إلَيْها بِالمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى فَعادَ إلَيَّ الطَّرْفُ وَهْوَ حَسِيرُ[٥]

---

(١) قال الفراء: «وهما بِمَنْزِلةٍ واحدة، كما يقال: «وَلَا تُصاعِرْ» و«تُصَعِّرْ»، وتَعَهَّدْتُ فُلَانًا وتَعاهَدْتُهُ». معانِي القرآن ٣/ ١٧٠، وينظر: معانِي القراءات للأزهري ٣/ ٧٩، الحجة للفارسي ٤/ ٥٣.

(٢) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٧٤، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٠.

(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٧٤، وينظر: معانِي القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٤، شفاء الصدور ورقة ١٤٧/ ب، النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٥٨.

(٤) البيت من الوافر، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: الكشف والبيان ٩/ ٣٥٧، عين المعاني ورقة ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٩، البحر المحيط ٨/ ٢٩٣، فتح القدير ٥/ ٢٥٩.

(٥) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، ولِعُمَرَ بن أبي ربيعة بَيْتٌ يتفق معه في الصدر وهو قوله: =

ونصب: ﴿كَرَّتَيْنِ﴾؛ لأنه في موضع المصدر، كأنه قال: فارْجِع البَصَرَ رَجْعَتَيْنِ[١]، وقيل[٢]: هو بمعنى الظرف.

ونصب ﴿خَاسِئًا﴾ على الحال، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ابتداء وخبر في موضع النصب على الحال من البَصَرِ، قال الزَّجّاج[٣]: معناه: وقد أعْيا من قبل أنْ يَرَى فِي السماء خَلَلًا. وهو فَعِيلٌ بمعنى فاعل من الحُسُورِ وهو الإعْياءُ.

فصل

رُوِيَ عن كعب الأحبار أنه قال: «السماء الأولى مَوْجٌ مَكْفُوفٌ، والثانية زُمُرُّدةٌ بَيْضاءُ، والثالثة حَدِيدٌ، والرابعة صُفْرٌ ـ أو قال: نُحاسٌ ـ، والخامسة فِضّةٌ، والسادسة ذَهَبٌ، والسابعة ياقُوتةٌ حَمْراءُ، وبين السماء السابعة إلى الحُجُبِ السَّبْعةِ صَحارَى من نُورٍ، واسم صاحب الحُجُبِ مِيطاطَرُوشَ»[٤].

= نَظَرتُ إلَيها بِالمُحَصَّبِ مِن مِنىً ... وَلِي نَظَرٌ، لَولا التَحَرُّجُ، عارِمُ

اللغة: المُحَصَّبُ: موضعُ رَمْيِ الجِمارِ بِمِنًى، سُمِّيَ بذلك للحَصَى الذي فيه، الطَّرْفُ: إطْباقُ الجَفْنِ على العين.

التخريج: الكشف والبيان ٩/ ٣٥٧، عين المعاني ورقة ١٣٥/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٠، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٣٢، فتح القدير ٥/ ٢٦٠، وبالرواية الثانية في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢/ ٣٠٧، المُحَبُّ والمحبوب للسري الرفاء ٢/ ٨٠، الأغاني ١٥/ ٧.

(١) قاله النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٤٦٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩١، وينظر أيضًا: المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨، التبيان للعكبري ص ١٢٣٢.

(٢) هذا قول آخر للنحاس، قاله في إعراب القرآن ٤/ ٤٦٨.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٩٨.

(٤) رواه الطبرانيُّ عن الربيع بن أنس في المعجم الأوسط ٦/ ١٥، وينظر: جامع البيان ٢٨/ ١٩٦، الكشف والبيان ٩/ ٣٥٧، مجمع الزوائد ٨/ ١٣٢ كتاب الأدب: باب عجائب المخلوقات، الدر المنثور ١/ ٤٤.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ صَوْتًا مِثْلَ أَوَّلِ نَهِيقِ الحِمار، وهو أقبح الأصوات، ﴿وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾ تَغْلِي بِهِمْ كَغَلْيِ المِرْجَلِ، وقيل[1]: تَفُورُ بِهِمْ كما يَفُورُ الماءُ الكثيرُ بالحَبِّ القَلِيلِ.

و ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ رفع على خبر اللام الزائدة، ومن قرأ: ﴿عَذابَ جَهَنَّمَ﴾[2] بنصب الباء نصبه بالعطف على قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾[3].

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ يعني جهنم؛ أي: يَتَمَيَّزُ بَعْضُها من بعض من الغيظ على أعداء/ الله، وقرأ البَزِّيُّ: ﴿تَّمَيَّزُ﴾[4] بتشديد التاء، وأصله: تَتَمَيَّزُ، فأدغمت التاء فِي التاء ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾؛ أي: جماعة، وقيل: قوم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ وهم الملائكة خُزّانُ جَهَنَّمَ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾؛ أي: رَسُولٌ يُحَذِّرُكُم النارَ، ويُخْبِرُكُمْ بِدِينِ الله، وهذا التوبيخ زِيادةٌ لهم في العذاب، و ﴿كُلَّمَآ﴾ نصب بـ﴿أُلْقِىَ﴾ على الظرف. [٢٣٩/ أ]

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ يعني: نسمع الهدى أو نعقله ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ قال الزَّجّاجُ[5]: معناه: لو كُنّا نَسْمَعُ سَمْعَ مَنْ يَعِي ويتفكر، أو نَعْقِلُ عَقْلَ مَنْ يُمَيِّزُ وينظر، ما كنا من أهل النار.

---

(١) قاله مجاهد، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٤٨/ أ.

(٢) قرأ الضحاك والأعرج وأُسَيْدٌ المُزَنِيُّ، والحسنُ في رواية هارون عنه: ﴿عَذابَ جَهَنَّمَ﴾ بالنصب، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦٩، شواذ القراءة ورقة ٢٤٦، البحر المحيط ٨/ ٢٩٤.

(٣) الملك ٥.

(٤) بإدغام التاء في التاء، وقرأ أبو عمرو: ﴿تكاد تَّمَيَّزُ﴾ بإدغام الدال في التاء على أصله في إدغام المتقاربين، ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٩، البحر المحيط ٨/ ٢٩٤، الدر المصون ٦/ ٣٤٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٩٩.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ ولَـمْ يقـل: بِذُنُوبِهِـمْ؛ لأنـه مصـدر يـؤدي عـن الجنس[1]﴿فَسُحْقًا﴾ يعني: بُعْدًا ﴿لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑪﴾ من رحمة الله، ومنه: مكانٌ سَحِيقٌ: إذا كان بعيدًا.

قرأه العامة بالتخفيف، وثَقَّلَهُ أبو جعفر والكسائيُّ[2]، وهما لغتان مثل: الرُّعْبِ والرُّعُبِ، والسُّحْتِ والسُّـحُتِ، وهو منصوب على إضمار فعل؛ أي: أَلْزَمَهُم اللهُ سُحْقًا[3]، وقيل: هو مَصْدَرٌ جُعِلَ بدلًا من اللفظ بالفعل، وهو قول سيبويه[4].

فصل

عن أَبِي سـعيد الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إنَّ لِكُلِّ شيءٍ دِعامةً، ودِعامةُ المؤمن عَقْلُهُ، فَبِقَدْرِ ما يَعْقِلُ يَعْبُدُ رَبَّهُ، ولَعَمْرِي لقد نَدِمَ الفُجّارُ يوم القيامة فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾»[5].

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٦٩.

(٢) قرأ عَلِيُّ بن أَبِي طالب، رحمه الله، وأبو جعفر والكسائي وابن وَرْدانَ وابن جَمّازٍ: «فَسُحُقًا»، ينظر: السبعة ص ٦٤٤، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٣، البحر المحيط ٨/ ٢٩٥، الإتحاف ٢/ ٥٥١.

(٣) أي: أنـه مفعـول به، وهذا قـول مَكِّيِّ بن أَبِي طالب في مشـكل إعراب القـرآن ٢/ ٣٩٢، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٥١، الفريد للهمداني ٤/ ٤٩٧، الدر المصون ٦/ ٣٤٣.

(٤) قال سـيبويه: «هذا باب ما يُنْصَبُ من المصادر على إضمار الفعل غير المسـتعمل إظهارُهُ، وذلك قولك: سَقْيًا وَرَعْيًا، ونحو قولك: خَيْبةً ودَفْرًا وجَدْعًا وعَقْرًا وبُؤْسًا، وأُفَّةً وتُفَّةً، وبُعْدًا وسُـحْقًا...، وإنما ينتصب هذا وما أشبهه إذا ذُكِرَ مذكور، فَدَعَوْتَ له أو عليه، على إضمار الفعل كأنك قلتَ: سَـقاكَ اللهُ سَـقْيًا، ورَعاكَ رَعْيًا، وخَيَّبَكَ اللهُ خَيْبةً، فكل هذا وما أشـباهه على هذا ينتصب». الكتاب ١/ ٣١١، ٣١٢.

(٥) ينظر: الوسـيط للواحدي ٤/ ٣٢٧، ٣٢٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٢-٢١٣، فيض القدير ٥/ ٥٤٢.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لَيَكُونُ من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام، ومِمَّنْ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وما يُجْزَى يوم القيامة إلّا على قَدْرِ عَقْلِهِ»[١].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: أَثْنَى قَوْمٌ على رَجُلٍ عند رسول الله ﷺ، حتى أَبْلَغُوا الثَّناءَ فِي خِصالِ الخَيْرِ، فقال رسول الله ﷺ: «كَيفَ عَقْلُ الرَّجُلِ؟»، قالوا: يا رسول الله: نُخْبِرُكَ عن اجتهاده فِي العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟ فقال نَبِيُّ الله ﷺ: «إن الأحمق يُصِيبُ بِحُمْقِهِ أَعْظَمَ مِنْ فُجُورِ الفاجِرِ، وإنما يرتفع العُبّادُ غَدًا فِي الدَّرَجاتِ، وَينالُونَ الزُّلْفَى على قَدْرِ عُقُولِهِمْ»[٢].

[٢٣٩/ ب] قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾ يعني الكفار ﴿أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ/ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ قال ابن عباس[٣]: كانوا يَنالُونَ من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ كي لا يَسْمَعَ إِلَهُ محمد ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ثم قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ إن شئتَ جعلتَ ﴿مَنْ﴾ اسمًا للخالق، ويكون في موضع رفع تقديره: ألا يَعْلَمُ اللهُ الخالِقُ بِما في الصدور، ﴿وَهُوَ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٠٨، والأوسط ٣/ ٢٥١، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٤/ ١٩٢، وينظر: الوسيط ٤/ ٣٢٨، الموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٧٢، مجمع الزوائد ٨/ ٢٨ كتاب الأدب: باب في العقل والعقلاء.

(٢) ينظر: الوسيط ٤/ ٣٢٨، مجمع البيان ١٠/ ٧٢، كنز العمال ٣/ ٣٨١، تذكرة الموضوعات ص ٢٩.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٩/ ٣٥٩، أسباب النزول ص ٢٩٣، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٢٩، زاد المسير ٨/ ٣٢١.

﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، وإن شئتَ جعلتَهُ اسمًا للمخلوق، ويكون في موضع نصب تقديره: ألا يَعْلَمُ اللهُ مَخْلُوقَهُ[1]، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾؛ أي: الواصل العليم، واللطيف: المتوصل إلَى علم الشيء، لَطُفَ عِلْمُهُ بِما في القلوب، الخبير بما فيها من السر والوسوسة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سَهْلَةً مُسَخَّرَةً لا تمتنع ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ قيل: جِبالِها وآكامِها، وقيل: جَوانِبِها، وقيل: نَواحِيها، وقيل: سُبُلِها، وقيل: طُرُقِها، وقيل: أطْرافِها، وقيل: شِعابِها، وأصل الكلمة:

---

(١) علـى الوجه الأول، وهو أن «مَن» اسم للخالق، يكون المفعول به محذوفًا، وعلى الوجه الثانِي، وهو أن «مَن» اسم لِلْمُسِرِّينَ والجاهِرِينَ، يكون الفاعل ضميرا مستترا تقديره «هُوَ» يعود على الله عز وجل.
وهذا الوجه الثانِي ضَعَّفَهُ النحاسُ، فقال: «ربما تَوَهَّمَ الضعيفُ في العربية أن «مَنْ» في موضع نصب، ولو كان موضعها نَصْبًا لكان: ألا يعلم ما خَلَقَ؛ لأنه راجع إلى «بِذاتِ الصُّدُورِ»، وإنما التقدير: ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَها سِرَّها وَعَلَانِيَتَها». إعراب القرآن ٤/ ٤٧٠.
والوجهان قالهما الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٩/ ٣٥٩، والزمخشريُّ في الكشاف ٤/ ١٣٧، ١٣٨.
وقد حكم مَكِّيُّ بن أبِي طالب على الوجه الثانِي بأنه قول أهل الزَّيْغ، يعني المعتزلة، فقال: «وقال بعضُ أَهْلِ الزَّيْغ: إن «مَنْ» في موضع نصب اسم لِلْمُسِرِّينَ والجاهِرِينَ؛ لِيُخْرِجَ الكلامَ عن عُمُومِهِ، وَيَدْفَعَ عُمُومَ الخَلْقِ عن الله، جَلَّ ذِكْرُهُ ـ، ولو كان كما زعم لقال: ألا يعلم ما خَلَقَ؛ لأنه إنَّما تقدم ذِكْرُ ما تُكِنُّ الصدورُ، فهو في موضع «ما»». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٢، وأَيَّدَهُ في ذلك ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٠-٣٤١.
وَرَدَّ السَّمِينُ الحلبيُّ على مَكِّيٍّ، فقال: «ولا أدري كيف يلزم ما قاله مَكِّيٌّ بالإعراب الذي ذَكَرَهُ والمعنى الذي أبْداهُ؟، وقد قال بهذا القول، أعني الإعرابَ الثانِيَ، جَماعةٌ من المحققين، ولَمْ يبالوا بما ذَكَرَهُ، لعدم إفْهامِ الآيةِ إيّاهُ». الدر المصون ٦/ ٣٤٤، وينظر: اللباب لابن عادل ١٩/ ٢٤٣-٢٤٥.

الجانِبُ، ومنه: مَنْكِبُ الرَّجُلِ والرِّيحُ النَّكْباءُ، وتَنَكَّبَ فُلَانٌ[١].

قوله: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾؛ أي: مِمّا خَلَقَهُ اللهُ لكم في الأرض ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ وإلى الله تُبْعَثُونَ من قبوركم.

ثم خَوَّفَ كُفّارَ مكة، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ١٦﴾ قرأ قُنْبُلٌ: ﴿وَأَمِنْتُمْ﴾ بقلب الهمزة واوًا، وقرأ الكوفيون وابن ذَكْوانَ: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بهمزتين، وقرأ الباقون: ﴿ءَآمِنْتُمْ﴾[٢] بهمزة واحدة بعدها مَدّةٌ.

قال المفسرون: والمعنى في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني عُقُوبةَ مَنْ في السماء، أو عَذابَ مَنْ في السماء، وأراد: مَنْ في السماء سُلْطانُهُ ومُلْكُهُ وقُدْرَتُهُ، لا بُدَّ من أن يكون هذا؛ لاستحالة أن يكون اللهُ في مكان أو موصوفًا بِجِهةٍ، وأهل المعانِي يقولون: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هو المَلَكُ المُوَكَّلُ بالعذاب، وهو جبريل عليه السلام، والمعنى: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ بِأَمْرِهِ، ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ تضطرب وتتحرك، فَتَعْلُو عليهم وهم يُخْسَفُونَ فيها، والأرض تَمُورُ

---

(١) الرِّيحُ النَّكْباءُ: التي تَعْدِلُ عن مَهابِّ الرِّيحِ القُوَّمِ، وتَنَكَّبَ فُلَانٌ الطَّرِيقَ، ونَكَبَ عنه: إذا عَدَلَ ومالَ عنه، قال الأزهريُّ: «قال الأَصْمَعِيُّ: كُلُّ رِيحٍ من الرياح تَحَرَّفَتْ فَوَقَعَتْ بَيْنَ رِيحَيْنِ فهي نَكْباءُ، وقد نَكَبَتْ تَنْكُبُ نُكُوبًا. وقال أبو زيد: النَّكْباءُ: التي تَهُبُّ بَيْنَ الصَّبا والشَّمالِ». التهذيب ١٠/ ٢٨٧.

(٢) قرأ قُنْبُلٌ عن ابن كثير: «النُّشُورُ وامِنْتُمْ» بقلب الهمزة الأولَى واوًا لِضَمِّ ما قبلها مع تسهيل الهمزة الثانية، وهذا في الوصل، فإذا ابتدأ حَقَّقَ الأُولَى وَسَهَّلَ الثّانِيةَ، وَرَوَى ابنُ شَنَبُوذٍ عن ابن كثير تَحْقِيقَهُما، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر: ﴿أَأَمِنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وقرأ قالُونُ عن نافع وأبو عمرو والبَزِّيُّ وأبو جعفر وهشام بِخُلْفِهِ: ﴿ءَآمِنْتُمْ﴾ بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وأدخل أبو عمرو وقالُونُ بينهما أَلِفًا، ينظر: السبعة ص ٦٤٤، الحجة للفارسي ٤/ ٥٣، ٥٤، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٦، البحر المحيط ٨/ ٢٩٦، الإتحاف ٢/ ٥٥١.

فَوْقَهُمْ، فَتُلْقِيهِمْ إِلَى أَسْفَلَ، هكذا ذكره الواحديُّ[١]، ومِثْلَهُ قال الثعلبيُّ[٢].

ومنهم من قال: يَعْنِي الرَّبُّ نَفْسَهُ، قال المحققون: ومعنى قوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾/ ؛ أي: فوق السماء، كقوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣] [٢٤٠/ أ] أي: فوقها، وقيل: معناه: على السماء، كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[٤]، ومعناه أنه فوقها لا بِالمُماسّةِ والتَّحَيُّزِ، ولكن بالقهر والتدبير، فهو مالكها ومُدَبِّرُها والقائم عليها، كما يقال: فُلاَنٌ على العراق والحجاز، وفُلاَنٌ عَلَى خُراسانَ وسِجِسْتانَ، يَعْنُونَ أنه والِيها وأَمِيرُها[٥]، والله أعلم، وفيه أقاويل كثيرة يطول شرحها.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي الحجارة كما أرْسَلَ على قوم لوط وأصحاب الفيل ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: إنْذارِي إذا عايَنْتُم العذابَ عند الموت وفي الآخرة، وهو في موضع رفع[٦]؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: مِنْ قَبْلِ كُفّارِ مَكّةَ من الأُمَمِ الخالية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: إنْكارِي عليهم بالعذاب، أَثْبَتَ بعضُ القُرّاءِ ـ وهو

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤/ ٣٢٩.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) التوبة ٢.

(٤) طه ٧١.

(٥) من أول قوله: «قال المحققون» قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ٣٥٩-٣٦٠، وينظر: الكشاف ٤/ ١٣٨، عين المعاني ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٦.

(٦) يعني أن ﴿كَيْفَ﴾ في مَحَل رفع على أنه خَبَر مقدم، و﴿نَذِيرِ﴾ مبتدأ مؤخر، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٧١.

وَرْشٌ - الياءَ في هذه الحروفِ[١] وأخواتِها حيث وقعت على الأصل في الوصل فقط، وحَذَفَها بعضُهُمْ في الخَطِّ لأنها رأس آية، ورؤوس الآيات يُنْوَى الوَقْفُ عليها، والوقوف على الياء يُسْتَثْقَلُ، فاستغنوا عنها بالكَسْرِ[٢].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ يعني: تَصُفُّ أجْنِحَتَها في الهواء وهي تطير ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾؛ أي: قابضاتٍ أجْنِحَتَها بعد انبساطها، وقيل: معنى قوله: ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾؛ أي: يُسْرِعْنَ، والقَبْضُ: شِدّةُ العَدْوِ، و﴿يَقْبِضْنَ﴾ عطف على معنى ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾؛ لِما بَيْنَ اسمِ الفاعل والفعلِ المضارع من المناسبة، قال الشاعر:

٣٧١ - باتَ يُعَشِّيها بِعَضْبٍ باتِرِ
يَعْدِلُ فِي أسْؤُقِها وَجائِرِ[٣]

---

(١) قرأ وَرْشٌ عن نافع: «نَذِيرِي» و«نَكِيرِي» بإثبات الياء فيهما وفي أمثالهما وصلًا فقط، وأثبت يعقوبُ الياءَ وصلًا ووقفًا، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين، ينظر: السبعة ص ٦٤٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٧، الإتحاف ٢/ ٥٥١.

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٥٨: ٢٦٠، إعراب القرآن ٤/ ٤٧١، الحجة للفارسي ٤/ ٥٥.

(٣) البيتان من الرجز المشطور، لم أقف على قائلهما، ويُرْوَى الأول:

باتَ يُغَشِّيها بِسَيْفٍ باتِرِ

وهما في وصفِ كريمٍ بادَرَ بِعَقْرِ إبِلِهِ لضيوفِهِ، و«جائِرِ» صفة ثالثة لـ«عَضْبٍ» بعد «باتِرِ»، و«يَعْدِلُ»؛ أي: بِعَضْبٍ باتِرٍ قاصِدٍ جائِرٍ.

اللغة: يُعَشِّيها: يُطْعِمُها العَشاءَ، العَضْبُ الباتر: السَّيْفُ القاطع، أقام السيف لإبله مقامَ العَشاءِ، يَعْدِلُ: يتوسَّطُ ولا يُجاوِزُ الحدَّ، الأسْؤُقُ: جمع قِلّةٍ للسّاقِ.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ١/ ٢١٣، ٢/ ١٩٨، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٤١٢، تهذيب اللغة ٦/ ١٨، أمالِيُّ ابن الشجري ٢/ ٤٣٧، ٣/ ٢٠٥، المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٢، كشف =

وقوله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ يعني: في حال البَسْطِ والقَبْضِ أنْ يَسْقُطْنَ ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ و ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ في موضع نصب على الحال، وكذلك قوله: ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ حال أيضًا من الطير.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ لفظ الجُنْدِ مُوَحَّدٌ، ولذلك قيل: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ﴾، وهو استفهام في معنى إنكار؛ أي: لا جُنْدَ لَكُمْ ﴿يَنصُرُكُم﴾ أي: يَمْنَعُكُمْ من عذاب الله، قال ابن عباس[1]: معناه: ينصركم مِنِّي إنْ أرَدْتُ عَذابَكُمْ ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: من الشيطان يَغُرُّهُمْ بأن العذاب لا يَنْزِلُ بِهِمْ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى / يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾؛ أي: مَن الذي يرزقكم المَطَرَ إنْ أمْسَكَهُ اللهُ عنكم؟ ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: ليسوا يعتبرون ولا يتفكرون، بل لَجُّوا في طُغْيانِهِمْ وتَمادِيهِمْ وتَباعُدِهِمْ عن الآيات.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ يعني: راكِبًا رَأْسَهُ في الضلالة والجهالة أعْمَى القَلْبِ والعَيْنِ، يعني الكافر ﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ معتدلًا، وهو المؤمن يبصر الطريق ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ يعني به الإسلامَ، وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى للكافر؛ لأنه أكَبَّ على معاصي الله في الدنيا، فَحَشَرَهُ اللهُ على وجهه لا يبصر يمينًا ولا شِمالًا، و«مَنْ» في موضع رفع بالابتداء، و ﴿أَهْدَىٰٓ﴾ خبره، ونصب ﴿مُكِبًّا﴾ و ﴿سَوِيًّا﴾ على الحال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾؛ أي: الذي خلقكم ولَمْ تكونوا شيئًا، وهو مبتدأ وخبر ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعني العقول ﴿قَلِيلًا

= المشكلات ٢/ ٣٧٥، البيان للأنباري ٢/ ٤٥١، تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٨، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٨٣، شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٧٥، اللسان: عشا، كهل، البحر المحيط ٨/ ٢٩٧، المقاصد النحوية ٤/ ١٧٤، خزانة الأدب ٥/ ١٤٠، ١٤٣.

(١) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٣٠.

﴿مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)﴾ وإنما لَمْ يقل: الأسْماع لأن السَّمْعَ في الأصل مصدر[١]، ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ بـ﴿تَشْكُرُونَ﴾، يعني: ما تَشْكُرُونَ قَلِيلًا من الشكر ولا كثيرا رَبَّ هذه النعمةِ فَوَحِّدُوهُ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني كفار مكة ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥)﴾ أي: مَتَى هذا العذاب الذي تَعِدُنا به يا محمد أنه نازِلٌ بنا، إن كنت من الصادقين، يقولون هذا استهزاءً وتكذيبًا، و ﴿مَتَىٰ﴾ في موضع رفع لأنها خبر الابتداء، هذا عند سيبويه[٣]، وعلى قول غيره هي في موضع نصب؛ لأنه لا يُرْفَعُ هذا بالابتداء[٤]، وأبو العباس يرفعه بمعنى: مَتَى يَسْتَقِرُّ هذا الوعدُ[٥]، وقيل[٦]: ﴿مَتَىٰ﴾ نصب على الظرف حيث كان، و ﴿هَٰذَا﴾ رفع بالابتداء، و ﴿ٱلْوَعْدُ﴾ نعته.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)﴾[٧].

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ الهاء في ﴿رَأَوْهُ﴾ تعود على الوعد، وقيل: على العذاب يوم بَدْرٍ، وقيل: على العذاب في الآخرة، قاله أكثر المفسرين، وقوله:

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٤٧٢، وينظر: التهذيب ٢/ ١٢٥، المخصص ١/ ٨٣.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٥٠/ أ.

(٣) لأن «مَتَى» عنده سُؤالٌ عن الزمان بمعنى: أيُّ حِينٍ؟. ينظر: الكتاب ١/ ٢١٧، ٢١٨، ٤/ ٢٣٣.

(٤) يعني أن «مَتَى» منصوبة على الظرفية، وهذا مذهب الكوفيين، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٣، ٣٣٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٠، ٢٩٩، ٤/ ٤٧٢، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٤٥.

(٥) يعني المبرد، ينظر: المقتضب ٢/ ٦٦، ٣/ ٥٢، ٤/ ٣٣٣.

(٦) قاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٣.

(٧) هكذا ذكر المؤلف هذه الآية دون توجيه.

﴿زُلْفَةً﴾ يعني: قريبًا، يقال: ازْدَلَفَ إليه؛ أي: قَرُبَ منه[١]، وهو مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع والواحد[٢].

وقوله: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: اسْوَدَّتْ وغَلَبَتْ/ عليها الكَآبةُ، ومعنى ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: قُبِّحَتْ وُجُوهُهُمْ بالسَّوادِ، يقال: ساءَ الشيءُ يَسُوءُ فهو سَيِّئٌ: إذا قَبُحَ، وسِيءَ يُساءُ: إذا قُبِّحَ، وضده: سَرَّ يَسُرُّ، يقال: سَرَّنِي الشيءُ وسُرِرْتُ به ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿هَٰذَا﴾ يعني العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ قال الفَرّاءُ[٣]: يعني: تَدْعُونَ، وهما واحد مثل: تَذْكُرُونَ وتَذَّكَّرُونَ. [٢٤١/ أ]

قرأه العامة بالتشديد من الادِّعاءِ، وقرأه الضحاك وقتادة ويعقوب بالتخفيف[٤] من الدعاء، والمعنى: كنتم به تستعجلون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ﴾ يعني ماء زمزم ﴿غَوْرًا﴾ يعني غائرًا ذاهبًا فِي الأرض، لا تَنالُهُ الأيدي أو الدِّلاءُ، والغَوْرُ: مصدر لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ وُضِعَ مَوْضِعَ الاسم، فأقامه مُقامَ الفاعل[٥]، وقيل[٦]: تقديره: إن أصبح ماؤكم

---

(١) قاله الزجاج فِي معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠١، وحكاه النقاش عن ثعلب فِي شفاء الصدور ورقة ١٥٠/ أ.

(٢) قال الجوهري: «والزُّلْفةُ والزُّلْفَى: القُرْبةُ والمَنْزِلةُ، وهي اسم المصدر». الصحاح ٤/ ١٣٧٠.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ١٧١.

(٤) قرأ الضحاكُ وقتادةُ ويعقوبُ وأبو رجاء والحسنُ وعبدُ الله بنُ مسلمِ بنِ يسارٍ وسلّامٌ وابنُ أبِي عبلةَ وأبو زيد: «تَدْعُونَ»، ورواها عُصْمةُ عن أبِي بكر، والأصمعيُّ عن نافع، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٠، المحتسب ٢/ ٣٢٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢١، البحرُ المحيط ٨/ ٢٩٨، الإتحاف ٢/ ٥٥٢.

(٥) قاله الفراء والأخفش وأبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٧٢، معانِي القرآن للأخفش ص ٥٠٤، مجاز القرآن ٢/ ٢٦٣، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٧٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠١.

(٦) يعني أنه على تقدير مضاف، وهذا قول النحاس، قاله في إعراب القرآن ٤/ ٤٧٤.

ذا غَوْرٍ، مثل قوله: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[(١)]، وقد مضى نظيره في سورة الكهف[(٢)].

وقولـه: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ٣٠﴾ يعنـي: ظاهـرًا تراه العيـون، وتنـاله الأيدي والـدِّلاءُ[(٣)]، وقيل[(٤)]: جارٍ، يقال: عانَ الماءُ يَعِينُ: إذا جَرَى، وقيل[(٥)]: عَذْبٌ ـ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ ـ. قال ثعلب[(٦)]: الماءُ المَعِينُ: هو الماء السـائل على وجه الأرض مـن العيون، والميم أصلية، وهو «فَعِيلٌ» مأخـوذ من: مَعَنَ الماءُ: إذا كَثُرَ. والله أعلم.

---

(١) يوسف ٨٢.

(٢) الآية ٤١، وهي قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٣) قاله أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٢٠٠، وقاله النقاش في شـفاء الصدور ورقة ١٥١/ أ، وحـكاه الأزهـري عن الليث فـي التهذيـب ٣/ ٢٠٩، وينظر: غريب القرآن للسجسـتانِي ص ١٦٠.

(٤) يعني أن الميم فيه زائدة، فيكون على وزن مَفْعُولٍ مثل مَبِيعٍ ومَكِيلٍ، وهذا قول أبِي عبيدة وابن قتيبة والزجـاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٥٩، غريب القـرآن لابن قتيبة ص ٢٩٧، ٤٧٦، معانِي القرآن وإعرابـه ٤/ ١٥، ٥/ ٢٠١، وحـكاه الأزهري عن الفـراء في التهذيب ٣/ ١٦، وحكاه الثعلبي عن ابن عباس وقتادة في الكشف والبيان ٩/ ٣٦٢، والسجاوندي في عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ.

(٥) حكاه النقاش عن المؤرج في شـفاء الصدور ورقة ١٥١/ أ، والثعلبي في الكشـف والبيان ٩/ ٣٦٢.

(٦) قال ثعلب: «الماءُ المعينُ: الجاري السائلُ، مأخوذ من المَعْنِ، وهو يقال في القليل والكثير». مجالس ثعلب ص ٢٤٣ وحكاه عنـه ابن الأنباري والنقاش والأزهري، ينظر: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٨١، شفاء الصدور ورقة ١٥١/ أ، تهذيب اللغة ٣/ ١٦.
وذهـب الفراء وابن قتيبة إلى أن المَعِيـنَ وَزْنُهُ مَفْعُولٌ من العين، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢٣٧، غريـب القـرآن لابن قتيبـة ص ٢٩٧، وضَعَّفَهُ الفارِسِـيُّ بأنه لا فِعْـلَ له، ينظر: الإغفال ٢/ ٤٨٦-٤٨٧.
وقال مَكِّيٌّ: «ويجوز أن يكون مفعولًا من العين، وأصله مَعْيُونٌ، ثم أُعِلَّ بأن أسـكنت الياءُ اسـتخفافًا، وحُذفت لسـكونها وسـكون الواو بعدها، ثم قلبت الواو ياء لانكسارها العين قبلها». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٤.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

* * *